

ومعه

أخبار المراقسة وأشعارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

تأليف

حسن السندوبي

[الطبعة الثالثة : ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م]

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى : شارع محمد على بمصر

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا رقم ١٣

شرح ديوان امرئ القيس

ومعه

أخبار المراقسة وأشعارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

تأليف

حسن السندوبي

[الطبعة الثالثة : ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م]

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى : شارع محمد علي بمصر

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

شارع نوبار باشا رقم ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد : فقد كنت صنعت ديوان امرئ القيس — أى جمعته ورتبته ونسقته وعلقت حواشيه — ثم قدمته للطبع فطبع سنة ١٣٤٩ للهجرة الموافقة لسنة ١٩٣٠ للميلاد ؛ وإنما قلت إنى جمعته لأن المنشور منه غير مستقص لشعر امرئ القيس . ولقد بحثت إذ ذاك عن شعره فى كثير من المراجع كأسفار التاريخ ، ومجاميع الأدب ، ودواوين الأشعار ، حتى عثرت على طائفة صالحة مما ليس فيما طبع من الديوان فضممت أشتاتها ، وجمعت متفرقها ، وميزت أصيلها من دخيلها ، ولم أشأ أن أغمره بالشروح والحواشى والتعليقات ، بل اكتفيت بحل ألفاظه اللغوية التى قد تعسر معرفتها على الشادين . وقد رأيت أن أكون فى مقام صنع ديوان ، لا فى صدد شرح وبيان . فجاء صنعاً حسنا ، وعملا صالحا ، حاز رضا المتأدبين ، واستحسان العارفين . ومع هذا فأنا أعترف بأنه جاء على غير ما ينبغى ، وحصل غير مستوفى شرائط الإجادة والإحسان كما أبتغى .

ولما نفدت تلك الطبعة رأيت أن أردد فيه النظر ، وأعيد فى ثناياه الفكر ، وأستدرك ما فاتنى مما لم يسعدنى عليه الزمن ؛ فبحثت ونقبت ، وقارنت الروايات وتقصيت ؛ ومازلت من ذلك فى عناء واعتنام حتى ظفرت بما لم أظفر به من قبل ، فوقعت لى قصائد بأكملها أو بمعظمها ، وأبيات

متفرقة أتيت بأحكمها . كما وقفت إلى قصائد وأبيات نسبها إليه بعض الرواة وهى لغيره ، ونسبوا لغيره أشياء هى له دون سواه ؛ فتحريت ذلك كله على قدر الاستطاعة ، وأثبتُّ خيره ، ونفيت ضيره . وقد عُنيت بشرحه والتعليق عليه بما يوضح أغراضه ومراميه على الوجه الذى يقتضيه ؛ غير أنى لم أشأ أن أجعله معرضاً لمشاكل النحاة ، ومسائل الصرفيين ، واختلاف الرواة ، ومناهج اللغويين ؛ فقد تكفلت بذلك كتب التعليم ، وأسفار المعلمين . وإنما قصدت إلى المعنى فأبنته ، وإلى الغرض فأوضحته ؛ ولم أخله من نكتة طريفة ، أو فائدة ظريفة ، أو حادثة أنيقة ، أو لطيفة مشوقة .

وإنى لأحسب أنى ـ بهذا الصنيع ـ قد قمت بخدمة تروق أهل الأدب وطلاب التأدب ، وقربت إليهم ما تباعد من شعر امرئ القيس وما تنآى من مقاصده ، فى قصائده . واضعاً ذلك فى وضع حديث ، ومُنزله فى ترتيب أنيق ، راجياً بذلك وجه الله ، متطلعا إلى ما عنده من حسن الجزاء . غير حافل برضى الراضين ، ولا مَعْنِىّ بسخط الساخطين .

ولما كان الكثير من الشعر المَرْقِىّ قد اختلف فيه الرواة ، فنسبه بعضهم إلى امرئ القيس هذا ، ونسبه آخرون إلى غيره من المسمين باسم امرئ القيس ، فقد رأيت أن لا أترك شاعراً يسمى بامرئ القيس إلا جئت به فرويت أخباره ، إن كان له خبر ، وأثبتُّ أشعاره ، إن عثرت له على شعر ، ونبهت على ما اختلف فيه الإخباريون من عزوه إلى هذا ونفيه عن ذاك . ثم ألفت بين هذا كله وجمعته فى كتاب مستقل أسميته :

أخبار المراقسة وأشعارهم ، فى الجاهلية وصدر الإسلام

وجعلته ملحقا بهذا الديوان ليكون بين يدى القارئ مجموعة نافعة تحصر له الشعر المروى لكل من تسمى بامرئ القيس، ولم أسبق - ولله الحمد - إلى هذا الصنيع، ولم يتقدمنى فيه سابق ولا تبيع. وقد يرى المطلع عليه أنى قد رويت لبعضهم القليل من الشعر، فأقول له: هذا ما عثرت عليه منه. ولعل امرأ القيس وبُعد صيته، وذهاب ذكره كل مذهب، قد جنى على هؤلاء المراقسة واغتصبهم آثارهم، وانتهبهم أشعارهم، أو لعل شعر بعضهم قد لعبت به أيدى الزمن، وأضاعته عوامل المحن.

هذا ولما نفدت هذه الطبعة (وهى الثانية) أعدت النظر فى الكتاب، ورددت الفكر فيما قد يكون جانب منه الصواب، فاستدركت فيه ما رأيت إثباته فى هذه الطبعة الثالثة من الضروريات، ومازلت منه فى محو وإثبات إلى أن جاءت هذه الطبعة ملء عين الأديب، وأمنية كل أديب. بفضل ما بذلت من جهد وعناء. والله كفيل بحسن الجزاء.

ولما كانت هذه الطبعة (وهى الثالثة) قد ظهرت فى ثوبها القشيب فى عهد جمهورية مصر الخالدة، وكنت قد سجلت ما قام به رجال الثورة الأحرار من جلائل الأعمال، وعظائم الأفعال، فى قصيدة، على أن أنشدها فى أحد مجامع هيئة التحرير يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٣ ولكن حال دون ذلك مرض ألمّ بى. فقد رأيت إثباتها فى هذا الكتاب لتكون تقدمة إلى رجال الثورة الأمناء، وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية، وفقهم الله إلى تحقيق كل ما يصبون إليه من خير هذه الأمة الكريمة، وإمتاع هذا الشعب الأبىّ، بما يرجوه من تحقيق أمنيته العظمى من الحرية الكاملة، والاستقلال الخالص من كل شائبة، وأمدهم بروح من عنده. وهذه هى القصيدة:

هوى فاروق عن عرش الكنانه   وكانت لتاجها يوما جمانه (1)

هوى لما استبد بكل شيء   ولم يحفظ لأمته الأمانه

هوى لما تمادى في المساوى   وأترع في مباذله دنانه

هوى رأس الفساد وكان قدما   غبيا لم تهذبه الديانه

وكان يسير في ركب خسيس   من الأوغاد قبح من بطانه

وحاشية من الدعار بادت   بكل المخزيات مع المجانه

كالياس وثابت وابن بوللى   وحلمى والنقيب أولى الشيطانه

جرى في حلبة الأنذال دهرا   وأفرغ في دعارته جفانه (2)

ولم نر قبله ملكا تدنى   لأسفل موجبات للإهانه

خؤون غادر لص جبان   جهول عاهر رجس البدانه

ظلوم فاسق نذل دنىء   غشوم ساقط جم الإفانه (3)

وأعذر منه لص جاع يوما   فهشم جوعه صدر الخزانه

وكان الرجس ينهض في حماه   ويكبو الفضل فيه والزكانه (4)

قضى في أرض مصر زمان سوء   وغادرها تئن من الخيانه

إلى كابرى ترحل بالمخازى   يروم بوكرها للهو حانه (5)

تهاوى إذ أحس زئير (ليث)   يقود الجيش لا يلوى عنانه

لرأس التين حيث النذل فيه   وفي أرجائه ألقى جرانه

---

(1) الجمانة : هنة من فضة تصنع في شكل لؤلؤة .

(2) الجفان : القصاع الكبيرة . لم يبق بها بقية حتى أتى على ما فيها .

(3) الإفانة من الأفن : وهو ضعف العقل من البطنة .

(4) الزكانة : الفطنة .

(5) كابرى : هي البلدة التي رحل إليها من بلاد إيطاليا .

وأنذره (الهزبر نجيب) بطشـا — يزلزل عرشــه ويحط شانه

فأذعن صاغراً لوعيـد (شهم) — فدا تعليه من خان الكنانه [١]

لأنقذ مصر والسودان جمعا — ورد إليهمـا سامى المكانه

وألغى طُغمة الأحــزاب لما — أصيب الشعب منهـا بالزمانه [٢]

وأنهض هيئــة التحرير تمحو — من الأذهان آثار الغبانه [٣]

وترشـد كل ذى دِين إلى ما — يثير الوعى فيــه والفطانه

وتدفع أمة الوادى المفــدى — إلى الخير المــؤثل فى الديانه [٤]

وجمهــورية للنيــل تبنى — صروح المجــد فائقة الحصانه

أحاط كيانها شعب أبى — يفديها بما يحــوى جَنانه [٥]

وبايعها على الأرواح لمــا — تمادى الإنجليز على المدانه [٦]

ويدفع عن حياض النيل قوما — لهم فى الغدر سبق والحرانه [٧]

وآلى أن يطهر كل شبر — على شاطى القنال من المهانه

فمهما حاول القرصان فيه — فما غير الجــلاء لهم ضمانه

أعز الله نهر النيــل دوما — وولّى نصره حامى كيانه

---

(١) الكنانة هنا هى مصر كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصمه الله .

(٢) الزمانة : العاهة المزمنة .

(٣) الغبانة : ضعف الرأى والانخداع فى الأخذ والعطاء .

(٤) الديانة هنا : المقصود بها كل دين وجميع الأديان تحث على الخير وتدفع إليه

(٥) الجنان هنا : القلب الأبى .

(٦) المدانة : الإرضاء بالكلام دون الفعل ، وإعطاء العهود دون الوفاء .

(٧) الحرانة هنا : لزوم المكان وعدم مفارقته ، عناداً .

تساوت أرؤس شمخت زمانا ... بأخرى لم تنل دهرا لبـــانه [1]

وقام العدل والإحسان فينا ... فلا خمصٌ هنـــاك ولا بدانه [2]

وأطلق ألسن الأحرار تشدو ... بقول الحق لا تخشى الإبانه

فأرهف كل ذى رأى حجـــاه ... وأمســـك كل أفاك لسانه

جزى الله (الرئيس نجيب) خيرا ... ووفق صحبـه وأعز شـــانه

والله المسؤول أن يلهمنا الصواب ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ؟

حسن السندوبي

(١) اللبانة : الحاجة من ضرورات العيش .

(٢) الخمص : ضمور البطن من الجوع . والبدانة : كبر البطن والسمن من كثرة الأكل

امرؤ القيس

هو حامل لواء الشعر امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المَرار بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مُرتع ابن معاوية بن كندة بن عُفير بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن عمرو ابن هميسع بن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب ابن قحطان [1].

واسم امرئ القيس : حُندُج بن حُجر ، [2] وامرؤ القيس [3] لقبه وبه شُهر

---

(1) ما أظن أن هذا النسب وامتداده إلى قحطان بهذا التسلسل إلا من أوضاع الرواة ولهذا تراهم مختلفين فيما بينهم ، فمن مقدم ومن مؤخر ، ومن مستقل ومن مقحم ، على أنه ليس فيما رويناه عنهم منه ما يضر ولا ينفع .

أما حجر ابو امرئ القيس فهو بضم الحاء . وآكل المرار . المرار : شجر إذا أكلته الإبل تقلصت مشافرها . قالوا إنما سمى بآكل المرار لأن عمرو بن الهبولة الغسانى أغار عليهم فى غيبة آكل المرار فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عوف بن محلم الشيبانى امرأة آكل المرار فقالت لعمرو بن الهبولة فى مسيره بها : لكأنى برجل أدلم أسود كأن مشافره مشافر بعير آكل المرار قد أخذ برقبتك . فما هى أن استتمت كلامها حتى أدركه آكل المرار فقتله واستنقذ امرأته وما كان أصاب من غنائم وسبايا . وفى أمثال الميدانى قصة هذه الحادثة مفصلة وفيها زيادة وتغيير وتبديل عند قوله : لا غزو إلا التعقيب : فمن أرادها فليطلبها هناك . غير أننا نروى هنا الأبيات التى قالها آكل المرار حين ظفر بعدوه وقتل زوجته هذه فيما يروى الميدانى :

لمن النار أوقدت بحفير　　لم ينم غير مصطل مقرور

إن من يأمن النساء بشىء　　بعد هند لجاهل مغرور

كل أنثى وإن تبينت منها　　آية الحب حبها خيتعور

الخيتعور : الذى لا يدوم على حالة واحدة فيما يزعمون

(2) الحندج : الرملة الطيبة تنبت نباتاً حسناً .

(3) وامرؤ القيس : معناه فيما زعموا : رجل الشدة . وأنشدوا :

وأنت على الأعداء قيس ونجدة　　وللطارق العانى هشام ونوفل =

ولقب بالملك الضّلّيل ، ويكنى أبو وهب ، وأبو زيد ، وأبو الحارث ، وذو القروح [1] وغير ذلك مما تنوسي ، ولم يشتهر إلا لقبه : امرؤ القيس ، ونعته رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى ، بحامل لواء الشعراء .

فيما تحدث به الرواة ، وتناقله النسابون منهم والإخباريون ، أنه فى أوائل القرن السادس للميلاد دب الفساد فى قبائل نزار ، وتفاقم الشر فيما بينها ، وتبدد من جراء ذلك شملهم ، وتفرق جمعهم ، فأجمع بقية أشرافهم وذوو الرأى فيهم على تدارك الحال ، وإصلاح ما فسد ، وجمع ما تفرق ، فأداروا الرأى فيما بينهم فلم يجدوا أمامهم أفضل من أن يقصدوا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، جد امرئ القيس ، وأن يولوه أمرهم ، ويلقوا إليه بأزمتهم ، ويبايعوه على النظر فى شؤونهم ؛ فلما حصلوا بين يديه ، وشكوا إليه ما حل بهم ، وتعهدوا له بالسمع والطاعة ، فى كل ما يأتى وما يذر . أجابهم إلى ما طلبوا ، وقام لهم بما أحبوا ، ففرق أولاده الخمسة فى قبائل العرب ، فكان حُجر - أبو امرئ القيس - مليكا على : بنى أسد ، وغطفان . وكان شرحبيل على : بكر بن وائل ، وحنظلة . وكان معديكرب المعروف بغلفاء : على تغلب ، والنمر بن قاسط ، وسعد بن زيد مناة بن تميم . وكان سلمة على : قبائل قيس بأسرها ، وكان عبد الله على : بنى قيس .

استتب الأمر لحجر فى بنى أسد ، وغبر فيهم السيد المطاع والآمر الناهى دهرا . زعموا أن ملكه عليهم ظل ستين سنة ؛ ففى أثناء ذلك وله له - فيمن

أى جود وبحر . وعندى أن الأسماء والألقاب والكنى عند أبناء قحطان قد يكون لها معان فى لغة أهل الجنوب من جزيرة العرب غير ما يتبادر إلى أذهان أهل الشمال وغير ما يذهب إليه علماء الاشتقاق .

(١) أبو الحارث : كنية الأسد . وذو القروح : مأخوذ من قوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

ولد امرؤ القيس ، وكان أصغر أولاده ، فنشأ على ما تنشأ عليه أبناء ملوك العرب في ذلك الدهر ، وتعلم الفروسية ، ووسائل النجدة والشجاعة ، وكان كثير التردد على أخواله في بني تغلب ، فتعلم الشعر من خاله امرئ القيس ابن ربيعة الملقب بالمهلهل المشهور ؛ ولما كان امرؤ القيس ذكي الطبع ، قوي الفهم ، متوقد الذهن ، طلق اللسان ؛ أجاد قول الشعر وبرز فيه وهو لا يزال في عنفوان شبابه وطراءة فتاءه ، فكان يتعرض فتيات بني أسد ويغازلهن ويشبب بهن فبلغ أمره إلى أبيه ، وكان ذلك مما لا يرضى به ملوك العرب في ذلك الزمن ، فنهاه فلم ينته ، وزجره فلم يزدجر . فزعموا أن والده أمر مولى له يقال له ربيعة أن يذهب به فيذبحه ويأتي إليه بعينيه . فأخذه ربيعة واحتفظ به في مكان ، ثم ذبح جؤذراً وجاء بعينيه إلى أبيه ، فندم حجر على ذلك وأظهر الحزن والأسف ، فقال له ربيعة : أبيت اللعن ، إني لم أقتله ، فقال له : جئني به الآن . فلما جاء به نهاه عن قول الشعر فامتثل . غير أنه كان محبا للهو واللعب ، مولعا بمغازلة النساء وصفا كهن ، فكان ذلك مما ينزع به إلى قول الشعر ، فكان يقول واصفا ، ومتغزلا ، وناسبا ، وباكيا . فبلغ ذلك أباه فطرده[1] . فذهب شريداً فريداً لا يدرى

---

(1) وزعم بعض الرواة أن أباه إنما طرده لأنه كان يتعشق امرأة أبيه المسماة: هر، وهذا قول مردود لأن أخلاق العرب كانت تأباه ، وإن كان من مذاهب العرب أن أكبر أبناء الرجل له أن يرث أباه في زوجته بعد وفاته ، فإن شاء تزوجها بعده ، وإن شاء زوجها من غيره ، وإن شاء منعها حتى تموت : وهذا هو زواج المقت الذي حرّمه الإسلام في قوله تعالى ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ ولم يكن امرؤ القيس بأكبر أبناء أبيه بل كان أصغرهم ؛ فلم يبق إلا أنه إنما طرده لشدة عبثه بفتيات الحي وقوله الشعر فيهن مما لا يرضى عنه آباؤهن حتى كثرت شكاياتهم إليه من تلعبه ببناتهم وهتكه لأعراضهن .

ماذا يصنع . ثم صار يجمع إليه طائفة من الصعاليك والذؤبان والشذاذ من أحياء طيء وكلب وبكر ؛ وأخذ يتنقل بهم فى منازل العرب ، ويغير بهم على أحيائها ، ويقاسمهم ما تناله أيديهم من غنائم الغارة والسطو ، أو ما يقع لهم من الصيد ، ثم يذهب بهم إلى المناهل والغدران والرياض والحدائق ، فيذبح لهم ويؤاكلهم ، وينادمهم الخمر ، ويلاعبهم النرد ، وينشدهم الشعر ، وتغنيهم قيانه اللائى كان يستصحبهن للهوه ومرحه [١] .

فبينا هو فى هذه الحالة غير عابئ من الدنيا إلا بما هو فيه ، من صبح ومسرور جاءه نعى أبيه حُجر ، وأن بنى أسد قتلته .

وكان السبب فى ذلك — على ما تحدث به الرواة — أن حُجراً أبا امرئ القيس كان وضع على بنى أسد إتاوة يأخذها منهم فى كل عام ،

(١) كان امرؤ القيس يأمر قيانه أن يغنين له بشعر مرة بن الرواغ فينشدنه :

إن الخليط أجد البين فادلجوا ... وهم كذلك فى آثارهم إلجج
عصر الشباب يغنين مصلصلة ... جيداء لا حجل فيها ولا رتج
وقد أورد لغيث لا أنيس به ... إلا البعوض وإلا الأزرق الهزج
نهد المرا كل يطاويه ويركبه ... حتى يكشف عن مصرانه الحفج
بمثله كنت أعلو الخيل إذ ركبت ... إذا الجياد كسا فرسانها الرهج

ولابن أحمر يصف حال امرئ القيس فى لهوه وما عرض له بعد ذلك من الجد فى طلب الثأر لأبيه :

إن امرأ القيس على عهده ... فى إرث ما كان أبوه حجر
يلهو بهند فوق أنماطها ... وفرتنا يعدو إليها وهر
حتى أتته فيلق طافح ... لا تتقى الزجر ولا تزدجر
لما رأى يوماً له هبوة ... مرا عبوسا شره مقمطر
أذرى إلى هند تحياتها ... وقال هذا من دواعى دبر
إن الفتى يقتر بعد الغنى ... ويغتنى من بعد ما يفتقر
والحى كالميت ويبقى التقى ... والعيش فنان فحلو ومر

فلما ثقلت وطأته عليهم امتنعوا من أدائها ، وضربوا رسله ، وأهانوا جباته ، ومثلوا بهم . وكان حجر إذ ذاك بتهامة . فأقبل إليهم فى كتيبة من جنده فاستباح أحياءهم ، واستولى على أموالهم ، وأخذ سرواتهم ، وجعل يقتلهم بالعصا ، فسموا « عبيد العصا » . وأسر طائفة من أشرافهم وأودعهم حبوسه ، ومزق شمل بنى أسد ، وفرق جمعهم ، وأجلاهم عن مواطنهم ، وآلى ألا يساكن بنى أسد فى بلد أبدا .

وكان عَبيد بن الأبرص الأسدى الشاعر المشهور ، من ندماء الملك حُجر ، فشمله غضب الملك فكان فى الأسرى . فلما رأى ما حل بقومه قام فبكى بين يدى الملك وأخذ يستعطفه على قومه ، ويرققه وأنشده :

يَا عَيْنُ مَا فَابْكِي بَنِي أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةْ

أَهْلُ القِبَابِ الحُمرِ وَالنْـ ـنَعَمِ الْمُؤَبَّلِ وَالْمُدَامَةْ (١)

وَذَوِي الْجِيَادِ الْجُرْدِ وَالْأَ سَلِ الْمُثَقَّفَةِ الْمُقَامَةْ (٢)

حِلاًّ أَبَيْتَ اللَّعْنَ حِـ ـلاًّ إِنَّ فِيمَا قُلْتَ آمَةْ (٣)

فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَثْرِبَ فَالْقُصُورِ إِلَى الْيَمَامَةْ

تَطْرِيبُ عَانٍ أَوْ صِيَا حُ مُحَرَّقٍ أَوْ صَوْتُ هَامَةْ

وَمَنَعْتَهُمْ نَجْـدًا فَقَدْ حَلُّوا عَلَى وَجَلٍ تِهَامَةْ

---

(١) المؤبل : يقال : تأبل إبلا : اتخذها للقنية واستكثر منها . قال طفيل الغنوى :

فأبل واسترخى به الخطب بعد ما أساف ولولا سعينا لم يؤبل

(٢) الجياد الجرد : الخيل المضمرة ، فإن التضمير يجرد شعرها . والأسل المثقفة : الرماح المقومة .

(٣) حلا : يقول له : تحلل من يمينك التى آليت بها ألا تساكن بنى أسد فى بلد واحد .

بَرِمَتْ بَنُو أَسَدٍ كَمَا ... بَرِمَتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةْ [١]

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ ... نَشَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثُمَامَةْ [٢]

إِمَّا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْـ ... ـواً أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةْ

أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِمُ ... وَهُمُ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةْ

ذَلُّوا لِسَوْطِكَ مِثْلَ مَا ... ذَلَّ الْأُشَيْقِرُ ذُو الْخِزَامَةْ [٣]

فعطف حجر عليهم، ورق لهم، وعفا عنهم، وردهم إلى بلادهم. فلما كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي، فقال: يا عبادي؟ قالوا: لبيك ربنا. فسجع لهم على قتل حُجر وحرضهم عليه، وأثار حميتهم للأخذ بثأرهم. فركبوا كل صعب وذلول: فما أصبحوا حتى انتهوا إلى حجر في قبته، فهجموا عليه فقام عليه حجابه ليمنعوه، فطعنه علباء ابن الحارث الكاهلي فأصاب نساه، وتركوه بين الحياة والموت، وشدوا على هجائنه فاستاقوها، ومضوا على وجوههم.

قالوا: فكتب حجر وصيته وأبان فيها من قتله وجلية خبره، ودفعها إلى رجل من رهطه وأمره أن يمر بها على بنيه واحداً واحداً فأيهم لم يجزع فادفعها إليه مع سلاحي وخيلي وقدوري. فكلهم جزع إلا امرؤ القيس. فقد وجده الرجل بدَمّون مع نديم له يلاعبه النرد، ويشاربه الخمر. فأخبره بما كان فلم يلتفت إليه. فأمسك نديمه عما كانا فيه، فقال له امرؤ القيس: اضرب. فضرب، حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك.

ثم رفع رأسه إلى الرجل وسأله عن أمر أبيه فأخبره بما كان. فقال:

(١) برمت: ضجرت وحارت.

(٢) النشم: شجر تتخذ منه القسى. الثمامة: نبت ضعيف لا يطول ساقه.

(٣) الأشيقر: الجمل الأحمر الصعب المراس يذل عندما توضع في أنفه الخزامة.

ضيعني صغيرا ، وحملني دمه كبيرا ! لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغداً أمر ، وآل ألا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا ، ولا يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه ، حتى يقتل من بنى أسد مائة ، ويجز نواصى مائة ، بثأر أبيه . وقال :

خَلِيلَيَّ لَا فِي الْيَوْمِ مَصْحًى لِشَارِبٍ ... وَلَا فِي غَدٍ إِذْ ذَاكَ مَا كَانَ يُشْرَبُ

فلما جنه الليل قال :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونَ * دَمُّونُ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونَ * وَإِنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونَ

ثم أخذ فى قول الشعر يصف فيه طول الليل عليه ، ويذكر البروق التى تذكره بمواطن آله ، ويتهدد بنى أسد باجتياحهم وقتل سرواتهم ، فى ثأر أبيه ، فمن ذلك قوله :

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ ... حَدِيثٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّي وَأَنْعَمَا (١)

فَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بَعِيدٍ مَآبُهُ ... تَبَيَّنْ وَبَيِّنْ لِي الْحَدِيثَ الْمُعَجَّمَا (٢)

فَقَالَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ عَمْرٌو وَكَاهِلٌ ... أَبَاحُوا حِمَى حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلَمَا (٣)

فلما بلغ بنو أسد ما هو عليه من الاستعداد لحربهم ، أوفدوا إليه رجالا منهم كهولا وشبانا ؛ فيهم المهاجر بن خداش ، وقبيصة بن نعيم ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ، إيراداً وإصدارا . فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدم فى إكرامهم والإفضال عليهم ؛ واحتجب عنهم ثلاثا ، فسألوا عنه فقيل لهم : هو فى شغل بإخراج ما فى خزائن أبيه حجر من السلاح والعُدة .

---

(١) صيلع : جبل . أنعم : أبعد .

(٢) عجلى : رجل من بنى عجل بن لجيم ؛ وقد كان الرسول إليه من أبيه بإبلاغه قتله . المعجم : غير المفصح .

(٣) عمرو وكاهل : أى رجال بنى عمرو ورجال بنى كاهل . مسلم : غير ممتنع .

فقالوا : اللهم غفراً إنا قدمنا فى أمر تتناسى به ذكر ما سلف وتستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا . فخرج عليهم فى قباء وخف وعمامة سوداء ــ وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا فى الترات ــ فلما رأوه قاموا إليه وبدر له منهم قبيصة قائلا : إنك فى المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكير مجرب ؛ ولك من سُؤدد منصبك ، وكرم أعراقك ، وشرف أصلك فى العرب ، محتمل يحتمل ما حمل عليه ، من إقالة العثرة ، والرجوع عن الهفوة ، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصفح ، فى الذى كان من الخطب الجليل ، الذى عمت رزيته نزاراً واليمن ، ولم تخصص كندة بذلك دوننا ، للشرف البارع ، كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد ، وطيب الشيم . ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده ، لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ، ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ، ولا يلحق أقصاه أدناه . فأحمد الحالات فى ذلك ، أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال :

إمّا أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا ، فقُدناه إليك بنسعة يذهب مع شفرات حسامك ، فيقال : رجل امتُحن بهلك عزيز فلم تُستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام .

وإمّا أن اخترت فداء بما يروح إلى بنى أسد من نَعمها ، فهى ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رَجعتْ به القضبُ إلى أجفانها ، لم يردده تسليط الإحن على البرآء .

وإمّا أن توادعنا حتى تضع الحوامل ، فتسدل الأُزر ، وتعقد الخُمُر فوق الرّايات ! فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر فى دم ، وإنى لن أعتاض به جملا أو ناقة ، فأكتسب بذلك سُبة الأبد، وفَتَّ العضد ؛ وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة فى بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سببا ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك ، تحمل القلوب حنقا ، وفوق الأسنة علقا :

إذَا جَالَتِ الخَيْلُ فِى مَأزِقٍ تُدَافِعُ فِيهِ المَنَايَا النُّفُوسَا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوإ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، لمكروه وأذية ، وحرب وبلية . ثم نهضوا وقبيصة يتمثل :

لَعلَّكَ أنْ تَسْتَوْخِمَ المَوْتَ إنْ غَدَتْ كَتَائِبُنَا فِى مَأزِقِ المَوْتِ تَمْطُرُ

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرويداً ينكشف لك دجاها[1] فرسان كندة ، وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى ، إذ كنتَ نازلا بربعى ، ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قبيصة : ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

ثم قصد امرؤ القيس ديار بكر وتغلب ، وعليهم عماه شُرحبيل وسَلَمة ، فسألهما معاونته على الأخذ بثأر أبيه من بنى أسد ، فحشدوا له جموعا . فنذر[2] بهم بنو أسد فلحقوا بديار بنى كنانة . غير أن بنى أسد رأوا ألا طاقة لبنى كنانة بحمايتهم ، ودفع غارة امرئ القيس عنهم ، فتسللوا وذهبوا على وجوههم ليلا ، دون علم بنى كنانة . فأقبل امرؤ القيس فى كتائبه فوضع السيف فى بنى كنانة ، وهو يحسبهم بنى أسد ، وجعل يقول : يالثارات الملك ،

---

(١) دجاها : أى ظلام هذه الكارثة .

(٢) فنذر بهم : أى بلغهم أمره واستعداده لقصدهم ، وكان الذى أنذرهم علباء ابن الحارث الأسدى .

يالثارات الهمام !! فقالت له عجوز كنانية : لسنا لك بثأر ! نحن من كنانة ! أما ثأرك فقد ساروا بالأمس ، فاطلبهم إن شئت . فسكت عنهم ، وسار متعقباً آثار بني أسد ، جاداً في طلبهم ، حتى أدركهم على بعض المياه ، فأوقع بهم ، وأنكى فيهم ، ولم ينقذهم منه إلا الليل ، حيث حجز بينه وبينهم ؛ ففروا تحت الظلام . فلما أصبح طلبهم في مكانهم فلم يجد لهم أثراً ، فثار به الغضب وأسف على فوتهم وجعل يقول :

ألا يا لَهْفَ هندٍ إثْرَ قومٍ ... هُمُ كانوا الشفاءَ فلمْ يُصابوا (١)
وقاهُمْ جَدُّهُمْ ببني أبيهمْ ... وبالأشْقَيْنَ ما كانَ العقابُ (٢)
وأفْلَتَهُنَّ عِلْباءٌ جريضاً ... ولوْ أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ (٣)

ثم إنه أراد السير خلفهم والتنكيل بهم ، فأبى عليه رجال بكر وتغلب وقالوا : قد أصبت ثأرك ، ولسنا لك بتابعين اليوم ؛ فقال : والله مافعلت ولا أصبت من بني كاهل أحداً ، وجعل يقول :

والله لا يذهبُ شيخي باطلا ... حتّى أبيرَ مالكاً وكاهلا (٤)
القاتلينَ المَلِكَ الحُلاحِلا ... خيرَ مَعَدٍّ حَسَباً ونائلا (٥)
وخيرَهُمْ قد عَلِمُوا شمائلا ... نحنُ جَلَبْنا القُرَّحَ القوافلا (٦)

---

(١) كانوا الشفاء : لأن قتلهم يشفي حزازة صدره ، ويريح قلبه من طلب ثأر أبيه .

(٢) جدهم : حظهم . بنو أبيهم : لأن كنانة وأسد كانا ابني خزيمة . والأشقين : من قتلوا ظلماً من بني كنانة ، فقد حل بهم العقاب لشقوتهم وسوء حظهم .

(٣) كان علباء بن الحارث الأسدي أحد قتلة حجر أبي امرئ القيس . جريضاً : به غصة من الخوف . صفر الوطاب : ذهب الجزع والحزن وشفيت نفسي بقتله .

(٤) أبير : أهلك . مالك وكاهل : حيان من بني أسد اشتركا في قتل حجر .

(٥) الحلاحل : السيد الشجاع الكثير المروءة الرزين .

(٦) القرح : الخيل . القوافل : الضمر .

فلم يطيعوه ، وتفرقوا عنه منصرفين إلى ديارهم . فلما رأى ذلك خرج إلى مرثد الخير بن ذي جدن أحد أقيال حمير ، مستنصراً به على بني أسد ، فتلقاه مرثد ووعده العون ، غير أنه هلك قبل أن يقوم بنصره ، وتولى مكانه قرمل بن الحميم ، فاستمده امرؤ القيس الرجال فجعل يسوفه ويمطله ، فقصد لذلك امرؤ القيس وقال في كلمة له :

إذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الخَيْرِ رَبَّنَا ... وَإذْ نَحْنُ لَا نُدْعَى عَبِيداً لِقَرْمَلِ

ثم إن قرملاً أمده بجيش ، جمع أكثره من صعاليك العرب وذؤبانهم ، وفيهم المغامير ، فسار بهم نحو بني أسد ، ومر في طريقه بذي الخَلَصَة[1] — وهو صنم كانت العرب تعظمه — فاستقسم عنده بأزلامه ، وهي ثلاثة قداح : الآمر ، والناهي ، والمتربص . فلما أجالها خرج الناهي ، فأجالها ثانية فخرج الناهي ، وكذلك في الثالثة . فغضب امرؤ القيس فجمعها وكسرها ، وضرب بها وجه الصنم وخرج وهو يقول : لو كان المقتول أباك ما عُقتني . ويروى أنه لما فعل هذا قال :

لَوْ كُنْتَ يَاذَا الخَلَصِ الموتورا ... مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ المَقْبُورَا
لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ العُــدَاةِ زُورَا

قالوا : ثم إن المنذر ملك الحيرة ألّب عليه العرب ، وجمع منهم جيشا أمده كسرى بكتيبة من الأساورة ، فسرحهم في طلب امرئ القيس وقص[illegible]عه : فلما بلغهم ذلك تفرقوا عنه ، وانفضوا من حوله ، ولم يبق معه إلا عصبة من بني آكل المرار ، فسار بهم امرؤ القيس متنقلا في أحياء العرب : فمن مجير له ، ومن ممتنع من إجارته ؛ وصار في طريقه يثني على من

(١) كان هذا الصنم مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة واليمن ، ثم صار هذا الصنم في الإسلام عتبة لمسجد تبالة .

أحسن إليه ، ويذم من يسيئه ، حتى نزل بالحارث بن شهاب اليربوعى ، ومعه أدراعه الخمس ، وهى : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة ، والخريق ، وأم الذيول . وكانت هذه الأدراع يتوارثها بنو آكل المرار ملكا عن ملك . فلما علم المنذر أن امرأ القيس استقر عند الحارث بن شهاب ، بعث إليه يتهدده ، إن لم يُسلم إليه بنى آكل المرار . فسلمهم إليه ، غير امرئ القيس ، فإنه نجا بما قدر عليه من مال وسلاح وأدراعه المذكورة ، وأخذ معه ابنته هند ، ويزيد بن معاوية بن الحارث ، فنزل على سعد بن الضباب الإيادى ، سيد قومه فأجاره [1] وأكرمه وعنى به ، فقال امرؤ القيس :

يُفاكِهُنا سَعْدٌ ويُنْعِمُ بَالَنا ... ويَغْدُو علَيْنا بالجِفَانِ وبالجُزُرْ

ونَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمائِلا ... ومِنْ خالِهِ، ومِنْ يَزِيدَ، ومِنْ حُجُرْ

سَماحَةَ ذَا ، وبِرَّ ذَا ، ووَفاءَ ذَا ، ... ونائِلَ ذَا ، إذَا صَحا وإذَا سَكِرْ

ثم تحول عن سعد بن الضباب إلى أرض طيئ ، فنزل بالمُعَلَّى بن تَيم ، من جَديلة ، فأكرم نزله فقال فيه :

كأنِّى إذْ نَزَلْتُ عَلى المُعَلَّى ... نَزَلْتُ عَلى البَواذِخِ مِنْ شَمَامِ [2]

فَمَا مَلِكُ العِرَاقِ عَلى المُعَلَّى ... بِمُقْتَدِرٍ ولَا مَلِكُ الشَّآمِ

أَقَرَّ حَشَا امْرِئِ القَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ... بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ

فلبث عنده دهرا ، واتخذ له إبلا ، وارتبط له رواحل عند البيوت ، ليسبق عليهن إن أمر دهم ، فغدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد ، فطردوا إبله ؛

---

(١) زعم ابن الكلبي أن أم سعد بن الضباب كانت تحت حجر أبى امرئ القيس فطلقها وهى حامل وهو لا يعرف ، فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشه فلحق نسبه به .

(٢) البواذخ : العوالى من الجبال ، وشمام : جبل كانت تنزل عنده باهلة .

ففارقهم إلى بنى نبهان من طيئ ، وجاء نفر منهم فركبوا الرّواحل ليطلبوا له الإبل ، فأخذتهن جديلة . فرجعوا إليه بلا إبل ، ولا رواحل . فقال فى ذلك :

عَجِبْتُ لَهُ مَشْىَ الحُـــزُقّةِ خَالِدٍ كَمَشْىِ أتانٍ حُلِّئَتْ بِالْمَنَاهِلِ [1]
فَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فى حُجُرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

ففرقت عليه بنو نبهان فِرَقا [2] من معزى يحلبها ، فأنشأ يقول :

إذَا مَا لَمْ تَكُنْ إبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِىُّ
إذَا مَا قَامَ حَالِبُهَـــا أَرَنَّتْ كَأَنَّ القَوْمَ صَبَّحَهُمْ نَعِىُّ [3]
فَتَمْلَأُ بَيْتَنَـــا أقِطًا وَسَمْناً وَحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِىُّ [4]

ثم فارقهم وخرج إلى عامر بن جُوين [5] وعامر يومئذ من الخلعاء الفتاك ،

(١) الحزقة : القصير المقارب الخطو لا خير عنده . حلئت بالمناهل : منعت ورود الماء .

(٢) الفرق : القطيع .

(٣) أرنت : صاحت .

(٤) حسبك من غنى شبع ورى : يقولها تنديداً واستخفافا .

(٥) هو عامر بن جوين الطائى شاعر جاهلى ، وكان فاتكا خليعا وشريفاً عزيز الجانب . وهو جد قبيصة بن الأسود بن عامر بن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لعامر أحداث مع ملوك العرب . قال ابن الكلبى : وفد عامر بن جوين الطائى على المنذر بن النعمان الأكبر ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ، ورجوع الملك إلى لخم - وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حجر أيام كان مقيما بالجبلين ، وكان المنذر ضغنا عليه - فلما دخل عليه قال له : يا عام ، لساء مثوى أثويته ربك وثويك حين حاولت إصباء حلته ومخالفته إلى عشيره ، أما والله لو كنت كريما لأثويته مكرماً موقراً ، وأجانبته مسلماً .

فقال له : أبيت اللعن ، لقد علمت أبناء أدد ، إنى لأعزها جارا ، وأكرمها جوارا وأمنعها داراً ، ولقد أقام وافراً ، وزال شاكراً .

فقال له المنذر : يا عام ، وإنك لتخال هضيبات أجأ ذات الوبار ، وأقنيات سلمى =

فأقام عنده واتخذ له إبلا . فسمع امرؤ القيس يوما عامراً ينشد قوله :

فَكَمْ بِالصَّعِيدِ مِنْ هِجَانٍ مُؤَبَّلَةٍ ... تَسِيرُ صِحَاحاً ذَاتَ قَيْدٍ وَمُرْسَلَهْ

أَرَدْتُ بِهَا فَتْكاً فَلَمْ أَرْتَمِضْ لَهُ ... وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلَهْ

= ذات الأغفار ، ما قماتك من الجر الجرار ، ذي العدد الكثار ، والحصن والمهار ، والرماح الحرار . وكل ماضى الغرار ، بيد كل مسعد كريم النجار .

فقال له عامر : أبيت اللعن ، إن بين تلك الهضيبات والرعان ، والشعاب والصمدان ، فتيانا أبطالا ، وكهولا أزوالا ؛ يضربون القوانس ، ويستنزلون الفوارس ، بالرماح المداعس ؛ لم يتبعوا الرعاء ، ولم ترشحهم الإماء .

فقال الملك : يا عام ، لو قد تجاوبت الخيل فى تلك الشعاب صهيلا ، وكانت الأصوات قعقعة وصليلا ، وفغر الموت ، وأعجز الفوت ، فتقارشت الرماح ، وحمى السلاح ؛ لتساقى قومك كأساً لا صحو بعدها .

فقال : مهلا أبيت اللعن ، إن شرابنا وبيل ، وحدنا أليل ؛ ومعجمنا صليب ، ولقاءنا مهيب .

فقال له : يا عام ، إنه لقليل بقاء الصخرة الصماء على وقع الملاطيس .

فقال : أبيت اللعن ، إن صفاتنا عبر المراديس .

فقال : لأوقظن قومك من سنة الغفلة ، ثم لأعقبنهم بعدها رقدة لا يهب راقدها ، ولا يستيقظ ماجدها .

فقال له عامر : إن البغى أباد عمراً ، وصرع حجراً ، وكانا أعز منك سلطانا ، وأعظم شأناً ، وإن اتيتنا لم تلق أنكاسا ولا أغساسا ؛ فهبش وهناتك وصنائعك وهلم إذا بدالك ، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك . ثم ارتحل وهو يقول :

تعلم أبيت اللعن أن قناتنا ... تزيد على غمز الثقاف تصعبا

أتوعدنا بالحرب أمك هابل ... رويدك برقا لا أبالك خلبا

إذا خطرت دونى جديلة بالقنا ... وجاءت رجال الغوث دونى تحدبا

أبيت التى تهوى وأعطيتك التى ... تسوق إليك الموت أحرج أكهبا

فإن شئت أن تزدار نافات تعترف ... رجالا يذيلون الحديد المقربا

وإنك لو أبصرتهم فى مجالهم ... رأيت لهم جما كثيفا وكوكبا

وذكرك العيش الرخى جلادهم ... وملهى بأكناف السدير ومشربا

فأغض على غيظ ولا ترم التى ... تحكم فيك الزاعبى المحدبا

ففطن امرؤ القيس إلى أن عامراً قد هم أن يغلبه على ما فى يده ، فخافه على نفسه وأهله وماله ، فتغفله وارتحل ، فنزل على رجل من بنى ثعل يقال له حارثة بن مُر واستجار به ، فأثار عامر بن جوين الحرب بينه وبين حارثة الثعلى . فلما رأى امرؤ القيس ذلك ، ارتحل فنزل برجل من فزارة يقال له عمرو بن جابر ، وطلب منه الجوار حتى يرى ذات غيبه ، فقال له الفزارى : يا ابن حُجر ؛ إنى أراك فى خلال من قومك ، وأنا أنفس بمثلك من أهل الشرف ، وقد كدتَ بالأمس تؤكل فى ديار طيئ ، وأهل البادية أهل وبر ، لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس ، أفلا أدلك على بلد — فقد جئت قيصر وجئت النعمان — فلم أر لضيف نازل ولا لمجتد مثله ، ولا مثل صاحبه — قال : من هو ، وأين منزله ؟ قال : السموأل بتيماء ، وسوف أضرب لك مثله : هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك ، وهو فى حصن حصين ، وحسب كبير . فقال امرؤ القيس : وكيف لى به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه . فصحبه إلى رجل من فزارة يقال له الربيع ابن ضُبع الفزارى [1] ، وكان يفد على السموأل فيحمله ويعطيه . فقال له الفزارى :

---

(١) هو الربيع بن ضبع الفزارى . كان شاعراً مخضرماً ، وعاش دهراً زعم أبو حاتم السجستانى : أنه عاش أربعين وثلثمائة سنة وأدرك الإسلام ولم يسلم . قيل أنه لما بلغ مائتى سنة قال :

ألا أبلغ بنى بنى ربيع	فأشرار البنين لكم فداء
بأنى قد كبرت ورق عظمى	فلا تشغلكم عنى النساء
وإن كنائنى لنساء صدق	وما آلى بنى وما أساؤا
إذا جاء الشتاء فأدفئونى	فإن الشيخ يهدمه الشتاء
فأما حين يذهب كل قر	فسربال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما	فقد أودى المسرة والفتاء

إن السموأل يعجبه الشعر فتعال نتناشد له أشعاراً . فقال امرؤ القيس :
قل حتى أقول ؛ فقال الربيع :

قُلْ لِلْمَنِيَّةِ أَيَّ حِينٍ تَلْتَقِي   بِفِنَاءِ بَيْتِكَ فِي الْحَضِيضِ الْمَزْلَقِ

يقول فيها :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمُصَاصِ مُفَاخِرًا   وَإِلَى السَّمَوْأَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحَمَّلَ حَاجَةً   إِنْ جِئْتَهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مُرْهَقِ
عَرَفَتْ لَهُ الْأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ   وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ

فقال امرؤ القيس : (١)

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجَنُّبِ   وَهْنًا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقِ

فوفد الفزاري بامرئ القيس . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة

= ويروى : فقد ذهب التخييل والفتاء .
ولما بلغ مائتي سنة وأربعين قال :

أصبح مني الشباب قد حسرا   إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل أن نودعه   لما قضى من جماعنا وطرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد   أدرك عقلي ومولدي حجرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به   هيهات هيهات طال ذا عمرا
أصبحت لا أحمل السلاح ولا   أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به   وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعدما قوة أسر بها   أصبحت شيخا أعالج الكبرا

وزعم ابن الجوزي أنه عاش ثلثمائة وستين سنة ؛ منها ستون في الإسلام .

(١) قال صاحب الأغاني . وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بين ، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموأل . قلت : وياليت أبا الفرج روى لنا القصيدة بأكملها حتى ننظر معه في هذا الحكم .

وحشية مرمية ، فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكروها ، فأتاهم قوم قناصون من بنى ثُعل فقالوا لهم : من أنتم ؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموأل ، فانصرفوا إليه جميعاً . وقال امرؤ القيس :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِى ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ مِنْ قُتَرِهْ
عَارِضٍ زَوْرَاءَ مِنْ نَشَمٍ غَيْرِ بَانَاتٍ عَلَى وَتَرِهْ
إِذْ أَتَتْهُ الْوَحْشُ وَارِدَةً فَتَنَحَّى النَّزْعَ فِى يَسَرِهْ
فَرَمَاهَا مِنْ فَرَائِصِهَا بِإِزَاءِ الْحَوْضِ أَوْ عُقُرِهْ
بِرَهِيشٍ فِى كِنَانَتِهِ كَتَلَظِّى الْجَمْرِ فِى شَرَرِهْ [1]
رَاشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حَجَرِهْ [2]
فَهْوَ لَا تَنْمِى رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لَا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

فلما قدموا على السموأل ، أنشده الشعر ، فعرف لهم حقهم ، فأنزل ابنة امرئ القيس فى قبة أدم ، وأنزل القوم فى مجلس له براح . فأقام امرؤ القيس عنده ما شاء الله ، ثم طلب إليه أن يكتب إلى الحارثة بن أبى شمر الغسانى بالشام ليوصله إلى قيصر ملك الروم . فاستنجد [3] له رجلا واستودع عنده ابنته والأدراع [4] والمال وأقام معها يزيد بن معاوية ابن عمه

(١) الرهيش : السهم .

(٢) الناهضة : الطيور الفتية . أمهاه : أرقه وحدده .

(٣) استنجده : اختار له رجلا معروفا بالنجدة والهمة والشهامة .

(٤) ولهذه الأدراع قصة ، قالوا : إن المنذر لما علم بأن امرأ القيس نزل بتيماء فى جوار السموأل وأنه أودعه أدراعه ، بعث الحارث بن ظالم فى خيل لأخذ مال امرئ القيس وأدراعه من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه . قالوا : وكان للسموأل ابن قد يفع وخرج إلى القنص ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابنى ! قال : أفتسلم ما قبلك أم أقتله ؟ ! قال : شأنك به

ثم سار امرؤ القيس مصطحبا معه عمرو بن قميئة (1) أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وكان من خدم أبيه ، ولما طال بهما المسير ضجر عمرو وبكى ، وقال له : لقد غررت بنا ، فقال امرؤ القيس : بكى صاحبى ... الخ ؛

وذكر صاحب كتاب شعراء النصرانية : أن امرأ القيس جاء ذكره فى تواريخ الروم ، مثل : نونوز ، وركوب ، وغيرهما ، وهم يسمونه قيساء ، وقد ذكروا أنه قبل وروده على القيصر جوستنيانس ، أرسل إليه وفداً يطلب منه النجدة على بنى أسد ، وعلى المنذر ملك الحيرة ، وكان مع الوفد ابنه معاوية ، سيره امرؤ القيس إلى القيصر ليبقى عنده كرهن ، فكتب القيصر إلى النجاشى يطلب إليه أن يجند الجنود ويسير إلى اليمن ، ويعيد الملك لصاحبه .

قال : ولعل هذا الوفد أرسله امرؤ القيس لما كان عند بنى طيئ ، وطال عندهم مكثه ؛ ثم أخبر المؤرخون أن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه

= فلست أخفر ذمتى ، ولا أسلم مال جارى . فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه نصفين وانصرف عنه . فقال السموأل فى ذلك :

وفيت بأدرع الكندى إنى إذا ما خان أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بألا تهدم يا سموأل ما بنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا وماء كلما شئت استقيت

فضرب العرب المثل بالسموأل فى وفائه فقالوا (أوفى من السموأل)

(1) هو عمرو بن قميئة بن سعد الضبعى البكرى شاعر فحل من قدماء الشعراء الجاهليين ، كان فى حداثته شابا جميلا حسن الوجه ، مديد القامة ، ذا عفة وترفع . عاش زمنا قبل مولد امرئ القيس وكان فى بطانة والده ، ثم لقيه امرئ القيس فى آخر عمره وصحبه فى ذهابه إلى قيصر الروم بالقسطنطينية فمات فى طريقه ، فسمته العرب : عمرو الضائع . لأنه مات غريبا فى غير مأرب ولا مطلب . وزعموا أن وفاته كانت حوالى سنة ٥٦٠ م

إلى القسطنطينية فقبله القيصر ووعده النجدة وذكر نونوز المؤرخ أن جوستينيانس قلده إمرة فلسطين ، إلا أنه لم يسع فى إصلاح أمره وإعادة ملكه ، فضجر امرؤ القيس وعاد إلى بلاده ، فتوفى فى طريقه ، أصابه مرض كالجدرى فى الدرب فكان سبب موته .

قال : وذكر فى كتاب قديم مخطوط أن ملك القسطنطينية لما بلغته وفاة امرئ القيس ، أمر بأن ينحت له تمثال وأن ينصب على ضريحه ، ففعلوا .

وظل تمثال امرئ القيس قائما هناك إلى أيام المأمون ، وقد شاهده عند مروره هناك لما دخل بلاد الرّوم ليغزو الصائفة .

قلت : وقد رأيت فى معجم المطبوعات لسركيس أن أحد أصدقائه ممن أقام زمناً طويلا بأنقرة للتجارة أخبره أنه رأى بقية هذا التمثال لا تزال قائمة بأنقرة قرب دار (السراى وهذه البقية عبارة عن «الهامة» فقط) وكان ذلك فى سنة ١٨٩٥ م .

وذكر رواتنا أن القيصر أكرم امرأ القيس لما نزل عنده وكانت له لديه حظوة ، ثم إنه ضم إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك ، وكان من سوء حظ امرئ القيس أن رجلا من بنى أسد يقال له الطماح بن قيس الأسدى ـ كان امرؤ القيس قتل أخاه ـ فاندس حتى أتى بلاد الرّوم فأقام مستخفيا . وكان قد اتصل ببعض أصحاب القيصر ، وألقى إليهم ما أوغر صدورهم على امرئ القيس ، فلما فصل امرؤ القيس بالجنود قالوا لقيصر : إنّ العرب قوم غُدر ، ولا نأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك ! . فأسرّها القيصر فى نفسه .

قال ابن الكلبي : بل قال له الطماح : إنّ امرأ القيس غَوِيّ عاهِرٌ ، وإنه

لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك أشعاراً يشهرها بها فى العرب فيفضحها ، ويفضحك .

فقيل إنه بعث إليه حينئذ بحلة وشى مسمومة ، منسوجة بالذهب ، وكتب إليه مع رسول : إنى أرسلت إليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة واكتب إلىّ بخبرك من منزل منزل . فوصل إليه الرّسول دون أنقرة . فلبس الحلة واشتد سروره بها ، وكان يوما صائفا ، فأسرع فيه السم وتناثر لحمه ، وتساقط جلده وتفطر جسده . فلذلك سمى ذا القروح .

أقول : من تضارب هذه الأقوال يرجح أنّ مسألة الحلة لا أصل لها . وإذا كان القيصر يريد إهداءه شيئا لقدم إليه الهدية وهو عنده ولم يرسلها مع رسول بعد انفصاله عنه ، وأنّ وشاية الطماح لم تترك لها أثراً فى نفس القيصر وإلا لما أقام له هذا التمثال . ومن المعروف أنّ قياصرة الرّوم كانوا يتوددون إلى العرب ويتألفونهم ليكونوا فى جانبهم ضد أكاسرة الفرس الذين كانوا معهم فى نزاع دائم . والظاهر أنّ الطماح هو الذى أصيب بداء الجدرى ومرت عدواه منه إلى امرئ القيس فتأثر به أشد تأثر حتى قضى عليه . ولذلك سماه فى بيتيه الآتيين داء ولم يسمه سما . وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا[1]

---

(١) عبر عن العدوى بالإلباس ولذلك سماه داء . وقال : ما تلبسا ، يريد ما أصيب به فى هذا الداء . ولعل الرواة قد أخذوا بظاهر اللفظ فتوهموا أن هناك حلة تلبس .

فَلَوْ أَنَّهـا نَفْسٌ تَموتُ سَوِيَّةً   ولَـكِنَّها نَفْسٌ تُساقِطُ أَنْفُسَا

وكان جابر بن حُنى التغلبي يحمله فى محفة وهو مريض أثناء الطريق ، فكان امرؤ القيس يقول :

فإمّا تَرَيْـنِي فى رِحالَةِ جابِرٍ   عَلَى حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفانِي [1]

فَيارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وراءهُ   وعانٍ فَكَكْتُ الغلَّ عَنْهُ فَفَدّانِي [2]

إذا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسانَهُ   فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِواهُ بِخَزّانِ [3]

فلما بلغ أنقرة احتضر بها فأخذ يقول :

رُبَّ طَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ   وجَفْنَـةٍ مُثْعَنْجِرَهْ

وخُطْبَـةٍ مُحَـبَّرَهْ   تَبقَى غَدًا فى أَنْقِـرَهْ

قالوا : ثم رأى قبراً دفنت فيه امرأة من أبناء الملوك ، وهو فى سفح جبل يقال له عسيب فقال :

أَجارَتَنا إنَّ المَزارَ قَرِيبُ   وإنِّى مُقِيمٌ مَا أَقامَ عَسِيبُ

أَجارَتَنا إنّا غَرِيبانِ هٰهُنا   وكلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وقال متبرما بما أصابه :

ولوْ أنَّ نَوْمًا يُشْتَرَى لاَشْتَرَيْتُهُ   قَلِيلًا كَتَغْمِيضِ القَطَا حَيثُ عَرَّسا

وقال أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية : إنّ القيصر ولى أمرأ القيس على الشام

(١) الرحالة : الخشب الذى يحمل عليه فى مرضه . والحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت . والقر : مركب من مراكب الرجال بين الرحل والسرج . تخفق : تضطرب وأكفانه : أراد بها ثيابه التى عليه لأنه قدر أنه سيدفن بها .

(٢) العانى الأسير ؛ ففدانى فقال لى : فداك أبى وأمى .

(٣) يخزن لسانه : يحفظه ويصونه من السوء .

وعلى الحدود بلقب «فيلارق» أى الوالى ، ولكنه توفى فى أنقرة فيما بين سنة ٥٣٠ و ٥٤٠ للميلاد فى أثناء رحيله ليتولى منصبه هذا .

وعن عبد الملك بن عمير قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة[1] فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم ، من وجوه الكوفة ، فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثنى كل رجل منكم أحدوثة ، وابدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق . قلت :

إن امرأ القيس آلى بألية لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن : ثمانية ، وأربعة واثنتين . فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . فبينما هو يسير فى جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه ، فأعجبته ، فقال لها : يا جارية : ما ثمانية ، وأربعة ، واثنتان ؟ فقالت : أما الثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنتان فثديا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها ، وشرطت هى عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق إليها : مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ففعل ذلك .

ثم إنه بعث إليها عبداً له وأهدى إليها : نحياً من سمن ، ونحياً من عسل ، وحلة من عَصْب ، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها ، فتعلقت بشجرة فانشقت ، وفتح النّحيين فطعم أهل الماء منهما ، فنقصا ، ثم قدم على حى الفتاة وهم خلوف ، فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ، ودفع إليها

---

(١) كان عمر بن هبيرة الفزارى واليا على الكوفة من قبل بنى أمية وظل عليها إلى أن قامت الدولة العباسية فجرت له خطوب مع أبى جعفر المنصور حتى أنزله إليه على عهد ثم غدر به فقتله . وكان من أكابر الرجال ومن ذوى البأس والكرم .

الهدية . فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يُقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخى يراعى الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءيكم نضبا !

فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال : أما قولها إن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا ، فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نُفساء . وأما قولها : إن أخى يراعى الشمس ، فإن أخاها فى سرح له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به . وأما قولها : إن سماءكم انشقت ، فإن البُرد الذى بعثتُ به انشق . وأما قولها إن وعاءيكم نضبا ، فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فأصدقنى ؟ فقال : يامولاى إنى نزلت بماء من مياه العرب فسألونى عن نسبى ، فأخبرتهم أنى ابن عمك ، ونشرت الحلة فانشقت ، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء . فقال : أولى لك ... ؟

ثم ساق امرؤ القيس مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا ، فخرج الغلام يسقى الإبل فعجز ؛ فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام فى البئر وخرج حتى أتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاء زوجك ؟ فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ، ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كراشها وذنبها . ففعلوا . فقالت : اسقوه لبناً خازراً (١) فسقوه فشرب . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . ففرشوا له فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إنى أريد أن أسألك ؟ فقال : سلى عما شئت ! فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لتقبيلى إياك ! قالت :

---

(١) الخازر : الحامض .

فم يختلج كشحاك ؟ قال : لالتزامى إياك ! قالت : فم تختلج فخذاك ؟ قال لتوركى إياك ! قالت : عليكم العبد فشدوا أيديكم به ! ففعلوا .

قال : ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرجع الى حيه ، فاستاق مائة من الإبل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى ، أهو زوجى أم لا ! ولكن انحروا له جزورا فأطعموه من كرشها وذنبها . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا خازرا . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصريف والرثيئة (١) فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لى فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ؛ فأرسل إليها : أن سلى عما شئت ؟ فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لشربى المشعشعات . قالت فم يختلج كشحاك ؟ قال : للبسى الحبرات . قالت : فم تختلج فخذاك ؟ قال لركضى المطهمات . فقالت : هذا زوجى لعمرى ، فعليكم به ؛ واقتلوا العبد . فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية .

فقال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ! ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لى بجائزة .

ومن أفضل ما يروى أن قوما من اليمن أقبلوا يريدون الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلوا الطريق ، ومكثوا ثلاثا لا يقدرون

---

(١) الصريف : اللبن ساعة يحلب ، والرثيئة : أن يحلب اللبن على حامض فيخثر ، وهو الرثيئة .

على الماء ، فاستظلوا بالطلح والسَّمُر (١) منتظرين الموت عطشا . فبينا هم في آخر رمق إذ أقبل رجل ملثم بعمامته . فرفع رجل منهم صوته وأخذ يقول :

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا ... وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي (٢)

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ ... يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي (٣)

فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ قال : امرؤ القيس بن حُجر . قال : والله ما كذب ، هذا ضارج أمامكم . فتحاملوا وجثوا على الركب حتى رأوا ماء غدقا ، وعليه العرمض ، وهو الطحلب ، والظل يفيء عليه . فشربوا حتى ارتووا ، وحملوا منه ما يكفيهم . ولولا ذلك لهلكوا . فلما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بما كان . فقال : هذا رجل رفيع في الدنيا خامل في الآخرة ، شريف في الدنيا وضيع في الآخرة ، يجيء يوم القيامة حاملا لواء الشعراء إلى النار . أو كما قال . . .

وأنا أشك في صحة هذه العبارة الأخيرة لأن امرأ القيس من أهل الفترة ، وقد قال الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فتقوّل الرواة على الرسول صلوات الله عليه مالم يقل ، ولا سيما إذا خالف نصا صريحا في كتاب الله فلا يصح الأخذ به ولا التعريج عليه ، وقد وصف الله رسوله عليه السلام بأنه لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى .

(١) الطلح : شجر عظام ذو شوك ينبت في بطون الأودية . والسمر : قالوا هو الطلح ويسمى أم غيلان .

(٢) الفرائص جمع فريصة : وهي اللحمة التي بين جنب الدابة وكتفها لا تزال ترتعد .

(٣) تيممت : عمدت وقصدت ، وضارج : اسم مكان ، والعرمض : الطحلب ، وطامي : عالي الماء .

وشاعرية امرئ القيس وتقدمه على سائر الشعراء من الأمور التى فرغ الناس من تحقيقها وتقريرها حتى أصبحت غير قابلة لشىء من الجدل أو المناقشة .

ويكفى ما قاله ثقات الرواة فيه من أنه سبق جميع الشعراء العرب إلى أشياء ابتدعها حازت الرضاء العام ، والاستحسان التام ، وجرى الشعراء من بعده على نهجه فيها . فمنها : استيقافه الصحب ، والبكاء فى أطلال الديار . ومنها : رقة الغزل ، ولطف النسيب ، والفصل بينهما وبين المعنى المراد . ومنها : قرب المأخذ ، وتشبيه النساء بالظباء ، وبالبيض ، وتشبيه الخيل بالعقبان ، وبالعصى ، وجعلها قيد الأوابد ، وإحسانه التشبيه فى ذلك كله . ومما لا جدال فيه أنه كان أجود الشعراء فيما طرقه من الأغراض ، وما ابتدعه من المعانى .

وكان الأصمعى يزعم أن كثيراً من شعر امرئ القيس كان للصعاليك الذين انضووا إلى كنفه ، وكان يغير بهم على بعض أحياء العرب . وكذلك زعم الرياشى وقال : إن كثيراً من هذا الشعر كان لأولئك الفتيان الذين صحبوا امرأ القيس ، مثل عمرو بن قميئة وغيره . وكذلك زعم غيرهما .

أقول : وليس فى هذا ما يطعن فى شاعرية امرئ القيس ، ولا فى تفوقه على الشعراء جميعا ، ولا فى حمله لواءهم ، ولا فى أنه المقدم عليهم .

ومن الغريب أن ما قيل فى انتحال امرئ القيس لأشعار غيره ، أو ما أضافه الرواة من أشعار من كانوا بصحبته من الفتيان والصعاليك ، قد قيل مثله فى أشعار هوميروس شاعر اليونان الأكبر ، فقد قال رواة شعره إن كثيراً مما فيه ليس له ، وإنما هو لغيره من الشعراء الذين أخملهم

بفائق شهرته وبعد صيته . على أنه من المعلوم أن هوميروس كان أعمى ، وكان يتنقل من مدينة إلى مدينة منشداً أشعاره التى وصف فيها حروب تروادة وما قام به أبطال تلك الحروب من ضروب الفروسية ، وذلك كله فى الإلياذة . كما كان ينشد أشعاره التى تضمنتها الأوديسة . وكان هوميروس فيما يرجع من القرن العاشر قبل الميلاد . فبينه وبين شاعرنا امرئ القيس حوالى خمسة عشر قرنا .

وقد رأيت أنه من اللائق التنويه بما قام به بعض المستشرقين من العناية بكنوز اللغة العربية ، والالتفات بجد إلى ما خلفه الشعراء الجاهليون من آثار ، وما دون لهم من أشعار . وهنا يهمنا ما لهم من عناية بصاحبنا امرئ القيس وبعض زملائه . وإليك ما وقفنا عليه من آثار تلك العناية . فقد نشروا بالطبع

١ — المعلقات السبع . ومعها ترجمتها بالإنجليزية ، بعناية السير وليم جونس . لندن سنة ١٧٨٢

٢ — معلقة امرئ القيس ـ مع شرحها للزوزنى ـ مترجمة إلى اللاتينية . بعناية تدغوتور من سنة ١٨٢٣ - ١٨٢٤

٣ — مختار من شعر امرئ القيس . ومعه ترجمته وأخباره . باريس سنة ١٨٣٦

٤ — نزهة ذوى الكيس وتحفة الأدباء ، فى قصائد امرئ القيس أشعر الشعراء . ومعها أخبار الشاعر نقلا عن الأغانى ؛ وقد ترجمت هذه القصائد إلى الفرنسية ، مع تعليقات قيمة للمستشرق الشهير البارون دي سيلان . باريس سنة ١٨٣٧

٥ — المعلقات السبع . مع ذكر رواتها وأنساب قائليها . وملحق بها لامية العرب للشنفرى . بعناية الأستاذ أرنولد . ليبسيك سنة ١٨٥٠

٦ — معلقة امرئ القيس . ومعها شرح لها وتعليقات باللغة الألمانية للأستاذ أغسطس ملر . هاليس سنة ١٨٦٣

٧ — معلقة امرئ القيس . مترجمة إلى الروسية ، وعليها تعليقات وملاحظات للأستاذ جرجس مرقص . بطرسبرج سنة ١٨٨٩

٨ — المعلقات السبع . مترجمة إلى اللغة الألمانيـــة ، مع شروح وملاحظات . للأستاذ إيبل الجرمانى . برلين سنة ١٨٩١

وعلى ذكر المعلقات لا بأس من أن أورد هنا أسماء أصحابها مرتبة على التواريخ التى قدرت لوفاتهم بحسب التاريخ الميلادى . ولما كان التبريزى قد أضاف إليهم ثلاثة لجعل أصحاب المعلقات عشرة رأيت أن أضمهم إليهم ، وهم جميعا :

امرؤ القيس	سنة	٥٤٠
عبيد بن الأبرص	«	٥٥٥
طرفة بن العبد	«	٥٦٤
الحارث بن حلزة	«	٥٨٠
النابغة الذبيانى	«	٦٠٤
عنترة بن شداد	«	٦١٥
عمرو بن كلثوم	«	٦٢٢ — ١ هـ
زهير بن أبى سلمى	«	٦٢٧ — ٦ هـ
الأعشى الأكبر	«	٦٢٩ — ٨ هـ
لبيد بن ربيعة	«	٦٦٢ — ٤٢ هـ

مع العلم بأن تقدير هذه السنين الإفرنجية إنما ذهب إليه بعض المستشرقين من الأوربيين . ولا أظنه صحيحا على الجملة

وإلى هنا انتهيت من الحديث عن حياة امرئ القيس وبحث شؤونه وأحواله . وبهذا أرى أنى قد قمت نحو لغتى العربية بما يفرضه علىّ الواجب الأدبى ، كما قمت بهذا الواجب نحو وطنيتى المصرية بما قدمت فى هذه الطبعة الثالثة من بحوث وشروح وإضافات وتعليقات بذلت فيها من الجهد ما الله أعلم به . وبهذا قد صارت هذه الطبعة فيما أظن ملء عين الأديب ، وأمنية كل أريب . والله تعالىٰ يتولانا بما نستحق من جزاء المحسنين . فإن قيمة كل امرئ ما يحسن . والله لا يضيع أجر المحسنين . والسلام ؟

حسن السندوبى

فصل

فى عبث الرواة بالشعر الجاهلى

قبل امرئ القيس وأصحابه بقرون عدة

لما كان امرؤ القيس قد حاز صفة التقدم المطلق على جميع الشعراء ، واختص من بينهم بحمل لوائهم ، رأيت أن أعرض فى هذا الفصل لما رواه بعض الرواة من شعر نسبوه إلى أشخاص إما خيالية ، وإما حقيقية .

فما لا جدال فيه أن العرب فى أدهارهم القديمة قد عبروا عن خلجات نفوسهم بالشعر ، كما وصفوا أحداثهم الكبرى بإنشاد القصائد فى محافلهم . غير أن هذا الشعر لم يدون ، لأنهم كانوا أميين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة ، اللهم إلا ما كان يتمتع به اليمنيون من أهل الجنوب بالخط المعروف بالمسند ، وقد اكتشفت منه لوحات كثيرة دلت على مدنية ثقافية جيدة لم تؤثر عن عرب الشمال إلا فى بعض الأطراف من الجزيرة . مع العلم بأن اللسان الجنوبى كان يخالف اللسان الشمالى . فلغة حمير غير لغة قريش وغيرهم من القبائل الضاربة فى صحارى نجد وتهامة وما يليهما من منازل الشعوب غير اليمنية ، ولكن الزمن وتقلبات الأحوال واختلاط القبائل بالأحداث والحروب وتبادل المتاجر والمنازعات على شؤون الحياة ، كل هذه العوامل قد أثرت فى اللغة العربية فتداخلت الألسن وتوحدت اللغة إلى حد ما ، على أن ذلك لم يحدث إلا فى خلال قرون لا يمكن تقديرها .

مع العلم بأن اللغة العربية الفصحى لم تتكون باتحاد اللهجات القحطانية والعدنانية فحسب . بل إنها خضعت لسنن التطور فتناولت الكثير من اللغات

السامية الأخرى كالإرمية ، والكلدانية ، والأشورية ، والفينيقية ، والعبرية ، والأدومية ، والنبطية ، والسريانية ، والبابلية ، والحبشية الإثيوبية ، والأمهرية لا بل ودخل فيها من اللغات الآرية ما لا خفاء به ، كالفارسية والفهلوية ، واليونانية واللاتينية ، وصقل الزمن كل ذلك فى بوتقة التحول والتركيز لأن كل الأمم أصحاب هذه اللغات كانت تربطهم بجزيرة العرب روابط عدة من الإغارات والفتوح والاعتراك على التسلط عليها ، وأهم من هذا كله التجارة وتبادل السلع مع الممالك المحيطة بأطراف الجزيرة ، والمحافظة على طرقها ومسالكها التى تربط جنوبها بشمالها ، وشرقها بغربها . ولا أكون مبالغا إذا قلت إنه دخل فى اللغة العربية الكثير من العبارات المصرية القديمة التى كانت لغة هاجر أم إسماعيل . وقد اتضح ذلك كله فى هذه العصور المتأخرة عندما كشف الباحثون والمنقبون من علماء أوربا عن آثار هذه الأمم واستثاروا دفائنها ، ولم يفطن لذلك المتقدمون ، بل أخذوا كلما رأوا كلمة غريبة قالوا عنها : عجمية معربة .

هذا وقد زعم بعض الرواة أن الشاعر قبل امرئ القيس كان يقول البيت والبيتين فيما يعرض له من شأن . وهذا غير صحيح فقد ثبت أن كثيرا منهم كان ينشد القصيدة ذات الأبيات العديدة . وقد روى لنا ابن منبه فى كتاب التيجان قصائد مستطيلة نسبها لكثير من شعراء اليمن الأقدمين . وكذلك الهمدانى فى كتاب الإكليل قد روى لنا شعرًا كثيرا لأهل الجنوب وإن كنت أرى أن الفسخ والمسخ - لعدم ضبط اللغة وإقرار قواعدها فى تلك العصور - قد أثر كثيراً فى رواية تلك الأشعار . فهى لم ترو لنا على ما نطق به أصحابها فيما أرى .

أما عرب الشمال فقد رويت لنا أشعارهم على ضروب عدة من خلافات

فى المعانى وتنوعات فى الألفاظ ، ولكل راوية رأى فيما يروى ، وحجاج فيها يعرض . وكل هذا قد حملته اللغة حينما دونت واستقب للكتابة قواعدها واستقام أمرها على الأصول النحوية والصرفية التى ابتدعوها وأحسنوا فيها الابتداع .

لكن ذلك لم يخل بعض الرواة من التلهى بالدعاوى العريضة فى نسبة بعض الأشعار إلى أشخاص يقف العقل حائلا دون إقرارها ، أو الاعتداد بها . ولكنهم كانوا يتبارون فى مساماتهم الغبر ، فى الليالى الزهر ، على الكثبان العفر . وفى مجالس الخلفاء . فى التفوق بخصب القرائح ، والمكاثرة بالسلق والحفظ . فترى بعضهم يروى أن آدم رثى ولده هابيل حينما قتله أخوه قابيل ، بقوله :

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغير كل ذى لون وطعم   وقل بشاشة الوجه الصبيح
فوا أسفا على هابيل ابنى   قتيل قد تضمنه الضريح
أهابيل إن قتلت فإن قلبي   عليك اليوم مكتئب قريح

ولم يقف هؤلاء الرواة عند هذا العبث بأدب التاريخ بل تجاوزوه إلى الزعم بأن إبليس أجاب آدم على أبياته بقوله :

تنح عن الجنان وساكنيها   ففى الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك فى رخاء   وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما برحت مكايدتى ومكرى   إلى أن فاتك الثمن الربيح
ولولا رحمة الرحمن أمسى   بكفك من جنان الخلد ريح

على أنهم لم يكتفوا بهذا الإفك الطريف ، بل زعموا أن بعض الملائكة

قال مجيباً لهما :

لِدُوا للموت وابنوا للخراب　　فكلكم يصير إلى الذهاب

وبعضهم يروى هذا البيت على لسان الغربان . ولا أنكر على واضع هذه الأبيات براعته فى تمثيل قصة آدم وإبليس . فإنهما لو قالا شعرا لما كاد يخرج عما اخترعه هذا الراوى .

وزعموا أن العمالقة الذين منهم الهكسوس الذين أغاروا على مصر فى الأزمنة القديمة واستقروا بها زمناً ، وعاد وثمود قد قالت الشعر . ولا مانع من أن ينطق شعراؤهم بالشعر ، ولكن ما روى لهم لا يقبله عقل عاقل ، لأن الذى روى لهم جاء شعرًا حسناً يصيح بنسبته للتوليد والاختراع . فمن ذلك ما زعموه من أن معاوية بن بكر — وكان سيد العمالقة — وكانت عاد قد بعثت إليه : قَيل بن عتر ولقمان بن عاد ، فى وفد معهما ليستسقوا لهم حين منعوا الغيث . وكان معاوية هذا من أصحاب هود . فقال :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم　　لعل الله يصبحنا غماما

فيسقى أرض عاد إن عاداً　　قد أمسوا ما يبينون الكلاما

من العطش الشديد بأرض عاد　　فقد أمست نساؤُهمُ أيامى

وإن الوحش تأتيهم جهارا　　فما تخشى لعادى سهاما

فقبح وفدكم من وفد قوم　　ولا لقوا التحية والسلاما

كما قال مرثد بن سعد — وكان من أصحاب هود ، ومن الوفد :

عصت عاد رسولهم فأمسوا　　عطاشا ما تبلهم السماء

وسير وفدهم من بعد شهر　　فأردفهم مع العطش العماء

بكفرهم بربهم جهارا　　على آثار عادهم العفاء

ومن ذلك قولهم أن مبدع بن هرم ـ وكان من أصحاب صالح ـ قال فى حادث ثمود وشأن الناقة وفصيلها :

ولاذ بصخرة من رأس رضوى ... بأعلى الشعب من شعف منيف

فلاذ بها لكيلا يعقروه ... وفى تلواذه من الحتوف

بأسهم مصدع شلت يداه ... تشق شعافه شق الخنيف

ثكلتم أمه وعقرتموه ... ولم ينظر به لهف اللهيف

وقول مبدع حينما أخذت الصيحة ثمود وتركتهم كأعجاز نخل منقعر :

فكانت صيحة لم تبق شيئاً ... بوادي الحجر وانقسفت رياحا

تخر لصوتها أجبال رضوى ... وخربت الأشاقر والصفاحا

وأدركت الوحوش فكنفتها ... ولم تترك لطائرها جناحا

ونجى صالح فى مؤمنيه ... وطحطح كل عادى فطاحا

ولم يقف بهم العبث والإفك عند هذا الحد، بل تجاوزوا به إلى نسبة الشعر إلى الجن، وتقوله على ألسنتهم . فقد زعم بعضهم أنه لقى أحد الجان فقال له : أتروى من أشعار العرب شيئاً ؟ قال : نعم ، أروى وأقول قولا فائقاً مبرزاً فقال له : فأرنى من قولك ما أحببت ؟ فأنشأ يقول :

طاف الخيال علينا ليلة الوادى ... من آل سلمى ولم يلمم بميعاد

أنى اهتديت إلى من طال ليلهم ... فى سبسب ذات دكداك وأعقاد

يكلفون فلاها كل يعملة ... مثل المهاة إذا ما حثها الحادى

أبلغ أبا كرب عنى وأسرته ... قولا سيذهب غورا بعد إنجاد

لأعرفنك بعد اليوم تندبنى ... وفى حياتى ما زودتنى زادى

أما حمامك يوما أنت مدركه ... لا حاضر مفلت منه ولا بادى

فلما فرغ من إنشاده قال له : هذا الشعر مشهور لعبيد بن الأبرص الأسدى فقال : ومن عبيد لولا هبيد ؟ فقال له : ومن هبيد ؟ فقال :

أنا ابن الصلادم أدعى الهبيد ... حبوت القوافى قرمى أسد

عبيــدا حبوت بمأثورة ... وأنطقت بشرا على غير كد

ولاقى بمدرك رهط الكميت ... ملاذا عزيزا ومجدا وجد

منحناهم الشعر عن قدرة ... فهل تشكر اليوم هذا معد

كما زعموا أن عمر بن الخطاب سأل سواد بن قارب أن يحدثه بحديث كان يشتهى أن يسمعه منه ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما أنا فى إبلى بالسراة وكان لى نجى من الجن ، إذ جاءنى فى ليلة وأنا كالنائم فركضنى برجله ثم قال : قم يا سواد فقد ظهر بتهامة نبىٌّ يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ! فقلت : تنح عنى فإنى ناعس ، فولى عنى وهو يقول :

عجبت للجن وتبكارها ... وشدها العيس بأكوارها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما مؤمنو الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ... بين روابيهـا وأحجارها

ثم جاءنى فى الليلة الثانية ، فقلت : تنح عنى فإنى ناعس . فولى عنى وهو يقول :

عجبت للجن وتطرابهـا ... ورحلها العيس بأقتابهـا

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما مؤمنو الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ... ليس قداماها كأذنابهـا

وفى الليلة الثالثة جاءنى ، ثم ولى عنى وهو يقول :

عجبت للجن وإيجاسها ... وشدها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأرجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال : فلما أصبحت يا أمير المؤمنين اقتعدت ناقتى وجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت وأنشدته :

أتانى نجيى بعد هـدء ورقدة ولم يك فيما قد عهدت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت عن ذيلى الإزار وأرقلت بى الذعلب الوجناء عبر السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنى بما أحببت يا خير مرسل وإن كان فيما قلت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

وهذه القصة وإن رجحها بعض المحدثين إلا أنى لا أوافق منها إلا على الشعر الأخير الذى روى أن سوادا أنشده لنفسه ، فهذا لا بأس به وإن كان فيه نظر وأرى أن القصة كلها لا أصل لها . وإذا كان للجن يد فى إسلام الناس فلم اقتصروا على البعض دون البعض .

ومن الطريف أنهم اختلقوا لبعض الشعراء إخوانا من الجن يوحون إليهم بقول الشعر . وذكروا لهم أسماء غريبة فزعموا أن امرأ القيس كان شيطانه يسمى : لافظ بن لاحظ ، وآخر يسمى : مسحل السكران بن جندل . وكان شيطان عبيد بن الأبرص يسمى : هبيد بن الصلادم . وشركه فيه بشر بن خازم . وكان شيطان النابغة الذبيانى يسمى : هاذر . والأعشى له : مسحل . وللكميت : مدرك بن واغم . وذلك مما ابتدعه خيال بعض الرواة الخصيب .

ولم نكتب هذا الفصل إلا لما رأينا فيه من التفكهة للقارئ ، وأنه لا بأس من تقدمته على الشروع فى شرح شعر امرئ القيس تنشيطا للنفس وجماما لها من عوامل الكد ، لتقبل بعد ذلك على الجد . والله أعلم .



شرح
ديوان امرئ القيس
للسندوبي

قافية الهمزة

١

قال امرؤ القيس يصف خيلا :

سَالَتْ بِهِنَّ نَطَاعِ فى رَأْدِ الضُّحَى ... والأَمْعَزَانِ وَسَالَتِ الأَوْدَاءُ (١)

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبَارِ عَشِيَّةً ... بِالدَّارِعِينَ كَأَنَّهُنَّ ظِبَاءُ (٢)

يقول حسن بن أحمد بن محمد السندوبى صانع هذا الديوان وشارحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى .

وبعد ؛ فهذه تعليقات وشروح على شعر « امرئ القيس » الذى صنعت منه ديوانا له حاولت بها توضيح مقاصده وإبانة أغراضه التى ذهب إليها ، وقربت معانيه التى قصد نحوها ، وأرجو أن أكون أصبت الهدف ووفقت بقدر الإمكان إلى السداد ، والله ولى التوفيق .

(١) نطاع : قال أبو منصور : ماءة فى بلاد بنى تميم ، وقد وردتها ، وهى ركية عذبة المـاء غزيرته . وهى مبنية على الكسر ، غير أن ربيعة بن مقروم أعربها فى قوله :

وأقرب منهل من حيث راحا ... أثال أو غمازة أو نطاع

فأوردها ولون الليل داج ... وما لغبا وفى الفجر انصداع

فصبح من بنى جلان صلا ... عطيفته وأسهمه المقاع

إذا لم تحتزن لبنيك لحما ... غريضا من هوادى الوحش جاعوا

وقال الحفصى : نطاع ـ بكسر النون ـ واد لبنى مالك بن سعد بين البحرين والبصرة . والأمعزان مثنى الأمعز : وهو المكان الصلب . الأوداء : الأماكن المعوجة ، من الأود .

(٢) الدارعون : الفرسان الذين أسبغوا عليهم الدروع ، واستلأموا فى السلاح .

قافية الباء

٢

عن الأصمعي : أن امرأ القيس تزوج امرأة من طيئ تسمى أم جندب فلما بات عندها لم تحمده فتركته . فلما كان في بعض الليل قامت وقالت : أصبحت ياخير الفتيان فقم . فإذا الليل لم يذهب منه إلا أقله فقال لها : ما حملك على ما فعلت ؟ فسكتت فألح عليها فقالت : كرهتك لأنك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع الإراقة ، بطىء الإفاقة .

ونزل به علقمة بن عبدة[1] فتذاكرا الشعر وادعاه كل واحد منهما على صاحبه ، فقال له علقمة : قل شعراً تمدح فيه فرسك والصيد ؛ وأقول مثله ؛ وهذه الحكم بيني وبينك ـ يعني أم جندب ـ فقال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ ... لِتُقْضَى لُبَانَاتُ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[2]

فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ[3]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ[4]

---

(١) علقمة بن عبدة الشاعر المشهور ، وهو المعروف بعلقمة الفحل . وله ترجمة في « الأغاني » وغيره من الكتب . قيل أنه توفي سنة ١٢٥ م ، ٤ هـ

(٢) اللبانات : حاجات النفس ومطالبها وأمانيها ؛ لتقضى ؛ وفي رواية : لنقض . وفي أخرى : لنقضي حاجات ؛ وفي أخرى : نقض يريد تبلغ الغاية منها ؛ وأم جندب : هي زوجته الطائية .

(٣) تنظراني : تنتظراني وتفسحا لي في النظرة .

(٤) الطارق : الذي يأتي ليلا ؛ يريد أنه وجدها طيبة ريح الجسد من غير طيب . ولهذا البيت حكاية لطيفة هي أن كثير عزة دخل على سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فقالت له : يا بن أبي جمعة أخبرني عن قولك في عزة .

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

عقيلةُ أترابٍ لها لا دميمةٌ ... ولا ذاتُ خلقٍ إنْ تأمّلتَ جأنبِ (١)

ألا ليتَ شعري كيفَ حادثُ وصلِها ... وكيفَ تُراعي وُصلةَ المتغيّبِ (٢)

أقامتْ على ما بيننا من مودّةٍ ... أميمةُ أمْ صارتْ لقولِ المخبِّبِ (٣)

فإنْ تنأَ عنها حقبةً لا تُلاقِها ... فإنّكَ مِمّا أحدثتْ بالمجرِّبِ (٤)

تبصّرْ خليلي هلْ ترى من ظعائنٍ ... سوالكَ نقباً بينَ حزمَي شعبعبِ (٥)

= ويحك ، وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين توقد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس ؟ :

ألم ترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب !

(١) عقيلة أتراب ، ويروى : عقيلة أخدان والعقيلة : الكريمة المخدرة ، والأتراب اللدات ، وهم الذين يولدون فى وقت واحد . يقال : فلان لدة فلان . لا دميمة : لا شوهاء الخلق ، ولا قصيرة قميئة حقيرة . الجانب : القصير اللحيم .

(٢) ليت شعري : ليتني كنت أدري ، يتمنى أن يعلم من حالها ما يطمئنه على رعايتها للعهد أو هي من الناكثات للعهود ؛ المتغيب : الزوج الغائب عن زوجه .

(٣) فى رواية : أدامت على ما بيننا من نصيحة . والمعنى غير متباعد بين العبارتين . المخبب : المفسد يقول : ليتني أدري هل هي لا تزال على وفائها وتمسكها بما بيننا من مودة أم أفسد ودها أهل الحب والخداع ! والظاهر أن (أميمة) هو اسم أم جندب .

(٤) تنأ : تبعد . حقبة : برهة من الزمن . والحقبة غير موقوتة . المجرب : الذي عرف من تقلب الأحوال وتنقل الأمور مالم يعلمه الغر الجاهل .

(٥) الظعائن جمع ظعينة ، وهي ما تركبه المرأة من صنوف المطايا أو هي الهوداج فيها النساء ؛ وتطلق الظعينة على المرأة نفسها من طريق الاستعارة . سوالك نقبا ؛ ويروى : سلكن ضحيا . والسوالك : الإبل تسلك فى سيرها فجاج الأرض . والنقب : الطريق فى الجبل حزمى شعبعب : شعبعب ماء باليمامة لبنى قشير . وقد نوه به الصمة بن عبد الله القشيرى أيام كان بالسند فقال :

يا صاحبيّ أطال الله رشدكما ... عوجا عليّ صدور الأبغل الشنن

ثم ارفعا الطرف هل تبدو لناظعن ... بحائل يا عناء النفس من ظعن

أحبب بهن لو ان الدار جامعة ... وبالبلاد التي يسكنّ من وطن

عَلَوْنَ بِأَنْطاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ ... كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةِ يَثْرِبِ (١)

فَلِلّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ ... أَشَتَّ وَأَنْأَى مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ (٢)

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ... وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ (٣)

فَعَيْنَاكَ غَرْبَا جَدْوَلٍ فِي مُفَاضَةٍ ... كَمَرِّ الْخَلِيجِ فِي صَفِيحِ الْمُصَوَّبِ (٤)

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ... ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ (٥)

= طوالع الخيل من أبراك مصعدة ... كما تتابع قيدام من السفن

ياليت شعرى والأقدار غالبة ... والعين تذرف أحيانا من الحزن

هل أجعلن يدى للخد مرفقة ... على شعبعب بين الحوض والعطن

(١) علون بأنطاكية : رفعن وغطين بثياب مما ينسج بأنطاكية . وهى مدينة مشهورة من مدن الشام . والعقمة : ضرب من الوشى . والجرمة : ماصرم من البسر وألقى بالأرض . وجنة يثرب : بستان المدينة ، أى كمدينة يثرب حين تلوح كأنها الجنة والجنة فى عرف العرب البستان من النخيل .

(٢) أشت وأنأى : أكثر تفرق وأبعد . المحصب : المكان الذى ترمى فيه الجمار بمنى

(٣) فريقان . ويروى : غداة غدوا فسالك بطن نخلة . الجازع : القاطع . بطن نخلة : مكان كان به بستان ابن معمر . وهو عبيدالله بن معمر التيمى القرشى ، وكان من أبطال الرجال وسروات قريش ، وكان له بلاء حسن فى حروب الخوارج . ونجد كبكب: المرتفع من الجبل الأحمر الذى يستدبره الواقفون بعرفات .

(٤) فعيناك غربا جدول : شبه مايسيل من عينيه من الدموع بما يسيل من الغرب وهى الدلو العظيمة من الماء وهذا من باب المبالغة . وثنى الغرب لتثنية العينين . والجدول النهير . والمفاضة : الأرض ذات السعة . والخليج : الماء المتخلج من النهر ، وهو الذى تعترضه العقبات فى سيره فيتياسر مرة ويتيامن أخرى . والصفيح : العريض من الحجارة . والمصوب : المنحدر . ويروى : كمر خليج فى صفيح منصب . ويروى : كمر السبيح فى خليج المثقب .

(٥) ويروى : كعاجز ضعيف . يقول : إن الضعيف العاجز يفاخرك بماليس فيه من فخر ، ويغالبك بما يعلم أنه به مغلوب ، وإذا تمكن منك لم يبق عليك ، لأنه ليس له من الأصالة وكريم الشيم ما يمنعه من أن يذهب فى التنكيل بك متى قدر إلى الحد الأقصى .

وَمَرْقَبَةٍ لا يُرْفَعُ الصوتُ عِنْدَهَا ... مَضَمٌّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ (١)

غَزُرْتُ عَلَى أَهْوَالِ أَرْضٍ أَخَافُهَا ... بِجَانِبِ مُنْفَرِجٍ مِنَ الْحُشْوِ شَرْحَبِ (٢)

وَدَوِّيَّةٍ لا يُهْتَدَى لِفَلاتِهَا ... بِعِرْفَانِ أَعْلامٍ وَلا ضَوْءِ كَوْكَبِ (٣)

تَلافَيْتُهَا وَالْبُومُ يَدْعُو بِهَا الصَّدَى ... وَقَدْ أُلْبِسَتْ أَفْرَاطُهَا ثِنْيَ غَيْهَبِ (٤)

بِمُجْفَرَةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا ... عَلَى أَبْلَقِ الْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرِبِ (٥)

يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ ... تَغَرُّدَ مَيَّاحِ النَّدَامَى الْمُطَرِّبِ (٦)

أَقَبَّ رَبَاعٍ مِنْ حَمِيرِ عَمَايَةٍ ... يَمُجُّ لُعَاعَ الْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبِ (٧)

---

(١) المرقبة : المكان الرفيع الذى يعلوه الناظور وهو الديدبان لاستكشاف العدو . مضم جيوش : يعنى أنه تمر به الجيوش الظافرة الغانمة ، والجيوش المنهزمة الخائبة .

(٢) غزرت : كثرت . وأظنها مصحفة من غزوت من الغزو ، لأن غزرت بمعنى كثرت غير مستساغة فى ذوقى . والمقام يستدعى الغزو لمكان الفخر . منفرج : بارز مرتفع . شرحب : طويل . يريد به الفرس .

(٣) الدوية : الفلاة المقفرة التى تردد فيها الأصوات والتى لا أعلام لها ؛ فراكبها يضل فيها .

(٤) تلافيتها : قطعتها . الغيهب : الظلام الحالك ، فكأن الليل قد ثنى عليها أرديته

(٥) بمجفرة حرف ، ويروى : بأدماء حرجوج . والمجفرة : الناقة العظيمة الجفرة ، يعنى البطن . والحرف الشديدة الصلبة . والقتود : أداة الرحل . على أبلق الكشحين : على حمار وحشى أبيض الخاصرة ، والمغرب : الذى ابيضت أشفاره وحماليقه . يشبه ناقته بهذا الحمار الوحشى .

(٦) ثم استمر فى وصف الحمار الذى يشبه الناقة به فقال : يغرد بالأسحار : يطرب بصوته وقت السحر ، كما يغرد فى كل سدفة ، والسدفة القطعة فى الليل . ويروى : فى كل مرقب . والمياح : المياس ؛ وهو الذى يتصنع فى تغريده وتطريبه . والندامى : الفتيان المتنادمون على الشراب .

(٧) الأقب : الضامر البطن . الرباع : فتى السن . عماية : هو جبل بالبحرين ، فنزاليه =

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا ... بِجَرِّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ (١)

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الشُّرُوقِ بِسَابِحٍ ... أَقَبَّ كَيَعْفُورِ الفَلَاةِ مُجَنَّبِ (٢)

بِذِي مَيْعَةٍ كَأَنَّ أَدْنَى سِقَاطِهِ ... وَتَقْرِيبِهِ هَوْنًا دَآلِيلُ ثَعْلَبِ (٣)

ظَلِيمٍ طَوِيلٍ مُطْمَئِنٍّ كَأَنَّهُ ... بِأَسْفَلِ ذِي مَاوَانَ سَرْحَةُ مَرْقَبِ (٤)

= القتال الكلابي لجناية جناها وأقام به دهرا وأنس به هناك نمر ، فكان إذا اصطاد شيئا شركه النمر فيه ، وإذا اصطاد النمر شيئا شركه القتال فيه . فلما صلح أمره مع السلطان أراد الرجوع إلى أهله فعارضه النمر ومنعه مفارقته حتى هم بأكله : فضربه بسهم فقتله وقال :

وفى ساحة العنقاء أو فى عماية ... أو الأدمى من رهبة الموت موئل

ولى صاحب فى الغار هدك صاحبا ... أبو الجون إلا أنه لا يعلل

إذا ما التقينا كان أنس حديثنا ... سكوت وطرف كالمعابل أطحل

كلانا عدو لو يرى فى عدوه ... مهزا ، وكل فى العدواة مجمل

وكانت لنا قلت بأرض مضلة ... شريعتنا لأينا جاء أول

يمج لعاع البقل : يرمى خضرة البقل الذى يأكله فى الماء الذى يشربه .

(١) بمحنية : بمنحنى واد خصيب . الضال : شجر عظام . يريد أن هذا الوادى قد كثر خصبه حتى ساوى نبته شجره .

(٢) أغتدى : أخرج فى غدرة النهار . بسابح أقب : بفرس ضامر البطن . اليعفور : حمار الوحش ؛ المجنب : الفرس معه جنيب ، أى مشدود إليه فرس آخر أو هو مجنوب إلى ناقته

(٣) بذى ميعة : الميعة أول الشباب : أى أنه خفيف مرح . أدنى سقاطه : أقل اندفاعه فى السير . والتقريب : ضرب من السير هين . هونا : لينا . دآليل ثعلب : مشية ثعلب ، لأن الثعلب يدأل فى مشيته دألانا ، وهو عدو متقارب .

(٤) ذو ماوان : قال ابن السكيت : هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة . وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة ، وفيه يقول عروة بن الورد العبسى .

وقلت لقوم فى الكنيف تروحوا ... عشية بتنا دون ماوان رزح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم ... إلى مستراح من حمام مبرح =

يُبارِي الْخَنُوفَ الْمُسْتَقِلَّ زِمَاعُهُ ... تَرَى شَخْصَهُ كَأَنَّهُ عُودُ مِشْجَبِ (١)

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَصَهْوَةُ عَيْرٍ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبِ (٢)

كَثِيرُ سَوَادِ اللَّحْمِ مَادَامَ بَادِنًا ... وفى الضُّمْرِ مَمْشُوقُ القَوَائِمِ شَوْذَبِ (٣)

لَهُ جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ كَأَنَّ لِجَامَهُ ... يُعَالَى بِهِ فى رَأْسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ (٤)

وعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ وَمَحْجِرٌ ... إلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيحِ الْمُنَصَّبِ (٥)

ويَخْطُو عَلَى صُمٍّ صِلَابٍ كَأَنَّهَا ... حِجَارَةُ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ بِطُحْلُبِ (٦)

لَهُ كَفَلٌ كَالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى ... إلَى حَارِكٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمُذَأَّبِ (٧)

= ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

(١) الخنوف: الفرس يخنف بيديه فى السير، يرمى بهما، ليقسم خطاه، المستقل: المرتفع؛ زماعه: جمع زمعة؛ وهى الشعرات خلف ألية الفرس. المشجب: عود تنشر عليه الثياب.

(٢) أيطلا ظبى، مثنى أيطل: الخاصرة. وصهوة عير: ظهر حمار وحشى. قائم: منتصب.

(٣) البادن: السمين الممتلئ الجسم. ممشوق القوائم: مستوى الأرجل. شوذب: طويل حسن الخلق.

(٤) الجؤجؤ: الصدر. الحشر: اللطيف. يعالى: يركب. مشذب: منزوع عنه شوكه وسعفه.

(٥) الماويتان، مثنى ماوية: وهى المرآة المجلوة. المحجر: نقرة العين. الصفيح المنصب: الواح الحجارة القائمة الثابتة فى مكانها.

(٦) الصم الصلاب: يريد بها حوافره، يصفها بالصلابة كأنها الصخور الصماء. الغيل: الماء الجارى على الحجارة. الوارسات: المصفرات من الطحلب، وقد لونها كلون الورس.

(٧) الدعص: الكثيب الصغير من الرمل، يريد أنه مرتفع الكفل. لبده الندى: جعله الندى متلبداً متماسكا. الحارك: العجز. الغبيط: القتب: المذأب: المقسع =

وَمُسْتَفْلِكُ الذِّفْرَى كَأَنَّ عِنَانَهُ ... وَمَثْنَاتَهُ فِى رَأْسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ (١)

وَأَسْحَمُ رَيَّانُ العَسِيبِ كَأَنَّهُ ... عَثَاكِيلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ (٢)

وَبَهْوٌ هَوَاءٌ تَحْتَ صُلْبٍ كَأَنَّهُ ... مِنَ الهَضْبَةِ الخَلْقَاءِ زُحْلُوقُ مَلْعَبِ (٣)

يُدِيرُ قَطَاةً كَالمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ ... إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المُذَأَّبِ (٤)

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ ... تَقُولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثْأَبِ (٥)

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا ... تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِىَ الصَّيْدُ نَحْطِبِ (٦)

فَيَوْمًا عَلَى سِرْبٍ نَقِىٍّ جُلُودُهُ ... وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ أُمِّ تَوْلَبِ (٧)

= ويروى البيت :

له حارك كالدعص لبده الندى ... إلى كاهل مثل الرتاج المضبب

(١) مستفلك الذفرى : يريد أن ذفرييه كالفلكة فى الصغر . والذفريان : العظمان الناتئان خلف الأذن ، يريد كأن عنانه فى رأس غصن مشذب ، وذلك لطول عنقه واستوائه.

(٢) الأسحم : الأسود . ريان العسيب ممتلىء الذنب العثاكيل : الشماريخ . القنو : العنقود . سميحة : بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء عليها نخل ، ذكرها كثير فقال :

كأن دموع العين لما تخللت ... مخارم بيضا من تمنى جمالها

قبلن غروبا من سميحة انزعت ... بهن السوانى واستدار محالها

(٣) وبهو هواء : وجوف واسع . صلب : يريد به فقار الظهر . الخلقاء : الملساء . الزحلوق : آثار تزلج الصبيان . ويقال لها : الزحلوف أيضا

(٤) القطاة : مقعد الردف . المحالة : البكرة العظيمة . أشرفت : مشرف مرتفع . والغبيط : قتب الهودج . ومذأب . له ذئب ، جمع ذئبة وهى الفروج .

(٥) الشأوان ، مثنى شأو : وهو الطلق السريع . ابتل عطفه : سال عرقه على جانبيه. هزيز الريح : صوتها . الأثأب : شجر .

(٦) نحطب : نجمع الحطب للشواء والطبخ .

(٧) السرب : القطيع من بقر الوحش . نقى جلوده : يريد بيض الجلود . البيدانة : الأتان الوحشية المكتنزة الجسم . والتولب : الجحش .

ويَخضِدُ في الآرِيّ حتّى كأنّما بهِ عُرّةٌ أو طائفٌ غيرُ مُعقِبِ [(١)]

خرجنا نُريغُ الوحشَ حولَ ثُعالةٍ وبينَ رُحَيّاتٍ إلى فَجّ أخرُبِ [(٢)]

فآنسْتُ سِرْبًا من بعيدٍ كأنّهُ رَواهِبُ عِيدٍ في مُلاءٍ مُهَدَّبِ [(٣)]

فكانَ تنادِينا وعَقْدُ عِذارِهِ وقالَ صِحابي قد شأَوْنَكَ فاطْلُبِ [(٤)]

فلأيًا بِلأيٍ ما حَمَلْنا غُلامَنا على ظَهرِ مَحْبُوكِ السَّراةِ مُحَنَّبِ [(٥)]

فَفَتّى على آثارِهِنّ بِحاصِبٍ وغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ [(٦)]

وَوَلّى كشُؤْبُوبِ العَشِيّ بِوابِلٍ ويَخرُجْنَ مِنْ جَعْدٍ ثَراهُ مُنَصَّبِ [(٧)]

فللسّاقِ أُلْهُوبٌ وللسَّوْطِ دِرَّةٌ وللزَّجْرِ منهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ [(٨)]

---

(١) يخضد في الآري : يكسر الأواخي . العر : الجرب أو القرح .

(٢) ثعالة : اسم مكان . نريغ : نطلب . رحيات : اسم مكان . فج أخرب : الفج الطريق ، وأخرب : موضع في أرض بني عامر بن صعصعة ، وفيه كانت وقعة بين نهد وبني عامر .

(٣) السرب : قطيع من بقر الوحش . الرواهب : جمع راهبة ، شبه القطيع في مشيه ملتفاً حول بعضه برواهب خرجن من الدير في يوم عيد وعليهن الثياب المهدبة أي ذات الذيول الطويلة .

(٤) فكان تنادينا : أي نداء بعضنا بعضاً ، وذلك في حال عقد عذار الفرس : قد شأونك : أي سبقنك ، فاطلب .

(٥) اللأي : الريث ، يقول فلم نلبث . محبوك السراة : مجدول الظهر . محنب : مقوس

(٦) الحاصب : الريح تثير الحصى وتقذف به ، شبه الجرى في اندفاعه بالريح الحاصبة . الغيبة : الدفعة الشديدة من المطر ، والشؤبوب : كذلك . والشد : الجري باندفاع . ملهب : مسوق بالسوط .

(٧) شؤبوب العشي : دفعة المطر وقت العشاء . والوابل : المطر المنهمر . الجعد : الغبار المتراكب بعضه على بعض . ثراه : ترابه . منصب : الذي يغطي كل شيء كأنه دخان

(٨) الألهوب : زجر بالسوط . والدرة : الدفعة . الزجر : الانتهار . والأهوج =

فَأَدْرَكَ لَمْ يُجْهَدْ وَلَمْ يُثْنِ شَأْوُهُ ... يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ (١)

تَرَى الفَأْرَ فِي مُسْتَنْقَعِ القَاعِ لَاحِباً ... عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدٍّ مُلْهِبِ (٢)

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا ... خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ (٣)

وَظَلَّ لِصِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ ... يُدَاعِسُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمُعَلَّبِ (٤)

فَكَابٍ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقٍ ... بِمَدْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مِشْعَبِ (٥)

= الأحق . المتعب : المصاح عليه ، من التعيب وهو التصويت ، ويروى .

فللزجر ألهوب وللساق درة ... وللسوط منه وقع أخرج مهذب

ولما عرضت القصيدتان على امرأة امرئ القيس أم جندب لتحكم بينهما فى أى القصيدتين أجود قالت : إن فرس ابن عبده أجود من فرسك ! لأنك زجرت ، وحركت ساقيك ، وضربت بسوطك ولم يفعل هو بفرسه شيئاً من ذلك ، بل قال :

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر رائح متحلب

فغضب امرؤ القيس وطلقها فخلفه عليها علقمة . ولهذا سمى علقمة الفحل .

ويريد بالألهوب أنه ألهب جريه حين زجره . ويريد أنه إذا غمزه بساقه در بالجرى . والأخرج : الظليم ، وهو ذكر النعام ، لأن لونه يكون بين السواد والبياض .

(١) الشأو : الشوط البعيد والسبق . الخذروف : لعبة للصبيان يديرونها بسرعة حتى لا تكاد ترى لشدة مرها : المثقب : ذو الثقوب ، يريد أن الخذروف لثقبه كأن يسمع له فى مره صوت ، فهو يشبه صوت اندفاع الجواد به .

(٢) مستنقع القاع : الماء المنتقع فى منخفض الأرض . لاحباً : ظاهراً . جدد الصحراء : المرتفع من الأرض ؛ الشد الملهب : العدو الشديد

(٣) خفاهن : أظهرهن ، يعنى الفيران . أنفاقهن : أجحارهن . الودق : المطر يقول إن شدة وقع حوافر هذا الجواد على الأرض أوهم الفيران فى أجحارها بأنه وقع مطر شديد فتركت أنفاقها وخرجت ناجية بأرواحها إلى مرتفعات الأرض .

(٤) الصيران ، جمع الصوار : وهو الثور الوحشى . والصريم : منقطع الرمل . والغماغم : أصوات ترددها فى صدورها وهو الخوار . يداعسها بالسمهرى : يطاعنها بالرمح . المعلب : المقوى بالعلباء وهى عصب فى عنق البعير يقوى به الرمح

(٥) الكابى : الساقط على وجهه . حر الجبين : ما ظهر من الوجه . المدرية : القرن . الذلق : الحد . المشعب : المخرز .

فَقِمْنَا إلى بَيْتٍ بِعَلْيَاءَ مُرْدَحٍ ... سَمَاوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُعَصَّبِ (١)
وَقُلْنَا لِفِتْيَانٍ كِرَامٍ أَلاَ انْزِلُوا ... فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ ثَوْبٍ مُطَنَّبِ (٢)
وَأَوْتَادُهُ مَاذِيَّةٌ وَعِمَادُهُ ... رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةُ قَعْضَبِ (٣)
وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خُوصٍ نَجَائِبٍ ... وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشَرْعَبِ (٤)
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضَفْنَا ظُهُورَنَا ... إلى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشَطَّبِ (٥)
فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنَعْمَةٍ ... فَقِلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبِ (٦)
كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا ... وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ (٧)

---

(١) قمنا : رجعنا . مردح : واسع . سماوته : أعلاه ؛ الأتحمى : البرود المحوكة ؛ معصب محوكة بعصب . وعصب بلد باليمن ينسج فيها هذا النوع من الثياب .

(٢) عالوا . رفعوا ؛ مطنب ، مشدود بالحبال .

(٣) أوتاده مازية : أوتاده دروع ، يريد أن البيت لما رفعوه ربطوا حباله فى الدروع التى ألقوها حوله فكانت كأنها أوتاد . وعماده ردينية . عماده التى يقوم عليها رماح . أسنة قعضب : الأسنة التى هى من صنع ذلك الرجل المسمى قعضب .

(٤) الأطناب والأشطان : الحبال التى تشد إلى الأوتاد . خوص نجائب : نوق غوائر العيون منجيات ، أى أنهم اتخذوا حبال البيت من الحبال التى تكون مع النوق . الصهوة : الظهر مشرعب : مصنف ومنوع .

(٥) أضفنا ظهورنا ؛ أسندناها . الحارى : الرحال الحيرية المصنوعة بالحيرة . المشطب ؛ المخطط .

(٦) يقول ؛ إن ذلك كله قد كان لنا فى يوم من أيام الغبطة والسرور الى غاب نحسها .

(٧) قال أبو عبيد البكرى ؛ الظباء والبقر عيونها سود فى حالة الحياة فإذا ماتت بدا بياضها فلذلك شبهها بالجزع الذى فيه بياض وسواد بعدما موتت ﴿قلت﴾ والجزع . الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض ، قال : وهذا التشبيه من التشبيهات العقم التى لم يسبقه أحد إليها ولا تعاطاها أحد بعده ولو قال : الجزع ؛ وقام به البيت وأمسك من قوله : « الذى لم يثقب » لكان من أبدع تشبيه وأحسنه ؛ ثم زاده تتميما وحسناً بقوله ; الذى لم يثقب ؛ وكمل له بذلك نظم البيت ووضع القافية ؛ وهذه الصناعة من الشعر تسمى : التبليغ ﴿قلت﴾ وقد تسمى أيضاً ; الإيغال ؛ لأنه أتى بمعنى زائد بلغه إلى القافية .

وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُوَاثَى عَشِيَّةً ... نُعَالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ وَمُحْقَبِ (١)

نَمُشُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكُفَّنَا ... إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ (٢)

إِلَى أَنْ تَرَوَّحْنَا بِلَا مُتَعَتَّبٍ ... عَلَيْهِ كَسِيدِ الرَّدْهَةِ الْمُتَأَوِّبِ (٣)

وَرَاحَ كَتَيْسِ الرَّبْلِ يَنْغُضُ رَأْسَهُ ... أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ (٤)

حَبِيبٌ إِلَى الْأَصْحَابِ غَيْرُ مُلَعَّنٍ ... يُفَدُّونَهُ بِالْأُمَّهَاتِ وَبِالْأَبِ (٥)

فَيَوْمًا عَلَى بُقْعٍ دِقَاقٍ صُدُورُهُ ... وَيَوْمًا عَلَى سُفْعِ الْمَدَافِعِ رَبْرَبِ (٦)

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ... عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُخَضَّبِ (٧)

(١) جواثى : مدينة من مدن هجر .

(٢) نمش : نمسح . قال بعض أهل اللغة : لا يكون المش إلا المسح بالشيء الذي يقش الدسم ، يعنى : ينشفه . أعراف الجياد : نواصى الخيل ؛ المضهب : الذى لم يبلغ نضجه من اللحم ؛ ومعنى هذا البيت مما سبق إليه امرؤ القيس فتبعه الشعراء ، أى أنهم اتخذوا أعراف الخيل مناديل يمسحون بها أيديهم من وضر اللحم . قال أبو عبيد : وهذا إنما يكون فى حال السفار لا فى غيره ؛ لأنه إذا فعل ذلك فى حال الطمأنينة دل على الجشع وشدة الحرص على الطعام .

(٣) تروحنا : رجعنا إلى منازلنا . بلا متعتب : لم يحصل من أحدنا ما يوجب العتب . السيد : الذئب . الردهة : الحفيرة فى القف . المتأوب : العائد المردد .

(٤) وراح : يريد الجواد . تيس الربل : التيس الذى أكل من نبات الربل ، وهو نبات يخضر له وجه الأرض فى أوائل فصل الشتاء . ينغض رأسه : يرفع رأسه . أذاة : تأذيا . الصائك المتحلب : العرق السائل الكريه الرائحة .

(٥) يريد أن هذا الجواد محبب إلى أصحابه فهم يفدونه بكل عزيز عليهم من الأمهات والآباء .

(٦) البقع : جمع أبقع : وهو الظبى الذى فى جلده بقع . والسفع : البقر يكون بصدورها بقع سوداء . يعنى أنه يوما يصيد الغزلان ، ويوما يصيد الثيران الوحشية .

(٧) الهاديات : أوائل القطيع . بنحره : يريد أنه لكثرة صيدها وتوجيه السهام إليها لا تزال دماؤها على نحره ، كأنها الحناء التى يخضب بها الشيب .

وأنتَ إذا استدبرتَهُ سدَّ فرجَهُ ... بضافٍ فويقَ الأرضِ ليسَ بأصهبِ [1]

قصيدة علقمة بن عبدة

وهذه قصيدة علقمة الفحل [2] التي غالب بها امرأ القيس ، ننشرها ليعرف فرق ما بينها وبين قصيدة امرئ القيس المتقدمة ، ولأن كثيرا من الرواة قد خلطوا كل واحدة منهما بالأخرى ، وأخذوا من هذه أبياتا وأضافوها إلى تلك ، حتى عز التمييز بينهما . قال علقمة بن عبدة التميمي :

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرانِ في كلِّ مَذْهَبِ ... ولَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هذا التَّجَنُّبِ

لَيالِيَ لا تَبْلَى نَصِيحَةُ بَيْنِنا ... لَيالِيَ حَلُّوا بالسِّتارِ فَغُرَّبِ [3]

مُبَتَّلَةٌ كَأَنَّ أَنْضاءَ حَلْيِها ... عَلَى شادِنٍ مِنْ صاحَةٍ مُتَرَبِّبِ [4]

مُحالٌ كَأَجْوازِ الجَرادِ ولُؤلُؤٌ ... مِنَ القَلَقِيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ [5]

إذا أَلْحَمَ الواشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنا ... تَبَلَّغَ رَسُّ الحُبِّ غَيْرُ المُكَذَّبِ [6]

---

(١) استدبرته : وقفت خلفه . بضاف : بذيل طويل متصل بالارض . الاصهب : الاحمر المشوب بياضه بسواد .

(٢) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار ؛ وإنما لقب بالفحل لأنه خلف امرأ القيس على امرأته لما حكمت له على امرئ القيس فطلقها . ويعد من الشعراء المقلين ؛ لأن الرواة لم يحققوا له أكثر من ثلاث قصائد ، قيل إنه توفي سنة ٦٢٥ م ويوجد آخر في الشعراء يسمى علقمة الخصي .

(٣) الستار وغرب : موضعان .

(٤) المبتلة : البكر . الأنضاء : يريد بها المنضدة عليها . الشادن : ولد الظبي . صاحة : جبل وهضاب حمر تجاور العقيق بالمدينة . متربب : مذعور خائف .

(٥) المحال : ضرب من الحلي . القلقي : هو الازار الجيد المنسوب إلى القلعة . الكبيس : حلي مجوف محشو طيبا . الملوب : الملتوي كأنه اللواب .

(٦) ألحم : نسج ، أراد أنهم إذا واصلوا نسج الشر . رس الحب : راسخه ومتمكنه .

وما أنتَ أمْ ما ذِكْرُها رَبَعيَّةً ... تَحُلُّ بإيرٍ أوْ بأكْنافِ شُرْبُبِ (١)

أطاعتَ الوُشاةَ والمُشاةَ بصَرْمِها ... فقدْ أنْهَجَتْ حِبالُها للتَّقَضُّبِ (٢)

وقدْ وعَدَتْكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَتْ بهِ ... كمَوْعُودِ عُرْقُوبٍ أخاهُ بيَثْرِبِ (٣)

وقالَتْ متى يُبْخَلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ ... تَشَكَّ وإنْ يُكْشَفْ غَرامُكَ تَدْرُبِ (٤)

فقُلْتُ لها فِيئي فما تَسْتَفِزُّني ... ذَواتُ العُيُونِ والبَنانِ المُخَضَّبِ (٥)

فَفاءَتْ كما فاءَتْ مِنَ الأُدْمِ مُغْزِلٌ ... بِبَيْشَةَ تَرْعَى في أراكٍ وحُلَّبِ (٦)

---

(١) ربعية: منسوبة إلى ربيعة. إير: جبل بأرض غطفان. شربب: موضع.

(٢) الوشاة: السعاة بالشر، والمشاة بالفرقة. الصرم: الهجر. أنهجت: قطعت. التقضب: التقطع.

(٣) عرقوب: زعموا أنه كان رجلا من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا أطلعت النخلة فلك طلعها. فلما أطلعت وعده بلحها. فلما أبلحت وعده بزهوها. فلما أزهت وعده ببسرها. فلما أبسرت وعده برطبها. فلما أرطبت وعده بتمرها. فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجزها ولم يعطه شيئا. فضرب به المثل في الخلف. وأما يثرب فقد قال بعضهم إنها يثرب مدينة الرسول، وأن عرقوب كان من قدماء يهود يثرب. وقال آخرون. إنها يترب وهي قرية باليمامة عند جبل وشم، وقد جاء في شعر الأعشى: «بسهام يترب أو سهام الوادي» وفي قول الأشجعي:

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وللصنوبري قصة نظمها على غرار حادثة عرقوب فقال:

قالوا لنا نخلة وقد طلعت ... نخلتها فاصطبر لطلعتها

حتى إذا صار طلعها بلحاً ... قالوا توقع بلوغ بسرتها

حتى إذا بسرها غدا رطباً ... فازوا بأعذاقها برمتها

عدمتها نخلة كنخلة عر ... قوب ومن قصة كقصتها

(٤) يعتلل: يأتي بالعلل والمعاذير. تدرب: تعتاد من الدربة.

(٥) فيئي: ارجعي إلى نفسك.

(٦) الأدم: جمع أدماء: وهي البقرة الوحشية. بيشة: اسم موضع. الحلب: نبت يرى

فَعِشْنَا بِهَا مِنَ الشَّبابِ مَلاوَةً ... فَأَنْجِحْ آياتِ الرَّسُولِ الْمُخَبِّبِ (١)
فَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عاشِقٍ ... بِمِثْلِ بُكُورٍ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوِّبِ (٢)
بِمُجْفَرَةِ الْجَنْبَيْنِ حَرْفٍ شِمِلَّةٍ ... كَهَمِّكَ مِرْقالٍ عَلَى الأَيْنِ ذِعْلِبِ (٣)
إِذا ما ضَرَبْتُ الدَّفَّ أَوْ صُلْتُ صَوْلَةً ... تَرَقَّبُ مِنِّي غَيْرَ أَدْنَى تَرَقُّبِ (٤)
بِعَيْنٍ كَمِرْآةِ الصَّناعِ تُدِيرُها ... لِمَحْجِرِها مِنَ النَّصِيفِ الْمُنَقَّبِ (٥)
كَأَنَّ بِحاذَيْها إِذا ما تَشَذَّرَتْ ... عَثاكِيلَ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ (٦)
تَذُبُّ بِهِ طَوْرًا وطَوْرًا تُمِرُّهُ ... كَذَبِّ الْبَشِيرِ بِالرِّداءِ الْمُهَدَّبِ (٧)
وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِها ... وماءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ (٨)
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ لاحَهُ ... طِرادُ الْهَوادِي كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ (٩)

---

(١) الملاوة : البرهة من الزمن .

(٢) اللبانة : الحاجة والمطلب . البكور : الخروج فى بكرة النهار ، أى فى أوله . والرواح : الرجوع فى آخر النهار . المؤوب : العائد مع الليل .

(٣) المجفرة : الواسعة الجفرة ، وهى الكشح . حرف : قوية . شملة : سريعة . مرقال : كثيرة الرقلان وهو المشى السريع . الأين : التعب . ذعلب : سريعة ، يصف ناقته بهذه الصفات .

(٤) الدف : الجنب .

(٥) الصناع : المرأة الحاذقة اليدين تجيد كل شىء تعمله ، يصف عين ناقته بمرآة مجلوة بيد صناع . المحجر : وقب العين . النصيف المنقب : النقاب ذو الثقوب .

(٦) الحاذان : ماوقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . تشذرت : تهيأت وتحركت عثاكيل قنو : أعذاق بها بلح . سميحة : اسم مكان جيد النخل .

(٧) تذب : تدفع به الذباب . الرداء المهدب : الثوب ذو الأهداب

(٨) الوكنات : أوكار الطير

(٩) بمنجرد : بفرس خفيف الشعر . قيد الأوابد : يعنى أن الوحوش الآبدة متى طلبها هذا الفرس أدركها فكأنه قيدها فى أماكنها ، لاحه : بداله ، طراد الهوادى :

بِغَوْجٍ لَبَانُهُ يُتَمُّ بَرِيمُهُ ... عَلَى نَفْثِ رَاقٍ خَشْيَةَ العَيْنِ مُجْلِبِ (١)

كُمَيْتٍ كَلَوْنِ الأُرْجُوانِ نَشَرْتَهُ ... لِبَيْعِ الرِّدَاءِ فِي الصِّوَانِ المُكَعَّبِ (٢)

مُمَرٍّ كَعَقْدِ الأَنْدَرِيِّ يَزِينُهُ ... مَعَ العِتْقِ خَلْقٌ مُفْعَمٌ غَيْرُ جَانِبِ (٣)

لَهُ حُرَّتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيهِمَا ... كَسَامِعَتَيْ مَذْعُورَةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ (٤)

وَجَوْفٌ هَوَاءٌ تَحْتَ مَتْنٍ كَأَنَّهُ ... مِنَ الهَضْبَةِ الخَلْقَاءِ زُحْلُوقُ مَلْعَبِ (٥)

قَطَاةٌ كَكُرْدُوسِ المُحَالَةِ أَشْرَفَتْ ... إِلَى كَاهِلٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المُذَأَّبِ

وَغُلْبٌ كَأَعْنَاقِ الضِّبَاعِ مُضِيغُهَا ... سِلَامُ الشَّظَى يَغْشَى بِهَا كُلَّ مَرْكَبِ (٦)

وَسُمْرٌ يُفَلِّقْنَ الظِّرَابَ كَأَنَّهَا ... حِجَارَةُ غَيْلٍ وَارِسَاتٍ بِطُحْلُبِ (٧)

إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا لَمْ نُخَاتِلْ بِجُنَّةٍ ... وَلَكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلَا ارْكَبِ (٨)

أَخَا ثِقَةٍ لَا يَلْعَنُ الحَيُّ شَخْصَهُ ... صَبُوراً عَلَى العِلَّاتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ (٩)

مطاردة الوحوش : الشأو : الشوط . المغرب : المتباعد .

(١) بغوج لبانه ، يقال : فرس غوج اللبان : واسع الصدر . البريم : العوذة تعلق فى العنق خوف العين ـ زعموا ـ

(٢) الكميت : الفرس الذى خالط حمرته قنوء . الأرجوان : الأحمر .

(٣) ممر : مفتول جيد الفتل ، يعنى الضامر الصلب الأعصاب . عقد الأندرى : الحبل الغليظ . العتق : كرم الجوهر . مفعم : ممتلىء . الجانب : البعيد ما بين الرجلين . وقد نفى عن فرسه ذلك لأنه من العيوب المشنوءة .

(٤) الحرتان : الأذنان . المذعورة : البقرة الوحشية . الربرب : السرب من الظباء

(٥) مر هذا البيت والذى بعده لامرئ القيس .

(٦) الغلب : الغلاظ الأعناق . السلام : الحجارة . الشظى : واد كثير الحجارة

(٧) السمر : الحوافر . الظراب : الحجارة المحددة الأطراف . الغيل : الهير .

(٨) اقتنص الصيد : أمسكه وحصل فى يده . المخاتلة : المخادعة والمراوغة . الجنة : ما تحتجب به عند الصيد أو عند القتال .

(٩) صبوراً على العلات : على مختلف الأحوال . غير مسبب : ليس بملعن ولا بمشتم

إِذَا أَنْفَدُوا زَادًا فَإِنَّ عِنَانَهُ ... وَأَكْرُعَهُ مُسْتَعْمَلًا خَيْرُ مَكْسَبِ (١)

رَأَيْنَا شِيَاهًا يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً ... كَمَشْيِ الْعَذَارَى فِي الْمُلَاءِ الْمُهَدَّبِ (٢)

فَبَيْنَا تَمَارِينَا وَعَقْدُ عِذَارِهِ ... خَرَجْنَ عَلَيْنَا كَالْجُمَانِ الْمُثَقَّبِ (٣)

فَأَتْبَعَ أَدْبَارَ الشِّيَاهِ بِصَادِقٍ ... حَثِيثٍ كَغَيْثِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ (٤)

تَرَى الْفَأْرَ عَنْ مُسْتَرْغِبِ الْقَدْرِ لَائِحًا
عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدٍّ مُلْهِبِ (٥)

خَفَا الْفَأْرَ مِنْ أَنْفَاقِهِ فَكَأَنَّمَا ... تَجَلَّلَهُ شُؤْبُوبُ غَيْثٍ مُنَقِّبِ (٦)

فَظَلَّ لِثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ ... يُدَاعِسُهُنَّ بِالنَّضِيِّ الْمُعَلَّبِ (٧)

فَهَاوٍ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَّقٍ ... بِمِدْرَاتِهِ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مِشْعَبِ (٨)

---

(١) أنفدوا زاداً : فرغ زادهم ، يعني أن هذا الفرس كفيل بأن يكسب لهم زادهم كائناً ما كان .

(٢) الشياه : النعاج الوحشية . الخميلة : الأرض الشجراء . الملاء المهدب : الثياب ذات الأهداب الطويلة .

(٣) خرجن عليه : يريد الشياه . كالجمان المثقب : كقطع الفضة المنتظمة فى عقد

(٤) مضى خلفهن بجواده الصادق الجرى كالمطر الصيب .

(٥) الجدد : الطريق المرتفع . شد ملهب : قوى الجرى .

(٦) خفا الفأر : أخرجه من جحره ، وهو نفقه

(٧) ثيران الصريم : بقر الرمل . الغماغم : أصوات الثيران . يداعسهن : يطاعنهن . النضى : الرمح . المعلب : المشدود بالعلباء . ويروى هذا البيت لامرئ القيس وهو فى قصيدته بتغيير طفيف فى اللفظ .

(٨) فهاو على حر الجبين : فساقط على وجهه . ومتق بمدراته ومدافع بقرنه . الذلق : الحد . المشعب : المخرز الذى تخرز به النعال والجلود ، يعنى أن قرن الثور كأنه فى حدته المخرز ، ويروى هذا البيت لامرئ القيس وهو فى قصيدته السابقة .

وعادَى عِداءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ — وتَيسٍ شَبُوبٍ كالهَشِيمَةِ قَرْهَبِ (١)

فقُلْنا ألا قدْ كانَ صَيْدٌ لِقانِصٍ — فَخَبُّوا علَيْنا فَضْلَ بُرْدٍ مُطَنَّبِ (٢)

فظَلَّ الأكُفُّ يَخْتَلِفْنَ بحانِذٍ — إلى جُؤْجُؤٍ مِثْلِ المَدَاكِ المُخَضَّبِ (٣)

كأنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِنا — وأرْحُلِنا الجِزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ (٤)

ورَاحَ كَشاةِ الرَّبْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ — أذاةً بِهِ مِنْ صائِكٍ مُتَحَلِّبِ (٥)

ورَاحَ يُبارِي في الجَنابِ قَلوصَنا — عَزِيزًا علَيْنا كالحُبابِ المُسَيَّبِ (٦)

فأدْرَكَهُنَّ ثانِيًا مِنْ عِنانِهِ — يَمُرُّ كَمَرِّ رائِحٍ مُتَحَلِّبِ (٧)

٣

وقال امرؤ القيس :

أرَانا مُوضِعِينَ لِأمْرِ غَيْبٍ — ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ (٨)

---

(١) فعادى عداء : جرى أشواطاً متوالية . التيس الشبوب : الذى هو فى قوة فتوته . القرهب : الثور الكبير الضخم ، ويروى لامرئ القيس .

(٢) هذا البيت يماثل بيت امرئ القيس الوارد فى قصيدته : وقلنا لفتيان كرام والمعنى فى البيتين : حجبوا عنا الشمس بالثياب لئلا يفسد صيدنا .

(٣) الحانذ : المشوى بالحجارة المحماة . الجؤجؤ : الصدر . المداك : الحجر الذى يداك به الطيب : أى يسحق به ، ويكون من أصلب الحجارة .

(٤) و (٥) تروى لامرئ القيس .

(٦) يبارى: يسابق . الجناب: الجنب. القلوص: الناقة الشابة. كالحباب : كالحية المنسابة.

(٧) بهذا البيت حكمت أم جندب لعلقمة على امرئ القيس . كامر .

(٨) موضعين : سائرين مسرعين . لامر غيب : لأمر لاعلم لنا به ، ويروى : لحتم غيب . ونسحر : نلهى ونخدع ونقطع أيامنا بالأمانى .

عَصافِيرٌ وذِبّانٌ ودُودٌ ... وأَجرأُ مِنْ مُجلّحةِ الذِّئابِ (١)

فَبعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتي فإنّي ... ستَكْفيني التّجارِبُ وانتِسابي (٢)

إلى عِرْقِ الثّرَى وشَجَتْ عُرُوقي ... وهذا الموتُ يَسْلُبُني شَبابي (٣)

ونفسي سوفَ يسلُبُني وجُرْمي ... فيُلحِقُني وشِيكاً بالتُّرابِ (٤)

أَلَمْ أُنضِ المَطِيَّ بكلِّ خَرْقٍ ... أَمَقِّ الطّولِ لَمّاعِ السَّرابِ (٥)

وأَركَبُ في اللُّهامِ المَجْرِ حتّى ... أَنالَ مآكِلَ القُحَمِ الرِّغابِ (٦)

وكلُّ مَكارِمِ الأَخلاقِ صارَتْ ... إليه هِمّتي وبه اكتِسابي (٧)

وقد طَوّفْتُ في الآفاقِ حتّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنيمةِ بالإيابِ (٨)

---

(١) ويروى: وذؤبان، وهى جمع ذئب. المجلحة: المصممة، يعنى أننا على ضعفنا وأننا لانزيد على العصافير والذبان والدود نكون أشد جرأة من الذئاب.

(٢) فبعض اللوم: أى كفى عنى لومك أيتها العاذلة اللائمة فإن تجاربى وخبرتى أقنعانى بأن كل شىء فى هذا الوجود صائر إلى الزوال، وقد رأيت آبائى وأجدادى قدماتوا جميعاً وصاروا تحت الثرى وأصبح انتسابى إلى التراب الذى ضمهم. فزاد هذا فى يقينى بأنى صائر إلى حيث صاروا. فلا أترك لهوى ولعبى حتى ألحق بهم.

(٣) عرق الثرى: مادة التراب فى الأرض. وشجت عروقى: اتصلت وتغلغلت وتشابكت والتفت.

(٤) وشيكا: سريعا.

(٥) أنضى المطى: أهزل ما أركب من النوق من شدة السير. الخرق: الفلاة تنخرق فيها الرياح. الأمق: الطويل. السراب: مايبدو وقت الظهيرة المسافر فى الصحراء كأنه ماء.

(٧) اللهام: الجيش الوافر العدد. المجر: الثقيل المتئد فى سيره. القحم: البضع الكثيرة من الأموال وغيرها. الرغاب: الواسعة.

(٧) وهذا أفضل ما اتجه المرء نحوه بهمته لاكتسابه والتحلى به.

(٨) طوفت: أكثرت من الطواف فى آفاق الأرض، فلم أرخيراً من الرجوع إلى أهلى، وأوبى إلى وطنى، فهو غنيمتى التى تسقط فى جانبها كل غنيمة، لأنى فى تطوافى لم أفد خيراً

أَبَعْدَ الحَارِثِ المَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو ... وبَعْدَ الخَيْرِ حُجْرٍ ذِي القِبَابِ (١)
أُرَجِّي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِينًا ... ولَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصُّمِّ الهِضَابِ (٢)
وأَعْلَمُ أَنَّنِي عَمَّا قَلِيلٍ ... سَأَنْشَبُ فِي شَبَا ظُفُرٍ ونَابِ (٣)
كَمَا لَاقَى أَبِي حُجْرٌ وجَدِّي ... ولَا أَنْسَى قَتِيلًا بِالكُلَابِ (٤)

---

(١) الحارث بن عمرو: جده . وحجر : والده . القباب : لم تكن القباب معروفة في الجاهلية إلا للملوك ، ولهذا وصف امرؤ القيس آباءه بأصحاب القباب ، لأنهم كانوا ملوكا .

(٢) الصم : الحجارة الصلبة المصمتة . الهضاب : الصخور الضخمة الراسية ، يعني أن صروف الدهر لم تغفل عن هذه الصخور بل أذابتها وأزالتها ، فكيف يرجى منها لينا وهذا هو عملها في الكائنات القوية المتينة

(٣) سأنشب : سأعلق . الشبا : الحد ، يريد أن المنية لابد أن ستنشب فيه أظفارها وأنيابها .

(٤) قتيل الكلاب : هو عمه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ، قتل في ذلك اليوم : وكان من حديثه أن بني بكر بن وائل لما تسافهت وفسد أمرها، وغلب عليها سفهاؤها، وتقطعت أرحامها، ارتأى رؤساؤهم أن يولوا عليهم ملكا يأخذ منهم الشاء والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم، على أن يكون من غيرهم . فأتوا تبعاً وذكروا له أمرهم فملك عليهم الحرث بن عمرو آكل المرار الكندي . فلما ملك غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة اللخميين ، وملوك الشام الغسانيين ، وردهم إلى أقاصي أعمالهم ، ثم مات ودفن ببطن عاقل . واختلف ابناه شرحبيل وسلمة في الملك من بعده فتواعدا الكلاب ، وهو ماء ، فأقبل شرحبيل في قبائل ضبة والرباب كلها وبني يربوع وبكر بن وائل ، وأقبل سلمة في قبائل تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح . وإنما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب . فالتقوا على الكلاب واستحر القتل في بني يربوع ، ولما غشيهم الليل نادى منادي شرحبيل : من أتى برأس سلمة فله مائة من الإبل : ونادى منادي سلمة مثل ذلك ، وشد أبو حنش عصيم بن النعمان بن مالك الجشمي على شرحبيل فقتله، وكان شرحبيل قتل حنشا ولده . ثم إن أبا حنش =

٤

وقال امرؤ القيس :

سَقَى وارِدَاتٍ والقَلِيبَ ولَعْلَعاً مُلِثٌّ سِماكِيٌّ فَهَضْبَةَ أيْهَبَا[١]

فَمَرَّ عَلَى الخَبْتَيْنِ خَبْتِ عُنَيْزَةٍ فذَاتِ النِّقَاعِ فانْتَحَى وتَصَوَّبَا[٢]

فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ أعالِي طَمِيَّةٍ أبَسَّتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا فتَحَلَّبَا[٣]

٥

استعان امرؤ القيس بقبائل بكر وتغلب على خصومه بنى أسد، فأجابوه فلما اتصل الخبر ببنى أسد لحقوا ببنى كنانة، ثم لم يثقوا بحمايتهم ففارقوهم. فقصد امرؤ القيس بنى أسد فى أنصاره ووضع السيف فى بنى كنانة ونادى: يالثارات الملك! يالثارات الهمام! فقالت له عجوز منهم: لسنا لك بثأر! فإن شئت فاطلب ثأرك من خصومك بنى أسد فقد رحلوا مساء! فقال:

= بعث برأسه إلى سلمة مع عسيف له؛ فلما رآه سلمة دمعت عيناه، فقال له: أنت قتلته؟ قال: لا، ولكن قتله أبو حنش. فقال: إنما أدفع الثواب إلى قاتله - وهرب أبو حنش - فقال سلمة:

ألا أبلغ أبا حنش رسولا فمالك لاتجىء إلى الثواب

تعلم أن خير الناس ميتاً قتيل بين أحجار الكلاب

تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاميس الرباب

(١) واردات، والقليب، ولعلع: أسماء أماكن. ملث: مطر جود مدرار. سماكى: منسوب إلى السماك، وهو نجم بالسماء تنسب العرب إليه المطر. فهضبة أيهب: موضع فى بلاد بنى أسد.

(٢) الخبتين، مثنى خبت: وهو المتسع من بطون الأرض؛ خبت عنيزة: اسم مكان، وخبت ذات النقاع: اسم مكان آخر. انتحى: مال. تصوب: ارتفع.

(٣) طمية: جبل بالبادية. أبست: ساقت إليه السحاب. تحلب: سال، يريد بذلك المطر السماكى الملث. يدعو لتلك البقاع بالغيث والخصب والنماء.

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْـــدٍ إِثْرَ قَوْمٍ ... هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا (١)

وَقَاهُمْ جَـــدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ ... وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَـابُ (٢)

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَـاءٌ جَرِيضاً ... وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ (٣)

٦

وقال امرؤ القيس :

يَا بُؤْسَ لِلْقَلْبِ بَعْدَ الْيَوْمِ مَا آبَهْ

ذِكْرَى حَبِيبٍ بِبَعْضِ الْأَرْضِ قَدْ رَابَهْ (٤)

قَالَتْ سُلَيْمَى أَرَاكَ الْيَوْمَ مُكْتَئِباً

وَالرَّأْسُ بَعْدِي رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ عَابَهْ (٥)

وَحَارَ بَعْدَ سَوَادِ الرَّأْسِ جُمَّتُهُ ... كَمِعْقَبِ الرَّيْطِ إِذْ نَشَّرْتَ هُدَّابَهْ (٦)

---

(١) القوم الذين قصدهم : هم بنو أسد قتلة أبيه . كانوا الشفاء : كانوا شفاء نفسه لو أصابهم ، لأنه موتور منهم بقتل أبيه

(٢) الجد : الحظ . بنو أبيهم : بنو كنانة ، لأن كنانة ، وأسد : أخوان ، أبوهم جزيمة . وسماهم الأشقين ، لأن العقاب حل بهم على غير جريرة ، دون بنى أسد

(٣) أفلتهن : فاتهن ، والضمير عائد إلى الخيل . علباء : هو علباء بن الحارث الكاهلى أحد قتلة الملك حجر . الجريض : الغاص بريقه من الفزع . صفر الوطاب : انتهى الأمر وخلت النفس من الحقد : وزعم بعض الشراح فى معنى صفر الوطاب : أن خيل امرئ القيس لو أدركت علباء بن الحارث فقتلته وساقت إبله صفرت وطابه من اللبن . وقيل صفر الوطاب : أى أنه كان يقتل فيكون جسمه صفراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن . وعندى أن هذا ليس بشىء ، وما أثبته خير منه وأقرب إلى الصواب . (٤) ما آبه : ما شأنه ومرجع أمره . رابه : أدخل عليه الريبة فى وصله

(٥) مكتئباً : حزيناً .

(٦) حار : رجع وصار . الجمة : مقدم شعر الرأس . معقب الريط : خمار المرأة تعتقب به ؛ والريط ، جمع ريطة : ثوب لين رقيق .

وَمَرْقَبٍ تَسْكُنُ العِقْبانُ قُلَّتَهُ أَشْرَفْتُهُ مُسْفِراً والنَّفْسُ مُهْتَابَه (١)
عَمْداً لِأَرْقُبَ مَا لِلْجَوِّ مِنْ نَعَمٍ فَنَاظِرٌ رَائِحاً مِنْهُ وعُزَّابَه (٢)
وقَدْ نَزَلْتُ إِلَى رَكْبٍ مُعَقَّلَةٍ شُعْثِ الرُّؤُوسِ كَأَنَّ فَوْقَهُمْ غَابَه (٣)
لَمَّا رَكِبْنَا رَفَعْنَاهُنَّ زَفْزَفَةً حَتَّى احْتَوَيْنَا سَوَامَا ثُمَّ أَرْبَابَه (٤)

٧

وقال امرؤ القيس :

قَدْ أَشْهَدُ الغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ (٥)
كَأَنَّ صَاحِبَهَا إِذْ قَامَ يُلْجِمُهَا مَغْدٌ عَلَى بَكْرَةٍ زَوْرَاءَ مَنْصُوبُ (٦)
إِذَا تَبَصَّرَهَا الرَّاؤُونَ مُقْبِلَةً لَاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْهَا وتَجْبِيبُ (٧)

---

(١) المرقب : المكان المرتفع . قلته : رأسه وماذهب منه صعداً . أشرفته : علوته . مسفراً : عندما أسفر الصبح . مهتابه : وجلة خائفة .

(٢) عزابه ، جمع عازب : البعيد .

(٣) معقلة : أى ركابهم مرتبطة معقولة .

(٤) زفزفة : جرى شديد كزفيف الريح . السوام : البهائم السائمة ، يعنى المطلقة فى المراعى . أربابه : أصحابه .

(٥) الغارة الشعواء : المعركة الحامية الوطيس المتفرقة الجنود فى نواحى الحى . الجرداء : الفرس قصيرة الشعر ، معروقة اللحيين : قليلة لحمهما . سرحوب : طويلة مشرفة ؛ زعم ابن يسعون أن هذا البيت لعمران بن إبراهيم الأنصارى .أقول : ولعل هذا الأنصارى أخذه من شعر امرىء القيس وأدخله فى شعره .

(٦) المغد : الدلو العظيمة .

(٧) التجبيب : ارتفاع البياض إلى جبب الفرس .

وِقافُهَا ضَرِمٌ وَجَرْيُهَا جَذِمٌ — وَلَحْمُهَا زِيَمٌ وَالبَطْنُ مَقْبُوبُ (١)

وَاليَدُ سَابِحَةٌ وَالرِّجْلُ ضَارِحَةٌ — وَالعَيْنُ قَادِحَةٌ وَالمَتْنُ سُلْحُوبُ (٢)

وَالمَاءُ مُنْهَمِرٌ وَالشَّدُّ مُنْحَدِرٌ — وَالقَصْبُ مُضْطَمِرٌ وَاللَّوْنُ غِرْبِيبُ (٣)

كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ المَاءُ وَاحْتَفَلَتْ — صَقْعَاءُ لَاحَ لَهَا بِالقَفْرَةِ الذِّيبُ (٤)

فَأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ فَوْقِ مَرْقَبَةٍ — وَدُونَ مَوْقِعِهَا مِنْهُ شَنَاخِيبُ (٥)

فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ فِى الجَوِّ كَاسِرَةً — يَحُثُّهَا مِنْ هُوِىِّ الرِّيحِ تَصْوِيبُ (٦)

صُبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنْصَبُّ مِنْ أَمَمٍ — إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الأَشْقَيْنَ مَصْبُوبُ (٧)

كَالدَّلْوِ بُتَّتْ عُرَاهَا وَهْىَ مُثْقَلَةٌ — إِذْ خَانَهَا وَذَمٌ مِنْهَا وَتَكْرِيبُ (٨)

لَا كَالَّتِى فِى هَوَاءِ الجَوِّ طَالِبَةً — وَلَا كَهَذَا الَّذِى فِى الأَرْضِ مَطْلُوبُ

كَالبَرْقِ وَالرِّيحِ فِى مَرْآهُمَا عَجَبٌ — مَا فِى اجْتِهَادٍ عَلَى الإِصْرَارِ تَعْيِيبُ

فَأَدْرَكَتْهُ فَنَالَتْهُ مَخَالِبُهَا — فَانْسَلَّ مِنْ تَحْتِهَا وَالدَّفُّ مَعْقُوبُ (٩)

---

(١) وقافها ضرم : وقفها نار . الجذم : السريع . زيم : فرق . مقبوب : مضمر

(٢) اليد سابحة : يعنى أنه إذا جرى ومد يديه فكأنه سابح فى الماء . ضارحة: نافحة. قادحة : غائرة . والمتن: الظهر : سلحوب : أملس قليل اللحم، ويروى : ملحوب يعنى مستو

(٣) القصب : الخصر . مضطمر : ضامر . غربيب : أسود كلون الغراب .

(٤) من هنا رواية الجاحظ للأبيات الآتية , وقد شك فى نسبتها إلى امرئ القيس ، وهو شك لا يعول عليه ، فالنسق واحد والموضوع مطرد . صقعاء : عقاب ذات صوت.

(٥) شناخيب : رؤس الجبال .

(٦) كاسرة : منقضة . تصويب : ارتفاع .

(٧) من أمم : من قرب .

(٨) الوذم : السيور بين آذان الدلو والعراق . وتكريب : انحل كربها .

(٩) الدف : الجنب . معقوب : مصاب بالعقب .

يَلوذُ بالصَّخرِ منها بعدما فَتَرَتْ ... منها ومنهُ على الصخرِ الشآبيبُ[1]

ثمَّ تَغاءَتْ بمتنِ الأرضِ تَفْرُه ... وباللسانِ وبالشدقينِ تتريبُ

فأخطأتهُ المنايا قيدَ أربعةٍ ... ولا تحرَّزَ إلا وهوَ مكثوبُ

يظلُّ منحجراً منها يُراقبها ... ويرقبُ الليلَ إنَّ الليلَ محجوبُ

والخيرُ ما طلعتْ شمسٌ وما غربتْ ... مُطلَّبٌ بنواصي الخيلِ معصوبُ[2]

٨

وقال لما بلغه قتل أبيه وهو يشرب :

خليليَّ ما في اليومِ مَصْحًى لشاربٍ ... ولا في غدٍ إذْ كانَ ما كانَ مشربُ[3]

٩

ويروى له هذا البيت :

ما ينكرُ الناسُ منَّا حينَ نملكُهُمْ ... كانوا عبيداً وكنَّا نحنُ أربابا[4]

١٠

ومن منحول ما يروى له قوله :

قالتِ الخنساءُ لمَّا جئتُها ... شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهبْ[5]

---

(١) الشآبيب : الماء .

(٢) وفي الحديث : الخير معقود بنواصي الخيل .

(٣) مصحى : صحو ، يريد ما في اليوم صحو ، ولا في غد سكر ، حتى أقتل قاتل أبي واشتفي بأخذ ثأري .

(٤) أرباب : سادة يملكون ؛ قال أحمد بن يحيى ثعلب : هذا أعجز بيت قالته العرب . وقد روى هذا البيت ابن رشيق صاحب العمدة .

(٥) اشتهب : صار أشهب الرأس . والشهبة بياض في سواد .

عَهِدَتْني نَاشِئًا ذَا غُرَّةٍ رَجِلَ الْجُمَّةِ ذَا بَطْنٍ أَقَبّْ (١)

أَتْبَعُ الوُلْدَانَ أُرْخِي مِئْزَرِي ابنَ عَشْرٍ ذَا قَرِيطٍ مِنْ ذَهَبْ (٢)

وهْيَ إذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِئْزَرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لُعَبْ (٣)

١١

وقال امرؤ القيس حين رأى امرأة تدفن إلى سفح عسيب الذى مات عنده :

أجارَتَنا إنَّ الخطُوبَ تَنُوبُ وإنِّى مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ (٤)

أجارَتَنا إنَّا غَرِيبَانِ هٰهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ (٥)

---

(١) رجل الجمة : مشط شعر الرأس . أقب : ضامر .

(٢) المئزر : ما يؤتزر به من ثوب ونحوه . ذا قريط : له قرط معلق فى أذنه من ذهب، وكان هذا شأن أبناء الملوك .

(٣) يعنى أنها كانت لاتزال فتاة صغيرة ولها بيت تضع فيه لعبها التى هى على صور الجوارى (عرايس) .

(٤) ذكر السيوطى أنه رأى فى كتاب مقاتل الفرسان لأبى عبيدة أن صخر بن عمرو أخا الخنساء لما أدركه الموت قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب علينا وكل المخطئين مصيب

أجارتنا لست الغداة بظاعن وإنى مقيم ما أقام عسيب

ومات ودفن بقرب عسيب . قال : فلعلهما توارداً ، قلت : إذا صح أن صخراً دفن بسفح عسيب فلعله تمثل بقول امرئ القيس مع بعض تغيير فى الألفاظ . وعسيب : اسم جبل يؤخذ من كلام امرئ القيس أنه قريب من أنقرة وما عرفنا أن صخراً مات هناك

(٥) يعنى أن الغريب نسيب الغريب ، لأن الغربة تجمع بينهما كما يجمع النسب بين المتباعدين فى القرابة .

فَإِنْ تَصِلِينَا فَالقَرَابَةُ بَيْنَنَا ... وإِنْ تَصْرِمِينَا فَالقَرِيبُ غَرِيبُ[1]

أَجَارَتَنَا مَافَاتَ لَيْسَ يَؤُوبُ ... ومَاهُوَ آتٍ فى الزَّمَانِ قَرِيبُ[2]

ولَيْسَ غَرِيبًا مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ ... ولَـكِنْ مَنْ وَارَى التُّرَابُ غَرِيبُ[3]

---

(١) روى ابن دريد فى شرح مقصورته هذا البيت هكذا :

فإن تصليني فالمودة بيننا ... وإن تبعديني فالمزار عصيب

وهو رواى البيتين التاليين :

(٢) ليس يؤوب : لن يعود .

(٣) تناءت : تباعدت ، ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب .

قافية التاء

١٢

وقال امرؤ القيس يصف الوحش وصيده له :

غَشِيتُ دِيارَ الحَىِّ بِالبَكَرَاتِ فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةِ العِيَرَاتِ (١)
فَغَوْلٍ فَحِلِّيتٍ فَأَكْنافِ مَنْعِجٍ إلى عاقِلٍ فَالجُبِّ ذِى الأَمَرَاتِ (٢)
ظَلِلْتُ رِدائِى فَوْقَ رَأْسِى قاعِدًا أَعُدُّ الحَصَى ما تَنْقَضِى عَبَرَاتِى (٣)
أَعِنِّى عَلَى التَّهْمامِ والذِّكَراتِ يَبِتْنَ عَلَى ذِى الهَمِّ مُعْتَكِراتِ (٤)
بِلَيْلِ التَّمامِ أَوْ وُصِلْنَ بِمِثْلِهِ مُقايَسَةً أَيَّامُها نَكِرَاتِ (٥)

---

(١) غشيت : نزلت وجئت . والبكرات ، جمع بكرة : مياه لبنى ذويبة من الضباب ، عندها جبال شمخ سود يقال لها البكرات . عارمة : ماء لبنى تميم بالرمل بحياله جبل لبنى عامر بنجد . برقة العيرات ، البرقة : البقعة التى يخالط حجارتها السود رمل أبيض ، والعيرات : الحمر الوحشية .

(٢) غول : ماء للضباب بجوف طخفة . وحليت : معدن عند جبال ضرية فيه ذهب . منعج : مكان فى جانب حمى ضرية . عاقل : مكان . الجب ، ويروى : الخبت ، موضع ؛ الأمرات . العلامات فى الطريق ترشد المسافر

(٣) يعنى أنه لما لم يجد فى ديار الحى مايريد ، وضع رداءه فوق رأسه وقعد مفكراً يعدّ الحصى ، ودموعه لاترقأ .

(٤) أعنى : ساعدنى وأسعفنى . التهمام : الهم . الذكرات : جمع ذكرة من التذكر . معتكرات : نازلات متتابعات .

(٥) ليل التمام : أطول ليالى العام . مقايسة : أى أن طول الليل فى قياس طول النهار . نكرات : شديدات ، لاتصال الهموم ليلا ونهاراً .

كأنّي ورِدْفِي والقِرَابَ ونُمْرُقِي ... على ظَهْرِ عَيْرٍ وارِدِ الخَبِرَاتِ (١)

أرَنَّ على حُقْبٍ حِيالٍ طَرُوقَةٍ ... كَذَوْدِ الأجِيرِ الأرْبَعِ الأشِرَاتِ (٢)

عَنِيفٍ بِتَجْمِيعِ الضَّرَائِرِ فَاحِشٍ ... شَتِيمٍ كَذَلْقِ الزُّجِّ ذِي ذَمَرَاتِ (٣)

وأكَّلْنَ بُهْمَى جَعْدَةً حَبَشِيَّةً ... ويَشْرَبْنَ بَرْدَ المَاءِ في السَّبَرَاتِ (٤)

فأوْرَدَهَا مَاءً قَلِيلاً أنِيسُــــهُ ... يُحَاذِرْنَ عَمْرًا صَاحِبَ القُتَرَاتِ (٥)

تَلُثُّ الحَصَى لَثًّا بِسُمْرٍ رَزِينَةٍ ... مَوَارِنَ لا كُزْمٍ ولا مَعِرَاتِ (٦)

ويُرْخِينَ أذْنَابًا كأنَّ فُرُوعَهَا ... عُرَى خِلَلٍ مَشْهُورَةٍ ضَفِرَاتِ (٧)

---

(١) الردف : ماردف خلف الراكب ؛ القراب : جفن السيف ، والنمرق : الوسادة ؛ العير : الحمار الوحشي ؛ الخبرات ، جمع خبرة ، وهو قاع يحبس الماء ، وينبت السدر ؛ ويروى : كأني ورحلي .

(٢) أرن : نهق ، يعني حمار الوحش ، الحقب : الأتن الوحشية البيض الأعجاز ، واحدتها حقباء . حيال : جمع حائل ، وهي التي لم تحمل في سنتها ؛ الطروقة : المستعدة للضراب . كذود الأجير . الذود ـ من الإبل بين الثلاث والعشر ، وقد حددها بالأربع . الأجير : الراعي المستأجر . الأشرات : القويات النشطات ، من الأشر ، وهو الشبع والري

(٣) عنيف ـ يعني حمار الوحش ـ شديد غير رفيق . الضرائر : يريد بها اتانه الاتن ليضرب فيها ، كأنهن ضرائر . فاحش : متجاوز الحد في عنفه . شتيم . كريه المنظر كذلق الزج : كحد الرمح الأسفل ؛ ذو ذمرات : صاحب زجر ودفع بشدة وعنف .

(٤) البهمى . نبت . جعدة : ندية . حبشية : شديدة الخضرة ، وهي لشدة خضرتها تضرب إلى السواد . السبرات : الغدوات الباردة .

(٥) عمرو : هو ابن الشيخ الدؤلي ، وكان من أرمى العرب . القترات ، جمع القترة : بيت الصائد الذي يختفي فيه لئلا يراه الوحش فينفر منه

(٦) تلث الحصى لثا . تسحقه سحقا وتخلطه خلطا . السمر : يريد بها الحوافر . رزينة : ثقيلة ؛ موارن : صلاب لا تعمل فيها الحجارة . لا كزم : غير قصار . ولا معرات : ولا ممروط شعورهن

(٧) يرخين : يسبلن . عرى خلل ؛ عرى جفون السيوف . مشهورة : كل جلد =

وعنسٍ كألواحِ الإرانِ نسأتُها عَلَى لاحِبٍ كالبُرْدِ ذِي الحِبَرَاتِ (١)

فغادرتُها من بَعْدِ بُدْنٍ رَذِيَّةً تَغَالَى عَلَى عُوجٍ لها كَدِنَاتِ (٢)

وأبيضَ كالمِخْرَاقِ بَلَّيْتُ حَدَّهُ وهَبَّتَهُ فِي السَّاقِ والقَصَرَاتِ (٣)

= منقوش ، رضفرات : مجدولات ؛ وهذا وصف لأذناب هاتيك الأتن .

(١) وعنس : ورب عنس أى ناقة قوية شديدة الأسر . الإران : خشب صلب كانت تتخذ منه توابيت الموتى . نسأتها : زجرتها وضربتها بالمنسأة وهى العصا ؛ اللاحب : الطريق الواضح ، البرد ذو الحبرات : الثياب اليمنية الموشاة .

(٢) فغادرتها : تركتها . البدن : البدانة والسمن . رذية : هزيلة . تغالى : تغلو جادة فى السير . العوج : يريد بها قوائمها المفتولات مع الصلابة . كدنات : غلاظ مع شدة وصلابة

(٣) وأبيض كالمخراق : يصف سيفه وينعته بالمخراق وهو المنديل يلوى ويضرب به - وهو من لعب الصبيان - وإنما شبه سيفه بالمخراق لخفته وسرعة استعماله فى الضرب فى الساق والقصرات : أى فى السوق والأعناق .

قافية الدال

١٣

قال امرؤ القيس يتوعد بنى أسد[1]:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ ... وَنَامَ الخَلِىُّ وَلَمْ تَرْقُدِ[2]

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِى العَائِرِ الأَرْمَدِ[3]

وَذَلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِى ... وَأُنْبِئْتُهُ عَنْ أَبِى الأَسْوَدِ[4]

وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِى ... وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ اليَدِ[5]

---

(١) اختلف فى هذا الشعر بين الرواة، فرواه الأصمعى وأبو عمرو الشيبانى وأبو عبيدة وابن الأعرابى والطوسى لامرئ القيس بن حجر الكندى . ورواه ابن دريد لامرئ القيس ابن عابس الكندى الصحابى . وقال ابن الكلبى : هو لعمرو بن معديكرب قاله فى قتله بنى مازن بأخيه عبدالله وإخراجهم عن بلادهم، ثم رجوعهم بعد ذلك ، وندم عمرو على قتالهم

(٢) تطاول ليلك : يخاطب نفسه بضمير الغير ويشكو طول السهر وكثرة السهاد . الأثمد ـ بضم الميم اسم موضع . والخلى : الخالى من الهموم وبواعثها .

(٣) باتت له ليلة : بات فى ليلة . العائر : المصاب فى عينه بالرمد .

(٤) أبو الأسود : رجل من كنانة يظهر أنه كان هجا امرئ القيس. وقال الشنقيطى فى حاشيته : إنه أبو الأسود الكندى . وهو ابن عم امرئ القيس من بنى الجون من كندة ، وكان زمانا ينازع امرأ القيس حقه فى الملك ، فواعده موضعا فالتقيا كل منهما فى كبكبة من أصحابه فشد أصحاب امرئ القيس على أصحاب أبى الأسود فهزموهم وكشفوهم، وشد امرؤ القيس على أبى الأسود فطعنه فأنفذ حضنيه فمات أبو الأسود وحصل الملك لامرئ القيس . ولم يذكر الشنقيطى مصدر هذا الخبر . وقد كان بلا شك كثير الاطلاع.

(٥) النثا : النبأ . وجرح اللسان كجرح اليد : هذا مثل صحيح ؛ يعنى أن فى الكلام ما يؤثر فى النفس أثر السلاح فى الجسم .

أَقُلْتُ مِنَ القَوْلِ مَا لاَ يَزَا ... لُ يُؤْثَرُ عَنِّي يَدَ المُسْنَدِ (١)

بِأَيِّ عَلاَقَتِنَا تَرْغَبُونَ ... أَعَنْ دَمِ عَمْرٍو عَلَى مَرْثَدِ (٢)

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نَخْفِهِ ... وإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ (٣)

وإِنْ تَقْتُلُونَا نُقَتِّلْكُمُ ... وإِنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ (٤)

مَتَى عَهْدُنَا بِطِعَانِ الكُمَا ... ةِ والمَجْدِ والحَمْدِ والسُّؤْدُدِ (٥)

وَبَنْيِ القِبَابِ ومَلْءِ الجِفَانِ ... والنَّارِ والحَطَبِ المُفْأَدِ (٦)

وأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ وَثَّابَةً ... جَوَادَ المَحَثَّةِ والمُرْوَدِ (٧)

سَبُوحًا جَمُوحًا وإِحْضَارُهَا ... كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ المُوقَدِ (٨)

ومُطَّرِدًا كَرِشَاءِ الجَرُو ... رِ مِنْ خُرُبِ النَّخْلَةِ الأَجْرَدِ (٩)

---

(١) يؤثر : يروى . يد المسند : يد الدهر وأبد الدهر .

(٢) العلاقة : ماتعلقوا به من طلب الترات والطوائل ؛ ومرثد : رجل من حمير يقول أترغبون عن دم عمرو بدم مرثد ؟ وهو ليس له بكفء .

(٣) لانخفه : لانظهره ، يعنى إن دفنتم ما بيننا من إحن فنحن لانثيرها ، وإن تبعثوا الحرب لانقعد عنها بل نخوض غمراتها لأن خفاه هنا بمعنى أظهره ، وهي غير أخفاه بمعنى ستره .

(٤) وإن تقصدوا لدم نقصد : وإن أردتم حقن الدماء فيما بيننا فلا نخالفكم فى ذلك بل نقصد إليه ونؤثره على غيره .

(٥) الكماة : جمع كمىّ : وهو الشجاع التام السلاح .

(٦) المفأد : عود تحرك به النار ، ويروى : والحطب الموقد .

(٧) الوثابة : الفرس النشطة المرحة الجيدة الوثب . جواد المحثة : يعنى إذا حثت جاد سيرها . المرود : الرفق فى السير .

(٨) السبوح : الفرس التى متى جرت وفتحت ضبعيها كانت كأنها تسبح بيديها . الجموح : الذاهبة على وجهها مرحا ونشاطا . الإحضار : ضرب من السير السريع . المعمعة : صوت الحريق فى سعف النخل الموقد .

(٩) المطرد : الرمح المستوى الكعوب . الرشاء : الحبل . الجرور : الفرس الذى

وذَا شُطَبٍ غَامِضًا كَلْمُهُ ... إذَا صَابَ بِالعَظْمِ لَمْ يَنْأدِ (١)
ومَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةً ... تَضَاءَلُ فِى الطَّىِّ كَالمِبْرَدِ (٢)
تَفِيضُ عَلَى المَرْءِ أَرْدَانُهَا ... كَفَيْضِ الأَتِىِّ عَلَى الجَدْجَدِ (٣)

١٤

وقال امرؤ القيس وهو بأرض الروم :

أَلا أَبْلِغْ بَنِى حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو ... وأَبْلِغْ ذَلِكَ الحَىَّ الجَدِيدَا (٤)
بِأَنِّى قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... بَعِيدًا مِنْ دِيَارِكُمُ بَعِيـــدَا (٥)
ولَوْ أَنِّى هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمِى ... لَقُلْتُ المَوْتُ حَقٌّ لا خُلُودَا (٦)

= يمتنع من القياد ، يعنى أن هذا الرمح فى استوائه كالحبل شد بين الفرس الحرون عن القياد وبين قائده . خلب النخلة : سعفها . الأجرد : الذى لا خوص فيه .

(١) ذو الشطب : السيف المشطب . غامضاً كلمه : بعيد غور جرحه . لم ينأد : لم ينثن ولم يلتو ، بل يقد العظام قداً .

(٢) مشدودة السك : الدرع المسرودة المنظومة المتداخل بعضها فى بعض ويروى : ومسرودة السك تضاءل فى الطىّ : تصغر إذا طويت وتلطف حتى تصير كالمبرد ويروى : ومسرودة النسج .

(٣) تفيض : تغطى وتغمر . أردانها : ذيولها وأطرافها . الأتى : السيل الجارف . الجدجد : الأرض الصلبة القوية .

(٤) بنو حجر : قوم امرئ القيس ورهطه الأدنين . الجديد المقطوع ، ويروى الحديد ، وهو القوى الشديد

(٥) هلكت : يريد أوشكت على الهلاك .

(٦) يعنى لو كان هلاكه حدث بين عشيرته وأهله لآمن بأن الموت حق وأن لا خلود فى هذه الحياة . على أنه لا بقاء ولا خلود سواء أكان بين أهله أم كان بعيداً عنهم

أُعَالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كُلَّ يَوْمٍ ... وأَجْدِرْ بِالْمَنِيَّةِ أَنْ تَقُودَا [(١)]

بِأَرْضِ الرُّومِ لَا نَسَبٌ قَرِيبٌ ... وَلَا شَافٍ فَيُسْنِدَ أَوْ يَعُودَا [(٢)]

وَلَوْ صَادَفْتُهُنَّ عَلَى أُسَيْسٍ ... وَحَاقَةَ إِذْ وَرَدْنَ بِنَا وُرُودَا [(٣)]

عَلَى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ ... أَزِمَّتُهُنَّ مَا يَعْدِقْنَ عُودَا [(٤)]

١٥

وقال امرؤ القيس ، وهو من أول شعره : [(٥)]

أَذُودُ الْقَوَافِيَ عَنِّي ذِيَادَا ... ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيءٍ جَوَادَا [(٦)]

فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَنَّيْنَــــهُ ... تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا جِيَادَا [(٧)]

---

(١) أعالج : أحاول وأطلب . أجدر : أولى . أن تقود : أن تذهب بي إلى حيث المصير الذي صار اليه آبائي وأجدادي ، ويروى : وأجدر بالمنية أن تعودا .

(٢) ويروى : بأرض الشام ، ولا فرق فقد كانت الشام في ملك الروم ، يعني لا قريب له يعوله في حاله ويساعده على شأنه ، ولا طبيب يعوده في مرضه ويشفيه مما ألم به .

(٣) ولو صادفتهن ، ويروى : واقعتهن ، يريد النوق . أسيس : وحاقة : موضعان بالشام .

(٤) القلص ، جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة . ما يعدقن : ما يجمعن .

(٥) ذكر ابن الكلبي أن هذه الابيات لامرئ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية الكندي ، وبهذا أخذ الآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف . وقال غيره : إنها لامرئ القيس بن عابس الكندي . قال الآمدي : وبهذه الابيات سمي امرؤ القيس بن بكر الذائد ؛ ورواها غير هؤلاء لامرئ القيس بن حجر .

(٦) أذود : أدفع . القوافي : يريد بها قوافي الشعر أو القصائد نفسها . جريء ، ويروى : سفي ، والسفي : السفيه والخفيف أيضاً ، وإليه يرجع اشتقاقه . جواد : كريم ، ويروى : جراد .

(٧) عنينه : تهافتن عليه وكثرن حتى حار في أمرهن ولاقى العناء منهن فلا يدري ماذا يأخذ وماذا يرد . ستاً جياداً : ست قصائد جيدة .

فَأَعْزِلُ مَرْجَانَهَا جَانِبًا ... وَآخُذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا [(١)]

١٦

وقال امرؤ القيس :

لِلّهِ زُبْدَانَ أَمْسَى قَرْقَرًا جَلَدَا ... وَكَانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمّ مَنْضُودَا [(٢)]

لا يَفْقَهُ الْقَوْمُ فِيهِ كُلَّ مَنْطِقِهِمْ ... إِلَّا سِرَارًا تَخَالُ الصَّوْتَ مَرْدُودَا [(٣)]

قَامَتْ رَقَاشُ وَأَصْحَابِي عَلَى عَجَلٍ ... تُبْدِي لَكَ النَّحْرَ وَاللَّبَّاتِ وَالْجِيدَا [(٤)]

١٧

وقال وهو عند قيصر يذكر ابنته هند :

أَأَذْكَرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا ... فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْبًا عَمِيدَا [(٥)]

تَذَكَّرْتُ هِنْـــدًا وَأَتْرَابَهَـــا ... فَأَصْبَحْتُ أَزْمَعْتُ مِنْهَا صُدُودَا [(٦)]

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ ... فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا [(٧)]

إِذَا مَا ازْدَحَمْنَا عَلَى سِكَّةٍ ... سَبَقْتُ الْفُرَانِقَ سَبْقًا شَدِيدَا [(٨)]

---

(٦) المرجان : صغار الدرّ .

(٧) زبدان : يريد به الزبدانى ، وهى كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك منها مخرج نهر دمشق ؛ قرقر جلداً : ظهر تراكب عليه الجليد . وهذا البيت وصف للنهر خاصة

(١) السرار : الخفوت .

(٢) رقاش : اسم امرأة .

(٣) القلب العميد : الذى عمده الحب وأمرضه .

(٤) أزمعت : توقعت منها الصدّ والهجران .

(٥) أوجهنى : جعلنى عنده وجيها . ويروى : فأرحبنى ، يعنى أنزلنى فى مكان رحب وركبت البريد : يريد خيل البريد . وهذا دليل العناية به والحفاوة بشأنه .

(٦) الفرانق : قالوا إنه حيوان يتقدم الأسد ، وقالوا إنه الأسد نفسه .

١٨

وقال يمدح ابنى زهير من بنى سلامان بن ثعل :

أَرَى إِبِلِي والحَمْدُ لِلهِ أَصْبَحَتْ   ثِقَالاً إِذَا مَا اسْتَقْبَلَتْهَا صُعُودُهَا [١]

رَعَتْ بِحِيَالِ ابْنَيْ زُهَيْرٍ كِلَيْهِمَا   مَعَاشِيبَ حَتَّى ضَاقَ عَنْهَا جُلُودُهَا [٢]

١٩

وقال امرؤ القيس :

وَلَقَدْ رَحَلْتُ العِيسَ ثُمَّ زَجَرْتُهَا   وَهْنًا وقُلْتُ عَلَيْكِ خَيْرَ مَعَدِّ [٣]

فَعَلَيْكِ سَعْدَ بْنَ الضِّبَابِ فَأَسْرِعِي   سَيْرًا إِلَى سَعْدٍ عَلَيْكِ بِسَعْدِ [٤]

قَرْمٍ تَفَرَّعَ مِنْ إِيَادٍ بَيْتُهُ   بَيْنَ النَّبِيتِ الأَكْرَمِينَ وَسَرْدِ [٥]

---

(١) ثقالا : يريد سماناً . أو ثقالا بما حملت من الخيرات

(٢) بحيال : بكنف . ابنا زهير هما : قيس وشمر . معاشيب : كثير عشبها . حتى ضاق عنها جلودها : يريد أن إبله لكثرة سمنها كادت جلودها تضيق عنها .

(٣) روى سيبويه هذا البيت له . العيس : الإبل العيساء أى المائلة ألوانها إلى الحمرة . وهنا : يعنى من أول الليل . خير معد : أى خير العرب كلها من أبناء معد بن عدنان.

(٤) ويروى : وعليك سعد بن الضباب فسمحى . قال ابن سيده : كان ابن جنى ينشد هذا البيت هكذا ويفتح الضاد من الضباب ؛ وإذاً فعلينا أن نرويه بالفتح ، وبالكسر على رأى الآخرين .

(٥) القرم السيد العظيم . النبيت وسرد : من قبائل إياد . وروى له هذه الأبيات الثلاثة ابن عساكر فى تاريخه .

٣٠

ويروى له :

تراءتْ لَنا بَيْنَ النّقا وعُنَيْزَةٍ ... وبَيْنَ الشَّجى مِمّا أحالَ على الوادِي [1]

---

(١) قال ياقوت فى معجمه : إن الحجاج أنشد هذا البيت لامرئ القيس . وكان الحجاج بعث رجلا يحفر مجرى للمياه بين البصرة ومكة وقال له : احفر بين عنيزة والشجى حيث تراءت للملك الضليل ، والله ماتراءت له إلا على الماء . والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة . وعنيزة : ثنية تنتهى مياه الأودية إليها . وهى ببطن الرمة على ميل من القريتين ، وكانت لبنى عامر بن كريز . والشجى : مفازة لانبت فيها . وقد أدخل بعض الأعراب الألف واللام على عنيزة فقال :

لعمرى لضب بالعنيزة صائف ... تضحى عراداً فهو ينفخ كالقرم

أحب إلينا أن يجاور أهلها ... من السمك الجرىّ والسلجم الوخم

قافيــــة الراء

٢١

وقال امرؤ القيس، فى توجهه إلى قيصر ملك الروم مستنجداً به على ردّ ملكه إليه، والانتقام من بنى أسد :

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كانَ أَقْصَرَا ... وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا [1]

كِنَانِيَّةٌ بَانَتْ وفِى الصَّدْرِ وُدُّهَا ... مُجَاوِرَةً غَسَّانَ والحَىَّ يَعْمُرَا [2]

بِعَيْنَىَّ ظُعْنُ الحَىِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى جَانِبِ الأَفْلاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمُرَا [3]

---

(١) سما : علا وتزيد . أقصر : ترك وارعوى . وحلت : نزلت . قو : واد بجزيرة العرب يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو . قال الجوهرى : قو بين فيد والنباج واستشهد ببيت امرئ القيس . وعرعر : واد آخر يظهر أنه قريب من قو . ويروى : سمالك .

(٢) كنانية : هى سليمى التى ذكرها فى البيت الأول ، وكانت من بنى كنانة ، وبنى كنانة قبيلة مضرية . بانت : بعدت . وفى الصدر ودها : وحبها لا يزال يملأ الصدر ويشغل البال . غسان : اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن الغوث وبنو جفنة وخزاعة فسموا به ، وإليه ينسب الغساسنة ملوك الشام . ويعمر : قبيلة من قبائل كنانة . ويروى : مجاورة نعمان ، وهو جبل مشرف على عرفات .

(٣) بعينى : يقول : بمرأى منى ومنظر كان ظعنهم . الظعن : الهوادج تحمل النساء ، والظعن الرحيل . الأفلاج : جمع فلج ، والفلج كما قال أبو منصور : اسم بلد ؛ ومنه قيل لطريق تأخذ من البصرة إلى اليمامة ، طريق بطن فلج ، وأنشد للأشهب « ابن رميلة » :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا (١)

أَوِ المُكْرِعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلِينَ المُشَقَّرَا (٢)

سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ وَعَالَيْنَ قِنْوَانًا مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا (٣)

= هم ساعد الدهر الذى يتقى به وما خير كف لاتنوء بساعد

وقيمر : مكان به قلعة بين الموصل وخلاط ، أو هي مدينة بالشام كانت ، ويروى: بعينيك

(١) الآل : السراب يرى فى أول النهار عند ارتفاع الضحى كأنه الماء . تكمشوا: أخذوا فى سيرهم وجدّوا فيه ، ويروى : حين زهاهم . حدائق دوم : شبهم بالحدائق المملوءة بشجر الدوم وهو المقل . أو السفين المقير ، وهو المطلى بالقار: يعنى الزفت ، ويروى : عصائب دوم .

(٢) المكرعات من النخل : أى النخل النابت على الماء . ابن يامن : اسم رجل كان له نخيل بهجر . المشقر ، قال ابن الفقيه : هو حصن بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسم ، وهو على تل عال ، ويقابله حصن بنى سدوس . وقال غيره : المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس ، يلى حصناً لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر . وقال يزيد بن مفروغ يهجو المنذر بن الجارود العبدى ، وكان أجاره فلم يحسن جواره :

تركت قريشاً أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر

أناس أجارونا فكان جوارهم أعاصير من فسو العراق المبذر

فهلا بنى اللفاء كنتم بنى استها فعلتم فعال العامرى ابن جعفر

حمى جاره بشر بن عمرو بن مرثد بألف كمىّ فى الحديد مكفر

وخاض حياض الموت من دون جاره كهولا وشباناً بجنـــة عبقر

وأداه موفوراً وقد جمعت له كتائب خضر للهمام ابن منذر

(٣) سوامق : عاليات . الجبار من النخل : الفتى وهو الذى فات الأيدى فلم تنله . والأثيث : الملتف بعضه على بعض . وعالين : رفعن . قنوان : عذق . البسر : ما احمر من التمر . ويروى :

فأثت أعاليه وآدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمرا

كل هذا تشبيه للظعن وهى سائرة بهذه النخيل وهى ظاهرة متناوحة .

حَمَتْهُ بنو الرَّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِنٍ ... بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أَقَرَّ وأَوقَرَا (١)

وأَرْضَى بَنِي الرَّبْدَاءِ واعْتَمَّ زَهْرُهُ ... وأَكْمَامُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَهَصَّرَا (٢)

أَطَافَتْ بِهِ جَيْلَانُ عِنْدَ قِطَاعِهِ ... تَرَدَّدُ فِيهِ العَيْنُ حَتَّى تَحَيَّرَا (٣)

كَأَنَّ دُمَى سُقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ ... كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشْيًا مُصَوَّرَا (٤)

غَرَائِرُ فِي كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنِعْمَةٍ ... يُحَلَّيْنَ يَاقُوتًا وشَذْرًا مُفَقَّرَا (٥)

ورِيحَ سَنًا فِي حُقَّةٍ حِمْيَرِيَّةٍ ... تُخَصُّ بِمَفْرُوكٍ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا (٦)

---

(١) حمته : منعته . يعنى هذا النخل الجبار . بنو الربداء : قوم كانوا فى شق البحرين لهم بصر بالنخيل ومعرفة بغراسه واستغلاله . أقر : استقر . وأوقر : حمل ثمراً كثيراً جيداً .

(٢) اعتم زهره : بدا وطال وصلح بسره . ويروى : واعتم زهوه . وأكمامه : أقماعه . وتهصر : تدلى وطلب أن يهصر أى يجنى وتقلع أعذاقه .

(٣) أطافت به : اكتنفته وأحاطت به . جيلان : قوم من الديلم كان كسرى يرسلهم عمالا له على البحرين . عند قطاعه : وقت انصرامه . تردد فيه العين : تكر عليه العين مرة بعد مرة ، وهى عين ماء البحرين : قال أبو منصور : عين فوارة بالبحرين وما رأيت عيناً أكثر ماء منها ، وماؤها حار فى منبعها فإذا برد فهو ماء عذب . وقال ابن الكلبي : محلم ، الذى تنسب إليه هذه العين ، ابن عبد الله زوج هجر بنت المكفف من الجرامقة . ويروى : وردت عليه الماء حتى تحيرا .

(٤) الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة من رخام أو خشب أو نحو ذلك . سقف : جبل بديار طيئ . يظهر أنه كانت به تماثيل قديمة وصفها امرئ القيس بالدمى . المرمر : ضرب من عالى الرخام . مزبد : علاه الزبد . الساجوم : واد بجزيرة العرب . ولم يذكره ياقوت فى معجمه . الوشى : الثياب المحلاة بالوشى ، وفيها صور طيور وغيرها

(٥) غرائر : غوافل لا تجربة لهن . الكن : ما يكنهن ويحفظهن ويصونهن . الشذر : قطع الذهب . مفقر : مصوغ على شكل فقار الجرادة .

(٦) السنا : نبت ذو رائحة زكية ، وقد يتخذ للتداوى . الحقة : علبة من خشب أو =

وَبَانًا وَأُلْوِيًّا مِنَ الْهِنْدِ ذَاكِيًا ... وَرَنْدًا وَلُبْنَى وَالْكِبَاءَ الْمُقَتَّرَا (١)

غَلِقْنَ بِرَهْنٍ مِنْ حَبِيبٍ بِهِ ادَّعَتْ ... سُلَيْمَى فَأَمْسَى حَبْلُهَا قَدْ تَبَتَّرَا (٢)

وَكَانَ لَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ خُلَّةٌ ... يُسَارِقُ بِالطَّرْفِ الْخِبَاءَ الْمُسَتَّرَا (٣)

إِذَا نَالَ مِنْهَا نَظْرَةً رِيعَ قَلْبُهُ ... كَمَا ذَعَرَتْ كَأْسُ الصَّبُوحِ الْمُخَمَّرَا (٤)

نَزِيفٌ إِذَا قَامَتْ لِوَجْهٍ تَمَايَلَتْ ... تُرَاشِي الْفُؤَادَ الرَّخْصَ إِلَّا تَخَتُّرَا (٥)

أَأَسْمَاءُ أَمْسَى وُدُّهَا قَدْ تَغَيَّرَا ... سَنُبْدِلُ إِنْ أَبْدَلْتِ بِالْوُدِّ آخَرَا (٦)

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... بِأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا (٧)

= نحوه . حميرية : مما يصنع ملوك حمير باليمن . المفروك . المسك الجيد يفرك ويوضع في هذه الحقة . الأذفر : صفة للمسك وهو الشديد الرائحة ، الطيب النكهة .

(١) البان : شجر طيب دهن الثمر . الألوى : العود . الرند : شجر طيب الثمر زكى الرائحة . واللبنى : الميعة . والكباء : البخور . المقتر : المدخن .

(٢) غلق الرهن : حل موعده وتعذر فكاكه . حبلها : يريد وصالها . تبتر : تقطع .

(٣) الخلة : الصحبة بخليل يعنى نفسه . يسارق : يخالس . الخباء المستر : المكان الذى تقيم فيه وعليه الستر .

(٤) ريع قلبه : فزع وذعر وخفق بحبها . الصبوح : شرب الخمر بالغداة . المخمر : الذى رنحه الخمر وأصابه بالخمار .

(٥) نزيف : نشوى . تراشي الفؤاد : ترميه بنظرها . التختر : التخدر والخداع

(٦) سنبدل : سنتخذ بدلا منك إن اتخذت بدلا منا .

(٧) قيل إن أم امرئ القيس هى تملك بنت عمرو بن معديكرب . وهو غير عمرو الزبيدى المشهور . وهى التى عناها بهذا البيت ؛ وقيل إنها أم أحد أجداده وإليها كانوا ينسبون . بيقر : قال الجوهرى : أقام بالحضر وترك قومه بالبادية .

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ ... عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرِّكَابِ وَأَوْجَرَا (١)
فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ وَالآلُ دُونَهَا ... نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا (٢)
تَقَطَّعُ أَسْبَابُ اللُّبَانَةِ وَالهَوَى ... عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا (٣)
بِسَيْرٍ يَضِجُّ العَوْدُ مِنْهُ يَمُنُّهُ ... أَخُو الجَهْدِ لَا يَلْوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا (٤)
وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَائِنًا ... وَخَمْلاً لَهَا كَالقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرَا (٥)
كَأَثْلٍ مِنَ الأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ بِيشَةٍ ... وَدُونَ الغُمَيْمِ عَامِدَاتٍ بِغَضْوَرَا (٦)
فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا (٧)

(١) خملى وأوجر : موضعان . ويروى : على حمل بنا الركاب وأعفرا . ويروى على جمل منا

(٢) حوران : كورة واسعة فى جنوب دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وقصبتها بصرى . والآن قصبتها تسمى السويداء . وما زالت منازل العرب، وبها الآن فرقة الدروز وهم من أنبه عرب الشام ذكراً وأشجعهم قلباً . الآل : السراب ؛ ويروى : فلما بدا حوران والآل دونه ، يريد الجبل .

(٣) حماة وشيزر : مدينتان شهيرتان من مدن الشام .

(٤) العود: الجمل المسن . يمنه : يضعفه . أخو الجهد . يريد نفسه وهو السائق المجد الشديد الدفع . لايلوى : لايلتفت ولايميل . تعذر : امتناع . ويروى :

عشية جاوزنا حماة وشيزرا ... أخو الجهد لايلوى على من تعذرا

(٥) الظعائن : النساء فى الهوادج . الخمل : الظعينة . والقر : الهودج . المخدر : المقيم فى الخدر .

(٦) الأثل : شجر معروف . الأعراض : الأودية بيشة : مكان مشهور بكثرة السباع . الغميم : واد بديار حنظلة . ويروى :

عوامد الأعراض من بطن شابة ... ودون الغميم قاصدات لغضورا

(٧) الجسرة : الناقة القوية على السير . الذمول : السريعة صام النهار : قامت الظهيرة . وهجر : حميت الهاجرة واشتد حرها . ويروى قدعها

تُقَطِّعُ غِيطَانًا كَأَنَّ مُتُونَهَا إِذَا أَظْهَرَتْ تُكْسَى مُلَاءً مُنَشَّرَا (١)
بَعِيدَةُ بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ كَأَنَّمَا تَرَى عِنْدَ مَجْرَى الضَّفْرِ هِرًّا مُشَجَّرَا (٢)
تُطَايِرُ ظِرَّانَ الحَصَى بِمَنَاسِمٍ صِلَابِ العُجَى مَلْثُومُهَا غَيْرُ أَمْعَرَا (٣)
كَأَنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ رِجْلُهَا حَذْفُ أَعْسَرَا (٤)
كَأَنَّ صَلِيلَ المَرْوِ حِينَ تُشِذُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا (٥)
عَلَيْهَا فَتًى لَمْ تَحْمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا (٦)
هُوَ المُنْزِلُ الآلَافَ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ بَنِي أَسَدٍ حَزْنًا مِنَ الأَرْضِ أَوْعَرَا (٧)

---

(١) الغيطان : الأرض المطمئنة . متونها : ظهورها . وأظهرت : دخلت في وقت الظهيرة . الملاء المنشر : الثوب المبسوط

(٢) المنكب : رأس العضد . الضفر : حبل يفتل من شعر وهو من أطناب الهودج . الهر : القط ؛ مشجر : مربوط معلق

(٣) الظران : قطع الحجارة المحددة . العجى ، جمع عجاية ؛ وهي كما قال الأصمعي : قدر مضغة تكون موصولة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن . الملثوم : الخف الذي ثلمته الحجارة والحصى . غير أمعر : لم يذهب شعره . ويروى : تطاير شذان

(٤) نجلته . رمته بمناسمها . الحذف : الرمي ؛ الأعسر : الذي يعمل بيده اليسرى فهو إذا حذف بها فقلما أصاب ، ويقال لمن يعمل بكلتا يديه : أعسر يسر

(٥) صليل المرو . صوت الحجارة . تشذه : تطيره . الزيوف : الدراهم الزائفة التي لا فضة فيها . عبقر : واد زعموا أنه كثير الجن ، وإليه تنسب نفائس الأشياء وبدائع الفكر ، فيقال : هذا بساط عبقري : وهذا رأي عبقري ، وهذا رجل عبقري ، وذلك لكل حسن مستجاد ويروى ؛ حين تطيره

(٦) الفتى ؛ يريد به نفسه . الميثاق ؛ العهد يستوثق فيه بالوفاء ، ويروى ؛ وأبصرا

(٧) الآلاف ؛ القصاد الذين يؤمونه لإلفهم الإحسان به . ناعط ؛ جبل باليمن برأسه حصن قديم كان لبعض الأذواء قرب عدن قال وهب : قرأنا على حجر في

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الْغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ ... وَلَكِنَّهُ عَمْداً إِلَى الرُّومِ أَنْفَرَا (١)

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا (٢)

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا (٣)

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً ... بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزْوَرَا (٤)

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ ... إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النُّبَاطِيُّ جَرْجَرَا (٥)

= قصر ناعط : بنى هذا القصر سنة كانت مبرتنا من مصر . قال وهب : فإذا ذلك أكثر من ألف وستمائة سنة . الحزن : الأرض الصعبة المسالك . أوعر ، من الوعورة : وهي الشدة والصعوبة . وبنى أسد : منادى مضاف . فكأنه يقول : عليكم يا بنى أسد بالنزول بالأرض الغليظة الخشنة ذات الوعورة . وهو وعيد وتهديد لبنى أسد

(١) العمد القصد . أنفر : أغزا ، يقول إنه لو شاء لغزا بنى أسد بجموع من أرض حمير ، ولكنه آثر أن يغزوهم بجيوش من أرض الروم تنكيلا بهم وتسويئاً لسمعتهم

(٢) لما قصد امرؤ القيس أرض الروم مستنجداً القيصر على بنى أسد ورد ملك أبيه إليه صحب معه عمرو بن قميئة ، وكان من أقدم شعراء بكر ومن أفواهم عارضة ، وشعره جيد حسن . قال وهو مع امرئ القيس ، وقد بكت بنته فبكى لبكائها :

سألتنى بنت عمرو عن الأر ... ض إذ تنكر أعلامها

لما رأت ساتيد ما استعبرت ... لله در اليوم من لامها

تذكرت أرضا بها أهلها ... أخوالها فيها وأعمامها

فقال امرؤ القيس : « بكى صاحبي » . . . ومات عمرو فى هذه الرحلة فقيل له : عمرو الضائع . والدرب : المدخل إلى أرض الروم

(٣) يقول : نحن نطلب الملك فإن بلغنا أربنا منه وإلا ألححنا فى الطلب حتى نموت دونه ، وفى هذا أشرف العذر لنا

(٤) زعيم : كفيل . إن رجعت مملكا : إن عاد لى ملكى بعد هذه الرحلة . الفرانق : الأسد . أزور : مائل العنق . ويروى : وإنى أذين

(٥) اللاحب : الطريق الواضح . لا يهتدى بمناره : يعنى ليس له منار يهتدى به . والمنار : العلامة توضع على الطريق لإرشاد المسافرين . سافه : شمه . العود النباطى :

عَلَى كُلِّ مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ ... بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا (١)

أَقَبَّ كَسِرْحَانِ الْغَضَى مُتَمَطِّرٍ ... تَرَى الْمَاءَ مِنْ أَعْطَافِهِ قَدْ تَحَدَّرَا (٢)

إِذَا زُعْتَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ كِلَيْهِمَا ... مَشَى الْهَيْدَبَى فِي دَفِّهِ ثُمَّ فَرْفَرَا (٣)

إِذَا قُلْتُ رَوَّحْنَا أَرَنَّ فُرَانِقٌ ... عَلَى جَلْعَدٍ وَاهِي الْأَبَاجِلِ أَبْتَرَا (٤)

لَقَدْ أَنْكَرَتْنِي بَعْلَبَكُّ وَأَهْلُهَا ... وَلَابْنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمْصَ أَنْكَرَا (٥)

نَشِيمُ بُرُوقَ الْمُزْنِ أَيْنَ مَصَابُهُ ... وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكِ يَا ابْنَةَ عَفْزَرَا (٦)

الجمل المسن الضخم . جرجر : رغا وضج . ويروى : على ظهر عادى تحار به القطا .

(١) مقصوص الذنابى : محذوف الذيل ، وقد كانت العادة عندهم أن تحذف أذناب خيل البريد ليكون ذلك علامة لها . معاود : معتاد السير . بريد السرى : رسول الليل ، والسرى لا يكون إلا ليلا . وبربر : قبيلة كانت معروفة بالقيام على خيل البريد .

(٢) أقب : ضامر . والسرحان : الذئب . والغضى : شجر تأوى إليه الوحوش . وذئاب الغضى أخبث الذئاب . متمطر : سابق . أعطافه : نواحيه ويريد بالماء : العرق

(٣) زعته : جذبته بلجامه ، الهيدبى : ضرب من المشى السريع . دفه : جنبه : فرفر أنغض رأسه ، ويروى : الهيذبى ، والهربذى . ويروى : قرقرا ، ويروى : إذا راعه

(٤) روحنا : سرعنا وأرحنا من عناء السير . أرن فرانق : صاح أسد . الجلعد : القوى الغليظ : واهى الأباجل : ممتد عروق الأكحل وابتر : محذوف الذنب ، ويروى : على هزج .

(٥) بعلبك : مدينة معروفة من مدن الشام . أنكرتنى : لم يعرف فيها قدرى كما لم يعرف قدرى ابن جريج فى قرى حمص التى مررت بها . وفى رواية أبى سعيد السكرى : وابن جريج كان فى حمص أنكرا .

(٦) نشيم : تنظر . بروق المزن : لمعان البرق فى السحاب ، لأنه يعقبه المطر . أين مصابه : أين يقع مطره ، فلعله يقع فى ديار الأحباب فتستريح النفس وتشفى من الوجد، على أنه لا شىء يشفى من الشوق والحنين إليك يا ابنة عفزر : وهى امرأة كان يهواها

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَّرَا (١)

لَهُ الوَيْلُ إِنْ أَمْسَى وَلَا أُمُّ هَاشِمٍ ... قَرِيبٌ وَلَا البَسْبَاسَةُ ابْنَةُ يَشْكُرَا (٢)

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو دَمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا ... بُكَاءً عَلَى عَمْرٍو وَمَا كَانَ أَصْبَرَا (٣)

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ... وَرَاءَ الحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصَرَا (٤)

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ ... وَقَرَّتْ لَهُ العَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا (٥)

كَذَلِكَ جَدِّي مَا أُصَاحِبُ صَاحِبًا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا (٦)

= فيمن هوى من النساء ، ويروى : أشيم مصاب المزن

(١) ثم وصف ابنة عفزر هذه فقال : من القاصرات الطرف : يعني أنها ممن قصرت أعينهن عن النظر إلى من ليس لهن من الرجال ، ويظهر أنها كانت زوجه ، أو هو جعلها قد اختصته بنفسها دون سواه . لو دب محول من الذر : لو مشى الذر الصغير جدا على الإتب : القميص غير المخيط الجانبين الذى كانت تلبسه لأثر فى جسمها . وهذا نهاية فى الرقة واللطف ، وهو دليل على أنها نشأت فى نعمة ورفاهية

(٢) له الويل : له الشقاء والحزن الطويل ، يعنى نفسه . وأم هاشم : كنية ابنة عفزر . البسباسة ابنة يشكر : امرأة أخرى من صواحباته

(٣) أم عمرو : هى ما أرى ابنة عمرو بن قميئة الشاعر وصاحبه فى السفر ، وهى التى بكت لبعد الشقة ولتشوقها إلى ديار أهلها فبكى لبكائها عمرو أبوها لما رأى من طول السفر فى دروب الروم فقال امرؤ القيس « بكى صاحبى » . تحدر : انصب . وما كان أصبرا : أى لم أجد أصبر من ابنته على سلوك الدروب ، وعلى فراق الأهل

(٤) الحساء : جمع حسى : الأماكن السهلة المنخفضة التى يستنقع فيها الماء . مدافع قيصر : مسالحه التى على حدود بلاده المعدة لحمايتها والدفاع عنها

(٥) يقول : إن الدهر لا يبقى لى على صاحب أرتضيه ، ولهذا فأنا أزال فى استبدال الأصحاب واختيار أكثرهم موافقة لى ، وليس هذا إلا من معاكسة الدهر له

(٦) كذلك جدى : هكذا حظى . فلا أختار صاحباً وأجعله موضع ثقتى وراحة نفسى إلا خاننى وتغير على

وكُنّا أُناساً قبلَ غزوةِ قَرمَلٍ ... وَرِثْنا الغِنَى والمَجدَ أكبَرَ أكبرا [1]

ومَا جُبُنَتْ خيلي ولكن تذكَّرتْ ... مَرابِطَها مِنْ بَرْبَعِيصَ ومَيْسَرا [2]

ألا رُبَّ يومٍ صالحٍ قد شهِدتُهُ ... بتاذِفَ ذاتِ التَّلِّ مِنْ فوقِ طَرْطَرا [3]

ولا مِثلَ يومٍ في قَذارانَ ظَلْتُهُ ... كأنّي وأصحابي على قَرنِ أعفَرا [4]

ونَشرَبُ حتى نَحسَبَ الخَيلَ حولَنا ... نَقاداً وحتى نَحسَبَ الجَونَ أشقَرا [5]

فهَلْ أنا ماشٍ بينَ شَرْطٍ وحَيَّةٍ ... وهَلْ أنا لاقٍ حَيَّ قَيسِ بنِ شَمَّرا [6]

---

(١) قرمل : أحد أقيال حمير باليمن ، وهو قرمل بن الحميم ملك بعد مرثد الخير بن ذي جدن ، وكان امرؤ القيس قصده لينصره على بني أسد الذين قتلوا أباه ، فأمده بأخلاط من عرب اليمن وشذاذ القبائل والمستأجرة ؛ فكان منهم في عناء آخر الوقعة

(٢) وفي رواية ابن السكيت :

يذكرها أوطانها تل ماسح ... منازلها من بربعيص وميسرا

قال : تل ماسح : موضع . وقال ياقوت : هو من أعمال حلب بالشام ، وميسر مكان . وقال أبو عمرو : كانت ببربعيص وميسر وقعة قديمة

(٣) تاذف قرية من قرى حلب . وطرطر ، قال ياقوت : قرية بوادي بطنان وهو وادي بزاعة ، قرب حلب يسمونها طاطل

(٤) قذاران : اسم رومي لقرية في نواحي حلب كما رواه ياقوت ، قال : ويروى : ولا مثل يوم في قذار . وهذه القرية موجودة إلى الآن — يعني إلى عهد ياقوت — معروفة ، وبحلب قرية يقال لها أقذار ملك ابني أبي جرادة . على قرن أعفر : قرن ظبي . يريد أنهم كانوا في ذلك الموضع على غير استقرار ولا طمأنينة . ويروى : كأني وأصحابي بقلة عندرا

(٥) ولشرب : نسكر . النقاد : صغار الغنم . الجون : الأبيض خالطه سواد ، أو الأسود مازجه بياض ، يعني أنهم كانوا يشربون حتى يذهب تمييزهم بين الأشياء المتباينة

(٦) الشرط ، الخطر العظيم

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ ... يُضِيءُ الدُّجَى بِاللَّيْلِ عَنْ سَرْوِ حِمْيَرَا (١)

أَجَارَ قُسَيْسًا فَالطُّهَاءَ فَمِسْطَحًا ... وَجَوًّا فَرَوَّى نَخْلَ قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا (٢)

وَعَمْرُو بْنُ دَرْمَاءَ الهُمَامُ إِذَا غَدَا ... بِذِي شُطَبٍ عَضْبٍ كَمِشْيَةِ قَسْوَرَا (٣)

وَكُنْتُ إِذَا مَا خِفْتُ يَوْمًا ظُلَامَةً ... فَإِنَّ لَهَا شِعْبًا بِبُلْطَةَ زَيْمَرَا (٤)

نِيَافًا تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْ قُذُفَاتِهِ ... يَظَلُّ الضَّبَابُ فَوْقَهُ قَدْ تَعَصَّرَا (٥)

---

(١) سرو حمير : أعالى بلاد حمير باليمن ، وهذا حنين منه إلى أوطانه

(٢) قسيس والطهاء : موضعان لم يذكرهما ياقوت ؛ ومسطح ، قال ياقوت : اسم موضع فى جبل طئ ، قال امرؤ القيس :

ألا إن فى الشعبين شعب بمسطح ... وشعب لنا فى بطن بلطة زيمرا

(٣) عمرو بن درماء : رجل نزل به امرؤ القيس فيمن نزل بهم ، ومنزله بلطة وهى عين ونخل وواد به طلح ابنى درماء فى أجإ ، وفيه يقول امرؤ القيس :

نزلت على عمرو بن درمان بلطة ... فياحسن ماجار ويا كرم ما محل

ومن طريف مايروى أن امرأة من الأعراب قدمت مصر فرضت فأتاها النساء يعللنها بالكعك والرمان وأنواع الملاجات ، فلم يرق لها شئ من هذا ، وأخذت تقول :

لأهل بلطة إذ حلوا أجارعها ... أشهى لعينى من أبواب سودان

جاؤا بكعك ورمان ليشفينى ... ياويح نفسى من كعك ورمان

وذو شطب : سيف مشطب . عضب ، ماض . القسور ، الأسد

(٤) زيمر : مكان به بلطة بجبلى طئ

(٥) نيافا : يريد جبالا منيفات عالية ذاهبة فى العلو والارتفاع بحيث تزل الطير عن قذفاتها ، وهى أبعادها ومرتفعاتها ، ولا تثبت عليها ، وأن الضباب لا يفارقها طوال السنة . وتعصر : سال ماؤه

٢٢

وقال امرؤ القيس : [١]

أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ ... ويَعدو على المرءِ ما يأتَمِرْ [٢]

فَلَا وأبِيكِ ابنةَ العامرِيِّ ... لا يَدَّعِي القَوْمُ أنى أفِرّْ [٣]

تَميمُ بنُ مُرٍّ وأشياعُها ... وكِندَةُ حَولِى جَميعًا صُبُرْ [٤]

إذا رَكِبُوا الخَيلَ واستَلأمُوا ... تَحَرَّقتِ الأرضُ واليَوْمُ قَرّْ [٥]

تَرُوحُ مِنَ الحَيِّ أوْ تَبتَكِرْ ... وَماذَا عَلَيكَ بِأنْ تَنتَظِرْ [٦]

---

(١) أثبت المفضل وأبو عمرو الشيبانى وغيرهما هذه القصيدة لامرئ القيس وجعلوا أولها : البيت الثانى « لا وأبيك ابنة العامرى » . وزعم الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم ، وأولها عنده « أحار بن عمرو » هذه خلاصة قول صاحب الخزانة .

(٢) أحار ، مرخم ياحارث . كأنى خمر : الخمار بقية السكر ، تقول : رجل خمر - بفتح فكسر - أى فى عقب خمار . ويقال : خامره الداء أى خالطه . وعدا عليه : جار . والائتمار : الامتثال ، أى ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشد فربما كان هلاكه فيه .

(٣) ثم التفت إلى صاحبته ابنة العامرى ، وهى هر بنت سلامة بن علند ويقال سلامة بن عبد الله بن عليم ، وزعموا باطلا أنها كانت امرأة أبيه - فقال لها : وأبيك لا تأخرت عن نزال أعدائى لئلا يدعوا على الفرار من القتال ، ويروى أن هذا البيت هو أول القصيدة . وهذا قول راجح مقبول .

(٤) أشياعها : من شايعها على الحرب . وكندة : قوم امرئ القيس .

(٤) واستلأموا : لبسوا اللأمة وهى الدروع . وتحرقت : اشتعلت من شدة الحرب . قر : بارد .

(٦) تروح : تخرج وقت الرواح وهو آخر النهار . أو تبتكر : تبكر فى أول النهار ، ويروى : وماذا يضرك لو تنتظر .

أَمَرْخٌ خِيـامُهُمْ أَمْ عُشَرْ ... أَمِ القَلْبُ فى إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرْ (١)

وَفى مَنْ أَقامَ مِنَ الحَىِّ هِرّْ ... أَمِ الظّاعِنُونَ بِهـا فى الشُّطُرْ (٢)

وهِرٌّ تَصِيدُ قُلوبَ الرِّجالِ ... وأَفْلَتَ مِنْها ابنُ عَمْرٍو حُجُرْ (٣)

رَمَتْنِى بِسَهْمٍ أَصابَ الفُؤادَ ... غَداةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ (٤)

فَأَسْبِلُ دَمْعِى كَفَضِّ الجُمانِ ... أَوِ الدُّرِّ رَقْراقُهُ المُنْحَدِرْ (٥)

وإِذْ هِىَ تَمْشِى كَمَشْىِ النَّزِيفِ ... يَصْرَعُهُ بِالكَثِيبِ البَهَرْ (٦)

بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخْصَةٌ ... كَخُرْعُوبَةِ البانَةِ المُنْفَطِرْ (٧)

فَتُورُ القِيامِ قَطِيعُ الكَلامِ ... تَفْتَرُّ عَنْ ذِى غُرُوبٍ خَصِرْ (٨)

---

(١) المرخ : شجر قصار ينبت بنجد والعشر : شجر طوال ينبت بالغور ، يعنى هل هم منجدون أم مغيرون ؟

(٢) الشطر : القرب ، ويروى :

وشاقك بين الخليط الشطر ... وفى من أقام من الحى هر

(٣) ابن عمرو حجر هو حجر أبو امرئ القيس ، يعنى أن أباه نجا منها ووقع هو فى حبائلها ، ومن هنا زعموا أنها كانت زوجة لحجر بن عمرو ، وعندى أن هذا البيت يشير إلى أنها كانت من القيان اللاتى يغشين قصور الملوك ليطربنهم ويأخذن جزرهم أى عطاءهم ، وهن مع ذلك يحاولن أن يوقعنهم فى شركهن . وفى البيت نكتة لطيفة لمن يلتفت إلى ذكر الصيد والهر والإفلات . فكأنه فأر أفلت من هر .

(٤) يريد بالسهم : عينيها . فلم أنتصر : فلم آخذ بثأرى .

(٥) فاسبل دمعى : سال . كفض الجمان : كانتثار العقد المنتظم جمانا .

(٦) النزيف : السكران الذى لا يكاد يتماسك فى سيره . البهر : الكلال وانقطاع النفس .

(٧) البرهرهة : الرقيقة الجلد الملساء الممتلئة المترجرجة . الرود : الشابة الناعمة . رخصة : لينة مع نعومة . الخرعوبة : الغضة ، البانة : قضيب البان . المنفطر : المنشق .

(٨) فتور القيام : لثقل عجيزتها . قطيع الكلام : لكثرة الحياء . تفتر : تبتسم . عن غروب : عن ثغر حسن الأسنان رقيق الماء . خصر : عذب بارد .

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ ... وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ (١)

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا ... إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرْ (٢)

فَبِتُّ أُكَابِدُ لَيْلَ التِّمَامِ ... وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مُقْشَعِرْ (٣)

فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا ... فَثَوْبًا نَسِيتُ وَثَوْبًا أَجُرْ (٤)

وَلَمْ يَرَنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ ... وَلَمْ يَفْشُ مِنَّا لَدَى الْبَيْتِ سِرْ (٥)

وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ ... وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرْ (٦)

وَقَدْ أَغْتَدِي وَمَعِي الْقَانِصَانِ ... وَكُلٌّ بِمَرْبَأَةٍ مُقْتَفِرْ (٧)

---

(١) المدام : الخمر . وصوب الغمام : ماء السحاب . الخزامى : خيرى البر وهو نبت حسن الريح . ونشر القطر : ريح العود الذى يتبخر به .

(٢) يعل : يسقى بالمدام مرة بعد مرة . طرب الطائر : رفع صوته وصاح ، ويروى : إذا غرد . ويريد بالطائر هنا الديك . المستحر : المؤذن فى السحر .

(٣) أكابد : أقاسى وأعانى . ليل التمام : أطول ليالى العام . خشية : خوف ووجل . مقشعر : خائف مضطرب .

(٤) تسديتها : علوتها وركبتها . ودنوت : قربت . فثوباً نسيت وثوبا أجر ، ويروى : فثوب . ويروى صدره : فأقبلت زحفاً على الركبتين . قال الزمخشرى : يريد أنه اجتهد فى الوصول إليها فى الليل الطويل وقاسى شدة من خوف رقبائها فزحف على ركبتيه حتى وصل إليها ونسى بعض ثيابه عندها . والذى أراه أنها ملكت عليه عقله حتى نسى أحد ثوبيه عندها وخرج يجر ثوبه الآخر على الأثر ليعفيه فلا يظهر

(٥) كالئ : حارس . الكاشح : المعادى . لم يفش : لم يظهر .

(٦) رابنى : أوقع الريبة فى نفسى . ياهناه : كما تقول : ياهذا . ألحقت شرا بشر : ركبت تهمة فوق تهمة .

(٧) اغتدى : أخرج للصيد فى غدوة النهار . القانصان : الصائدان . المربأة : المكان المرتفع يقف فيه ربيئة القوم ليشرف على العدو أوعلى الصيد ويروى مكانه . مقتفر : متتبع آثار الوحوش المراد صيدها .

فَيُدْرِكُنَا فَغِمٌ دَاجِنٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ (١)
أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضُّلُوعِ تَبُوعٌ طَلُوبٌ نَشِيطٌ أَشِرْ (٢)
فَأَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فِي النَّسَا فَقُلْتُ هُبِلْتَ أَلَا تَنْتَصِرْ (٣)
فَكَرَّ إِلَيْهِ بِمِبْرَاتِهِ كَمَا خَلَّ ظَهْرَ اللِّسَانِ الْمُجِرّْ (٤)
فَظَلَّ يُرَنِّحُ فِي غَيْطَلٍ كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحِمَارُ النَّعِرْ (٥)
وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ (٦)
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ رُكِّبَ فِيهِ وَظِيفٌ عَجِرْ (٧)

---

(١) الفغم الداجن : الكلب الألوف ، المعد للصيد ، الحريص على القنيصة ، المولع بها . طلوب : شديد الطلب ، مدرك لفائته . نكر : منكر داه .

(٢) ألص الضروس : ماتصق الأنياب بعضها ببعض . حني الضلوع : مشرف الضلوع ظاهرها ، ويروى : حنى الضلوع . تبوع : حريص على تتبع آثار الصيد حتى يدركه . أشر : نهم .

(٣) النسا : عرق فى الفخذ إلى القوائم . هبلت : دعاء من امرئ القيس لأحد زميليه أن يتقدم نحو الثور الذى أمسك به الكلب فيطعنه ليساعد الكلب فى صيده وينصره على فريسته .

(٤) كر عليه : يعنى أن الثور طعن الكلب . بمبراته : بقرنه . وشبه طعنه إياه بإدخال العود فى لسان الفصيل ليمنع من الرضاع . والمجر : الذى يدخل العود ، وهذا مثل

(٥) يرنح : يترنح ويستدير ، يريد أن يسقط لشدة الطعنة التى أصابته من الثور . الغيطل : الشجر الملتف . الحمار النعر : الذى دخلت النعرة — وهى ذبابة خضراء — فى أنفه ، فهو فى هذه الحال لايستقر له قرار . يشبه حالة الكلب حين طعنه الثور بهذا الحمار النعر .

(٦) الروع : الفزع . وخيفانة : فرس خفيفة تشبه الجرادة . سعف منتشر : شعر على الناصية متفرق ؛ شبه شعر الناصية بسعف النخلة .

(٧) قعب الوليد : قدح صغير يأكل منه الصبي . الوظيف : مابين الرسغ إلى الركبة ، ومابين الرجل إلى العرقوب أو مافوق الحافر . عجر : غليظ .

لَهَا ثُنَنٌ كَخَوَافِي الْعُقَابِ ... سُودٌ يَفِينَ إذَا تَزْبَئِرْ (١)

وَسَاقَانِ كَعْبَاهُمَا أَصْمَعَانِ ... لَحْمُ حَمَاتَيْهِمَا مُنْبَتِرْ (٢)

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا ... أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ (٣)

لَهَا غُدَرٌ كَقُرُونِ النِّسَا ... ءِ رُكِّبْنَ فِي يَوْمِ رِيحٍ وَصِرْ (٤)

وَسَالِفَةٌ كَسَحُوقِ اللِّيَا ... نِ أَضْرَمَ فِيهَا الْغَوِيُّ السُّعُرْ (٥)

لَهَا جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ الْمِجَنِّ ... حَذَّقَهُ الصَّانِعُ الْمُقْتَدِرْ (٦)

---

(١) الثنن : الشعر خلف الرسغ ، أو حول مؤخر الحافر . الخوافى : ريش فى باطن جناح الطائر . يفين : يردن . تزبئر : تتنفس .

(٢) أصمعان : صغيران . وقال ابن قتيبة : الصمع اللازوق ، يريد أنهما ليستا برهلتي المفاصل ، وحماتيهما : عضلتا الساقين . ومنبتر : منقطع من الشدة .

(٣) متنتان : جانبا الصلب . خظاتا : كثيرتا اللحم . كما أكب : يعنى كأنهما ساعدا نمر قد برك ، فساعداه عند بروكه يكونان بارزين .

(٤) غدر : جمع غديرة ، وهى شعر بالناصية . وقال ابن قتيبة : ذوائب وقرون النواصى . وصر : برد . يريد أن هذه الشعرات كثيرة ومنتشرة وذاهبة هنا وهناك كأن الريح لعبت بها فى يوم بارد .

(٥) السالفة : جانب العنق . وسحوق : طويلة . والليان : النخل ، واحدتها لينة . وأضرم : أوقد . الغوى:الغاوى . السعر : النار .

(٦) سراة المجن : ظهر الترس : حذقه : سواه بحذق ومهارة فجاء محكم الصنعة . المقتدر : الحاذق بالعمل،القادر عليه . قال ابن السيد البطليوسى : هذا البيت يروى لامرئ القيس بن حجر،وكان الأصمعى يرويه عن أبى عمرو بن العلاء لرجل من النمر ابن قاسط يقال له ربيعة بن جشم .

لَهَا مَنْخِرٌ كَوِجَارِ الضِّبَاعِ ... فَمِنْهُ تُرِيحُ إِذَا تَنْبَهِرْ (١)

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ ... شُقَّتْ مَآقِيهِمَا مِنْ أُخُرْ (٢)

إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ دُبَّاءَةٌ ... مِنَ الْخُضْرِ مَغْمُوسَةٌ فِي الْغُدُرْ (٣)

وَإِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ أُثْفِيَّةٌ ... مُلَمْلَمَةٌ لَيْسَ فِيهَا أُثُرْ (٤)

وَإِنْ أَعْرَضَتْ قُلْتَ سُرْعُوفَةٌ ... لَهَا ذَنَبٌ خَلْفَهَا مُسْبَطِرْ (٥)

وَلِلسَّوْطِ فِيهَا مَجَالٌ كَمَا ... تَنَزَّلَ ذُو بَرَدٍ مُنْهَمِرْ (٦)

لَهَا وَثَبَاتٌ كَوَثْبِ الظِّبَاءِ ... فَوَادٍ خِطَاءٌ وَوَادٍ مَطِرْ (٧)

وَتَعْدُو كَعَدْوِ نَجَاةِ الظِّبَاءِ ... أَخْطَأَهَا الْحَاذِفُ الْمُقْتَدِرْ (٨)

---

(١) الوجار : جحر الضبع : شبه به منخرها لسعته . تريح : تتنفس وتستروح إذا كلت . تنبهر : يضيق نفسها من شدة العدو . قال ابن السيد : البيت لامرئ القيس وذكر أبو عمرو بن العلاء والأصمعي أنه لرجل من النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم

(٢) حدرة : عظيمة . وبدرة تبدر بالنظر . والمآق : مؤخر العينين . وأخر : آخرهما .

(٣) دباءة : منطوية ملساء كأنها الجرادة . مغموسة فى الغدر : مروية من الماء

(٤) الأثفية : الصخرة المستديرة المجتمعة . ململمة : متداخلة مدورة صلبة . الأثر : الخدوش .

(٥) السرعوفة . الجرادة . مسبطر : طويل ممتد .

(٦) يعنى أن سرعتها فى جريها كسرعة المطر المنصب ذى البرد .

(٧) يعنى أنها فى سرعتها لاتعدو حوافرها أماكنها ، فهى كالسحاب يمر بالوديان فيعدو هذا الوادى ويمطر الآخر .

(٨) تعدو : تسرع العدو . الحاذف : الرامى بالعصا ، يعنى أن الفرس هذه فى سرعتها كالظبية التى أفزعها القانص ورماها بعصاه أو بسهمه ، فهى أشد ماتكون عدواً لتنجو بنفسها .

٢٣

وقال يمدح سعد بن الضِّباب الإيادى ، ويهجو هانئ بن مسعود :

لَعَمْرُكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بِحُرْ وَلَا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِقُرْ (١)

أَلَا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيَالٍ وأَعصُرٌ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرْ (٢)

لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لَيَالٍ عَلَى أُقُرْ (٣)

أُغَادِي الصَّبُوحَ عِنْدَ هِرٍّ وفَرْتَنَا وَلِيدًا وهَلْ أَفْنَى شَبَابِي غَيْرُ هِرْ (٤)

إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التُّجُرْ (٥)

---

(١) لعمرك : وحياتك . بحر : بمطيق للصبر ولا يجد حرا . ولا مقصر : ولا نازع عما هو عليه . بقر : بما يقره ويصبره .

(٢) أعصر : جمع عصر ، يريد الليالى والأيام . قويم : مستقيم . مستمر : دائم ويروى : ألا إنما ذا الدهر يوم وليلة . ويروى : ألا إنما الدنيا .

(٣) ذات الطلح : أرض كثيرة شجر الطلح وهو أم غيلان . محجر : موضع قريب من ديار طيئ ، ويروى : لليل بذات الطلح .

(٤) أغادى الصبوح : أشرب الخمر فى الغداة ، أى أول النهار . وليد : يريد وهو فى طالعة شبابه ومستهل نشأته ، وهر وفرتنا : من الغوانى اللاتى كن موضع غزله .

(٥) إذا ذقت فاها : إذا قبلتها فى فيها . مدامة : خمرة . معتقة : قديمة . التجر : يريد تجار الخمر .

هما نعجتان من نعاج تبالة ... لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر (١)

إذا قامتا تضوع المسك منهما ... برائحة من اللطيمة والقطر (٢)

كأن التجار أصعدوا بسبيئة ... من الخص حتى أنزلوها على يسر (٣)

فلما استطابوا صب في الصحن نصفه ... وشجت بماء غير طرق ولا كدر (٤)

بماء سحاب زل عن متن صخرة ... إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر (٥)

لعمرك ما إن ضرني وسط حمير ... وأقوالها إلا المخيلة والسكر (٦)

(١) شبه هر وفرتنا صاحبتيه بالنعجتين : أي بقرتي الوحش . تبالة : موضع ببلاد اليمن . قال ياقوت : وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف ، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن . والجؤذر : ولد البقرة . والدمى : الصور والتماثيل . هكر : موضع : قال الأزهري : بلد ويقال قصر ، أراه روميا . وعندي - على مايؤخذ من وصف امرئ القيس - أنه موضع كان به قصر فيه صور وتماثيل منحوتة من الرخام أو نحوه على شبه النساء ، كأبدع ماصور الإنسان . ويروى : كناعجتين من ظباء تبالة . ويروى : هما ظبيتان من ظباء تبالة على جؤذرين . الخ

(٢) تضوع : فاح وانتشر ريحه . اللطيمة : ضرب من المسك الأذفر . والقطر: العود الذي يتبخر به .

(٣) أصعدوا : ساروا . السبيئة : الخمر تبتاع بالمال . الخص : حانوت الخمار . يسر: مقامرون وأغنياء مياسير .

(٤) استطابوا : وجدوها طيبة . الصحن : القدح الكبير . وشجت : مزجت . الماء الطرق : هو الذي بالت فيه الإبل . ولا كدر : وليست به كدورة ولا عكر ، فهم يختارون الماء صافياً نقيا .

(٥) بماء سحاب : أي أن الماء الذي مزجوا به الخمر كان من ماء السحاب . زل عن متن صخرة : انحدر على صخرة متسربا إلى بطن صخرة أخرى لم يمس التراب ولم يلوثه شيء . خصر : بارد .

(٦) حمير : قبيلة يمنية مشهورة . أقوالها : ملوكها ؛ لأن القيل كان عندهم بمنزلة الملك ، أوهو الذي يليه في السلطان . المخيلة : الخيلاء والكبر . السكر : الشراب المسكر .

وغَيْرُ الشَّقَاءِ الْمُسْتَبِينِ فَلَيْتَنِي أَجَرَّ لِسَانِي يَوْمَ ذَلِكُمْ مُجْـــرِ (١)

لَعَمْرُكَ مَا سَـــعْدٌ بِخُلَّةِ آثِمٍ وَلَا نَأْنَإٍ يَوْمَ الْحِفَاظِ وَلَا حَصِرْ (٢)

لَعَمْرِي لَقَوْمٌ قَدْ نَرَى فِي دِيَارِهِمْ مَرَابِطَ لِلْأَمْهَارِ وَالْعَكَرِ الدَّثِرْ (٣)

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ بِقُنَّةٍ يَرُوحُ عَلَى آثَارِ شَـائِهِمُ النَّمِرْ (٤)

يُفَاكِهُنَا سَعْدٌ وَيَغْدُو لِجَمْعِنَا بِمَثْنَى الزِّقَاقِ الْمُتْرَعَاتِ وَبِالْجُزُرْ (٥)

لَعَمْرِي لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَابِ إِذَا غَدَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ فَا فَرَسٍ حَمِرْ (٦)

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلًا وَمِنْ خَالِهِ وَمِنْ يَزِيدَ وَمِنْ حُجُرْ (٧)

---

(١) المستبين : الواضح . أجرّ لسانى مجر : أى منعنى من الكلام مايمنع الفصيل من الرضاع والمجر : فاعل ذلك .

(٢) سعد : هو سعد بن الضباب . بخلة آثم : ليس هو فى مخالته ومصادقته ومودته بمرتكب للإثم . ولا نأنإ : ولا ضعيف مقصر فى الأمور العظيمة . يوم الحفاظ : يوم الجد والكريهة . ولا حصر : ولا فه عى عن الكلام ، ولا ضيق الصدر عن الاضطلاع بالعظائم .

(٣) العكر الدثر : المال الكثير . ولا يطلق إلا على الإبل . وقال الخليل : العكر ما زاد على خمسمائة من الإبل .

(٤) القنة : رأس الجبل . شاؤهم : غنمهم .

(٥) يفاكهنا : يمازحنا ويضاحكنا ، أو يجىء لنا بالفاكهة . ويغدو : يبكر . مثنى الزقاق المترعات : أى يأتى الينا بزقاق الخمر الممتلئات : مثنى مثنى ، وبالجزر : وبما ينحر لنا من البهائم لنأكل .

(٦) فا فرس حمر : أى يامنتن الريح كنتن فم الفرس الحمر الذى أكل شعيراً كثيرا حتى سنق ، فإذا كان فى هذه الحالة كان نتن فمه بالغاً حداً لا يطاق . يصف بذلك أحد خصومه ولعله عامر بن جوين الطائى .

(٧) الشمائل : الخلائق والخصال ، جمع شمال .

سَماحَةَ ذا وبِرَّ ذا ووَفاءَ ذا   ونائِلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ[١]

٢٤

مر امرؤ القيس بأصحابه فى طريقهم إلى السموأل فإذا بقرة وحشية مرمية، فلما رأوها مالوا إليها فذكوها. فبينا هم كذلك جاءهم قوم قناصون فقالوا لهم من أنتم؟ فانتسبوا لهم من بنى ثعل، وإذا هم من جيران السموأل، فاصطحبوا جميعا إليه، فقال امرؤ القيس:[٢]

رُبَّ رامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ   مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ فى قُتَرِهْ[٣]

عارِضٍ زَوْراءَ مِنْ نَشَمٍ   غَيْرَ بانَاتٍ عَلى وَتَرِهْ[٤]

قَدْ أَتَتْهُ الوَحْشُ وارِدَةً   فَتَنَحَّى النَّزْعَ فى يَسَرِهْ[٥]

فَرَمَاهَا فى فَرائِصِهـــا   بِإِزاءِ الحَوْضِ أَوْ عُقُرِهْ[٦]

---

(١) صحا: أفاق من سكره.

(٢) زعم الأصمعى أنه كان ينوح على أبيه بهذه الأبيات.

(٣) بنو ثعل: قبيلة من طيئ كانت مشهورة بجودة الرماية. متلج: مدخل. قتره، جمع قترة: وهى بيت الصائد الذى يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه. ويروى: مخرج كفيه من ستره: أى من كمه. ويروى: مخرج زنديه من ستره. وقد اعترض الأصمعى على هذه العبارة وقال: إن الصائد يجب أن يكون أشد ختلا من أن يظهر شيئاً منه.

(٤) الزوراء: يريد بها القوس المنحنية. من نشم: مصنوعة من شجر جيد تعمل منه القسى. غير بانات: غير منحن على وتره. ويقال غير بائنة عن الوتر.

(٥) فتنحى: فمال وقصد النزع وهو الرمى فى يسره: فى قبالته.

(٦) فرائصها: جنبها الذى به القلب. إزاء الحوض: مهرق الماء. عقره: مكان الشاربة.

بِرَهِيشٍ مِنْ كِنَانَتِهِ كَتَلَظِّي الجَمْرِ فِي شَرَرِهْ (١)
رَاشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حَجَرِهْ (٢)
فَهْوَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لَا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ (٣)
مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهْ (٤)
وَخَلِيـــلٍ قَدْ أُفَارِقُهُ ثُمَّ لَا أَبْكِي عَلَى أَثَرِهْ (٥)
وَابْنِ عَمٍّ قَدْ تَرَكْتُ لَهُ صَفْوَ مَاءِ الحَوْضِ عَنْ كَدَرِهْ (٦)
وَابْنِ عَمٍّ قَدْ فُجِعْتُ بِهِ مِثْلَ ضَوْءِ البَدْرِ فِي غُرَرِهْ (٧)
وَحَدِيثِ الرَّكْبِ يَوْمَ هُنَا وَحَدِيثٍ مَا عَلَى قِصَرِهْ (٨)

---

(١) الرهيش : السهم الضامر . كنانته : جعبة السهام . كتلظى الجمر : كتوقد النار . فى شرره : فى شدة التهابه .

(٢) راشه : ركب الريش فى السهم . ناهضة : صقر شابة . أمهاه : سقاه الماء : هذا عند أبى عبيدة . وعند وغيره : أمهاه أرقه وأحده .

(٣) لاتنمى : لاتذهب عن مكانها ؛ يعنى أن رميته صائبة . ماله لاعد من نفره : يقول : قاتله الله ما أحذقه بالرماية .

(٤) مطعم للصيد : يريد أن رزقه مضمون من الصيد ، فهو متى قصد إليه ناله ، لأن الصيد صناعته التى لامورد لكسبه غيره رغم تقدمه فى السن .

(٥) وخليل : ورب خليل . ويروى بدل أفارقه : أصاحبه . يصف نفسه بالصبر والجلد واحتمال الشدائد وعدم الجزع عند وقوعها .

(٦) يعنى أنه حسن الصحبة ، كريم العشرة ، حتى لو أن ابن عمه أتى بما لا ينبغى قابله بالصفح والإحسان .

(٧) يقول ورب ابن عم قد فجعنى فيه الموت ، وهو حقيق بالجزع ، فصبرت على فراقه

(٨) الركب : الجماعة المسافرة . يوم هنا : يوم معروف ، وهنا : اسم موضع ، أو هو يوم لهوه ولعبه ، وقد كان على طوله قصيراً . ومما يحسن إيراده أن سلم الخاسر =

٣٥

وروى الرواة أن امرأ القيس كان معنًا مِزْيلًا عِرّيضا (١) كثير المنازعة للشعراء ، فزعموا أنه لقي الحارث بن التَّوْأم اليشكري (٢) جد قتادة بن الحارث فقال له : إن كنت شاعرًا فملط أنصاف ما أقول فأجزها . فقال الحارث : قل ما شئت !

فقال امرؤ القيس :	أحارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا (٣)
فقال الحارث :	كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارًا (٤)

= قال يوما لأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي : قل أبياتا على روى قول امرئ القيس « رب رام من بني ثعل » ، ولا أبالي أن تهجوني فيها ، فقال :

رب مغموم بعافيـــة	غمط النعماء من أشره
مـــورد أمرا يسرّ به	فرأى المكروه في صدره
وامرئ طالت سلامته	فرماه الدهر من غيره
بسهام غـــير مشوية	نقضت منه عرا مرره
وكذاك الدهر مختلف	بالفتى حالين من عصره
يخلـــط العسرى بميسرة	ويسار المرء في عسره
عق ســـلم أمه سفها	وأبا ســـلم على كبره
كل يوم خلفـــه رجل	رامح يسعى على أثره
. . . .	كولوج الضب في جحره

(١) المعن : الذي يدخل فيما لايعنيه ، ويعرض في كل شيء . والمزيل : الكيس اللطيف . والعريض : المستعرض بالشر .

(٢) حقق الشنقيطي أنه الحارث بن التوأم ، لا التوأم . وعلى هذا مضى الثقات

(٣) أحار : ياحارث . ويروى : أصاح . يعني ياصاحبي . بريقا : تصغير برق . هب : لمع . وهنا : من أوائل الليل .

(٤) كنار مجوس : كالنار التي يوقدها المجوس لعبادتها ، فهم يضرمونها حتى ماتكاد تطفأ مدى الدهر .

فقال امرؤ القيس :	أَرِقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شُرَيْحٍ (١)
فقال الحارث :	إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ هَدَأَ اسْتَطَارَا (٢)
فقال امرؤ القيس :	كَأَنَّ هَزِيزَهُ بِوَرَاءِ غَيْبٍ (٣)
فقال الحارث :	عِشَارٌ وُلَّهٌ لَاقَتْ عِشَارَا (٤)
فقال امرؤ القيس :	فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَنَفَيْ أُضَاخٍ (٥)
فقال الحارث :	وَهَتْ أَعْجَازُ رَيِّقِهِ فَحَارَا (٦)
فقال امرؤ القيس :	فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السِّرِّ ظَبْيًا (٧)
فقال الحارث :	وَلَمْ يَتْرُكْ بِجَلْهَتِهَا حِمَارَا (٨)

(١) أرقت : سهرت . أبو شريح : اسم أخيه .

(٢) هدأ : سكن . استطار : هب وانتشر .

(٣) هزيزه : صوته ، يعني صوت الرعد الذي يصحب البرق .

(٤) العشار : النوق الحوامل . وله : متولهات على فصلانها الفواقد .

(٥) الكنفان : الجانبان . أضاخ : جبل . ويروى : فلما أن دنا لقفا أضاخ .

(٦) وهت أعجاز ريقه : استرخت أواخر سحبه . لحار فتوقف واستدار فسال سيلا غدقا .

(٧) ذات السر : موضع .

(٨) جلهتها : ناحيتها : يعني أن المطر عم الوادي بما فيه حتى أغرق كل ظبي وكل حمار ، واكتسح كل حيوان . وقد روى ياقوت هذه الحكاية بصورة أخرى فقال : أتى امرؤ القيس قتادة بن التوأم اليشكري وأخويه الحارث وأباشريح ، فقال امرؤ القيس

ياحار أجز	:	أحار ترى بريقا هب وهنا
فقال الحارث	:	كنار مجوس تستعر استعارا
فقال قتادة	:	أرقت له ونام أبو شريح إذا ماقلت قد هدأ استطارا
فقال أبو شريح	:	كأن هزيزه بوراء غيث عشار وله لاقت عشارا ═

فآلى امرؤ القيس ألا ينازع أحداً من الشعراء بعده .

٣٦

وقال امرؤ القيس فى وصف الغيث(١) :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ ... طَبَقُ الْأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرّ (٢)

تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذَتْ ... وَتُوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرْ (٣)

وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا ... ثَانِيًا بُرْثُنَهُ مَا يَنْعَفِرْ (٤)

وَتَرَى الشَّجْرَاءَ فِى رَيِّقِهَا ... كَرُءُوسٍ قُطِعَتْ فِيهَا الْخُمُرْ (٥)

= فقال الحارث : فلما أن علا شرجى أضاخ ... وهت أعجاز ريقه فحارا

فقال قتادة : فلم يترك ببطن السر ظبياً ... ولم يترك بقاعته حمارا

فقال امرؤ القيس : إنى لأعجب من بيتكم هذا كيف لايحترق من جودة شعركم ؟ فسموا بنو النار من يومئذ .

(١) قال أبو عمرو بن العلاء : سألت ذا الرمة عن أى قول الشعراء الذين وصفوا الغيث ؟ فقال : قول امرئ القيس : ديمة . . . . . الخ . .

(٢) الديمة : المطر الدائم . والهطلاء : الغزيرة . وطف : استرخاء . طبق الأرض : تعم الأرض وتطبقها . تحرى : تقصد وتدر : تصب الماء .

(٣) تخرج الود : تبدى الوتد الذى تربط به أطناب البيوت ، وقال ابن دريد : الود : اسم جبل . اشجذت : كفت وأقلعت . وتواريه : تستره وتخفيه . تشتكر : تحتفل بالماء ويكثر فيها .

(٤) ماهر : حاذق بالسباحة . برثنه : مخلبه . وينعفر : يلصق بالتراب .

(٥) الشجراء : جماعة الشجر الملتف . وريقها : أول استهلالهـا بالمطر . الخمر ، جمع خمار : وهو مايتخمر به الوجه ، أى يغطى به .

سَاعَةً ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ ... سَاقِطُ الأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرْ (١)

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى ... فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ (٢)

ثَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيِّهِ ... عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٍ فَيُسُرْ (٣)

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ ... لَاحِقُ الأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرْ (٤)

٣٧

وقال يمدح عوير بن شجنة العوفى :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَبًا ... ضَيَّعَهُ الدُّخْلُلُونَ إِذْ غَدَرُوا (٥)

أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خُفَارَتَهُ ... وَلَمْ يَضِعْ بِالْمَغِيبِ إِذْ نَصَرُوا (٦)

---

(١) انتحاها : اعتمدها وقصدها . الوابل : المطر الشديد . الأكناف : النواحى واه : مسترخ . منهمر : سائل شديد الوقع .

(٢) راح : عاد بالعشىّ أواخر النهار . تمريه الصبا : تستخرج ريح الصبا ماءه. الشؤبوب : مطر ريح الجنوب وهى التى تقابل الصبا . منفجر : سائل بغزارة .

(٣) ثج : صب . آذيه : موجه . عرض : سعة . خيم وخفاف ويسر : أسماء أماكن . ويروى : لج .

(٤) أنفه : أو نباته . لاحق الأيطل : ضامر الخصر : يعنى فرسه . محبوك : مدمج قوى . ممر : معتدل الخلق، مفتول العضل .

(٥) بنو عوف : قبيلة عوير ، وكان أجار هندا بنت امرئ القيس أو أخته مع ماله ابتنوا : أثلوا وشيدوا . الدخللون : يريد بهم الخاصة من ذوى القرابة ، ويروى الداخلون ، ويريد بهم الدخلاء فى نسبه .

(٦) جارهم : يريد نفسه ومن كان معه . خفارته : ذمته وعهده ، يعنى وفوا له ولم يخونوه أو يتخلوا عن جواره ، بل نصروه حتى فى غيبته .

لَمْ يَفْعَلوا فِعْلَ آلِ حَنْظَلَةٍ   إِنَّهُمُ جَيْرِ بِئْسَ مَا ائْتَمَرُوا (١)

لَا حِمْيَرِيٌّ وَفَى وَلَا عُدَسٌ   وَلَا اسْتُ عَيْرٍ يَحُكُّهَا الثَّفَرُ (٢)

لٰكِنْ عُوَيْرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ   لَا عَوَرٌ شَانَهُ وَلَا قِصَرُ (٣)

٢٨

وقال يمدح سعد بن الضباب :

مَنَعْتَ اللَّيْثَ مِنْ أَكْلِ ابْنِ حُجْرٍ   وَكَادَ اللَّيْثُ يُودِي بِابْنِ حُجْرِ (٤)

مَنَعْتَ فَأَنْتَ ذُو مَنٍّ وَنُعْمَى   عَلَيَّ ابْنَ الضَّبَابِ بِحَيْثُ تَدْرِي (٥)

سَأَشْكُرُكَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنِّي   وَمَا يَجْزِيكَ مِنِّي غَيْرُ شُكْرِي (٦)

فَمَا جَارٌ بِأَوْثَقَ مِنْكَ جَارًا   وَنَصْرُكَ لِلْفَرِيدِ أَعَزُّ نَصْرِ (٧)

---

(١) آل حنظلة : هم من خذل شرحبيل عم امرئ القيس حتى قتل فى حربه مع أخيه سلمة . جير : حقا .

(٢) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة أعانا على الغدر بعمه شرحبيل . وباقى البيت استهزاء واستحقار واستخفاف بهؤلاء الغدر .

(٣) لأنه أتى بهند بنت امرئ القيس جارته تحت خفارته حتى أوصلها نجران وأمنت على نفسها من الأعداء . وذلك بالرغم من عوره وقصره ، فإن العيوب الظاهرة فى الخلق لا تشين صاحبها إذا كان حسن الخلق قويم الخصال بعيد الهمة .

(٤) ابن حجر : يعنى نفسه ، ويريد بالليث عامر بن جوين الطائى الذى كاد يسطو عليه وعلى ماله .

(٥) يعنى أن أياديك عندى معروفة مشكورة غير منكورة .

(٦) سأشيد بذكرك حامداً لك شاكراً على دفاعك عنى ووقايتك إياى من الهلاك الذى كان محيقاً بى .

(٧) يعنى أن ثقة جاره به وبنصره لا تعادلها ثقة بأى مخلوق سواه .

٢٩

وقال يهجو بنى حنظلة :

أَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ ... وَأَبْلِغْ بَنِي لُبْنَى وَأَبْلِغْ تَمَاضِرَا (١)

وَأَبْلِغْ وَلَا تَتْرُكْ بَنِي ابْنَةِ مِنْقَرٍ ... أُفَقِّرْهُمُ إِنِّي أُفَقِّرُ خَابِرَا (٢)

أَحَنْظَلَ لَوْ كُنْتُمْ كِرَامًا صَبَرْتُمُ ... وَحُطْتُمْ وَلَا يَأْلَى التَّمِيمِيُّ صَابِرَا (٣)

٣٠

وقال يمدح طريف بن مالك ، وقد أكرمه وأحسن إليه :

لَنِعْمَ الْفَتَى تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
طَرِيفُ بْنُ مَالٍ لَيْلَةَ الْجُوعِ وَالْخَصَرْ (٤)

إِذِ الْبَازِلُ الْكَوْمَاءُ رَاحَتْ عَشِيَّةً ... تَلَاوَذُ مِنْ صَوْتِ الْمُبِسِّينَ بِالشَّجَرْ (٥)

---

(١) بنو زيد ، وبنو لبنى ، وبنو تماضر : بطون من قبيلة حنظلة .

(٢) ابنة منقر : بطن من حنظلة أيضاً . أفقرهم : أرميهم بالفواقر وهى الدواهى يريد أنه يهجوهم فيقصم ظهورهم بإظهار مساويهم . خابر : خبير حاذق . ويروى : نابراً

(٣) أحنظل : يابنى حنظلة . لايألى : لايوجد . وفى الروايات المختلفة : لايابق . وهو خطأ .

(٤) تعشو : تميل إلى ضوء ناره وتنظر إليها عن بعد وقت العشاء وفى ظلمة الليل . الخصر : شدة البرد . ويروى : ليلة القرّ والخصر .

(٥) البازل الكوماء : الناقة المسنة العظيمة السنام . راحت عشية : عادت من مرعاها آخر النهار . تلاوذ : تراوغ . المبسون : الحالبون للنوق ، لأنهم كانوا عندما يريدون حلب الناقة دعوها وآنسوها بقولهم . بس بس . لتدر لبنها . بالشجر : يعنى فى هذا الوقت الذى تلوذ فيه النوق بحظائر الشجر . ويروى : بالسحر . ولعله الصواب .

٣١

وقال يصف قيصر . وقد دخل معه الحمام — فيما زعموا :

إنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ ... أَنَّكَ أَقْلَفُ إِلَّا مَا جَنَى القَمَرُ (١)

إذا طَعَنْتَ بِهِ مَالَتْ عِمَامَتُهُ ... كَمَا تَجَمَّعَ تَحْتَ الفَلْكَةِ الوَبَرُ (٢)

٣٢

وقال يصف ناقته :

أَرَى نَاقَةَ القَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ ... عَلَى الأَيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا (٣)

رَأَتْ هَلَكًا بِنِجَافِ الغَبِيطِ ... فَكَادَتْ تَجُذُّ لِذَاكَ الهِجَارَا (٤)

---

(١) أقلف : أغرل غير مختون . إلا ماجنى القمر : إلا ما كان هناك من تشمر طبيعى فى القلفة ، وتنسب هذه الحالة إلى القمر . ويروى : ماجبي القمر ، ويؤخذ من هذا أن العرب كانت ترى الختان ، ولعله مما تركه فيهم إسماعيل بن إبراهيم من الشرائع وإلا لما اعترض على القيصر .

(٢) العمامة : يريد بها القلفة المشمرة . الفلكة : يريد بها رأسه المستدير . الوبر : يريد به الشعر . وروى صاحب اللسان هذا البيت هكذا :

إذا طعنت به مالت عمامته ... كما يلاث برأس الفلكة الوبر

(٣) ناقة القيس : يريد ناقته هو . على الأين : على شدة التعب . ذات هباب : ذات نشاط . نوار : متطلعة إلى ما أمامها .

(٤) الهلك : الفراغ . نجاف الغبيط : مدرعة البرذعة . الهجار : الحبل .

٣٣

وقال :

عَفَا شَطِبٌ مِنْ أَهْلِهِ فَغَرُورُ ... فَمَوْبُولَةٌ إِنْ الدِّيارَ تَدُورُ (١)

فَجِزْعُ مُحَيَّاةٍ كَأَنْ لَمْ تُقِمْ بِهَا ... سَلَامَةُ حَوْلًا كَامِلًا وَقَذُورُ (٢)

---

(١) شطب : جبل فى ديار بنى أسد بروضة غناء . قال عبيد بن الأبرص الأسدى :

يامن لبرق أبيت الليل أرقبه ... فى عارض كمضيء الصبح لماح

دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

كأن ريقه لما علا شطبا ... أقراب أبلق ينفى الخيل رماح

فمن بحوزته كمن بعقوته ... والمستكن كمن يمشى بقرواح

وغرور : ثنية باليمامة ، وهى ثنية الأحيسى ، ومنها طلع خالد بن الوليد رضى الله عنه على مسيلمة الكذاب . وموبولة : موضع .

(٢) جزع محياة : مكان . سلامة وقذور : امرأتان من صواحباته .

قافية السـين

٣٤

وزعم الرواة أن عَبيدَ بن الأبرَصِ الأسَدِيّ لقى امرأ القيس فقال له عَبيد : كيف معرفتك بالأوابد ؟ فقال امرؤ القيس : ألق ما شئت تجدنى كما أحببت [١]

فقال عَبيد :

مَا حَبَّةٌ مَيْتَةٌ أَحْيَتْ بِمَيْتَتِهَا دَرْدَاءُ ما أَنْبَتَتْ سِنًّا وأَضْرَاسَا [٢]

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فى سَنَابِلِهَا

فأَخْرَجَتْ بَعْدَ طولِ المُكْثِ أَكْدَاسَا [٣]

فقال عبيد :

مَا السُّودُ والبِيضُ والأسْمَاءُ واحِدَةٌ لا يَسْتَطِيعُ لهُنَّ النَّاسُ تَمْسَاسَا [٤]

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ السَّحَابُ إذَا الرَّحْمنُ أَرْسَلَهَا رَوَّى بِهَا مِنْ مُحُولِ الأَرْضِ أَيْبَاسَا [٥]

---

(١) إذا صح هذا كان ذلك قبل أن تقتل بنو أسد حجرا وتنشأ العداوة بين امرئ القيس وبين بنى أسد قبيلة عبيد

(٢) ويروى : ماحية . وليست بشىء . درداء : لا سن لها ولا ضرس

(٣) أكداس : أنبار من الشعير . مكدس بعضها على بعض

(٤) التمساس : المس باليد

(٥) المحول : الأرض التى لا نبات بها . والأيباس : التى لم يبلها المطر

فقال عبيد :

مَا مُرْتَجاتٌ على هَوْلٍ مَرَاكِبُهَا ... يَقْطَعْنَ طُولَ المَدَى سَيْرًا وأمْرَاسَا [(١)]

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ النُّجُومُ إذا حَانَتْ مَطَالِعُهَا ... شَبَّهْتُهَا فى سَوَادِ اللَّيْلِ أقْبَاسَا [(٢)]

فقال عبيد :

مَا القَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أَنِيسَ بِهَا ... تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسَا ؟ [(٣)]

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الرِّيَاحُ إذا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا ... كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَّاسَا [(٤)]

فقال عبيد :

مَا الفَاجِعَاتُ جِهَارًا فى عَلَانِيَةٍ ... أَشَدُّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسَا ؟ [(٥)]

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ المَنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ ... يَكْفِتْنَ حَمْقَى وما يُبْقِينَ أَكْيَاسَا [(٦)]

فقال عبيد :

مَا السَّابِقَاتُ سِرَاعَ الطَّيْرِ فى مَهَلٍ ... لَا تَسْتَكِينُ وَلَوْ أَلْجَمْتَهَا فَاسَا ؟ [(٧)]

---

(١) المرتجات : المتعلق بين الرجاء ، وهو الغيث الذى يحى الموات

(٢) كانت العرب تظن أن المطر يجيء بفعل النجوم . أقباس : نيران

(٣) أنكاس : مرتدات خلف ظهورهن . والرياح أنى هبت مضت على وجهها

(٤) يعنى أن الرياح متى هبت اكتسحت ما أمامها من التراب

(٥) الفاجعات : الآتية بالفواجع . الفيلق : الفرقة العظيمة من الجيش . مملوءة بأسا : مملوءة قوة

(٦) يكفتن : يقبضن . الحمق والكيس : الجهال والعقلاء

(٧) الفأس : حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الجِيادُ عَلَيْهَا القَوْمُ قَدْ سَبَحُوا   كَانُوا لَهُنَّ غَداةَ الرَّوْعِ أَحْلَاسَا (١)

فقال عبيد :

مَا القاطِعَاتُ لِأَرْضِ الجَوِّ فى طَلَقٍ   قَبْلَ الصَّباحِ وما يَسْرِيْنَ قِرْطاسَا؟ (٢)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الْأَمَانِيُّ يَتْرُكْنَ الفَتَى مَلِكًا   دُونَ السَّماءِ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا (٣)

فقال عبيد :

مَا الحَاكِمُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ   وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ النَّاسَا؟ (٤)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ المَوازِينُ وَالرَّحْمٰنُ أَنْزَلَها   رَبُّ البَرِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ مِقْيَاسَا (٥)

٣٥

وقال امرؤ القيس يتوجع من مرضه بأرض الروم :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا   كَأَنِّى أُنَادِى أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا (٦)

---

(١) الروع : الفزع وقت الحرب . أحلاس : ملازمون ظهور الجياد وهى الخيل كأنهم الأحلاس وهى الجلال التى تغطى بها ظهور الخيل تحت السروج .

(٢) مايسرين : مايمشين فى الليل . ويروى : مايسوين . القرطاس : الورق .

(٣) الأمانى ، جمع أمنية : وهى مايتمناه الإنسان من ممكن ومستحيل .

(٤) الحاكمون : الذين ينصبهم الناس حكاما لهم لإظهار الحق من الباطل . هى الموازين .

(٥) المقياس : ما يقاس عليه ويوزن به . ولا شك فى أن هذه المحاورة عريقة فى الوضع ولا أستطيع أن أصدق حدوثها لما فيها من أغراض ومعان لم تكن معروفة عند الجاهليين .

(٦) ألما : ميلا وانزلا . عسعس : موضع بالبادية . قال ياقوت : قال بعضهم =

فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِنا ... وَجَدْتُ مَقِيلا عِنْدَهُمْ وَمُعَرَّسا (١)

فَلَا تُنْكِرُونِي إِنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ ... لَيالِيَ حَلَّ الحَيُّ غَوْلًا فَأَلْعَسا (٢)

تَأَوَّبَنِي دائِي القَدِيمُ فَغَلَّسا ... أُحاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دائِي فَأُنْكَسا (٣)

فَإِمَّا تَرَيْنِي لا أُغَمِّضُ ساعَةً ... مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أُكِبَّ فَأَنْعَسا (٤)

فَيارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ... وَطاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسا (٥)

وَيارُبَّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوحُ مُرَجَّلا ... حَبِيبًا إِلَى البِيضِ الكَواعِبِ أَمْلَسا (٦)

يُرَعْنَ إِلَى صَوْتِي إِذا ما سَمِعْنَهُ ... كَما تَرْعَوِي عِيطٌ إِلَى صَوْتِ أَعْيَسا (٧)

= ألم تسأل الربع القديم بعسعسا ... كأنى أنادى أو أكلم أخرسا

فلو أن أهل الدار بالدار عرجوا ... وجدت مقيلا عندهم ومعرسا

فأنت ترى أن ياقوت قد تنكر القائل ولم يثبت القول لامرئ القيس . ولعل هذه الأبيات مما أضافه الرواة على قصيدة امرئ القيس .

(١) كعهدنا : كما عهدناهم نزولا بها . المقيل : المكان الذى تنزل فيه وقت القائلة فى منتصف النهار . المعرس : الموضع الذى تنزل فيه وقت التعريس من آخر الليل .

(٢) غول : جبل فى حضنه واد فيه نخيل وعيون للضباب . وألعس : جبل فى ديار بنى عامر .

(٣) عند بعض الرواة أن هذا البيت هو أول القصيدة ، ولم يثبت ما قبله لامرئ القيس ، تأوبنى : أتانى مع الليل فى وقت الغلس ، أحاذر : أخشى من نكس الداء ومعاودته .

(٤) أكب : يأخذنى شبه النوم فيحنى رأسى فأنعس .

(٥) المكروب : الواقع فى كربة لا يقوى منها على الخلاص ، ويريد به من حاقت به أخطار الحرب وضاق فيها مجاله حتى يكاد يقتل أو يؤخذ . كررت : حملت بفرسى على مصدر كربه حتى تنفس وانفرج المضيق أمامه فنجا .

(٦) مرجلا : مسرح الشعر . أملس : لم ينبت عارضاه ، يعنى فى ميعة شبابه ومستهل فتائه .

(٧) يرعن : يفزعن ويلتفتن . العيط ، جمع عيطاء ويريد بها الناقة الفتية التى لم =

أَرَاهُنَّ لَا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسَا (١)

وَمَا خِلْتُ تَبْرِيحَ الْحَيَاةِ كَمَا أَرَى ... تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا (٢)

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً ... وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا (٣)

وَلَوْ أَنَّ نَوْمًا يُشْتَرَى لَاشْتَرَيْتُهُ ... قَلِيلًا كَتَغْمِيضِ الْقَطَا حَيْثُ عَرَّسَا (٤)

وَبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ ... فَيَا لَكِ مِنْ نُعْمَى تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا (٥)

لَقَدْ طَمِحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا (٦)

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً ... وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا (٧)

= تحمل، والأعيس : الفحل من الجمال القوي على الضراب . وضمير يرعن عائد إلى البيض الكواعب اللاتى ذكرهن فى البيت السابق .

(١) أراهن : يعنى النساء وقوس : انحنى ظهره لكبر سنه .

(٢) خلت : حسبت . التبريح : شدة البلاء . ويروى : وما خفت ، وليست بشيء يعنى أن المرض أعجزه عن لبس ثيابه .

(٣) فلو أنها نفس : يريد نفسه . تموت جميعة : يعنى مرة واحدة ، ولكن المرض يأخذ منها شيئا فشيئا . وقيل إن معناه أن فى موته موت كثير عن يعيشون فى كنفه وتحت رعايته .

(٤) لأن القطا لا يكاد ينام إلا غرارا . ولذلك قال الشاعر .

ولولا المزعجات من الليالى ... لما ترك القطا طيب المنام

(٥) وبدلت قرحا : يزعم الرواة أن ملك الروم أهدى إليه حلة مسمومة فلما لبسها سرى السم فى جسمه فقرحه . والظاهر أنه أصيب بمرض يشبه الجدرى فصنع به ما صنع . وقد أصابه المرض بطريق العدوى من الطماح الذى كان قد أصيب به

(٦) الطماح : رجل من بنى أسد بعثه قومه إلى قيصر ملك الروم فى إثر امرئ القيس ليحول بينه وبين قصده بطريق المكر والخداع والمخاتلة ، ووشى به عند القيصر وزعموا أنه مكر به حتى سم . قال الكميت بن زيد الأسدى :

ونحن طمحنا لامرئ القيس بعدما ... رجا الملك بالطماح نكبا على نكب

(٧) العدم : الفقر والشدة : قنوة : غنى ويسار ونعمة .

٣٦

وقال امرؤ القيس :

أَمَاوِيَّ هَلْ لِي عِنْدَكُمْ مِنْ مُعَرَّسِ — أَمِ الصَّرْمَ تَخْتَارِينَ بِالْوَصْلِ نَيْأَسِ (١)

أَبِينِي لَنَا إِنَّ الصَّرِيمَةَ رَاحَةٌ — مِنَ الشَّكِّ ذِي الْمَخْلُوجَةِ الْمُتَلَبِّسِ (٢)

كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ — بِشُرْبَةَ أَوْ طَاوٍ بِعِرْنَانَ مُوجِسِ (٣)

تَعَشَّى قَلِيلاً ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ — يُثِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنِسِ (٤)

يُهِيلُ وَيُذْرِي تُرْبَهَا وَيُثِيرُهُ — إِثَارَةَ نَبَّاثِ الْهَوَاجِرِ مُخْمِسِ (٥)

---

(١) أماوى . ياماوية ، وهى إحدى صواحباته . معرس : نزول ومبيت وحسن معشر . الصرم : الهجر والقطيعة .

(٢) أبيني : أوضحى وصرحى بما فى نفسك : إن وصلا وإن قطيعة ، فلى فى الحالتين راحة . ذو المخلوجة : يعنى أن القطيعة والهجر البين أولى من الشك الناشئ عن اللبس والخلط والالتواء .

(٣) الرحل : القتب . والأحقب . الحمار الوحشى الأبيض الحقوين . القارح : التام الحسن المتناهى القوة . شربة : موضع ، أوطاو : أو ثور وحشى مما يطوى البلاد قوة ونشاطاً . عرنان : قال ياقوت : مكان يوصف بكثرة الوحش . قال بشر بن أبى حازم :

كأنى وأقتادى على حمشة الشوى — بحربة أو طاو بعسفان موجس

تمكث شيئاً ثم أنحى ظلوفه — يثير التراب عن مبيت ومكنس

أطاع له من جو عرنين بارض — ونبذ خصال فى الخمائل مخلس

موجس : منصت متسمع لكل نبأة .

(٤) تعشى : دخل فى وقت العشاء ، وهو أول الليل . أنحى ظلوفه : اعتمد أظلافه أى حوافره . يثير التراب : يحفر الأرض ليتخذ له من بطنها مأوى يأوى إليه . والمكنس : المكان الذى تكنس فيه الظباء أى تحتجب فيه .

(٥) يهيل : يفرق التراب عن مكانه ليقسع لجثومه . نباث الهواجر : الذى ينبث =

فَبَاتَ عَلَى خَدٍّ أَحَمَّ وَمَنْكِبٍ ... وَضِجْعَتُهُ مِثْلُ الأَسِيرِ المُكَرْدَسِ (١)

وَبَاتَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ كَأَنَّهَا ... إِذَا أَلْثَقَتْهَا غَبْيَةٌ بَيْتُ مُعْرِسِ (٢)

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً ... كِلَابُ ابْنِ مُرٍّ أَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنْبِسِ (٣)

مُغَرَّثَةً زُرْقًا كَأَنَّ عُيُونَهَا ... مِنَ الذَّمْرِ وَالإِيحَاءِ نُوَّارُ عَضْرَسِ (٤)

فَأَدْبَرَ يَكْسُوهَا الرَّغَامَ كَأَنَّهُ ... عَلَى الصَّمْدِ وَالآكَامِ جَذْوَةُ مُقْبِسِ (٥)

وَأَيْقَنَ إِنْ لَاقَيْنَهُ أَنَّ يَوْمَهُ ... بِذِي الرِّمْثِ أَوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمُ أَنْفُسِ (٦)

= التراب فى وقت الهاجرة لتحس إبله برد الثرى فيسكن عنهن العطش . المخمس : الذى ترد إبله الماء خمس .

(١) خد أحم : حار . المكردس : المجتمع بعضه على بعض .

(٢) أرطاة : شجرة الأرطى . والحقف : ما اعوج من الرمل . ألثقتها : بلتها ونديتها . الغبية : الدفعة من المطر . المعرس : البانى بأهله .

(٣) غدية ، تصغير غدوة : أول النهار . ابن مر وابن سنبس : صائدان حاذقان لعلمها ثعليان من طئ . وفى مصر قبيلة من سنبس فى الصعيد وتعد من كرام القبائل

(٤) مغرثة : مجوعة ، والغرثان الجائع . الذمر : الإغراء ، والإيحاء : الإشارة إلى الصيد بحالات خفية ، نوار العضرس : زهر بقلة حمراء . ويروى : من الذمر والإيساد ، وقال ابن برى : العضرس نبات له لون أحمر تشبه به عيون الكلاب لأنها حمر .

(٥) أدبر : كر راجعاً . الرغام : التراب . والصمد : ما صلب من الأرض . والآكام : الكدى . جذوة مقبس : شعلة نار . ويروى : على القور .

(٦) وأيقن ، يريد الثور الوحشى الذى قصد الصائدان بكلابهما إلى صيده . لاقينه : نازلنه ، يعنى الكلاب . أن يومه : أن حينه وموته . بذى الرمث : مكان . ماوتنه : استماتت فى طلبه ، واستمات الثور فى دفعهن عنه . يوم أنفس : يوم ذهاب نفوس ، فإما نفسه وإما نفوس الكلاب ، ويروى : أن ماوتنه :

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَمَا شَبْرَقَ الوِلْدَانُ ثَوْبَ المُقَدِّسِ (١)
وغَوَّرْنَ فى ظِلِّ الغَضَى وتَرَكْنَهُ كَفَحْلِ الهِجَانِ القَادِرِ المُتَشَمِّسِ (٢)

٣٧

وقال يذكر علته بأنقرة :

لِمَنْ طَلَلٌ دَاثِرٌ آيُهُ تَقَادَمَ فى سَالِفِ الأَحْرُسِ (٣)
وتُنْكِرُهُ العَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَيَعْرِفُهُ شَغَفُ الأَنْفُسِ (٤)
فإمَّا تَرَيْنِي وَبِي عَرَّةٌ كَأَنِّى نَكِيبٌ مِنَ النِّقْرِسِ (٥)
وَصَيَّرَنِي القَرْحُ فى جُبَّةٍ تُخَالُ لَبِيسًا وَلَمْ تُلْبَسِ (٦)
تَرَى أَثَرَ القَرْحِ فى جِلْدِهِ كَنَقْشِ الخَوَاتِمِ فى الجِرْجِسِ (٧)

(١) يأخذن : يريد الكلاب لما أدركت الثور أخذت تعضه وتجذبه من ساقه ونساه . شبرق : مزق . ثوب المقدس : ثوب الراهب الذى يأتى بيت المقدس حاجا فإن الأولاد يتمسحون بثيابه ويجذبونها تبركا بها ، وياحسن حظ من تخرج فى يده قطعة من ثوبه . كذلك فعل الكلاب بالثور .

(٢) وغورن : دخلن - يعنى الكلاب . ظل الغضى : ملتف شجر الغضا . وتركنه : يعنى الثور . كفحل الهجان : كالجمل الضروب . القادر المتشمس : الذى ترك الضراب وبرز إلى الشمس مرحا ونشاطاً .

(٣) الطلل : ماشخص من الأثر . داثر آيه : محوة أعلامه . الأحرس : الأدهر

(٤) يقول : إذا أنكرته العين عرفه القلب . وهذا البيت رواه الحصرى فى زهر الآداب .

(٥) العرة : القرحة فى الجسم . نكيب : منكوب . النقرس : مرض المفاصل .

(٦) القرح : المرض الذى أشرنا أنه أصيب به فى أنقرة . وقلنا إنه الجدرى من طريق العدوى .

(٧) الجرجس هنا يريد به : الصحيفة . يعنى أن القروح التى فى جلده تشبه نقش الأختام فى الصحيفة : وهذا يؤيد أن مرضه كان بالجدرى دون غيره .

٣٨

ونزل على خالد بن سُدُوس فأكرم نزله فقال يمدحه :

إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِرًا فَفَاخِرْ ... بِبَيْتٍ مِثْلِ بَيْتِ بَنِي سُدُوسَا [١]

بِبَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤَسَاءَ فِيهِ ... قِيَامًا لَا تُنَازَعُ أَوْ جُلُوسَا [٢]

هُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ ... إِذَا مَا أَجْمَدَ الْمَاءُ الْقَرِيسَا [٣]

---

(١) بنو سدوس : هو سدوس بن أصمع بن أبي عبيد بن ربيعة بن سعد بن نضر.. ابن سعد بن نبهان .

(٢) يعنى لا يرد عليهم كلامهم ولا ينازعون فى حال .

(٣) أيسار : رفقاؤه فى الميسر . لقمان بن عاد : أشهر من أن يعرف .

قافية الصاد

٣٩

وقال امرؤ القيس :

أَمِن ذِكْرِ سَلْمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... فَتَقْصُرُ عَنْهَا خَطْوَةً وَتَبُوصُ (١)

تَبُوصُ وَكَمْ مِنْ دُونِهَا مِنْ مَفَازَةٍ ... وَمِنْ أَرْضِ جَدْبٍ دُونَهَا وَلُصُوصُ (٢)

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمًا بِسَفْحِ عُنَيْزَةٍ ... وَقَدْ حَانَ مِنْهَا رِحْلَةٌ وَقُلُوصُ (٣)

بِأَسْوَدَ مُلْتَفِّ الْغَدَائِرِ وَارِدٍ ... وَذِي أُشُرٍ تَشُوفُهُ وَتَشُوصُ (٤)

مَنَابِتُهُ مِثْلُ السُّدُوسِ وَلَوْنُهُ ... كَشَوْكِ السَّيَالِ فَهْوَ عَذْبٌ يَفِيصُ (٥)

---

(١) نأتك : بعدت عنك وهجرتك . تنوص : تذهب متباعداً . وتبوص : تعجل . يعنى أنك تتردد بين الريث والعجلة .

(٢) المفازة : الطريق المهلكة . وإنما سميت مفازة تفاؤلا بالفوز من أخطارها

(٣) تراءت : ظهرت ظهوراً خفياً . عنيزة : قال ابن الاعرابى : هى تنهية الأودية ينتهى ماؤها إليها ، وهى على ميل من القريتين ببطن الرمة ، وهى لبنى عامر بن كريز قيل بعث الحجاج رجلا يحفر المياه بين البصرة ومكة فقال له : احفر بين عنيزة والشجى حيث تراءت للملك الضليل فقال :

تراءت لنـــا بين النقا وعنيزة ... وبين الشجى مما أحال على الوادى

والله ماتراءت له إلا على ماء قلت : وهـذا البيت لم أعثر على تتمة القصيدة التى هو منها ؛ ولعلى أعثر عليها فيما بعد . وقلوص : رجوع .

(٤) بأسود: بشعر أسود فاحم. الغدائر : خصل الشعر الملتفة المدلاة . الوارد: الشعر الطويل المسترسل. وذى أشر: ثغر محزز الاسنان. تشوفه: تجلوه. وتشوص: تدلكه بالمسواك.

(٥) منابته: أصوله. السدوس: النيلج الاسود الذى تصبغ به الثياب. السيال : ما طال من شجر السمر . يفيص : يسيل على الأرض. كل هذا وصف لشعر سلمى الذى يتغزل بها .

فَدَعْهَا وَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ مُدَاخَلَةٍ صُمِّ العِظَامِ أُصُوصِ (١)

تَظَاهَرَ فِيهَا النَّيُّ لَا هِيَ بَكْرَةٌ وَلَا ذَاتُ ضِغْنٍ فِي الزِّمَامِ قَمُوصِ (٢)

أَؤُوبٍ نَعُوبٍ لَا يُوَاكِلُ نَهْزُهَا إِذَا قِيلَ سَيْرُ المُدْلِجِينَ نَصِيصُ (٣)

كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالقِرَابُ وَنُمْرُقِي إِذَا شَبَّ لِلمَرْوِ الصِّغَارِ وَبِيصُ (٤)

عَلَى نِقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ وَلِعِرْسِهِ بِمُنْعَرَجِ الوَعْسَاءِ بَيْضٌ رَصِيصُ (٥)

إِذَا رَاحَ لِلأُدْحِيِّ أَوْبًا يَفِنُّهَا تُحَاذِرُ مِنْ إِدْرَاكِهِ وَتَحِيصُ (٦)

---

(١) الجسرة : الناقة الفتية القوية على السير . مداخلة : مدمجة الخلق . صم العظام كأن عظامها صماء مصمتة غير جوفاء . أصوص : شديد لحمها .

(٢) تظاهر فيها النى : تراكب شحمها بعضه على بعض . أى سمنت سمنا جيدا . البكرة الصغيرة الشابة من الإبل . ذات ضغن : يقال دابة ضاغن ، يريدون أنها لا تعطى جريها إلا بالضرب . القموص : الجامحة الرامحة برجليها .

(٣) أؤوب نعوب : رجوع إلى الوراء صياحة . لا يؤاكل نهزها : يعنى أنها إذا نهضت بصدرها قامت مستوية لا يتواكل بعضها على بعض . المدلجون : السائرون ليلا . نصيص : جد رفيع .

(٤) القراب : جفن السيف . النمرق : يريد السرج . شب وبيص : اتقدت نار . المرو الصغار : الحجارة الصغير المحماة من لهب الشمس . يقول : كأنى فى هذه الحالة وفى وقت الظهيرة حيث الحجارة محماة من وهج الشمس على نقنق .

(٥) والنقنق : الظليم . الهيق : فرخ النعام ، يشبه فرسه فى حالته تلك بالظليم ، وهو ذكر النعام لشدة عدوه . منعرج الوعساء : رابية من رمل . بيض رصيص : بيض نعام نسق بعضه إلى بعض . فالظليم الذى يشبه الفرس به يعدو بشدة ليدرك هذا البيض ويحتضنه ويرعاه .

(٦) الأدحى : أفحوص الطائر . أوبا : رجوعا . يفنها : يزينها . تحيص : تميل وتضطرب . والمراد بها النعامة التى هى عرسه ، أى عرس ذلك الظليم .

أَذَلِكَ أَمْ جَوْنٌ يُطَارِدُ آتُنًا ... حَمَلْنَ فَأَدْنَى حَمْلِهِنَّ دُرُوصُ (١)

طَوَاهُ اضْطِمَارُ الشَّدِّ فَالْبَطْنُ شَازِبٌ ... مُعَالًى إِلَى الْمَتْنَيْنِ فَهْوَ خَمِيصُ (٢)

بِحَاجِبِهِ كَدْحٌ مِنَ الضَّرْبِ جَالِبٌ ... وَحَارِكُهُ مِنَ الْكِدَامِ حَصِيصُ (٣)

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ ظَهْرِهِ ... كَنَائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ (٤)

وَيَأْكُلْنَ مِنْ قَوٍّ لُعَاعًا وَرِبَّةً ... تَجَبَّرَ بَعْدَ الْأَكْلِ فَهْوَ نَمِيصُ (٥)

تُطِيرُ عِفَاءً مِنْ نَسِيلٍ كَأَنَّهُ ... سُدُوسٌ أَطَارَتْهُ الرِّيَاحُ وَخُوصُ (٦)

تَضَيَّفَهَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَسُغْ لَهُ ... نَصِيٌّ بِأَعْلَى حَائِلٍ وَقَصِيصُ (٧)

يُغَالِينَ فِيهَا الْجَزْءَ لَوْلَا هَوَاجِرٌ ... جَنَادِبُهَا صَرْعَى لَهُنَّ فَصِيصُ (٨)

---

(١) الجون : يريد به حمار الوحش . الأتن : الحمر الوحشية . دروص : أجنة

(٢) طواه اضطمار الشد : يعني أن هذا الحمار قد ضمره الجري وطوى لحمه فهو مكتنز غير رهل مع خموص البطن ، وهو لذلك قوي شديد . الشازب : الضامر . معالى إلى المتنين : مرتفع الظهر . الخميص : الضامر .

(٣) كدح : أثر ضرب . جالب : لم يبرأ بعد . والحارك : أعلى الكاهل . الكدام : العض . حصيص : منحول الشعر .

(٤) سراته : أعلى ظهره . وجدة ظهره : العلامة يخالف لونها لون جلده . كنائن : يريد أن بظهره خطوط بيض . دليص : لين .

(٥) قو : اسم مكان . اللعاع : الرقيق من النبات أول ما ينبت . وربة : نبات أو هو شجر الخروب فيما يقال . تجبر : نشط وعتا . النميص : ضرب من النبات يمكن نتفه

(٦) العفاء : الشعر . سدوس : ثوب حرير أخضر . الخوص . ورق النخيل .

(٧) تضيفها : نزل بها . أي أن الحمار نزل بأتنه المكان المسمى بقو لما فيه من الخصب والكلأ . النصي : نبت مادام رطباً ، فإذا ابيض فهو الطريفة ، فإذا ضخم ويبس فهو الحلي . حائل : موضع بجبلي طيئ ، وقصيص : القصيص : نبت ينبت في أصول الكمأة ، وقد يجعل غسلا للرأس كالخطمي .

(٨) يغالين : يشربن لبن الغيل . الجنادب : الجراد الصغير . صرعى : هلكى من شدة الحر ، وناهيك بحر يصرع الجندب . نصيص : صوت كصوت الشواء على النار

أَرَنَّ عَلَيْهَا قَارِبًا وَانتَحَتْ لَهُ ... طَوَالَةُ أَرْسَاغِ الْيَدَيْنِ نَحُوصُ (١)

فَأَوْرَدَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْرَبًا ... بَلَائِقَ خُضْرًا مَاؤُهُنَّ قَلِيصُ (٢)

فَيَشْرَبْنَ أَنْفَاسًا وَهُنَّ خَوَائِفٌ ... وَتُرْعَدُ مِنْهُنَّ الْكُلَى وَالفَرِيصُ (٣)

فَأَصْدَرَهَا تَعْلُو النِّجَادَ عَشِيَّةً ... أَقَبُّ كَمِقْلَاءِ الْوَلِيدِ خَمِيصُ (٤)

فَجَحْشٌ عَلَى آثَارِهِنَّ مُخَلَّفٌ ... وَجَحْشٌ لَدَى مَكَرِّهِنَّ وَقِيصُ (٥)

وَأَصْدَرَهَا بَادِي النَّوَاجِذِ قَارِحٌ ... أَقَبُّ كَكَرِّ الْأَنْدَرِيِّ مُحِيصُ (٦)

---

(١) أرن عليها ، يعنى أن الحمار صوت على الأتن . انتحت له : مالت إليه تدفعه عنها بأرجلهن . نحوص : حال السمن بينها وبين الحمل .

(٢) قليص : قليل .

(٣) يعنى يشربن نفسا بعد نفس ، أى مرة بعد مرة ، لشدة خوفهن منه واضطراب فرائصهن لقوة دفعه وزجره .

(٤) النجاد : المرتفعات من الأرض . عشية : وقت العشاء . أقب : ضامر . كمقلاء الوليد ، ويروى : القنيص : الكلب . خميص : ضامر البطن . يقول إن هذا الحمار لايزال يطارد هذه الأتن فيوردها المياه ويصدرها عنها دون أن يكل أو يمل مع أنهن يرمحنه ويحدثن الكدوح بحاجبيه والكدوم بجسمه .

(٥) الجحش : المتخلف الذى لم يقو على متابعتهن فى الجرى والشد . والجحش الوقيص : المصاب بجروح لم تمكنه من اللحاق بهن .

(٦) بادى النواجذ : مفتوح الفم . قارح : مستحكم السن ، قوى الأسر . ككر الأندرى : كرجع الحبل الغليظ . محيص : شديد الخلق مدمج .

قافية الضاد

٤٠

وقال امرؤ القيس :

أَعِنِّى عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيضِ ... يُضِيءُ حَبِيًّا فِى شَمَارِيخَ بِيضِ (١)

وَيَهْدَأُ تَارَاتٍ سَنَاهُ وَتَارَةً ... يَنُوءُ كَتَعْتَابِ الْكَسِيرِ الْمَهِيضِ (٢)

وَتَخْرُجُ مِنْهُ لَامِعَاتٌ كَأَنَّهَا ... أَكُفٌّ تَلَقَّى الْفَوْزَ عِنْدَ الْمُفِيضِ (٣)

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِى بَيْنَ ضَارِجٍ ... وَبَيْنَ تِلَاعِ يَثْلَثٍ فَالْعَرِيضِ (٤)

أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لِوَاهُمَا ... فَوَادِى الْبَدِىِّ فَانْتَحَى لِلْأَرِيضِ (٥)

---

(١) أعنى : أسعدنى . وميض : يلمع لمعاناً خفيا . والحبى : السحاب المتدانى بعضه إلى بعض ، وشماريخ : أصل الشماريخ أعالى الجبال ، وقد استعارها . لأعالى السحاب . وبيض : وصف للشماريخ ، فإن كان هذا الوصف للجبال فهى التى لا نبات فيها ، وإن كان للسحاب فهى التى لاتحمل مطراً كثيراً .

(٢) ويهدأ سناه . يسكن لمعانه . ينوء : ينهض متثاقلا . كتعتاب الكسير المهيض : كما يمشى الرجل على رجل كسرت ثم جبرت ثم كسرت . فهو يمشى على ثلاث قوائم وهذا هو المهيض . يصف البرق بالتثاقل فى حركته عند لمعانه فيشبهه بمشى الرجل الكسير المهيض .

(٣) وتخرج منه لامعات : تلمع منه لوامع . أكف تلقى الفوز أيدى ياسر مقامر يضرب بالقداح ليظفر ويفوز بنصيبه . والمفيض : هو الياسر المقامر يضرب القداح

(٤) ضارج : مكان معروف به ماء يظله الطلح . تلاع يثلث : مرتفعات هذا الموضع المسمى بيثلث . العريض : جبل ، وقيل واد .

(٥) قطيات : هضاب حمر ملس بموضع الحمى متجاورات ، وهى قلات مياه كعب ابن كلاب ، ومياه بنى أبى بكر بن كلاب . فسال لواهما ، ويروى : فسال اللوى لها . واللوى : مااستدق من الرمل . وادى البدى : هو واد بنجد ، والأريض : موضع . ويروى : أصاب قطاتين .

بِمَيْثٍ دِماثٍ فى رِياضٍ أَثِيثَةٍ   تَحِيلُ سَوافِيها بماءٍ فَضِيضِ (١)

بِلادٌ عَرِيضَةٌ وأَرْضٌ أَرِيضَةٌ   مَدافِعُ غَيْثٍ فى فَضاءٍ عَرِيضِ (٢)

فأضحى يَسُحُّ الماءَ عَنْ كُلِّ فِيقَةٍ   يَحُورُ الضِّبابَ فى صَفاصِفَ بِيضِ (٣)

فأَسْقِ بِهِ أُخْتِى ضَعِيفَةَ إذْ نَأَتْ   وإذْ بَعُدَ المَزارُ غَيْرَ القَرِيضِ (٤)

ومَرْقَبَةٍ كالزُّجِّ أَشْرَفْتُ فَوْقَها   أُقَلِّبُ طَرْفِى فى فَضاءٍ عَرِيضِ (٥)

فَظِلْتُ وظَلَّ الجَوْنُ عِنْدِى بِلِبْدِهِ   كأنِّى أُعَدِّى عَنْ جَناحٍ مَهِيضِ (٦)

فَلَمَّا أَجَنَّ الشَّمْسَ عَنِّى غُؤُورُها   نَزَلْتُ إلَيْهِ قائِمًا بِالحَضِيضِ (٧)

يُبارِى شَباةَ الرُّمْحِ خَدٌّ مُذَلَّقٌ   كَصَفْحِ السِّنانِ الصُّلَّبِىِّ النَّحِيضِ (٨)

---

(١) الميث والدماث : الأرض السهلة اللينة . رياض أثيثة : ملتف نبتها . تحيل : تصب . بماء فضيض : بماء أبيض صاف كأنه الفضة النقية .

(٢) عريضة : واسعة . أريضة : لينة . مدافع غيث : مصب سيول .

(٣) يسح الماء : يصب صباً متواليا . عن كل فيقة : عن كل ما يجتمع من الماء. يحور الضباب : يرجع الضباب وهو جمع ضب الحيوان المعروف إلى الصفاصف وهى الأرض المستوية فلا تقوى على السباحة . وبيض : عارية من النبت . يريد الصفاصف .

(٤) فأسق به أختى : أدعو لها بالسقيا . ضعيفة : بدل من أختى ؛ يعنى أختى الضعيفة . إذ نأت : إذ بعدت عنى . غير القريض : يريد أنه يدعو لها بالسقيا ويهدى إليها الأشعار .

(٥) ومرقبة كالزج : ورب مرقبة عالية صعبة المرتقى كأنها زج الرمح . أشرفت فوقها : رقيت إليها واطلعت منها ، على صعوبة مرتقاها .

(٦) الجون : الفرس الأدهم . بلبده : يريد سرجه . أعدى : اعتمد عليه. الجناح المهيض : المكسور .

(٧) يعنى فلما غابت الشمس واحتجبت نزلت إليه فى حضيض الأرض المستوية .

(٨) يبارى شباة الرمح خد مذلق : يعنى أن خد فرسه طويل دقيق كأنه طرف الرمح =

أُخَفِّضُهُ بِالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ ... وَيَرْفَعُ طَرْفًا غَيْرَ جَافٍ غَضِيضِ (١)

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ عَبْلِ الْيَدَيْنِ قَبِيضِ (٢)

لَهُ قُصْرَيَا عَيْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... كَفَحْلِ الْهِجَانِ الْقَيْسَرِيِّ الْعَضِيضِ (٣)

يَجُمُّ عَلَى السَّاقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِهِ ... جُمُومَ عُيُونِ الْحِسْيِ بَعْدَ الْمَخِيضِ (٤)

ذَعَرْتُ بِهِ سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهَا ... كَمَا ذَعَرَ السِّرْحَانُ جَنْبَ الرَّبِيضِ (٥)

فَأَقْصَدَ نَعْجَةً فَأَعْرَضَ ثَوْرُهَا ... كَفَحْلِ الْهِجَانِ يَنْتَحِي لِلْعَضِيضِ (٦)

وَوَالَى ثَلَاثًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا ... وَغَادَرَ أُخْرَى فِي قَنَاةٍ رَفِيضِ (٧)

= كصفح السنان : كحجر المسن . الصلى : الصاب . النحيض : المرقق .

(١) أخفضه بالنقر : أهدئه وأسكنه بالصفير . علوته : ركبته . ويرفع طرفا غير جاف : وينظر إلى بعين ساكنة هادئة غير جافية ، ولا غضيضة منكسرة .

(٢) أغتدى : أخرج فى غدوة النهار ، وكناتها : أوكارها وأعشتها . بمنجرد عبل : بفرس قصير الشعر من السمن والتضمير ضخم اليدين . قبيض : سريع نقل اليدين

(٣) له قصريا عير : كأن أضلاعه أضلاع حمار وحشى ، وساقا نعامة : وكأن ساقاه ساقا نعامة . كفحل الهجان : كالجمل القوى المعد للضراب فى الإبل الكرام . القيسرى الكبير . الغضيض : الفتى القوى ، ويروى : كفحل الهجان ينتحى للعضيض ، وهذا كله وصف لفرسه وتشبيه له بمزايا هذه الحيوانات .

(٤) يجم على الساقين : يستريح على ساقيه ، بعد كلاله : بعد تعبه وإعيائه . جموم عيون الحسى : كما تجم البئر كثر الأخذ من مائها بعد المخيض : بعد أن مخضتها الدلاء .

(٥) ذعرت به سربا نقيا جلودها : أفزعت به قطيعاً من البقر البيض الجلود . السرحان : الذئب . جنب الربيض : كما يفزع الذئب الغنم فى مرابضها .

(٦) فأقصد نعجة : فأصاب بقرة بطعنة قاتلة ، يريد أنه هو الطاعن لا الفرس . فأعرض ثورها : فاعترض ثورها باقى النعاج . ينتحى للعضيض : يقصد إليها ويعتمد العض

(٧) ووالى ، يريد الفرس : وتابع طاب النعاج حتى أصاب تسع بقرات . وغادر أخرى فى قناة رفيض : وترك العاشرة مكسورة فى قناة ماء .

فآبَ إياباً غيرَ نكدٍ مواكلٍ … وأخلفَ ماءً بعدَ ماءٍ فضيضِ (١)

وسِنٍّ كسُنْدُقٍ سَناءً وسُنَّمٍ … ذَعَرْتُ بِمِدلاجِ الهَجيرِ نَهُوضِ (٢)

أرى المرءَ ذا الأذوادِ يُصبِحُ مُحْرَضاً … كإحراضِ بَكْرٍ في الدِّيارِ مَرِيضِ (٣)

كأنَّ الفتى لم يَغْنَ في النّاسِ ساعةً … إذا اختلفَ اللَّحيانِ عندَ الجَرِيضِ (٤)

---

(١) فآب إيابا غير نكد: فرجع رجوعا حافلا بالخير غير خائب. ولا مواكل: ولا معتمد على غيره. وأخلف: ترك. فضيض: مصبوب، يريد بالماء: عرق الفرس

(٢) السن: الثور الوحشي. كسنديق: كالجبل. سناء: رفعة. وسنم: وبقرة وحشية. ذعرت: أفزعت. بمدلاج الهجير نهوض: بفرس كثير العدو فى الهاجرة كثير الوثوب. يقول: ورب ثور وبقرة أفزعتهما بهذا الفرس فى وقت الظهيرة.

(٣) ذو الأذواد: صاحب الإبل دون العشرة. المحرض: المشرف على الهلاك المحتضر، والبكر: الفتى من الإبل. يعنى أن المال لايحول بين صاحبه وبين هلاكه متى حم يومه.

(٤) اللحيان: الفكان، يعنى فى حال الاحتضار. عند الجريض: عند ما يغص بريقه وقت موته، يعنى إذا حضر الموت فكأن الإنسان ـ مهما طال فى الحياة عمره ـ لم يعش بين الناس ساعة واحدة.

قافية العين

٤٢

وقال امرؤ القيس :

جَزِعْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعَا ... وَعَزَّيْتُ قَلْبًا بِالكَوَاعِبِ مُولَعَا (١)

وَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ الصِّبَا غَيْرَ أَنَّنِي ... أُرَاقِبُ خَلَّاتٍ مِنَ العَيْشِ أَرْبَعَا (٢)

فَمِنْهُنَّ قَوْلِي لِلنَّدَامَى تَرَفَّقُوا ... يُدَاجُونَ نَشَّاجًا مِنَ الخَمْرِ مُتْرَعَا (٣)

وَمِنْهُنَّ رَكْضُ الخَيْلِ تَرْجُمُ بِالقَنَا ... يُبَادِرْنَ سِرْبًا آمِنًا أَنْ يُفَزَّعَا (٤)

وَمِنْهُنَّ نَصُّ العِيسِ وَاللَّيْلُ شَامِلٌ ... يُيَمِّمْنَ مَجْهُولًا مِنَ الأَرْضِ بَلْقَعَا (٥)

خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ ... يُجَدِّدْنَ وَصْلًا أَوْ يُرَجِّيْنَ مَطْمَعَا (٦)

---

(١) جزعت : حزنت وتملكنى الجزع . البين : الفراق والبعاد . الكواعب : الفتيات اللائى كعبت ثديهن . مولع : لهج بذكرهن . يقول : وصبرت قلبي عنهن بعد أن كان مولعابهن .

(٢) ودعت الصبا : تركت شبابى وكبرت عن التصابى . أراقب خلات : أنتظر خصالا أربعا . ثم أخذ فى تفصيلها بعد .

(٣) الندامى : صحبة الشراب . ترفقوا : فى شرب الراح وفى حث الكأس . يداجون : يخادعون . نشاج مترع : زق ملئ خمراً .

(٤) ركض الخيل : ركوب الخيل لمطاردة الوحش للصيد . السرب : القطيع من البقر والظباء . آمنا : مطمئنا من الفزع والذعر .

(٥) نص العيس : ركوب الإبل وسوقها فى ظلام الليل لبلوغ غاياته التى تعن له . ييممن : يقصد بهن . بلقع : خال .

(٦) يعنى أنه يخرج على هذه الإبل من القفر إلى الحضر لوصل حبيب أو لطلب مغنم .

وَمِنْهُنَّ سَوْفُ الْخَوْدِ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى ... تُرَاقِبُ مَنْظُومَ التَّمَائِمِ مُرْضَعَا (١)

يَعِزُّ عَلَيْهَا رِيبَتِي وَيَسُوءُهَا ... بُكَاهُ فَتَثْنِي الْجِيدَ أَنْ يَتَضَوَّعَا (٢)

بَعَثْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ ضَوَاجِعٌ ... حِذَاراً عَلَيْهَا أَنْ تَهُبَّ فَتَسْمَعَا (٣)

فَجَاءَتْ قَطُوفَ الْمَشْيِ هَيَّابَةَ السُّرَى ... يُدَافِعُ رُكْنَاهَا كَوَاعِبَ أَرْبَعَا (٤)

يُزَجِّينَهَا مَشْيَ النَّزِيفِ وَقَدْ جَرَى ... صُبَابُ الْكَرَى فِي مُخِّهَا فَتَقَطَّعَا (٥)

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... كَمَا رُعْتَ مَكْحُولَ الْمَدَامِعِ أَتْلَعَا (٦)

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا (٧)

فَبِتْنَا تَصُدُّ الْوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّنَا ... قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا (٨)

---

(١) سوف الخود : شم الغادة الحسناء قد نديت من المطر . تراقب منظوم التمائم مرضعاً : تعنى بشأن رضيعها الذى نظمت عليه التمائم .

(٢) يعز عليها ريبتى : عزيز عليها ما أريبها به . فتثنى الجيد : تلتفت نحو طفلها الرضيع . يتضوع : يبكى ويذيع بكاؤه فيفضح أمرها .

(٣) والنجوم ضواجع : كأنها لبطء سيرها مضطجعة . تهب : تنهض من مرقدها فتسمع : فتوقظ من حولها .

(٤) قطوف المشى : يعنى أنها تتقطف فى مشيها ، وهذا من محاسن مشى النساء . هيابة السرى : خائفة من مشى الليل . يدافع ركناها : جانباها . كواعب : أربع فتيات حسان .

(٥) يزجينها : يدفعنها دفعاً خفيفاً . النزيف : السكران . صباب الكرى : بقية النوم

(٦) رعت : أفزعت : مكحولا من العين : أى من الظباء . أتلع : حسن الجيد . يعنى كأنها فى تجردها هذا الظبي الغرير .

(٧) يقول : إنها تقول : وجدك لو جاءنا رسول سواك لما أجبناه إلى سؤاله ، ولكنا لا نستطيع رد طلبك .

(٨) تصد الوحش عنا : تتركنا الوحوش ذاهبة عنا ، يريد أن الوحش حين =

إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ   بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الهَوْلِ أَرْوَعَا (١)

تَصُدُّ عَنِ المَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا   وَتُدْنِي عَلَيَّ السَّابِرِيَّ المُضَلَّعَا (٢)

٤٣

وقال امرؤ القيس :

لَعَمْرِي لَقَدْ بَانَتْ بِحَاجَةِ ذِي الهَوَى   سُعَادُ وَرَاعَتْ بِالفِرَاقِ مُرَوَّعَا (٣)

وَقَدْ عَمَرَ الرَّوْضَاتِ حَوْلَ مُخَطَّطٍ   إِلَى اللُّخِّ مَرْأًى مِنْ سُعَادَ وَمَسْمَعَا (٤)

مَتَى تَرَ دَارًا مِنْ سُعَادَ تَقِفْ بِهَا   وَتَسْتَجْرِ عَيْنَاكَ الدُّمُوعَ فَتَدْمَعَا (٥)

٤٤

ومما ينسب إليه قوله :

أَرِقْتُ وَلَمْ يَأْرَقْ لِمَا بِي نَافِعُ   وَهَاجَ لِيَ الشَّوْقَ الهُمُومُ الرَّوَادِعُ (٦)

= تراهما على حالتهما تلك تظنهما قتيلين فتصد عنهما لأن بعض الوحوش لا تأكل الميتة .

(١) هزة الروع : نشوة الحال التي هما فيها . أروع : شجاع قوي الأسر .

(٢) تصد عن المأثور : تعرض عن الحديث في وصف الحب ولوعة الغرام ، وتدني على السابري المضلعا : وتغطيني بثوبها الرقيق المخطط .

(٣) بانت : بعدت . راعت : افزعت . المروع : المضطرب المفزع ، يعني نفسه .

(٤) الروضات : الرياض الغناء . ومخطط ، واللخ : اسما مكانين .

(٥) تستجر : ترسل الدموع بكاء عليها لخلوها من سعاد .

(٦) أرقت : سهدت لما بي من الهموم والأشواق . ونافع : صاحب له ، ولكنه لم يأرق لأرقه لأنه ليس عنده ما عنده .

٤٥

ومنه قوله :

وتَبَرَّجَتْ لِتَرُوعَنَا فَوَجَدتُ نَفْسِى لَمْ تُرَعْ[1]

---

(١) تروعنا : تلقى الروع والفزع فى قلوبنا ، ولم يرد الفزع ولكنه أراد أنها تبغى بتبرجها أن تروعنا أى أن تظهر لنا بمظهر رائع يستفزنا ويلفت نظارنا إليها ويملك علينا حواسنا فنقع فى أشراك حبها ، فوجدت نفسى لم ترع : لم تستفزنى لاعتيادى منها هذه الحال .

قافية الفـــاء

٤٦

وقال يرثي الحارث بن حبيب السُّلَمي ، وكان خرج معه إلى الشام :

ثوى عِنْدَ الوَدِيَّةِ جوفَ بُصْرَى أبو الأيتامِ والكَلِّ العِجافِ (١)

فمَنْ يَحْمِي المَصافَ إذا دَعاهُ ويَحْمِلُ خُطَّةَ الأُنُسِ الضِّعافِ (٢)

٤٧

ومما نسب إليه : (٣)

وقاتلَ كَلْبُ الحيِّ عَنْ نارِ أهْلِهِ لِيَرْبِضَ فِيهَا والصَّلا مُتَكَنِّفُ

---

(١) ثوى : أقام حتى لا يراح ، وهو ثواء الموت . عند الودية : عند النخلة الصغيرة ويظهر أنه لما دفن غرسوا إلى جانب قبره ودية ، وهي فسيلة النخل ، وهكذا كانوا يفعلون . جوف بصرى : في بطن البلد المعروف ببصرى بالشام على طرف البرية . والكل : ما يحمل . العجاف : المهازيل .

(٢) يحمي المصاف : ساحة الحرب ومعترك النزال . إذا دعاه : إذا طلبه خصمه للبراز . الخطة : الطريقة ، ويريد بها مطالب الناس .

(٣) نسب هذا البيت صاحب اللسان ج ١٩ ص ٢٠٢ إلى امرئ القيس أنه من أبيات تروى وقد رواها الجاحظ في الحيوان للفرزدق فقال : وقال الفرزدق :

إذا احمر آفاق السماء وهتكت كسور بيوت الحي نكباء حرجف

وجاء قريع الشول قبل إفالهـــا يزف وجاءت قبله وهي زحف

وهتكت الأطناب كل دفرة لها تامك من عاتق النى أعرف

وباشر راعيهـــا الصلى بلبانه وكف لحر النـــار ما يتحرف

وقاتل كلب الحي عن نار أهله ليربض منهـا والصلى متكنف

وأصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات النيب قطن مندف

قافية القـــاف

٤٨

وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ فَانْطِقِ
وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقِ (١)

وَحَدِّثْ بِأَنْ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ
كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُنَبَّقِ (٢)

جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَعَدْنَ قَعَائِدًا
وَحَفَّفْنَ عَنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ الْمُنَمَّقِ (٣)

وَفَوْقَ الْحَوَايَا غِزْلَةٌ وَجَآذِرٌ
تَضَمَّخْنَ مِنْ مِسْكٍ ذَكِيٍّ وَزَنْبَقِ (٤)

فَأَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ
غَوَارِبُ رَمْلٍ ذِي أَلَاءٍ وَشِبْرِقِ (٥)

---

(١) ألا عم صباحا : هذه تحية العرب فى الجاهلية ، ويروى : ألا انعم صباحا ، وقد يقولون : عم مساء . كما قال الشاعر :

أتوا نارى فقلت منون أنتم   فقالوا : الجن قلت : عموا مساء

(٢) زالت بليل حمولهم : ترحلوا ليلا . كنخل من الأعراض : كالنخل النابت فى أعراض الحجاز وهى رساتيقه . غير منبق : غير مستو ، ولا مهذب ، ولا مسطور فى سطر واحد ، أى متفرق .

(٣) الحوايا : البراذع ، وحففن : يقال : هودج محفف بالديباج . حوك العراق المنمق : ثياب من نسيج العراق الموشاة .

(٤) غزلة وجآذر : غزلان وأولادها من الجآذر . شبه النساء فى الهوادج بهن . تضمخن : تعطرن ، والزنبق : بصل له نور أصفر حسن الرائحة .

(٥) فأتبعتهم طرفى : نظرت إليهم طويلا . غوارب رمل : أعالى هضاب . ذو ألاء وشبرق ، الألاء : شجر يشبه الآس لايغير فى القيظ ، وله ثمر يشبه سنبل الذرة ، ومنبتها الرمل والأودية . والشبرق : الضريع ، وهو نبات تأباه الدواب لخبثه .

عَلَى إِثْرِ حَيٍّ عَامِدِينَ لِنِيَّةٍ ... فَحَلُّوا العَقِيقَ أَوْ ثَنِيَّةَ مُطْرِقِ (١)

فَعَزَّيْتُ نَفْسِي حِينَ بَانُوا بِجَسْرَةٍ ... أَمُونٍ كَبُنْيَانِ اليَهُودِيِّ خَيْفَقِ (٢)

إِذَا زُجِرَتْ أَلْفَيْتَهَا مُشْمَعِلَّةً ... تُنِيفُ بِعَذْقٍ مِنْ غِرَاسِ ابْنِ مُعْنِقِ (٣)

تَرُوحُ إِذَا رَاحَتْ رَوَاحَ جَهَامَةٍ ... بِإِثْرِ جَهَامٍ رَائِحٍ مُتَفَرِّقِ (٤)

كَأَنَّ بِهَا هِرًّا جَنِيبًا تَجُرُّهُ ... بِكُلِّ طَرِيقٍ صَادَفَتْهُ وَمَأْزِقِ (٥)

كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالقِرَابَ وَنُمْرُقِي ... عَلَى يَرْفَئِيٍّ ذِي زَوَائِدَ نِقْنِقِ (٦)

تَرَوَّحَ مِنْ أَرْضٍ لِأَرْضٍ نَطِيَّةٍ ... لِذِكْرَةِ قَيْضٍ حَوْلَ بَيْضٍ مُفَلَّقِ (٧)

---

(١) عامدين لنية : قاصدين لوجه . العقيق : واد بعارض اليمامة ، وثنية مطرق: فلاة العارض باليمامة .

(٢) حين بانوا : حين بعدوا عن عيني . بجسرة : بناقة قوية على السير وقطع القفار . أمون : متينة . كبنيان اليهودي : كحصن اليهودي ، وكانت اليهود بعد تفرقها عن بيت المقدس في عهد خرابه على يد طيطس القائد الروماني ذهبت طائفة منهم إلى جزيرة العرب فأقامت آطامها في يثرب وحصونها في تيماء وغيرها من مدن الحجاز ، وكانت من أوثق ماشيد من البنيان . فجعلها امرؤ القيس مثلا لمتانة ناقته وشدة أسرها . والخيفق : السريعة .

(٣) مشمعلة : ماضية في سيرها . تنيف بعذق : تشرف بعنق كأنه نخلة . ابن معنق رجل كان يجيد غرس النخيل . فضرب به مثلا .

(٤) تروح : تسير كأنما تدفعها الريح . رواح جهامة : كما تروح السحابة البيضاء التي لاماء فيها ، وهي بهذه الحالة تكون خفيفة وسريعة في مرها .

(٥) كأن بها هرا جنيباً تجره : كأنها لسرعتها ونشاطها قد جنب بها هر فهو لايزال يخمشها فلا تصبر عليه . المأزق : المضيق .

(٦) اليرفئي : الظليم وهو ذكر النعام : ذو زوائد : ذو عدو سريع . نقنق : فتي ، وهو وصف للظليم .

(٧) تروح : يعني هذا الظليم حينما يمسي يرجع إلى بيضه مسرعا قاطعاً أرضا إلى

يَجُــولُ بِآفاقِ البِلَادِ مُغَرِّبًا ... وَتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلَّ مَسْحَقِ (١)

وَبَيْتٍ يَفُوحُ المِسْكُ فِي حُجُرَاتِهِ ... بَعِيدٍ مِنَ الآفَاتِ غَيْرِ مُرَوَّقِ (٢)

دَخَلْتُ عَلَى بَيْضَاءَ جُمٍّ عِظَامُهَا ... تُعَفِّي بِذَيْلِ الدِّرْعِ إِذْ جِئْتُ مَوْدِقِي (٣)

وَقَدْ رَكَدَتْ وَسْطَ السَّمَاءِ نُجُومُهَا ... رُكُودَ نَوَادِي الرَّبْرَبِ المُتَوَرِّقِ (٤)

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الغُطَاسِ بِهَيْكَلٍ ... شَدِيدٍ مَشَكِّ الجَنْبِ فَعْمِ المُنَطَّقِ (٥)

بَعَثْنَا رَبِيئًا قَبْلَ ذَاكَ مُخَمَّلًا ... كَذِئْبِ الغَضَى يَمْشِي الضَّرَاءَ وَيَتَّقِي (٦)

فَظَلَّ كَمِثْلِ الخِشْفِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ... وَسَائِرُهُ مِثْلُ التُّرَابِ المُدَقَّقِ (٧)

= أرض . نطية : بعيدة ، لذكرة قيض : لتذكره فلق البيض وقشوره التى تركها تنقف عن فراخه .

(١) تسحقه : تبعده إلى مكان سحيق .

(٢) غير مروق : ليست له أروقة .

(٣) جم عظامها : يصفها باللين والبضاضة فكأن السمن قد أخفى عظامها فهى جماء . وهذا دليل النعمة والرفاهية . ويروى : جم عظامها : بفتح الجيم . ولست أراه. تعفى بذيل الدرع : تسحب ذيل قميصها على أثرى فتمحوه ، والمودق : أثر قدمى .

(٤) ركدت النجوم وسط السماء : وقفت يعنى فى منتصف الليل . نوادى الربرب المتورق : وقوف قطيع الظباء بعد تناولها ورق الشجر .

(٥) اغتدى : أخرج بفرسى . قبل الغطاس : قبل انبلاج الصباح . بهيكل : بجواد كأنه الهيكل المبنى لاستحكام خلقه . شديد مشك الجنب : قوى مغرز الجنب فى الصلب . فعم المنطق : ممتلئ مكان النطاق ، وهو الحزام ، ويريد به الجوف .

(٦) الربيء : الرقيب المتشوف . مخملا : متستراً بأوراق الشجر لئلا يراه الصيد فينفر . الغضى : شجر عظام له شوك تأوى إليه الذئاب الخبيثة . يمشى الضراء : يختفى بالشجر ويستتر به ليختل الصيد .

(٧) فظل كمثل الخشف يرفع رأسه : يعنى أن هذا الرقيب الذى بعثناه كان يزحف على أربعته كالخشف ، وهو ولد الظبى ، يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى . مثل التراب : للصوقه بالأرض .

وجاء خَفيًّا يَسْفِنُ الأرضَ بَطْنُهُ ... تَرى التُّربَ منه لاصقًا كلَّ مَلْصَقِ (١)

وقال ألا هــذا صوارٌ وعانةٌ ... وخَيْطُ نَعامٍ يَرْتَعِي مُتَفَرِّقِ (٢)

فَقُمْنا بأشلاءِ اللجامِ ولم نَقُدْ ... إلى غُصْنِ بانٍ ناضرٍ لم يُحَرَّقِ (٣)

نُزاوِلُهُ حتى حَمَلْنا غُلامَنا ... على ظَهْرِ ساطٍ كالصَّليفِ المُعَرَّقِ (٤)

كأنّ غُلامي إذ علا حالَ مَتْنِهِ ... على ظَهْرِ بازٍ في السّماءِ مُحَلِّقِ (٥)

رأى أرنبًا فانقضَّ يَهْوِي أمامَهُ ... إليها وجَلّاها بِطَرْفٍ مُلَقْلَقِ (٦)

فقلتُ له صَوِّبْ ولا تَجْهَدَنَّهُ ... فَيُذْرِكَ مِنْ أعلى القَطاةِ فَتَزْلَقِ (٧)

فأدْبَرْنَ كالجَزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ ... بِجِيدِ الغُلامِ ذي القَميصِ المُطَوَّقِ (٨)

---

(١) يسفن الأرض : أي جاء وكأنما يقشر الأرض لزحفه على بطنه وقد لصق به التراب فهو لايكاد يبين .

(٢) جاءهم هذا الرقيب فى هذه الحالة وأخبرهم أن هناك صواراً : ثور ، وعانة : جماعة أتن وحشية . وخيط نعام : جماعة نعام .

(٣) أشلاء اللجام : قمنا إلى الفرس فألجمناه بسرعة خوف الفوات . إلى غصن بان : فكأنما وضعنا اللجام من الفرس فى عنق كأنه الغصن لحسنه واستوائه وطوله .

(٤) نزاوله : نحاول أن يركبه الغلام . ساط : فرس ساط ، يرفع ذنبه وقت حضره . الصليف المعرق : العود المبرى .

(٥) حال متنه : فوق ظهره . محلق : طائر .

(٦) ويروى : سريعاً وجلاها بطرف ملقق .

(٧) صوب ولا تجهدنه : سمه باللين وخذ عفوه عند اندفاعه ، ولا تجهده على العدو الشديد فيذلق : فيلقيك عن ظهره صريعاً .

(٨) فأدبرن كالجزع المفصل : فولت جماعة الوحش والنعام كأنها الخرز المتفرق بجيد الغلام : يعنى كأن تفرق الصيد عنه عقد وهى من عنق الغلام المطوق ذى النعمة والملك .

فأدركهن ثانيا من عنانه | كغيث العشى الأقهب المتودق (١)
فصاد لنا عيرا وثورا وخاضبا | عداء ولم ينضح بماء فيغرق (٢)
فظل غلامي يضجع الرمح حوله | لكل مهاة أو لأحقب سهوق (٣)
وقام طوال الشخص إذ يخضبونه | قيام العزيز الفارسي المنطق (٤)
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص | فخبوا علينا فضل ثوب مروق (٥)
وظل صحابي يشتوون بنعمة | يصفون غارا باللكيك الموشق (٦)
ورحنا كأنا من جواثا عشية | نعالي النعاج بين عدل ومشنق (٧)

(١) فأدركهن ثانياً من عنانه : يعني أن الفرس أدرك الصيد في حال عفوه لا في حال جهده ، كغيث العشى الأقهب المتودق : كالمطر جاء به السحاب الأبيض وقت العشاء . والمتودق : ذو الودق وهو البرد . ومعنى هذا البيت هو الذي استحسنته أم جندب وبه حكمت لعلقمة على معنى بيت امرئ القيس في قصيدتيهما الواردتين في حرف الباء .

(٢) فصاد لنا عيراً : حماراً وحشيا . وثوراً ، وخاضباً : وظليما .

(٣) يضجع الرمح : يميله . مهاة : بقرة وحشية . أحقب : ثور وحشي . سهوق : طويل

(٤) وقام طوال الشخص : يعني أن الفرس لما قام كان طويل الظل لارتفاع شخصه . يخضبونه : يطلونه بالدم ، لأنه هو الذي أدرك الصيد ومكن منه ، وكانت تلك عادتهم . العزيز المنطق : الملك ذو المنطقة والتاج . شبه به الفرس لجلال منظره وجمال خلقه .

(٥) ألا قد كان صيد لقانص : يقول يا له من صيد عظيم ظفر به قانص خبير ، فخبوا : فأظلونا بثوب ذي رواق ، وضربوا علينا خباء ليسترنا من حر الشمس .

(٦) وظل صحابي : وجمل أصحابي في هذا اليوم . يشتوون : يشوون اللحم . بنعمة : وهم في نعيم وسرور . يصفون غاراً : يضعون عيدان الغار ، وهو شجر ، وأوراقه مصطفا بعضها إلى بعض ليصفوا عليه اللحم المشوى . اللكيك الموشق : اللحم المقطع وشائق يطبخ بالماء والملح ثم يجفف ويحمل للطالب .

(٧) رحنا : سرنا عشيا عائدين إلى ديارنا . جواثا : مدينة أو حصن بالبحرين . نعالي النعاج : نرفع لحوم الصيد إما في عدل ، وهو الزنبيل ، وإما بالشناق ، وهو الحبل

ورُحْنا بِكابْنِ الماءِ يُجنَبُ وسْطَنا ... تَصوَّبُ فيهِ العَينُ طَوْرًا وتَرْتَقِي (١)

وأصبحَ زُهْلولاً يُزِلُّ غلامَنا ... كَقِدْحِ النَّضِيِّ بِاليَدَيْنِ المُفَوَّقِ (٢)

كأنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ ... عُصارةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُفَرَّقِ (٣)

٤٩

زعموا أن حُجراً أبا امرئ القيس أمر رجلا يسمى ربيعة أن يذهب بامرئ القيس ويذبحه لكراهيته فيه قول الشعر . فأتى به ربيعة جبلا وتركه فيه وامتلخ عيني جؤذر لجاء بها إليه ، فأسف لذلك وحزن عليه . فقال له ربيعة: إنى لم أقتله ، فقال له : جئنى به ، فرجع ربيعة فوجد امرأ القيس قد قال :

فَلاَ تَتْرُكَنِّي يارَبِيعُ لِهَذِهِ ... وكُنْتُ أرانِي قَبْلَها بِكَ واثِقَا (٤)

مُخالِفَةٌ نَوَى أسِيرٍ بِقَرْيَةٍ ... قُرَى عَرَبِيَّاتٍ يَشِمْنَ البَوارِقَا (٥)

---

(١) ورحنا بكابن الماء : وعدنا إلى ديارنا بفرس مثل ابن الماء ، وهو طائر من طير الماء ، شبه الفرس به لخفته وطول عنقه . تصوب فيه العين طورا وترتقى : تنظر العين إليه فما هى أن يعجبها أسفله حتى ترتفع إلى أعلاه ، وذلك لحسن قده ، وجمال منظره ، وبديع خلقه فالعين لاتكاد تشبع من النظر إليه علوا وسفلا .

(٢) زهلول : أملس ، يعنى الفرس . يزل غلامنا : لايكاد غلامنا يستقر فوق ظهره لملاسته . كقدح النضى : كأنه السهم المجرد عن النصل والريش .

(٣) دماء الهاديات : دماء أوائل الحيوانات التى وقعت فى الصيد . بنحره : بصدره عصارة حناء : ماء مايصبغ به الشيب .

(٤) لاتتركنى ياربيعة لهذه النكبة التى كدت تحلها بى وقد كنت موضع ثقتى ومحل اعتمادى .

(٥) مخالفة نوى أسير : يعنى أن تركى بهذا الجبل على غير حالة الأسير البعيد الدار . يشمن البوارق : فأنا بعيد عن قراى التى بها العربيات الحسان اللائى يتشوفن لمعان البرق من ناحيتى .

فإمّا ترَيْنِي اليَوْمَ في رأسِ شاهِقٍ ... فقدْ أغْتَدِي أقُودُ أجْرَدَ تائِقَا [1]

وقدْ أذْعَرُ الوَحْشَ الرِّتاعَ بِغِرَّةٍ ... وقدْ أجْتَلِي بِيضَ الخُدُورِ الرَّوائِقَا [2]

نَواعِمَ تَجلُو عَنْ مُتُونٍ نَقِيَّةٍ ... عَبِيراً ورَيْطًا جاسِدًا أو شَقائِقَا [3]

٥٠

ومما يُنسب إليه قوله :

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجنُّبِ ... وهنًا ولَمْ تكُ قَبْلَ ذلِكَ تَطْرُقِ [4]

٥١

وقوله :

تَضَمَّنَها وَهْمٌ رَكُوبٌ كأنَّهُ ... إذا ضَمَّ جَنْبَيْهِ المَخارِمُ رُزْدَقُ [5]

---

(١) في رأس شاهق : في قمة جبل عال ، إن كانت هذه حالي الآن فقد تراني أقود فرسي عند انبلاج الصباح للصيد والقنص ، وهذه حال ذي النعمة والملك .

(٢) الرتاع : الراتعة في كلئها . بغرة : على غفلة منها . بيض الخدور : الخود المحجبات . الروائق : البيض النواصع اللائي يرقن النظر .

(٣) متون نقية : يريد بها الأسنان البيضاء . العبير : ضرب من الطيب جيد الريح . الريط الجاسد : الثياب المصبوغة بالزعفران . الشقائق : الثياب الحمر .

(٤) بعد طول تجنب : بعد هجر طويل . وهنا : بعد هدأة من الليل .

(٥) الوهم : الجمل الذلول في ضخم وقوة . المخارم : الفلوات . الرزدق : السواد المزدرع من الأرض ، وبه سميت الرساتيق ، جمع رستاق : وهي الضياع العامرة . وأصل الكلمة فارسية معربة قديما .

قافية الكاف

٥٢

روى له ابن عباس هذا البيت :

قِفَا فاسْأَلَا الأَطلَالَ عَنْ أُمِّ مَالِكٍ ... وهَلْ تُخبِرُ الأطلالُ غَيْرَ التَّهَالكِ [١]

---

(١) لم أقف لهذا البيت على أخوات .

قافية اللام

٥٣

وقال امرؤ القيس ، وهي معلقته المشهورة [(١)] :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [(٢)]

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ [(٣)]

---

(١) من الغريب أن بعض الرواة زعم أن هذه القصيدة ليست لامرئ القيس ، وأنها ألحقت بشعره ، وإنما هي من شعر بعض النمريين . وهذا بلاشك زعم باطل ، وادعاء قائل . وإلا لماسكت عنها الرواة من قبيلة النمر بن قاسط ، ولحاجوا في شأنها وليست هذه القبيلة بالخاملة ولا بالضعيفة وقد كان فيها شعراء ورواة . فليس من المعقول أن يسلموا في حقوقهم ويتركوا حبل الرواة على عواتقهم ، فتنتزع منهم قصيدة لها قيمتها وشهرتها بين العرب .

(٢) قفا : يخاطب نفسه ، أو يخاطب صاحبه ، أو صاحبيه . لأن العرب قد يخاطب الواحد منهم صاحبه مخاطبة الاثنين كما يخاطب الجماعة كذلك . على أن أقل أعوان الرجل بين أهله اثنان . والرفقة أدنى ماتكون ثلاثة ، فيجرى كلام الواحد على صاحبيه . ذكرى حبيب ومنزل : تذكر الحبيب ومنزله الذى ألف النزول به . سقط اللوى : منقطع الرمل ، والدخول وحومل : قيل إنهما موضعان في شرق اليمامة .

(٣) توضح والمقراة : قيل إنهما موضعان قريبان من الدخول وحومل . لم يعف رسمها : لم يدرس ولم يتغير ولم يمح أثرها . يقول : إنه مع مانسجته الرياح عليهما من التراب جيئة وذهوبا لم تمح محوا تاما ، بل لاتزال رسومها ظاهرة ، وآثارها شاخصة . فلذلك كان بكاؤه عليها شديدا . وذكر ابن عساكر في تاريخه أن امرأ القيس كان في أعمال دمشق ، وأن (سقط اللوى) و (الدخول وحومل) و (توضح والمقراة) الواردة في مطالع معلقته إنما هي أسماء أماكن معروفة بحوران ونواحيها . قلت : ولا عجب في ذلك فقد كانت بلاد الشام من أعمال الروم في الجاهلية ، وابن عساكر أدرى ببلاده التي أرخها ووصفها في تاريخه العظيم الذى لم يوضع مثله .

رُخَاءٌ تَسِحُّ الرِّيحُ فِى جَنَبَاتِهَا ... كَسَاهَا الصَّبَا سَحْقَ المُلَاءِ المُذَيَّلِ (١)

تَرَى بَعَرَ الصِّيرَانِ فِى عَرَصَاتِهَا ... وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ (٢)

كَأَنِّى غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحَىِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ (٣)

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ (٤)

فَدَعْ عَنْكَ شَيْئًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ... وَلَكِنْ عَلَى مَا غَالَكَ اليَوْمَ أَقْبِلِ (٥)

وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَا تَرَدَّدَتْ ... عَمَايَةُ مَحْزُونٍ بِشَوْقٍ مُوَكَّلِ

وَإِنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتُهَا ... وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (٦)

---

(١) رخاء : يصف الرياح بأنها رخاء لا زعزع ؛ تسح فى جنباتها : تصب فى أكنافها . سحق الملاء المذيل : كأن الريح فى مرها بها نسجت عليها ملاء فضفاضا ذا ذيول تجرها وراءها .

(٢) الصيران ، جمع الصوار ، والصوار : القطيع من البقر والظباء . العرصات : الساحات الواسعة الخالية من السكان . وقيعانها جمع قاع : وهو المطمئن فى الوادى ؛ ويطلق على الخلاء الذى لا أحد فيه . ويروى : الآرام ، بدل الصيران ، ويروى . حب فلفل (بكسر الفاءين) وهو فيما قيل : نبت له حب أسود حسن الرائحة . أما الفلفل فمعروف .

(٣) غداة البين : صبيحة الفراق . تحملوا : ارتحلوا . السمرات : هو شجر أم غيلان . ناقف حنظل : أشق الحنظل فتدمع عيناى لشدة مرارته ، لأن من يشقه يجد أثر مرارته فى حلقه وأنفه وعينيه فيكون فى حال سيئة .

(٤) المطى : الإبل ، أو كل ما يمتطى من الدواب ؛ أى يركب . والمراد هنا الإبل خاصة ، وتجمل : تصبر وتعز وتجلد ، ويروى : وتحمل .

(٥) هذا البيت والذى بعده لم أر أحدا رواهما لامرئ القيس فى هذه القصيدة إلا ابن أبى الخطاب القرشى فى جمهرته .

(٦) العبرة : الدموع . إن سفحتها إن أسلتها وصببتها . ويروى : عبرة مهراقة . معول : معتمد . استفهام إنكارى .

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ (١)

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ (٢)

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي (٣)

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٤)

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي ... فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ (٥)

---

(١) كدأبك : كعادتك ، يعني قبله . أم الحويرث وأم الرباب : من صواحباته . مأسل : اسم ماء بعينه .

(٢) إذا قامتا : يعني أم الحويرث وأم الرباب . تضوع المسك منهما فاح وانتشرت رائحته ، حتى تظن أن نسيم الصبا حملت إليك ريا القرنفل ، ويروى : بريا السفرجل .

(٣) الصبابة : رقة الشوق . النحر : الصدر والعنق . والمحمل : حمائل السيف .

(٤) منهن : من صواحباته اللائى يتعشقهن . دارة جلجل : موضع بالحمى له فيه شأن ، ويروى : ألا رب يوم لى من البيض صالح .

(٥) عقرت : نحرت . العذارى : الغيد الأبكار . ولهذا اليوم حديث طريف يحسن إيراده : كان امرؤ القيس مولعاً بابنة عم له يقال لها عنيزة ، أو فاطمة ؛ وكان شديد الشغف بها ومحاولة السكون إليها . فبينا هو جالس مرت به فتيات وفيهن ابنة عمه يردن غدير الماء ، فتبعهن مختفيا ؛ فلما تجردن ودخلن الغدير ، وثب على ثيابهن فأخذها وقعد عليها وقال : والله لا أعطى واحدة منكن ثوبها حتى تخرج كما هى فتأخذه بيدها . فأبين ذلك عليه حتى ارتفع النهار ، فلما خشين فوات الوقت خرجت إحداهن فوضع لها ثيابها ناحية فلبستها ، ثم تتابعن على ذلك ولم يبق منهن إلا ابنة عمه ؛ فناشدته الله أن يطرح إليها ثيابها فقال : لا والله أو تخرجي ! فخرجت ، فنظر إليها مقبلة ومدبرة ووضع لها ثيابها ناحية فلبستها ثم أقبلن عليه فقلن : فضحتنا وحبستنا وأجعتنا ! فقال فإن نحرت لكن ناقتى أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وجمع الخدم الحطب وأججوا نارا عظيمة فجعل يقطع من أطايبها ويرمى بها فى الجمر وهن يأكلن ويأكل معهن ويشرب من فضلة خمر كانت معه ويغنيهن وينبذ للخدم من

وَيَا عَجَبًا مِنْ حَمْلِهَا بَعْدَ رَحْلِهَا ... وَيَا عَجَبًا لِلْجَازِرِ الْمُتَبَذِّلِ (١)

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ (٢)

تُدَارُ عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ صِحَافُنَا ... وَيُؤْتَى إِلَيْنَا بِالْعَبِيطِ الْمُثَمَّلِ (٣)

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي (٤)

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ (٥)

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ ... وَلاَ تُبْعِدِينِي عَنْ جَنَاكِ الْمُعَلَّلِ (٦)

دَعِي الْبَكْرَ لاَ تَرْثِي لَهُ مِنْ رِدَافِنَا ... وَهَاتِي أَذِيقِينَا جَنَاةَ الْقَرَنْفُلِ (٧)

= هذا الكباب حتى شبعوا جميعا . فلما رأى ذلك وأراد الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل طنفسته ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله . فتقسمن متاع راحلته وبقيت ابنة عمه لم تحمل شيئاً فحملته على غارب بعيرها ، فكان يدخل رأسه فى خدرها ويقبلها فإذا امتنعت عليه أمال هودجها فتقول : يا امرأ القيس عقرت بعيرى فانزل .

(١) يعجب من حالته وتباين أمره معهن ؛ فهو يعجب من الرحل وكيف حملته بعد أن كان محمولا على الناقة ، كما يعجب من نفسه إذ صار جازرا متبذلا فى عقر ناقته

(٢) يرتمين : يرمى بعضهن بعضا بلحمها وشحمها الابيض كأنه الحرير المفتل .

(٣) السديف : شحم السنام . والعبيط المثمل : اللحم الطرى المخلوط بالسويق .

(٤) الخدر : الهودج عنيزة : لقب صاحبته فاطمة . لك الويلات : دعاء عليه . مرجلى : عاقر بعيرى وتاركى أمشى مترجلة غير راكبة .

(٥) الغبيط : هو الهودج بعينه فى هذا الموضع . عقرت بعيرى : أى أدبرت ظهره ؛ يعنى جرحته .

(٦) جناها اقتطاف حمرة خديها بالقبل . المعلل : الذى علل بالطيب مرة بعد مرة

(٧) عند الأصمعى أن هذا البيت ليس لامرئ القيس لأنه فى رأيه زايل المعنى . وعندى أنه لا تزايل هناك فهو بعد أن قال لها : سيرى وأرخى زمامه ، عاد فقال : دعيه لا تشفقى عليه من ركوبنا . أذيقينا جناة القرنفل : عللينا برائحة فمك التى تشبه زهر القرنفل .

بِثَغْرٍ كَمِثْلِ الأُقْحُوَانِ مُنَوِّرٍ ... نَقِيِّ الثَّنَايَا أَشْنَبٍ غَيْرِ أَثْعَلِ (١)

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ (٢)

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ ... بِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ (٣)

وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ ... عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ (٤)

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (٥)

وَإِنْ كُنْتِ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ (٦)

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ (٧)

---

(١) الأقحوان : يعنى أن ثناياها فى بياضها ونقائها كزهر الأقاح . أشنب : صافى الريق رقيقه . غير أثعل : لم تتراكب أسنانه .

(٢) ذو تمائم محول : طفل لها رضيع له حول ، ويروى : مغيل . يقول لها متفقا نفسه عندها : إن الحامل والمرضع لا تكادان ترغبان فى الرجال ، وهما يرغبان فىّ لجمالى ومزاياى .

(٣) بشق : بشطر جسمها .

(٤) الكثيب : الرمل المجتمع فى ارتفاع . تعذرت : امتنعت وتصعبت ، وجاءت بمعاذير من غير عذر . وآلت : حلفت . لم تحلل : لم تستثن فى يمينها ، أى جعلته حلفا قاطعا .

(٥) قال ابن الكلبى : فاطمة هى ابنة عبيد بن ثعلبة بن عامر ، وهى التى قال لها مرة لاوأبيك ابنة العامرى . التدلل : الإدلال ، وهو أن تسىء إلى من يثق بك . أزمعت : عزمت وأجمعت الرأى . صرمى : هجرى . فأجملى : أحسنى صحبتى ودعى هذا العزم .

(٦) ساءتك : آذتك . خليقة : طبيعة . ثيابى : يريد بها قلبه . تنسل : تخرج وتنصرف

(٧) أغرك : أحملك على الاغترار بى أن حبك قد برح بى حتى كاد يقتلنى . القلب : يريد به قلبه لأنه لا سلطان له عليه وإنما السلطان والتصرف فيه لها هى . وقد زعموا أن طلاق أهل الجاهلية كان أن يسل الرجل ثوبه من ثوب زوجه ، أو تغير هى باب البيت فيعلم أنها طلقته .

وأنك قَسَّمْتِ الفُؤَادَ فَنِصْفُهُ قَتِيلٌ ونِصْفٌ فى حَدِيدٍ مُكَبَّلِ (١)

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلَّا لِتَضْرِبِى بِسَهْمَيْكِ فى أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ (٢)

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ (٣)

تَجَاوَزْتُ أحْرَاسًا إلَيْهَا ومَعْشَرًا عَلَىَّ حِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِى (٤)

إذَا مَا الثُّرَيَّا فى السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ (٥)

فَجِئْتُ وقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إلَّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ (٦)

فَقَالَتْ يَمِينُ اللهِ مَالَكَ حِيلَةٌ وَمَا إنْ أرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلِى (٧)

---

(١) ونصف فى حديد: هو النصف الواقع فى أشراك حبها ولا يزال ينبض بالشوق إليها.

(٢) ذرفت: دمعت. بسهميك: يريد بهما عينيها. أعشار القلب: أجزاؤه. مقتل: مذلل بحبك.

(٣) وبيضة خدر: ورب غادة مخدرة لا يرام خباؤها: لا يستطاع الوصول إليها. غير معجل: غير خائف من أحد، بل لهوت بها فى ريث واطمئنان.

(٤) تجاوزت أحراسا: مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قتلى لو يستطيعون ذلك

(٥) يعنى: كان تجاوزى الأحراس، وتقحمى المعاشر إليها، وقت تعرض الثريا فى السماء. وقد زعموا أنه لم يرد الثريا وإنما أراد الجوزاء، لأن الثريا لا تتعرض. مع أن لها اعتراضا عند السقوط فإنها تأخذ وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة، وأثناء الوشاح: ثناياه. والمفصل: الذى فصل بين كل خرزتين منه بلؤلؤة.

(٦) نضت ثوبها: خلعته عند النوم. لبسة المتفضل: إلا ما يلبس وقت النوم من نحو قميص أو إزار.

(٧) مالك حيلة: لا أجد لك حيلة فى دفعك ومنعك. الغواية: الجهالة. تنجلى: تنكشف.

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ (١)

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ (٢)

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ (٣)

إِذَا الْتَفَتَتْ نَحْوِي تَضَوَّعَ رِيحُهَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ (٤)

إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوِّلِينِي تَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ (٥)

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ (٦)

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ (٧)

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ (٨)

---

(١) المرط : كساء من خز أو كتان وقد يكون أخضر اللون يؤتزر به . مرحل : به صور الرحال .

(٢) أجزنا : قطعنا . ساحة الحى : عرصته ورحبته . انتحى : مال واعترض . القفاف : ما ارتفع من الأرض وغلظ . والعقنقل : الرمل المتعقد الداخل بعضه فى بعض .

(٣) هصرت : جذبت . الفودان : جانبا الرأس ، يريد أنه جذبها من شعرها وأمالها نحوه . هضيم الكشح : ضامرة الوسط . ريا : ملأى . المخلخل : يعنى الساق وهو مكان الخلخال .

(٤) تضوع : فاح وانتشر . ريا القرنفل : ريح زهر هذا النوع المعروف فى الأفاويه .

(٥) نوليني : أعطيني وأنيليني . والشطر الثانى مكرر ، والظاهر أن هذا البيت دخيل

(٦) مهفهفة : خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن . المفاضة : المسترخية البطن ، والترائب : موضع القلادة من الصدر ، مصقولة : مجلوة . كالسجنجل : كالمرآة الصافية . قال التبريزى : وهى رومية . يعنى كلمة السجنجل .

(٧) تصد : تعرض عنا ، وتبدى عن خد أسيل : ليس بكز . بناظرة : بعين ناظرة . وجرة : موضع . مطفل : ذات أطفال . شبهها بغزالة تنظر إلى جآذرها فهى تميل بعنقها ميلا لطيفاً .

(٨) الجيد : العنق . والرئم : الظبى الأبيض الخالص البياض . ليس بفاحش : غير كريه المنظر . نصته : رفعته . المعطل : الذى لا حلى عليه .

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ ... أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ (١)

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلَا ... تَضِلُّ المَدَارَى فِى مُثَنًّى وَمُرْسَلِ (٢)

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ ... وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِىِّ المُذَلَّلِ (٣)

وتُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَؤُومَ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (٤)

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ ... أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ (٥)

---

(١) الفرع : الشعر التام . والمتن : ماعن يمين الصلب وشماله من العصب واللحم . والفاحم : الشديد السواد . والأثيث : الكثير المتراكب . والقنو : العذق ، وهو الشمراخ . المتعثكل : الذى قد دخل بعضه فى بعض لكثرته ، أو هو المتدلى . وكل هذا فى وصف شعرها .

(٢) الغدائر : الذوائب . مستشزرات : مجدولات مرتفعات . المدارى : جمع مدرى ، وهى مثل شوكة يخلل بها شعر المرأة ويصلح ، أو هو المشط . مثنى ومرسل : أى بعضه مثنى متجعد ، وبعضه مسترسل غير متجعد .

(٣) الكشح اللطيف : الخصر النحيل الحسن . والجديل : زمام يتخذ من السيور فيجدل فيجيء حسنا لينا . أنبوب السقى المذلل : ساق كساق البردى وهو نبات يقوم على سوق فى منافع الماء وهو معروف بمصر ، ويسميه عامة المصريين بالبشنين ، وكان قدماء المصريين يتخذون من أوراقه العريضة قراطيس يكتبون فيها أغراضهم . والمذلل : المحروث .

(٤) وتضحى : تنتبه من نومها فى ضحوة النهار . فتيت المسك : ما تفتت منه ، أو كأنه يريد أن يقول : إذا قامت من نومها وجدت لها ريحاً طيبا كأنما باتت على مسك مفتت ، وإن لم يكن هناك مسك ولا طيب لم تنتطق : لم تشد نطاقا للعمل ، يعنى أنها مرفهة منعمة مخدمة . عن تفضل : عن ثوب النوم .

(٥) تعطو برخص : تتناول ببنان لطيف غير شثن : ليس بكز ولا غليظ . أساريع ظبي : كأنه دود صغار مما يرى فى الكثيب المسمى بظبي . الإسحل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالأراك .

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ   غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ (١)

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا   مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (٢)

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيمُ صَبَابَةً   إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ (٣)

تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا   وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلِ (٤)

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ   نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ (٥)

* * *

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٦)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (٧)

---

(١) كبكر : كبيضة النعامة أول ماتبيض . المقانات : التي خالط بياضها صفرة وحمرة . الماء النمير : الصافي غير المحلل : الذي لم تكدره السابلة في نزولها عليه .

(٢) المنارة : يريد بها سراج الراهب الذي يستضيء به في وحدته وانقطاعه لعبادة ربه

(٣) يرنو : يديم النظر . والصبابة : رقة الشوق . اسبكرت : امتدت ومشت في استقامة . بين درع ومجول : أي أنها بين الكبيرة التي تلبس الدرع وبين الصغيرة التي تلبس المجول . يريد أنها شابة غيداء .

(٤) تسلت : ذهبت . العماية : الجهالة عن الصبا : عن اللهو والبطالة . بمنسل : بسال ولا تارك ، ويروى : وليس صباي .

(٥) خصم ألوى : أي شديد الخصومة . رددته : رفضت عذله ومايدعيه من نصيحة غير مؤتل : غير مقصر في عذله ونصحه .

(٦) كموج البحر : يعني في ظلمته وكثافته . أرخى سدوله : أرسل ستوره ، ويريد بها ظلماته . ليبتلي : ليختبر ماعندي من الصبر أو الجزع .

(٧) تمطى بجوزه : تمدد بجسده ، ويروى : تمطى بصلبه ، وهو ظهره . وأردف أعجازا : تابع أواخره بأوائله وناء بكلكل : ناء بمعنى حط ، وبمعنى بعد ، والأولى أولى بالمقام ، أي حط بصدره .

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي   بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ (١)

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ   بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ (٢)

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِى مَصَامِهَا   بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ (٣)

* * *

وَقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا   عَلَى كَاهِلٍ مِنِّى ذَلُولٍ مُرَحَّلِ (٤)

(١) بأمثل: يعنى ليس الإصباح فيك بأفضل من الإمساء. يعنى أن ما جابته على من الهموم جعل النهار عندى كالليل، فليس أحدهما فيما ابتليت به خيرا من الآخر.

(٢) مغار الفتل: الحبل المفتول جيدا. يذبل: جبل، ويروى.

فيالك من ليل كأن نجومه   بأمراس كتان إلى صم جندل

وراوى هذا البيت قد خلط بينه وبين الذى بعده.

(٣) الثريا: النجم المعروف فى السماء. علقت فى مصابها، ويروى فى مصامها، وكلاهما بمعنى موضعها ومكانها، بأمراس كتان: بحبال محكمة الفتل من الكتان صم جندل: حجارة صماء غير متخلخلة.

ولهذه الأبيات الخمسة التى مرت من أول قوله (وليل كموج البحر) إلى قوله (كأن الثريا) حكاية طريفة كان الوليد بن عبد الملك وأخوه مسلمة يتنازعان فى أيهما أجود فى وصف طول الليل، امرؤ القيس فى هذه الأبيات، أم النابغة الذبيانى فى قوله:

كلينى لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطىء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض   وليس الذى يرعى النجوم بآيب

وصدر أراح الليل عازب همه   تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فلما اشتد خلافهما فى أيهما أجود فى وصفه، حكما الشعبى بينهما. فلما أخذ مسلمة فى إنشاده أبيات امرئ القيس وبلغ إلى قوله (كأن الثريا) ضرب الوليد برجله الأرض طربا..؟ فقال الشعبى: قد بانت القضية.. يعنى أنه حكم لمسلمة بأن أبياته التى أنشدها لامرئ القيس، وهى التى كان يفضلها، أجود فى الوصف من أبيات النابغة.

(٤) وقربة أقوام: ورب قربة أقوام. القربة معروفة، وهى ما يحمل فيها الماء عصامها: حبلها الذى تحمل به. الكاهل: أعلى الظهر ذلول مرحل: معتاد على الحمل نهاض بالكل، وهذا دليل على أنه كان يخدم أصحابه فى أسفارهم، وهو يفخر بذلك.

وَوَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيعِ المُعَيَّلِ (١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا ... قَلِيلُ الغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ (٢)

كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ ... وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يَهْزِلِ (٣)

* * *

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ (٤)

(١) كجوف العير : كجوف الحمار الوحشى ، لأن جوفه لا ينتفع منه بشىء وزعم قوم أن العير هذا اسم رجل من العمالقة يقال له : حمار بن مويلع كان له بنون وواد خصيب ، وكان حسن الطريقة ، فسافر بنوه فى بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم . فكفر أبوهم هذا بالله وقال : لا أعبد ربا أحرق بنىّ . وأخذ فى عبادة الأصنام ، فسلط الله على واديه نارا فأحرقته فما بقى منه شىء . والوادى بلغة أهل اليمن يقال له : الجوف ـ فضرب العرب به المثل فقالوا : أخلى من جوف عير . والخليع المعيل : هو الذى تبرأ منه قومه ونفوه منهم ، مع أنه ذو عيال وفقر .

(٢) يقول للذئب : إننى فى حالتى هذه وأنت كما أنت كلانا لا يغنى عن صاحبه شيئا .

(٣) ويقول له : كلانا إذا حصل على شىء أفاته أى أضاعه ولم يحرص عليه ، ومن يحترث حرثى وحرثك : ومن يفعل فعلى وفعلك يهزل : يصاب بالهزال والضمور من الجوع المبرح .

وهذه الأبيات الأربعة التى تبدأ من قوله « وقربة أقوام » إلى قوله « يهزل » اختلف الرواة فى نسبتها إلى امرئ القيس . فالأصمعى يرويها لتأبط شرا وجرى على ذلك أبو حنيفة الدينورى وابن قتيبة على أنه ليس بين هذه الأبيات وسابقتها شىء من التناسب ، بل هى بكلام اللصوص والصعاليك أشبه منها بكلام الملوك . وقال الزوزنى : لم ير جمهور الأئمة هذه الأبيات الأربعة فى هذه القصيدة وزعموا أنها لتأبط شرا ، ولم يشر التبريزى إلى شىء من هذا . أما من رواها لامرئ القيس فهو السكرى وحده واعترضه البغدادى صاحب خزانة الأدب . وقال إنها ليست من شعر امرئ القيس .

(٤) أغتدى : أخرج بفرسى فى غدوة النهار أى عند تباشير الصباح وكناتها : =

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِنْ عَلِ (١)

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ (٢)

عَلَى الْعَقْبِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ ... إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (٣)

مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى ... أَثَرْنَ غُبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ (٤)

يَزِلُّ الْغُلَامُ الْخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ... وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ (٥)

= أوكارها . المنجرد : الفرس القصير الشعر . الأوابد : الوحوش الآبدة . قيدها : إمساكها بقوة حضره ، فكأنها لم تبرح مكانها . الهيكل : الفرس الطويل المتين الخلق .

(١) مكر مفر : يقول إن هذا الفرس معاود الكر والفر ، مقبل مدبر : حسن الإقبال فى سبقه ، جيد الإدبار فى عدوه . الجلمود : الصخر الأصم . من عل : من مكان عال .

(٢) كميت : كأن لونه لون الخمر ، حمرة إلى السواد . يزل اللبد : لا يكاد يثبت الجل على ظهره لملاسته عن حال متنه . ويروى : عن حاذ متنه . والحاذ : وسط الظهر . الصفواء : الصخرة الملساء . بالمتنزل بالسيل الجارف .

(٣) العقب : الجرى بعد الجرى . وقيل إذا حركته بعقبك جاش وكفاك السوط والجياش : الذى يزداد جريا كلما حركته . اهتزامه : صوت اندفاعه . حميه : غليه كما تجيش القدر فى غليانها ، والمرجل : القدر . ويروى : على الذبل جياش . ويروى : على الضمر ، وهما بمعنى .

(٤) مسح : يصب الجرى صبا . السابحات : الخيل تجرى كأنها تسبح . الونى : الإعياء : الكديد : ما صلب من الأرض ، أو ما كد بالوطء . المركل : الذى ركلته الخيل بحوافرها . يعنى أنه يجىء بجرى بعد جرى إذا كانت الخيل السوابح وأعيت وأثارت الغبار فى مثل هذا الموضع .

(٥) الخف : الخفيف الحاذق بالركوب . صهواته ، الصهوة : مقعد الفارس من الفرس من ظهره ، ويلوى : يذهب ويميل . العنيف : غير الرفيق ، يقول إن هذا الفرس يزل ويزلق الغلام الخفيف عن ظهره ، ويرمى بأثواب الرجل العنيف الثقيل إذا لم يكن جيد الفروسية عالماً بها .

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَقَلُّبُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (١)

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (٢)

ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٣)

كَأَنَّ سَرَاتَهُ لَدَى الْبَيْتِ قَائِمًا ... مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةُ حَنْظَلِ (٤)

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ ... عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ (٥)

فَأَدْبَرْنَ كَالْجِزْعِ الْمُفَصَّلِ بَيْنَهُ ... بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوَلِ (٦)

فَأَلْحَقَنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ ... جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ (٧)

(١) درير : كثير الدر والانصباب فى العدو . الخذروف : الخذرافة التى يلعب بها الصبيان يمرونها مرا شديداً فيسمع لها صوت . أمره : أحكم فتله ، أو أداره بخيط أمسكه بكفه .

(٢) أيطلا ظبي : خاصرتا ظبي ، لضمورهما وعدم انتفاخهما . وساقا نعامة : شبه ساقيه بساق النعامة لصلابتهما وقصرهما ، وإرخاء سرحان : سرعة ذئب فى لين . وتقريب تتفل : وجرى تتفل وهو ولد الذئب .

(٣) أى ضليع : قوى الأضلاع ممتلئها . استدبرته : نظرت إليه من خلفه . سد فرجه : رأيت ذنبه الطويل الغزير الشعر قد سد ما بين فخذيه . ليس بأعزل ، الأعزل : المائل الجانب خلقة أو عادة .

(٤) سراته : أعلى ظهره . مداك عروس : حجر يسحق عليه الطيب للعروس . والصلاية : الحجر الذى يدق عليه حب الحنظل . ويروى : كأن على الكتفين ، ويروى : كأن على المتنين منه إذا انتحى ، وفى رواية الأصمعى : أو صراية حنظل . والصراية : الحنظلة إذا اصفرت .

(٥) عن : عرض . السرب : قطيع البقر . النعاج : البقر الوحشى . عذارى دوار : أبكار مترهبات يدرن حول صنم . الملاء المذيل : الثياب الطويلة الذيل .

(٦) أدبرن : يعنى أن النعاج انصرفن متفرقات . كالجزع : كالخرز ، المفصل بينه ببياض وسواد . الجيد : العنق . معم مخول : منتسب إلى كرام الأعمام والأخوال .

(٧) الهاديات : طلائع الوحوش : جواحرها : المتخلفات منها فى صرة : فى غبرة ، وذلك لشدة جريه وسرعة عدوه . لم تزيل : لم تتفرق .

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ... دِرَاكاً وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ (١)

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ ... صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ (٢)

وَرُحْنَا وَرَاحَ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ... مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ (٣)

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ... عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ (٤)

وَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ ... وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ (٥)

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ ... كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (٦)

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ ... أَهَانَ السَّلِيطَ فِي الذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ (٧)

---

(١) عادى : والى الجرى حتى جمع بين الثور والبقر ، على تباعد ما كان بينهما . دراكا : سريعاً . لم ينضح : لم يعرق .

(٢) الطهاة : الطباخون . صفيف شواء : شرائح لحم مشوى . أو قدير : مطبوخ فى القدر .

(٣) الطرف : النظر . يقصر دونه : لا يبلغ الغاية من الإتيان بمرآه . متى ما ترق العين فيه تسهل : يعنى هو لجمال خلقه إذا نظرت العين إلى أعلاه فلا تلبث أن تنحدر ناظرة إلى أسفله ، لحسنه التام . ويروى : الطرف ينفض رأسه يعنى أن الفرس يرفع رأسه مرحاً ونشاطا .

(٤) الهاديات : أوائل البقر الوحشية التى صادها . عصارة حناء : يعنى أن ماء الحناء فى الشعر الشائب كالدم فى نحره

(٥) بات بعينى : بحيث أراه مسرجا ملجما ، قائماً بين يدى غير مرسل إلى المرعى .

(٦) أصاح : ياصاحبى . أريك وميضه : أبصرك لمعانه . كلمع اليدين : كسرعتهما فى تحركهما . حبى مكلل : سحاب متراكم .

(٧) سناه : ضوؤه . مصابيح راهب : سرجه وقناديله . أهان السليط : أكثر من الزيت . الذبالة : الفتيلة ، ويروى : أمال السليط .

قَعَدْتُ وأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ ... وبَيْنَ العُذَيْبِ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي (١)

عَلَا قَطَنًا بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ ... وأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلِ (٢)

وأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ عَنْ كُلِّ فِيقَةٍ ... يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (٣)

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً ... صُبِحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ (٤)

ومَرَّ عَلَى القَنَّانِ مِنْ نَفَيَانِهِ ... فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ مِنْ كُلِّ مَوْئِلِ (٥)

وتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ... ولَا أُطُمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ (٦)

---

(١) قعدت وأصحابي : لهذا البرق أنظر إليه . ضارج : ماء بأرض طيئ له حكاية ترد . والعذيب : ماء قريب منه .

(٢) قطن والستار ويذبل : أسماء جبال . بالشيم : بالنظر إلى البرق . صوبه : مطره الذي يصيب الأرض منه على الستار رواية ياقوت . عليا الستار ، وقد روى ياقوت بعد هذا البيت بيتا هو :

وألقى بيسباز مع الليل بركه ... فأنزل منه العصم من كل منزل

(٣) الفيقة : الفترة ما بين الحلبتين : فكأنه يقول إن المطر يسح مرة ويسكن أخرى . يكب على الأذقان دوح الكنهبل : يقتلع شجر الكنهبل من أصوله ويلقيه على أم رأسه لشدة سحه وهيجه . والكنهبل : شجر عظام من العضاه ، ويروى : وأضحى يسح الماء حول كتيفة .

(٤) المكاكي : نوع من الطير ، واحدته مكاءة ، وهو حسن التغريد في الصباح . الجواء : موضع بنجد . صبحن : شربن خمراً في الصباح . سلاف الرحيق : عصارة الخمر الصافية . مفلفل مضاف إليه فلفل . ويروى :

كأن مكاكي الجواء غدية ... نشاوى تساقوا بالرياح المفلفل

والرياح : الخمر .

(٥) مر على القنان : مر هذا السحاب على جبل القنان في بلاد بني أسد بن خزيمة . من نفيانه : ما تنفي من قطره . العصم : الأوعال . من كل موئل : من أماكنها الشامخة الحصينة المعتصمة بها في أعالي الجبال .

(٦) وتيماء : مدينة معروفة بأرض الحجاز . الأطم : الحصن . مشيد بجندل : مبني بالحجارة .

كأنَّ أباناً في أفانينِ وَدْقِهِ ... كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ (١)
كأنَّ ذُرى رأسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... من السَّيلِ والأغثاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ (٢)
كأنَّ سِباعاً فيه غَرْقَى عشيَّةً ... بأرجائه القُصْوَى أنابيشُ عُنْصُلِ (٣)
وألقَى بصحراءِ الغَبِيطِ بَعاعَهُ ... نُزولَ اليمانِي ذي العِيابِ المُحمَّلِ (٤)

٥٤

وقال امرؤ القيس – وهى قرينة معلقته فى الجودة :—

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالِي ... وهل يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخالِي (٥)
وهل يَعِمَنْ إلّا سعيدٌ مُخَلَّدٌ ... قليلُ الهُمومِ ما يَبِيتُ بأوجالِ (٦)
وهل يَعِمَنْ مَنْ كانَ أحدثُ عهدِهِ ... ثلاثينَ شهراً في ثلاثةِ أحوالِ (٧)

---

(١) أبان : جبل ، ويقال له أبانين . أفانين ودقه : ضروب مطره . البجاد : الكساء المخطط . مزمل : ملتف . ويروى : كأن ثبيراً فى عرانين وبله .

(٢) المجيمر : جبل . عشية : آخر النهار . الأغثاء : ما يحمله السيل من بقايا الأشياء . فلكة مغزل ، لأن الماء استدار حوله .

(٣) أنابيش عنصل : أصول العنصل ، وهو البصل البرى ، وقال أنابيش ، لأنه ينبش عنه

(٤) صحراء الغبيط : الحزن من الأرض ، وهى لبنى يربوع . بعاعه ثقله . نزول اليمانى كما ينزل الرحل اليمانى . ذى العياب : صاحب الأعدال المملوءة ثيابا وبزا .

(٥) عم صباحا ، وأنعم صباحا ، وعم مساء ، وعم ظلاما : كل هذا من تحيات الجاهلية لملوكها فى أوقات الليل والنهار . والطلل : ماشخص من الآثار .

(٦) المخلد : الذى أبطأ عنه الشيب ، فهو على علو سنه لا يزال يرى كأنه فى شبابه وفتائه ، أو هو الصبي المقرط الذى لا يزال القرط فى شحمة أذنه . الأوجال الأمور الموجبة للخوف والوجل وتوقع المصائب . قال الأصمعى : هو كقولهم استراح من لا عقل له .

(٧) قال البطليوسى : ذهب بعض الرواة إلى أن الأحوال ههنا : السنون جمع حول ، والوجه فيه عندى : أن الأحوال ههنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد : كيف

دِيارٌ لِسَلْمى عافِياتٌ بِذِي الخَالِ ... أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ (١)

وتَحْسَبُ سَلْمى لا تَزالُ تَرى طَلًا ... مِنَ الوَحْشِ أَوْ بَيْضًا بِمَيْثاءَ مِحْلالِ (٢)

وتَحْسَبُ سَلْمى لا تَزالُ كَعَهْدِنا ... بِوادِي الخُزامى أَوْ عَلى رَأْسِ أَوْعالِ (٣)

لَيالِيَ سُلَيْمى إِذْ تُرِيكَ مُنَصَّبًا ... وجِيدًا كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِمِعْطالِ (٤)

أَلا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّنِي ... كَبِرْتُ وأَنْ لا يُحْسِنُ السِّرَّ أَمْثالِي (٥)

كَذَبْتِ لَقَدْ أُصْبِي عَلى المَرْءِ عِرْسَهُ ... وأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِها الخَالِي (٦)

ويَارُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ ولَيْلَةٍ ... بِآنِسَةٍ كَأَنَّها خَطُّ تِمْثالِ (٧)

= ينعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهراً وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم المغير لرسومه ؟

(١) العافيات الدارسات الخاليات . وذو الخال : موضع بنخل . ألح : دام . الأسحم : الأسود ؛ أراد به السحاب الكثير الماء الهطال : الدائم الهطلان بالمطر فى لين .

(٢) الطلا : ولد الظبية ، والبيض : بيض النعام . بميثاء : بأرض سهلة . محلال يكثر نزول الناس بها .

(٣) وادى الخزامى ورأس أوعال : موضعان . ويروى : رس أوعال . والرس : البئر . يقول : إن سلمى لا تزال وهى فى الحاضرة تحسب أنها بالبادية فهى تتخيل تلك المواضع .

(٤) منصبا : ثغرا متسقا مستويا . الجيد : العنق ، بجيد الرئم : كعنق الظبى الصغير . ليس بمعطال : غير مجرد من القلائد والحلى .

(٥) بسباسة : لعلها سلمى هذه أو لعلها غيرها من صواحباته . لا يحسن السر : ما يكون بين الرجل والمرأة ، ويروى : لا يحسن اللهو .

(٦) أصبى : أغرى . على المرء عرسه : زوجه . يزن : يتهم . الخالى : الذى لا زوجة له .

(٧) لهوت : فرحت وطربت ولعبت . الآنسة : الفتاة تؤنس بحديثها . خط تمثال : تمثال مصبوب ومنقوش .

يُضِيءُ الفِرَاشَ وَجْهُهَا لِضَجِيعِهَا ... كَمِصْبَاحِ زَيْتٍ فى قَنَادِيلِ ذُبَّالِ (١)

كَأَنَّ عَلَى لَبَّاتِهَا جَمْرَ مُصْطَلٍ ... أَصَابَ غَضًى جَزْلًا وَكُفَّ بِأَجْزَالِ (٢)

وَهَبَّتْ لَهُ رِيحٌ بِمُخْتَلَفِ الصُّوَى ... صَبًا وَشَمَالٌ فى مَنَازِلِ قُفَّالِ (٣)

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مِجْبَالِ (٤)

كَحِقْفِ النَّقَا يَمْشِى الوَلِيدَانِ فَوْقَهُ ... بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ (٥)

وَمِثْلِكِ بَيْضَاءِ العَوَارِضِ طَفْلَةٍ ... لَعُوبٍ تُنَسِّينِى إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِى (٦)

لَطِيفَةِ طَىِّ الكَشْحِ غَيْرِ مُفَاضَةٍ ... إِذَا انْفَتَلَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرَ مِتْفَالِ (٧)

إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ كَانَ فَيْضُ حَمِيمِهَا ... عَلَى مَتْنَتَيْهَا كَالجُمَانِ لَدَى الجَالِى (٨)

---

(١) فى قناديل ذبال : فى ذبال القناديل . والذبال : الفتيلة .

(٢) لباتها : صدرها وترائبها . جمر مصطل : نار مستدفئ . الغضى : شجر جيد الاتقاد جزل : يابس . كف بأجزال . له كفاف من أصول هذا الشجر .

(٣) الصوى : العلامات تنصب فى الطرق لهداية السابلة . أوهى كما قال الأصمعى : الأرض المرتفعة فى غلظ . وأرى أن مراد الشاعر بها الجهات التى تهب فيها الرياح . قفال : عائدون من السفر .

(٤) ابتزها : جردها من ثيابها . هونة : لينة . غير مجبال : ليست بفظة ولا غليظة .

(٥) كحقف النقا : كالكثيب المستدير من الرمل . الوليدان : الصبيان الصغيران بما احتسبا : بما اكتفيا من لين مس وسهولة .

(٦) العوارض : صفحتا العنق . طفلة : رخصة لينة ناعمة . سربالى : ملابسى .

(٧) الكشح : الخصر . غير مفاضة : ليست مسترخية البطن مرتجة : مهتزة الجسم غير متفال : ليست كريهة الريح .

(٨) استحمت : صبت الماء الحار عليها . والحميم : الماء الحار . متنتيها : جانبى ظهرها كالجمان : كالفضة البيضاء . الجالى : صيرف الدراهم .

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ (١)

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا ... مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ (٢)

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا ... سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ (٣)

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللهُ إِنَّكَ فَاضِحِي ... أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي (٤)

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي (٥)

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ ... لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ (٦)

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ ... هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ (٧)

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا ... وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلَالِ (٨)

---

(١) تنورتها : نظرت إلى نارها ، وإنما أراد بقلبه لا بعينه . يقال : تنورت النار من بعيد أي أبصرتها ، فكأنه من فرط الشوق يرى نارها ، وأذرعات : بلد بالشام . ويثرب : مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأدنى دارها نظر عال : يقول : أقرب دارها منا بعيد فكيف بها ودونها نظر مرتفع ؟

(٢) تشب لقفال : توقد لعائدين من الغزو أو غيره .

(٣) سموت : نهضت . الحباب : الفقاقيع التي تظهر على سطح الماء .

(٤) سباك الله : أبعدك ورماك بالاغتراب . وقال أبو حاتم : سلط عليك من من يسبيك ، والمعروف أن السبي للنساء والأسر للرجال . السمار : المجتمعون للسمر ليلا . أحوالي : حوالي .

(٥) أبرح قاعدا : لا أبرح قاعدا في مكاني . وأوصالي : مفاصلي .

(٦) حلفة فاجر : يمين فاسق . لناموا : لقد ناموا . الصالي : المستدفئ بالنار .

(٧) أسمحت : لانت وانقادت . هصرت : جذبت . بغصن : هصرت غصنا . أي أملتها إلي كما أميل الغصن اللين .

(٨) ورضت : ذللت الصعب منها . فذلت : فلانت وأسمحت .

فأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وأَصْبَحَ بَعْلُهَا ... عَلَيْهِ القَتَامُ سَيِّءَ الظَّنِّ والبَالِ (١)

يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ ... لِيَقْتُلَنِي والمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ (٢)

أَيَقْتُلُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيَابِ أَغْوَالِ (٣)

ولَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعُنُنِي بِهِ ... ولَيْسَ بِذِي سَيْفٍ ولَيْسَ بِنَبَّالِ (٤)

لِيَقْتُلَنِي أَنِّي شَغَفْتُ فُؤَادَهَا ... كَمَا شَغَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي (٥)

وقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وإِنْ كَانَ بَعْلُهَا ... بِأَنَّ الفَتَى يَهْذِي ولَيْسَ بِفَعَّالِ (٦)

---

(١) القتام : غبار الخزي ، وكاسف البال : سيئ الخاطر . ويروى : كاسف الوجه والبال .

(٢) يغط غطيط البكر : يعنى عند رياضته وهو صعب . يسمع له غطيط من الغيظ كما يرى من البكر ليس بقتال : لايعرف القتل . وليس من عادته

(٣) المشرفى : السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، وهى قرى للعرب تدنو من بلاد الروم : ومسنونة زرق : ومشاقص محددة بالسن ، أو هى نصال الرماح . قال أبو عبيد البكرى : ومسنونة يعنى سهاما محددة الأزجة . وزرق : صافية مجلوة . أغوال : وقال أبوعبيد : والأغوال : همرجة (التباس واختلاط) من همرجة الجن . وإنما أراد التهويل . قال المبرد : لم يخبر صادق أنه رأى الغول .

(٤) يعنى أن زوجها ليس من الفرسان الطاعنين بالرماح ، ولا من الشجعان الضاربين بالسيوف ، ولا من الرماة أصحاب النبال ، حتى تخشى غائلته . وقال أبوعبيد البكرى : النبال هو الذى يعمل النبل ، وإنما أراد أن يقول وليس بنابل وهو صاحب النبل فلم يستقم له . قلت : امرؤ القيس حجة لايشك فى ذلك أحد ، فنحن نأخذ عنه أن النبال هو صاحب النبل كما هو صانعها ، ويروى :

وليس بذى سيف فيقتلنى به ... وليس بذى رمح وليس بنبال

(٥) شغفت فؤادها : بلغ حبى شغاف قلبها ، ويروى : ليقتلنى وقد فطرت فؤادها . المهنوءة : الناقة تطلى بالقطران فإنها فى هذه الحالة قد يغشى عليها .

(٦) الفتى : يريد بها زوجها . يهذى : يقول ما لايعقل من التهديد والوعيد . ليس بفعال : ليس هو ممن يصدق فعالهم قولهم .

ومَاذَا عَلَيْهِ لَوْ ذَكَرْتُ أَوَانِسًا كَغِزْلَانِ رَمْلٍ فى مَحَارِيبِ أَقْوَالِ (١)

وَبَيْتِ عَذَارَى يَوْمَ دَجْنٍ وَلَجْتُهُ يَطُفْنَ بِجَبَّاءِ المَرَافِقِ مِكْسَالِ (٢)

قَلِيلَةِ جَرْسِ اللَّيْلِ إِلَّا وَسَاوِسًا وَتَبْسِمُ عَنْ عَذْبِ المَذَاقَةِ سَلْسَالِ (٣)

سِبَاطِ البَنَانِ والعَرَانِينِ والقَنَا لِطَافِ الخُصُورِ فى تَمَامٍ وإِكْمَالِ (٤)

نَوَاعِمُ يُتْبِعْنَ الهَوَى سُبُلَ الرَّدَى يَقُلْنَ لِأَهْلِ الحِلْمِ ضُلًّا بِتَضْلَالِ (٥)

صَرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلَالِ ولا قَالِى (٦)

أَلَا إِنَّنِي بَالٍ عَلَى جَمَلٍ بَالٍ يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَيَتْبَعُنَا بَالِ (٧)

أَلَا يَحْبِسُ الشَّيْخُ الغَيُورُ بَنَاتِهِ مَخَافَةَ جَنِيِّ الشَّمَائِلِ مُخْتَالِ (٨)

---

(١) الأوانس: الفتيات اللائى يؤنسن بحديثهن. محاريب أقوال: غرف ملوك حمير

(٢) الدجن: ظل الغمام المنذر بالمطر. ولجته: دخلت فيه. جباء المرافق: غائبة العظام لسمنها. مكسال: متفترة.

(٣) جرس الليل: لايسمع لها صوت بالليل. الوساوس: أصوات الحلى. عذب المذاقة: يريد عن ثغر طيب الريق شهى المقبل. سلسال: كالماء العذب الزلال.

(٤) سباط البنان: طوال الأصابع. والعرانين: الأنوف. والقنا: يريدبها القامات

(٥) ضلا بتضلال: أى يضللن أهل الحلم والحجى. ويروى: أوانس. ويروى: سبل المنى.

(٦) الردى: الهلاك. المقلى: المبغض. الخلال: الخصال، أو الخالة والصداقة. ولا قالى: ولا مبغض.

(٧) بال: مضنى بالحب. على جمل بال: كأنه القوس فى ضموره وانحنائه لقطعه الفيافى فى الهواجر. والقائد والتابع: غلامان له هزيلان من كثرة الأسفار والخدمة نهاراً والسهر ليلا.

(٨) جنى الشمائل: مائل الخصال. مختال: كثير الخيلاء والتبختر

يُقَصِّرُ عَنْهُنَّ الطَّرِيقَ وَغَوْلَهُ قَتِيلُ الغَوَانِي فِي الرِّيَاطِ وَفِي الخَالِ (١)
كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ (٢)
وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ (٢)
وَلَمْ أَشْهَدِ الخَيْلَ المُغِيرَةَ بِالضُّحَى عَلَى هَيْكَلٍ نَهْدِ الجُزَارَةِ جَوَّالِ (٣)

(١) قتيل الغوانى : يعنى نفسه . الرياط ، جمع ريطة ، وهى الملاءة ذات اللفقين الخال : الثوب الرقيق الشفاف .

(٢) لهذا البيت وتاليه حكاية طريفة لا بأس من إيرادها : يروى أنه ورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ، ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة ! فأنشد يوما هذان البيتان ، فقال : قد خالف فيهما وأفسد . لو قال :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله ، فذكر الجواد والكر فى بيت ، وذكر النساء والخمر فى بيت : فالتبس الأمر بين يدى سيف الدولة ، وسلموا له ماقال ، فقال رجل ممن حضر : لا ولا كرامة لهذا الرأى ! الله أصدق منك حيث يقول (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظمأ . فسر سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة . قال صاحب العمدة : قول امرئ القيس أصوب . لأن اللذة التى ذكرها إنما هى الصيد ، هكذا قال العلماء . ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء ، لجمع فى البيت معنيين ، ولو نظمه على ماقال المعترض لنقص فائدة عظيمة ، وفضيلة شريفة ، تدل على السلطان ، وكذلك البيت الثانى لو نظمه على ماقال لكان ذكر اللذة حشو لا فائدة فيه ، لأن الزق لا يسبأ إلا للذة فإن جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا : فى ذكر الزق الروى كفاية ؛ ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة ، بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة .

(٣) لم أشهد : لم أحضر . المغيرة بالضحى : التى تغير بفرسانها فى ضحوة النهار . الهيكل : الفرس العظيم المشرف كأنه الهيكل المبنى . نهد الجزارة : غليظ القوائم .

سَلِيمِ الشَّظَى عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا ... لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الفَالِ (١)

وَصُمٌّ صِلَابٌ مَا يَقِينَ مِنَ الوَجَى ... كَأَنَّ مَكَانَ الرِّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالِ (٢)

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... لِغَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالِ (٣)

تَحَامَاهُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ تَحَامِيًا ... وَجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ (٤)

بِعِجْلِزَةٍ قَدْ أَتْرَزَ الجَرْيُ لَحْمَهَا ... كُمَيْتٍ كَأَنَّهَا هِرَاوَةُ مِنْوَالِ (٥)

= ويروى : عبل الجزارة ؛ وهو بمعناه . جوال : معاود الجولان فى كره وفره .

(١) الشظى : عظم لازق بالذراع . عبل الشوى : غليظ عصب القوائم . شنج النسا : منقبض ذلك العرق الذى يأخذ من فخذه إلى كعبه ؛ وهو النسا ، ومتى كان الفرس شنج النسا لم تسترخ رجلاه ، وهذا دليل العتق . الحجبات : رؤس عظام الوركين . الفال : الفائل ، وهو عرق يأخذ عن يمين عجب الذنب وعن يساره . وقال القالى : الفائل : عرق فى الخربة يستبطن الفخذ ويجرى إلى الرجلين . والخربة: النقرة فى الورك ليس بينها وبين الجوف عظم ، وإنما هو جلد ولحم .

(٢) وصم صلاب : يريد بها حوافر الفرس ، يصفها بأنها صماء صلبة ، يعنى مصمتة لاتجويف لها . مايقين : مايهين . من الوجى : من الحفا أوماهو أشد منه الردف : الموضع الذى يردف عليه الراكب من ظهره . على رال : على فرخ نعام .

(٣) أغتدى : أخرج بفرسى للصيد عند انبلاج الصباح وكناتها : أوكارها لغيث : لأرض ذات بقل وكلأ . الوسمى : أول المطر فى الخريف ، الرائد : الباحث عن الكلأ . خال : فى موضع الخلاء

(٤) تحاماه : يقول إن هذا الغيث ، ويريد به ماينبته ، تتقيه أصحاب الرماح ، وهم الفرسان ، لأنه فى مكان مخوف ، ولأنه واقع بين حيين قويين . وأسحم هطال : سحاب أسود حافل بالماء سيال .

(٥) بعجلزة : بفرس شديدة قوية الأسر متينة الخلق . أترز : أيبس وضمر . كميت : لونها بين الأسود والأحمر . هراوة : عصا . منوال : خشبة يشد عليها الثوب وقت النسيج . وعصا المنوال لاتتخذ إلا من أصلب عيدان الشجر .

ذَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ ... وأَكْرُعُهُ وَشْيَ البُرُودِ مِنَ الخَالِ (١)

كأَنَّ الصُّوَارَ إِذْ يُجَاهِدْنَ غُدْوَةً ... عَلَى جُمُدٍ خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالِ (٢)

فَجَرَّ لِرَوْقَيْهِ وأَمْضَيْتُ مُقْدِمًا ... طُوَالَ القَرَا وَالرَّوْقِ أَخْنَسَ ذَيَّالِ (٣)

فَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ... وكَانَ عِدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِ (٤)

كأَنِّي بِفَتْخَاءِ الجَنَاحَيْنِ لَقْوَةٍ ... صَيُودٍ مِنَ العِقْبَانِ طَأْطَأْتُ شِمْلَالِ (٥)

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الشَّرَبَّةِ بِالضُّحَى ... وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ (٦)

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي (٧)

---

(١) ذعرت : أخفت وأفزعت . سرباً : قطيعا من بقر الوحش . نقى الجلود والأكرع : أبيض الجلود والسوق ، كأنه قد لبس برودا يمنية موشاة . والخال : الثوب الرقيق الشفاف

(٢) الصوار : قطيع من بقر الوحش . جمد : أماكن صلبة مرتفعة . تجول بأجلال : كأنها خيل عليها جلالها .

(٣) فجز لروقيه : فمكنا على قرنيه صريعا . وأمضيت مقدما : ودفعت جوادى إلى الأمام . طوال القرا والروق : طويل الظهر والقرن . أخنس : متأخر قصبة الأنف . ذيال : طويل الذيل والقد متبختر فى مشيته .

(٤) فعاديت : واليت العدو . بين ثور ونعجة : بين ثور وبقرة من الوحش . على بالى : على فرس جعله التضمير كأنه لالحم عليه ولا شحم . ويروى : وكان عداء الوحش منى على بالى .

(٥) فتخاء الجناحين لقوة : عقاب لينة الجناحين ، سريعة الاختطاف . صيود : حاذقة بالصيد معتادته طأطأت : طامنت رأسي للكز الفرس . الشملال : السريعة القوية . ويروى : على عجل منها أطأطئ .

(٦) خزان : ذكور الأرانب . الشربة : موضع ديار بنى عبس . أورال : موضع

(٧) يعنى . كأن قلوب الطير رطبا : العناب . ويابسا : الحشف البالى ، وهو يابس التمر

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ   كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ المَالِ (١)
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ   وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي (٢)
وَمَا المَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ   بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الخُطُوبِ وَلَا آلِي (٣)

٥٥

وقال (٤) :

حَيِّ الحُمُولَ بِجَانِبِ العَزْلِ   إِذْ لَا يُلَائِمُ شَكْلُهَا شَكْلِي (٥)
مَاذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظُعُنٍ   إِلَّا صِبَاكَ وَقِلَّةُ العَقْلِ (٦)
مَنَّيْتَنَا بِغَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ   حَتَّى بَخِلْتِ كَأَسْوَإِ البُخْلِ (٧)
يَا رُبَّ غَانِيَةٍ لَهَوْتُ بِهَا   وَمَشَيْتُ مُتَّئِدًا عَلَى رِسْلِي (٨)

---

(١) يقول : لو كان مطلبي في الحياة الكفاف من العيش، لكفاني القليل،ولم أسع في طلب الكثير . ويروى : فلو أنني . ويروى : ولم أداب .

(٢) ولكن الأمر أجل من طلب العيش ، فإنما أسعى لمجد مؤثل ثابت ، وقد أدركه لأني جدير بإدراكه . وذلك ما أوضحه في قوله : نحاول ملكا أو نموت فنعذرا .

(٣) يقول : إن المرء مادام حيا ودامت له حشاشة نفسه لن يألو جهداً في طلب نهايات أمانيه ولا يقصر دونها ، وما هو بمدرك غايات هذه الأماني مهما طال عمره .

(٤) هذه القصيدة تروى لامرئ القيس بن عابس الكندي .

(٥) العزل : ماء بين البصرة واليمامة

(٦) ظعن : نساء محمولات في الهوادج . إلا صباك : إلا مابك من جهل الصبا وغرارة الشباب .

(٧) منيتنا : أرخيت لنا في حبال الأماني .

(٨) الغانية : الفتاة الحسناء المستغنية بجمالها ومحاسنها عن الحلي والزينة . متئداً : متمهلا غير متعجل . على رسلي : على مهلي .

لَا أَسْتَقِيدُ لِمَنْ دَعَا لِصِبًا ... قَسْرًا وَلَا أُصْطَادُ بِالْخَتْلِ [١]

وَتَنُوفَةٍ جَــدْبَاءَ مُهْلِكَةٍ ... جَاوَزْتُهَا بِنَجَائِبٍ فُتْلِ [٢]

فَيَبِتْنَ يَنْهَسْنَ الْجَبُوبَ بِهَا ... وَأَبِيتُ مُرْتَفِقًا عَلَى رَحْلِي [٣]

مُتَوَسِّــدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ ... فِي مَتْنِــهِ كَمَدَبَّةِ النَّمْلِ [٤]

يُدْعَى صَقِيلًا وَهْوَ لَيْسَ لَهُ ... عَهْدٌ بِتَمْوِيهٍ وَلَا صَــقْلِ [٥]

عَفَتِ الدِّيَارُ فَمَـا بِهَا أَهْلِي ... وَلَوَتْ شُمُوسُ بَشَاشَةَ الْبَذْلِ [٦]

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جَازِئَةٍ ... حَوْرَاءَ حَانِيَــةٍ عَلَى طِفْلِ [٧]

فَلَهَــا مُقَلَّدُهَا وَمُقْلَتُهَا ... وَلَهَـا عَلَيْهِ سَرَاوَةُ الْفَضْلِ [٨]

---

(١) لا أستقيد : لا أنقاد ولا أجيب . لمن دعا لصبا : لمن حث على لهو . قسراً : قهرا ، ولا أمكن أحدا من اصطيادى بالختل : بالخداع والاحتيال .

(٢) ورب تنوفة جدباء : فلاة لاماء فيها ، ولا أنيس بها ، وهى مجدبة لاعشب بها ولا نبات . مهلكة : تقضى على من يسلكها بالهلاك . النجائب : الخيل الأصايل فتل : ضوامر .

(٣) ينهسن الجبوب : يأخذن من الأرض بسنابكهن . مرتفقا : متكئاً على رحلى

(٤) متوسدا عضباً : واضعاً سيفى تحت رأسى كالوسادة .

(٥) صقيلا : مجلوا مصقولا .

(٦) عفت الديار : خلت من أهلى . ولوت : مطلت وأخلفت الموعد . شموس ، هذا وصف لمن يتغزل بها ، وصفها بأنها شموس أى نفور ، ضنت عليه بالبشاشة التى هى علامة الرضا .

(٧) جازئة : ظبية مكتفية بالقليل من الماء عن كثيره فهى لذلك يكون بها ضمور وهيف . شبه بهـا معشوقته التى وصفها بالشموس . حانية على طفل : عاطفة على ولدها .

(٨) لها مقلدها ومقلتها : يعنى لها جيد الغزالة وعينها . ولها عليه : ولعشيقته على الرئم ولد الظبية . سراوة الفضل : شرف الزيادة فى جمال الخلق .

أَقْبَلْتُ مُقْتَصِدًا ورَاجَعَنِي ... حِلْمِي وسُدِّدَ لِلنَّدَى فِعْلِي (١)

واللهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ ... والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ (٢)

ومِنَ الطَّرِيقَةِ جَائِرٌ وهُدًى ... قَصْدُ السَّبِيلِ ومِنْهُ ذُو دَخْلِ (٣)

إِنِّي لَأَصْرِمُ مَنْ يُصَارِمُنِي ... وأُجِدُّ وَصْلَ مَنِ ابْتَغَى وَصْلِي (٤)

وأَخِي إِخَاءٍ ذِي مُحَافَظَةٍ ... سَهْلِ الخَلِيقَةِ مَاجِدِ الأَصْلِ (٥)

حُلْوٍ إِذَا مَا جِئْتُ قَالَ أَلَا ... في الرُّحْبِ أَنْتَ ومَنْزِلِ السَّهْلِ (٦)

نَازَعْتُهُ كَأْسَ الصَّبُوحِ ولَمْ ... أَجْهَلْ مُجِدَّةَ عُذْرَةِ الرَّجُلِ (٧)

إِنِّي بِحَبْلِكِ وَاصِلٌ حَبْلِي ... وبِرِيشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِي (٨)

مَا لَمْ أَجِدْكِ عَلَى هُدَى أَثَرٍ ... يَقْرُو مَقَصَّكِ قَائِفٌ قَبْلِي (٩)

(١) مقتصدا: مجتزئا بالهدى والرشاد، وتركت ما كنت فيه من الجهل والاستهتار.

(٢) الحقيبة: العدل توضع فيه الثياب، وهو كناية عن مدخر الخير. وهذا البيت من أشرف ما قال عربي.

(٣) جائر: متجاوز الحد. وذو دخل: فيه غش وفساد وخب وخداع.

(٤) أصرم: أهجر. وأجد: وأجدد وأصل.

(٥) ورب صاحب إخاء محافظ على الود سهل الخليقة لين العريكة.

(٦) يقول لي عند اللقاء: أهلا وسهلا ومرحبا.

(٧) هذا الصديق: نازعته كأس الصبوح: نادمته على الشراب من أول النهار. ولم أجهل مجدة عذرة الرجل: يعني إن حمله سكره على ما يعتذر منه عذرته، ولم أجهل مجدة حالته.

(٨) إني بحبلك، وهذا التفات ورجوع إلى مخاطبة معشوقته. ريش النبل: ما يوضع في جانبي السهم من الريش. وهو هنا كناية عن مجاراتها فيما لا يمس الكرامة.

(٩) على هدى أثر: على هداية الطريق. يقرو مقصك: يستقري أثرك. قائف: هو الذي يقص الأثر ويتتبعه. قبلي: أي أنه يريدها لنفسه دون غيره، وأنه يرجو ألا تكون قد نال حبها أحد قبله.

وشمائلي ما قد علمتِ وما   نبحت كلابُكِ طارقا مثلي [١]

٥٦

وقال امرؤ القيس ، وقد نزل على سعد بن الضباب فأجاره بجبال طيئ :

تنكَّرتْ ليلى عن الوصلِ   ونأتْ ورثَّ معاقدُ الحبْلِ [٢]

ولوَوْا متاعَهمُ وقدْ سُئِلُوا   بَذْلَ المتاعِ فضَنَّ بالبذلِ [٣]

ونحتْ لهُ عنْ أرْزِ تألبةٍ   فَلَقٍ فراغَ معابلٍ طُحْلِ [٤]

وافتْ بأصلتَ غيرِ أكْلفَ مَحْـ   ـرُومِ البهاءِ وقلةِ الأسْلِ [٥]

ومؤشَّرٍ عذبٍ مذاقتُـــهُ   بَرْدُ القلالِ بِذائبِ النَّحْلِ [٦]

مَنْ كانَ يأملُ عُقْرَ داري مِنْ   أهلِ الأوُدِّ بها وذِي الذَّحْلِ [٧]

---

(١) شمائلي : خصالي . طارقا مثلي : يريد أنه لم يطرقها ليلا من هو مثله في شمائله ومحاسن أخلاقه .

(٢) تنكرت : تغافلت وتناست . ونأت : بعدت . ورث : بلي . معاقد الحبل : يريد بها مواثيق العهود .

(٣) ولووا متاعهم : مالوا به وتباعدوا عني . ضن : بخل . بالبذل : بالعطاء .

(٤) نحت : انحرفت ؛ أي رمته عن قوس . وأرز : قوه وزيادة . الفراغ : القوس البعيدة السهم ، الواسعة جرح النصل . معابل : نصال سهام . طحل : مغبرة بين السواد والبياض، يعني كأن هذه المرأة رمته بسهم في قلبه .

(٥) وافت جاءت . بأصلت ، بجبين واضح لا كلف فيه ، والأسل : الطول والسهولة مما يوصف به الخد

(٦) مؤشر : ثغر ذي أشر ، حسن الأسنان محززها . برد القلال : الماء المنحدر من أعالي الجبال فهو من الصفاء والبرودة بمكان . ذائب النحل : هو الشهد .

(٧) أهل الأود : أصحاب ودي وخلصاني . وذي الذحل : أصحاب الثأر والعداء .

فَلَيَأْتِ وَسْطَ قِبَابِهِ خَيْمِى وَلْيَأْتِ وَسْطَ خَمِيسهِ رَجْلِى (١)

يَا هَلْ أَتَاكِ وَقَدْ يُحَدَّثُ ذُو الْـ وُدِّ الْقَدِيمِ مَسَمَّةَ الدُّخْلِ (٢)

إِنِّى لَعَمْرِى مَا انْتَمَيْتُ فَلَمْ أَعْدِلْ إِلَى بَدَلٍ وَلَا مِثْلِ (٣)

لِأَخٍ رَضِيتُ بِهِ وَشَارَكَ فِى الْأَنْسَابِ وَالْأَصْهَارِ وَالْفَضْلِ (٤)

وَلِمِثْلِ أَسْبَابٍ عَلِقْتُ بِهَا يَمْنَعْنَ مِنْ قَلَقٍ وَمِنْ أَزْلِ (٥)

لَمَّا سَمَا مِنْ بَيْنِ أَقْرُنَ فَالْأَجْبَـ ـالِ قُلْتُ فِدَاؤُهُ أَهْلِى (٦)

هَمٌّ سَيَبْلُغُهُ التَّمَامُ فَذَا ظَنِّى بِهِ سَيَنَالُ أَوْ يُبْلِى (٧)

وَأَتَى عَلَى غَطَفَانَ فَاخْتَلَفُوا دِينٌ يَجِىءُ وَهَارِبٌ يُجْلِى (٨)

وَيَحُشُّ تَحْتَ الْقِدْرِ يُوقِدُهَا بِغَضَى الْغَرِيفِ فَأَجْمَعَتْ تَغْلِى (٩)

---

(١) خميسه : جيشه . رجلى : رجالى غير الفرسان .

(٢) مسمة الدخل : الخاصة من الأقارب المتداخلين .

(٣) انتميت : اعتزيت وانتسبت .

(٤) يعنى لم أطلب عدلا ولا مثلا لأخ هو من أسرتى وقبيلى ، وهذا يدل على أن الممدوح هو سعد بن الضباب .

(٥) القلق : الاضطراب . والأزل : الشدة .

(٦) سما : علا . أقرن والأجبال : هى بلاد طيئ .

(٧) يبلى : يبيد ويذهب ، أو يبلى عذرا .

(٨) غطفان : قبيلة معروفة .

(٩) يحش : يضع الوقود . بغضى الغريف : بحطب من شجر الغضى المنسوب للغريف وهو مكان . فأجمعت تغلى : يعنى أن القدر أخذت فى الغليان .

٥٧

لما أنجد قَرْمَلُ بن الحُمَيْمِ الحميرى امرأ القيس وبعث معه الجيوش للأخذ بثأر أبيه حجر، سار بهم امرؤ القيس حتى أناخ على بنى أسد، وظفر بهم، وقتل قتلة أبيه، وأنكى فيهم، وألبسهم الدروع البيض محماة، وكحلهم بالنار، قال فى ذلك القصيدة الآتية. قال ياقوت: إن مطلعها هو: «يادار سلمى دارساً نؤيها. فالرمل». وقال غيره: بل قال:

يَا دَارُ مَاوِيَّةَ بِالحَــائِلِ ... فَالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ (١)

صُمَّ صَدَاهَا وعَفَا رَسْمُهَا ... واسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ (٢)

قولَا لِدُودَانَ عَبِيدِ العَصَا ... مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ البَاسِلِ (٣)

قَدْ قَرَّتِ العَيْنَانِ مِنْ مَالِكٍ ... ومِنْ بَنِي عَمْرٍو ومِنْ كَاهِلِ (٤)

ومِنْ بَنِي غُنْمِ بْنِ دُودَانَ إِذْ ... نَقْذِفُ أَعْلَاهُمْ عَلَى السَّافِلِ (٥)

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً ... كَرَّكَ لَأْمَيْنِ عَلَى نَابِلِ (٦)

---

(١) الحائل والسهب والخبتين وعاقل: أسماء أماكن، ويروى: فالغمر فالخبتين من حائل.

(٢) صم صداها: بادت حتى لاصدى لها: عفا رسمها: أمست وليس لها رسم ولابها أثر. واستعجمت: لاتجيب سائلا؛ لأنه ليس بها أحد يجيب ويرد.

(٣) دودان: بطن من بطون بنى أسد. عبيد العصا: الذين يساقون بها ذلة وهوانا، وهو أول من لقبهم بهذا اللقب فلزمهم. الأسد الباسل: يعنى نفسه.

(٤) بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهل: من بطون بنى أسد. ممن اشتركوا فى قتل حجر الملك.

(٥) وبنو غنم بن دودان كذلك منهم.

(٦) سلكى: مستقيمة. ومخلوجة: معوجة. قال أبو حنيفة الدينورى: سئل=

إذْ هُنَّ أقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبَا أوْ كَقَطًا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ [1]

حَتَّى تَرَكْنَاهُمْ لَدَى مَعْرَكٍ أرْجُلُهُمْ كالخَشَبِ الشَّائِلِ [2]

حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فى شُغُلٍ شَاغِلِ [3]

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْمًا مِنَ اللهِ ولَا وَاغِلِ [4]

٥٨

نزل امرؤ القيس على خالد بن سدوس بن أصمع النبهانى ، فأغار عليه باعث بن حويص الجديلى الطائى فى رجال معه فذهبوا بإبله ، فلما علم ذلك امرؤ القيس أخبر جاره خالدا ، فقال له خالد : أعطنى رواحلك ألحق بها القوم فأرد إبلك ؟ فأعطاه رواحله فركبها خالد ، فلما أدركهم قال : يا بنى جديلة ؛ أغرتم على جارى فردوا إليه إبله ؟ فقالوا : ما هو لك بجار !

=رؤبة عن معنى هذا البيت فقال : حدثنى أبى عن أبيه قال حدثتنى عمتى - وكانت من بنى دارم - قالت : سألت امرأ القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك « كرك لأمين على نابل » فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت شيئا أسرع منه ولا أحسن ، فشبهت به . واللؤام أن تكون الريشة بطنها إلى ظهر الأخرى ، وهذا محمود فى ريش السهام . واللغاب بعكس اللؤام وهو أن يكون ظهر الواحدة إلى ظهر الأخرى ، ويسمى ذلك الظهار أيضا .

(١) أقساط : جماعات ؛ كرجل الدبا : كفرق الجراد . قطا كاظمة : القطا طائر معروف ، وكاظمة المكان الذى يكثر فيه . هو يمشى أسرابا . الناهل : وارد الماء .

(٢) تركهم صرعى فى المعترك حتى كأن أرجلهم الخشب المرتفع .

(٣) حلت : وجبت ، وكان قد آلى على نفسه ألا يشرب الخمر حتى ينال ثأره من قتلة أبيه .

(٤) غير مستحقب : غير حامل ، الواغل هنا بمعنى الآثم .

فقال : بلى والله ما هذه الإبل التى معكم إلا كالرواحل التى تحتى ! فقالوا : أكذاك ؟ فرجعوا إليه فأنزلوه عنها وذهبوا بها أيضا . فلما عاد إلى امرئ القيس بهذه الحال تحول عنه إلى جارية بن مر الثعلى فأجاره وأكرمه . فقال يمدحه وبنى ثعل ويذم خالدا :

دَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فى حَجَرَاتِهِ ... ولٰكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ (١)

كَأَنَّ دِثَارًا حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ ... عُقَابُ تَنُوفَى لَا عُقَابُ القَوَاعِلِ (٢)

تَلَعَّبَ بَاعِثٌ بِذِمَّــــةِ خَالِدٍ ... وأَوْدَى عِصَامٌ فى الخُطُوبِ الأَوَائِلِ (٣)

وأَعْجَبَنِى مَشْىُ الحُــــزُقَّةِ خَالِدٍ ... كَمَشْىِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ فى المَنَاهِلِ (٤)

---

(١) النهب : السلب وانتهاز الفرص لاختطاف الأشياء . حجراته : نواحيه . الرواحل : النوق التى ذهب بها باعث وبنو جديلة . يقول : دع عنك حديث إبلى التى سطا عليها هؤلاء السلالون اللصوص وأخلوا منها أعطانها ، ولكن هات حدثنى عن ذهاب رواحلى ، وكيف مكنتهم من أخذها ياسيئ الجوار ، ويا ضعيف الدفع عن الجار ؟!

(٢) دثار : هو راعى إبل امرئ القيس . حلقت : نزلت عليها من الجو . بلبونه : بنوقه التى يرعاها ويحتلبها . عقاب تنوفى : عقاب ساقطة من ثنية مشرفة ذاهبة فى الهواء لارتفاعها . القواعل : الجبال الصغيرة . ويروى : عقاب ملاع . وهى السريعة الخاطفة .

(٣) تلعب : لعب وسخر . باعث : هو ابن حويص الجديلى الذى أغار برجاله على الإبل وذهب بها نهبا مقسما . بذمة خالد ، ويروى بجيران خالد : وهو ابن سدوس بن أصمع الذى عجز عن حماية جاره امرئ القيس . وأودى عصام : هلك ، وهو راع آخر من رعاته قتل عند الغارة على الإبل . ويروى : وأودى دثار .

(٤) الحزقة : القصير البطين الضيق الباع . أتان : أنثى الحمر . حلئت فى المناهل منعت وطردت عن مناهل الماء ، وكلما حاولت الدنو من الماء منعت منعا شديدا . يشبه مشية خالد بمشية هذه الأتان . وذلك سخرية به وتحقير لشأنه .

أَبَتْ أَجَأٌ أَنْ تُسْلِمَ العَامَ جَارَهَا ... فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مُقَاتِلِ (١)

تَبِيتُ لَبُونِي بِالقُرَيَّةِ أُمَّنًا ... وَأَسْرَحُهَا غِبًّا بِأَكْنَافِ حَائِلِ (٢)

بَنُو ثُعَـــلٍ جِيرَانُهَا وَحُمَاتُهَا ... وَتُمْنَعُ مِنْ رُمَاةِ سَعْدٍ وَنَابِلِ (٣)

تُلَاعِبُ أَوْلَادُ الوُعُولِ رِبَاعَهَا ... دُوَيْنَ السَّمَاءِ فِي رُؤُسِ المَجَادِلِ (٤)

مُكَلَّلَةً حَمْـــرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ ... لَهَا حُبُكٌ كَأَنَّهَا مِنْ حَبَائِلِ (٥)

٥٩

وقال امرؤ القيس ، حين أغار على بنى أسد لما نزلوا على بنى كنانة ، فلما علموا بشدة طلبه لهم ، فروا تحت الليل ولم يصب منهم أحد :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلَا ... تَاللهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلَا (٦)

---

(١) أجأ أحد جبلى طيئ . والمراد أهل أجأ . فمن شاء الخ : فمن أراد أن يعرف كيف تكون الهزيمة والفضيحة فلينهض لقتالها .

(٢) اللبون : يريد بها نوقه التى يحتلب لبنها . القرية : منزل بجبل أجأ . أسرحها : أرسلها فى المراعى نهارا . غبا : الوقت بعد الوقت . أكناف حائل : جوانب الجبل ؛ أى فتكون فى أمن ورعاية .

(٣) بنو ثعل : قبيلة من طيئ كان رجالها مشهورين بالحذق فى الرماية . سعد ونابل : من رماة بنى نبهان .

(٤) الوعول : تيوس الجبل . الرباع : الفصلان ، أى الصغار من الإبل . المجادل : الجبال . يعنى أنها تألف أولاد الوعول وتلاعبها فى أمن وسلام .

(٥) مكللة حمراء : يعنى أن رؤس الجبال كللتها السحب . ذات أسرة : لها خطوط الحبك : الطرائق . الحبائل : برود ملونة مخططة . ويروى : كأنها من وصائل .

(٦) يالهف هند : ياحسرة هند . وهى أخت امرئ القيس ، ويقال امرأة أبيه . خطئن : أخطأن ولم يصبن ، يعنى أن خيله التى أغار بها لم تصب بنى كاهل ، وهم حى من بنى أسد كان فيمن شرك فى قتل حجر . شيخه : أبوه . باطل : هدر .

حَتَّى أَبِيرَ مَالِكًا وكَاهِلَا أَلْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلَاحِلَا (١)

خَيْرَ مَعَدٍّ حَسَبًا ونَائِلَا وخَيْرَهُمْ قَدْ عَلِمُوا شَمَائِلَا (٢)

نَحْنُ جَلَبْنَا الْقُرَّحَ الْقَوَافِلَا يَحْمِلْنَنَا وَالْأَسَلَ النَّوَاهِلَا (٣)

وَحَيُّ صَعْبٍ والوَشِيجَ الذَّابِلَا مُسْتَثْفِرَاتٍ بِالْحَصَى جَوَافِلَا (٤)

يَسْتَشْرِفُ الْأَوَاخِرَ الْأَوَائِلَا (٥)

فأجابه عَبيد بن الأبرص الأسدي يرد عليه قوله :

يَا ذَا الْمُخَوِّفُنَا بِقَتْـلِ أَبِيـهِ إِذْلَالًا وَحَيْنَا (٥)

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْـتَ سَرَاتَنَا كَذِبًا وَمَيْنَا (٦)

هَلَّا عَلَى حُجْرِ بْنِ أُمِّ قَطَامِ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا (٧)

إِنَّا إِذَا عَضَّ الثِّقَا فُ بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا (٨)

---

(١) أبير : أهلك وأبيد . مالك وكاهل : حيان من بنى أسد . الحلاحل : السيد الشريف الزكى الرضى ، يعنى أباه .

(٢) يريد أباه . النائل : العطاء الجزل . والشمائل : الخصال الكريمة .

(٣) القرح القوافل : الخيل الضوامر . الأسل النواهل : الرماح المتعطشة إلى الدماء فهى تعب فيها وتنهل .

(٤) حى صعب : من بقى مع امرئ القيس من أحياء بنى أسد . الوشيج الذابل : الرماح اللينة . مستثفرات بالحصى ، يعنى أن الخيل من شدة جريها تثير الحصى بحوافرها فيتطاير من خلفها ويدخل بين أفخاذها ، فكأنها به مستثفرة ، جوافل : سراع .

(٥) إذلالا وحينا : هوانا وهلاكا .

(٦) المين والكذب سواء .

(٧) حجر بن أم قطام : أبو امرئ القيس ، وهكذا كان يكنى من طريق النبز .

(٨) الثقاف : تقويم الرماح . لوينا : أملنا وأعرضنا .

نَحْمِى حَقِيقَتَنَا وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا (١)

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا؟ (٢)

أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ بِبَـــوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا (٣)

وَجُمُوعَ غَسَّانَ المُلُو كِ أَتَيْنَهُمْ وَقَدِ انْطَوَيْنَا (٤)

نَحْنُ الأُلَى فَاجْمَعْ جُمُو عَكَ ثُمَّ وَجِّهْهُمْ إِلَيْنَا (٥)

وَاعْلَمْ بِأَنَّ جِيَادَنَا آلَيْنَ لَا يَقْضِينَ دَيْنَا (٦)

وَلَقَدْ أَبَحْنَـــا مَا حَمَيْتَ وَلَا مُبِيحَ لِمَا حَمَيْنَا (٧)

٥٩

كان امرؤ القيس لما بلغه قتل أبيه حجر آلى على نفسه أن لا يمس رأسه غسل ، ولا يشرب خمراً ، حتى يثأر بأبيه فلما ظفر ببنى أسد وأدرك ثأره منهم حل له ما حرم على نفسه . وهذه القصيدة رواها فى ديوانه خرابنداذ عن أبى جعفر الكوفى المعروف بِدَنْدَان ، وعن أبى عمر العبدى الإصطخرى (٨) وهى هذه ؛ قال امرؤ القيس :

(١) الحقيقة : مايحق للرجل حمايته وصيانته والذب عنه .

(٢) لعل هذا كان فى زمن مضى من وقائع كندة .

(٣) البواتر : السيوف المواضى .

(٤) جموع غسان : قبائل غسان التى كان منها ملوك الشام . وهذا يدل على أنه يفخر بقديم .

(٥) نحن الأولى : يريد نحن المعروفون من القديم .

(٦) آلين : أقسمن .

(٧) أباحه : جعله مباحا تتناوله كل يد . والقصيدة طويلة غير أن هذا خيرها .

(٨) قال الشيخ محمد محمود التركزى ابن التلاميد الشنقيطى: إنه نقلها من ديوان =

قالَتْ فُطَيْمَةُ حَلْ شِعْرَكَ مَدْحَهُ ... أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنْ قَبِيلاً (١)

وهُمُ الكِرَامُ بَنُو الخَضَارِمَةِ العُلَى ... لِسَمَيْدَعٍ أَكْرِمْ بِذَاكَ نَجِيلَا (٢)

يَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ مَجْدَنَا ... ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ هَلْ تَرُدُّ قَتِيلاً (٣)

هَلْ تَرْقَيَنَّ إِلَى السَّمَاءِ بِسُلَّمٍ ... وَلَتَرْجِعَنَّ إِلَى العَزِيزِ ذَلِيلاً (٤)

سَائِلْ بِنَا مَلِكَ المُلُوكِ إِذَا التَقَوْا ... عَنَّا وعَنْكُمْ لَا تَعَاشَ جَهُولَا (٥)

مِنَّا الَّذِي مَلَكَ المَعَاشِرَ عَنْوَةً ... مَلِكَ القَضَاءِ فَسَلْ بِذَاكَ عَقُولَا (٦)

وبَنُوهُ قَدْ مَلَكُوا خِلَافَةَ مُلْكِهِ ... شُبَّانَ حَرْبٍ سَادَةً وكُهُولَا (٧)

قَالُوا لَهُ هَلْ أَنْتَ قَاضٍ مَا تَرَى ... إِنَّا نَرَى لَكَ ذَا المُقَامَ قَلِيلَا (٨)

فَقَضَى لِكُلِّ قَبِيلَةٍ بِتُرَاثِهِمْ ... لَمْ يَأْلُهُمْ فِي مُلْكِهِمْ تَعْدِيلَا (٩)

= امرئ القيس، رواية من ذكر أعلاه، عن نسخة تاريخها سنة ٦٣٧، وقد نشرتها هنا سابقاً فى ذلك من تقدمنى ممن نشر ديوان امرئ القيس فى عصرنا .

(١) فطيمة : هى التى قال لها فى معلقته «أفاطم مهلا» .

(٢) الخضارمة : الكرام، كأنهم لجودهم بحار . السميدع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف . نجيل هنا بمعنى ناجل : والد .

(٣) أقصر فلست قادرا على رد فائت .

(٤) يعنى أنك تحاول مستحيلا .

(٥) ملك الملوك : كان هذا اللقب يطلق على الأكاسرة وقد كانت اليمن تحت سلطانهم زمنا .

(٦) يريد به جده المشهور بآكل المرار وهذا من المبالغة التى لا تمت إلى الحقيقة بسبب

(٧) يريد بهم أعمامه الذين فرقهم جده على قبائل العرب ملوكا، ومنهم شرحبيل وسلمة .

(٨) هل أنت قاض : يريد أنهم قالوا لجده : ملكنا واعدل بيننا لأن الموت يوشك أن يحل بك .

(٩) لم يألهم تعديلا : لم يقصر فى إقامة العدل بينهم .

فثوى وورثَ مُلكَ من وطأ الحصى ... قسْراً أبوهُ عَنوةً ونُحولا (١)

سائلْ بنى أسدٍ بمقتلِ ربّهم ... حُجرِ بنِ أمّ قطامِ جلّ قتيلا (٢)

إذ سارَ ذو التاجِ الهجانُ بجحفلٍ ... لجبٍ يُجاوبُ بالفلاةِ صهيلا (٣)

حتى أبالَ الخيلَ فى عرصاتهم ... فشفى وزادَ على الشفاءِ غليلا (٤)

أحمى دروعهمُ فسربلهم بها ... والنارُ كحّلهمْ بها تكحيلا (٥)

وأقامَ يسقى الراحَ فى هاماتهم ... ملِكٌ يُعلُّ بشربها تعليلا (٦)

والبيضَ قنّعها شديداً حرُّها ... فكفى بذلكَ للعدا تنكيلا (٧)

حلّتْ لهُ منْ بعدِ تحريمٍ لها ... أوْ أنْ يمسَّ الرأسَ منهُ غسولا (٨)

حتى أباحَ ديارهمْ فأبارهمْ ... فعموا فهمْ لا يهتدونَ سبيلا (٩)

---

(١) عنوة غصباً . ونحولا : ونحلة أى عطاء ومنحاً .

(٢) كان حجر أبو امرئ القيس يكنى ابن أم قطام . وهو قد يكون نبزا غير أن امرئ القيس أخرجه هنا مخرج الفخر .

(٣) ذو التاج : لعله يريد به قرمل بن الحميم الحميرى لما أنجده برجال من عنده ، أو لعله أراد نفسه . الهجان : الأبيض الكريم . جحفل : جيش عظيم . لجب : له جلبة وقعقعة .

(٤) فى عرصاتهم : فى ساحات بنى أسد .

(٥) أحمى دروعهم : أوقد النار وأحمى فيها الدروع وألبسهم إياها ، كأنما كحلهم بالنار ، يعنى قتلة أبيه من بنى أسد .

(٦) وبعد أخذ ثأره والظفر بهم ، أخذ فى استقاء الخمر فى هاماتهم ، عللا ونهلا .

(٧) وكذلك أحمى البيض ، التى توضع على رؤوس الفرسان ، وقنعهم بها محماة .

(٨) بعد أن بر بيمينه وأخذ ثأره حلت له الخمر ، كما حل له غسل رأسه .

(٩) أبارهم : أبادهم وقضى عليهم قضاء مبرما .

٦٠

وقال حين بلغه قتل أبيه وهو بدمّون (١) .

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلّْ	يُضِيء سَنَاهُ بِأَعْلَى الجَبَلْ (٢)
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ	بِأَمْرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ القُلَلْ (٣)
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ	أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ (٤)
فَأَيْنَ رَبِيعَةُ عَنْ رَبِّهَا	وَأَيْنَ تَمِيمٌ وَأَيْنَ الخَوَلْ (٥)
أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ	كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا اسْتَهَلْ (٦)

---

(١) دمون : مساكن الحارث بن عمرو آكل المرار ، وكان امرؤ القيس قد أنشأ لهم بها مساكن وسماها الصدف ، وفيها يقول :

كأنى لم أسمر بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وعندل من هذه المساكن .

(٢) أهل : أبرق من خلل السحاب .

(٣) تزعزع منه القلل : تضطرب منه أعالى الجبال .

(٤) جلل : حقير تافه ، وقد تستعمل للعظيم الجليل، ولكنه هنا يحتقر كل شئ بعد أبيه

(٥) ربيعة وتميم : يريد قبائل ربيعة وقبائل مضر ، وتميم من مضر ، وكانت هذه القبائل من أعضاد كندة وأحلافها . الخول : الأتباع .

(٦) استهل : أخذ فى بذل العطايا والمنح .

٦١

وقال يمدح بنى ثُعل، وقد نزل بهم فى ديار طيئ، فأكرموه وحموه:

أَلَا حَبَّذَا قَوْمٌ يَحُلُّونَ بِالْجَبَلْ وَاثُعَلَا وَأَيْنَ مِنِّى بَنِى ثُعَلْ (١)

نَزَلْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ دَرْمَاءَ بُلْطَةً فَيَا كَرَمَ مَا جَارٍ وَيَا حُسْنَ مَا فَعَلْ (٢)

تَظَلُّ لَبُونِى بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ تُرَاعِى الفِرَاخَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلْ (٣)

وَمَا زَالَ عَنْهَا مَعْشَرٌ بِقِسِيِّهِمْ يَذُودُونَهَا حَتَّى أَقُولَ لَهُمْ بَجَلْ (٤)

فَأَبْلِغْ مَعَدًّا وَالعِبَادَ وَطَيِّئًا وَكِنْدَةَ أَنِّى شَاكِرٌ لِبَنِى ثُعَلْ (٥)

---

(١) واثعلا: يريد أن يقول: واها لبنى ثعل، ما أكرمهم للنزيل، وأحماهم للجار. يحلون بالجبل: ينزلون جبل طيئ.

(٢) عمرو بن درماء: سيدهم. بلطة قال أبو عمرو: بلطة فجأة، وقال الأصمعى: هى هضبة. ويقال هى اسم المكان الحال به ابن درماء وقومه بنو ثعل. ياكرم وياحسن: فلله دره ما أكرم خصاله، وأحسن فعاله.

(٣) لبونى: نوق. جو ومسطح: مكانان بأرض بلطة من جبال طيئ.

(٤) يذودونها: يدفعونها إلى مراعيها. بجل: حسبكم.

(٥) معد: قبائل معد، والعباد: قبيلة من نصارى العرب كانت تسكن الحيرة ومنهم عدى بن زيد العبادى الشاعر، وكندة: قوم امرئ القيس.

٦٢

وقال امرؤ القيس يمدح أبا حنبل الثعلى وقومه :

أَحْلَلْتُ رَحْلِي فى بَنِي ثُعَلٍ إنَّ الكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ مَحَلّ (١)

فوَجَدْتُ خَيْرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ جارًا وأَوْفاهُمْ أَبا حَنْبَلْ (٢)

أَقْرَبُهُمْ خَيْرًا وأَبْعَدُهُمْ شَرًّا وأَجْوَدُهُمْ إذا بُخِلْ (٣)

٦٣

وقال ـ وقد نزل فى بنى عَدْوَان، فلم يحمدهم ـ :

بُدِّلْتُ مِنْ وائِلٍ وكِنْدَةَ عَدْ وَانَ وفَهْمًا صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ (٤)

قَوْمٌ يُحاجُونَ بِالبِهامِ ونِسْـ ـوانٌ قِصارٌ كهَيْئَةِ الحَجَلِ (٥)

٦٤

وقال فى بعض شؤونه : (٦)

عَيْناكَ دَمْعُهُما سِجالُ كَأَنَّ شَأْنَيْهِما أَوْشالُ (٧)

---

(١) أحللت : أنزلت . محل : منزل ومكرم ومحسن الجوار .

(٢) أبو حنبل جارية بن مر الثعلبى من ساداتهم ، وممن أجاره .

(٣) يعنى أنه أكرمهم ولو بخله بعض من لا يعرف خلاله .

(٤) وائل : أخواله ، وكندة : قومه . عدوان وفهم : قبيلتان . صمى : اصمتى . ابنة الجبل : الحصاة تلقى فى الدماء فلا يسمع لها صوت لكثرته ، وقد أخرج الكلمة مخرج المثل ، يعنى قد بلغ الخطب أقصاه .

(٥) يحاجون بالبهام : لا يكادون يفقهون أو يحسنون النطق . الحجل : نوع من الدجاج الجبلى .

(٦) قافية هذه القصيدة يجوز فيها الضم والسكون .

(٧) سجال : سحاحة بالدموع . شأناهما . مجارى الدموع منهما ، أوشال : مياه متحلبة من أعالى الجبال .

أَوْ جَدْوَلٌ فِى ظِلَالِ نَخْلٍ ... لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ مَجَالُ(١)

مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَأَيْنَ لَيْلَى ... وَخَيْرُ مَا رُمْتَ مَا يُنَالُ(٢)

قَدْ أَقْطَعُ الأَرْضَ وَهْىَ قَفْرٌ ... وَصَاحِبِي بَازِلٌ شِمِلَالُ(٣)

نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَبْجَلُهَا ... كَأَنَّ حَارِكَهَا أُثَالُ(٤)

كَأَنَّهَا مُفْرَدٌ شَبُوبٌ ... تَلُفُّهُ الرِّيحُ وَالظِّلَالُ(٥)

كَأَنَّهَا عَنْزُ بَطْنِ وَادٍ ... تَعْدُو وَقَدْ أَفْرَدَ الغَزَالُ(٦)

عَدْوًا تَرَى بَيْنَهُ أَبْوَاعًا ... تَحْفِزُهُ أَكْرُعٌ عِجَالُ(٧)

وَغَائِطٍ قَدْ هَبَطْتُ وَحْدِي ... لِلْقَلْبِ مِنْ خَوْفِهِ اجْتِلَالُ(٨)

صَابَ عَلَيْهِ رَبِيعُ صَيْفٍ ... كَأَنَّ قُرْيَانَهُ الرِّحَالُ(٩)

---

(١) الجدول : الماء الجاري . مجال : مسرب ينفذ منه ويسيل فيه .

(٢) ليلى : امرأة ، لعلها كانت من صواحباته . يقول : إن خير الآمال ما تبلغ اليه

(٣) بازل شملال : ناقة تامة الخلق قوية الأسر معودة على السير .

(٤) أبجلها ، الأبجل : عرق غليظ فى الرجل . حاركها : أعلى الكاهل منها أثال : اسم حصن .

(٥) مفرد شبوب : يريد به ثوراً من الوحش رام الوثوب . تلفه : تغمره .

(٦) عنز : غزالة . تعدو : تثب فى عدوها .

(٧) الأبواع ، جمع بوع : مدى إطلاق اليدين . تحفزه : تسوقه وتدفعه . أكرع : أيد وأرجل . عجال : متعجلة .

(٨) الغائط : المطمئن من الأرض . هبطت : نزلت . اجتلال : فزع شديد ووهل مخوف .

(٩) صاب : نزل وهطل مطر فى الربيع وفى الصيف . قريانه : مسايل الماء منه. الرحال : الطنافس الحيرية .

تَقْدُمُني نَهْدَةٌ سَبُوحٌ   صَلْبُها العَضُّ والإحْيالُ (١)

كأنَّها لَقْوَةٌ طَلوبٌ   كأنَّ خُرْطُومَها مِنْشالُ (٢)

تُطْعِمُ فَرْخاً لها صَغيراً   أزْرَى بِهِ الجوعُ والإِحْثالُ (٣)

قَلوبَ خِزَّانَ ذي أوْرالٍ   قوتاً كما يُرْزَقُ العِيالُ (٤)

وغارَةٍ ذاتِ قَيْرَوانٍ   كأنَّ أسرابَها رِعالُ (٥)

كأنَّها حَرْشَفٌ مَبْثُوثٌ   بالجوِّ إذْ تَبْرُقُ النِّعالُ (٦)

صَبَّحْتُها الحَيَّ ذا صَباحٍ   فكانَ أشْقاهُمُ الرِّجالُ (٧)

(١) تقدمني نهدة سبوح : تتقدمني فرس حسنة، جميلة، لحيمة، مشرفة، تسبح بيديها. صلبها العض : قواها العلف . والإحيال : عدم الحمل . فهي حائل

(٢) لقوة طلوب : عقاب شديدة الطلب للصيد . خرطومها : منقارها . منشال : حديدة ينشل بها اللحم من القدر .

(٣) أزرى به الجوع : أنهكه. الإحثال: سوء الطعم للفرخ وهو كسوء الرضاع للطفل

(٤) الخزان : ذكورة الارانب ، جمع خزز . ذو أورال : صاحب ورل . والورل دابة كالضب .

(٥) الغارة : هجوم الجيش على الحي عند الصباح . ذات قيروان : ذات كتائب مؤتلفة . أسرابها ، الأسراب جمع سرب ، وهو القطيع من البقر ، والظباء ، والنساء ، والقطا ، والخيل . شبه أسراب الخيل برعال النعام ، والرعلة : النعامة ، سميت بذلك لأنها لاتكاد ترى إلا سابقة للظليم ومتقدمة عليه .

(٦) الحرشف : صغار الطير والنعام . مبثوث : منتشر بالجو . تبرق النعال : تلمع نعال الخيل .

(٧) صبحتها الحي : أغرت بها على الحي . ذا صباح : في صبيحة يوم من الأيام ، يريد في يوم ذي صباح تمكد على هذا الحي . فكان أشقاهم الرجال : لأنهم صاروا بين قتيل وأسير .

٦٥

وقال فى شهاب وعاصم اليربوعيّين :

أَبْلِغْ شِهَابًا بَلْ فَأَبْلِغْ عَاصِمًا ... هَلْ قَدْ أَتَاكَ الْخَبَرُ مَالِ (١)

أَنَّا تَرَكْنَا مِنْكُمُ قَتْلَى وَجَرْ ... حَى وَسَبَايَا كَالثَّعَالِى (٢)

يَمْشِينَ فى أَرْحُلِنَـا مُعْتَرِفَا ... تٍ بِجُـوعٍ وهُـزَالِ (٣)

فردّ عليه شهاب بقوله :

لَمْ تَسْبِنَا خَيْلُكُمُ فِيمَا مَضَى ... حَتَّى اسْتَفَأْنَا الْحَيَّ مِنْ أَهْلٍ وَمَالِ (٤)

ذَاكَ وَكَمْ كِنْدِيَّةٍ سَوْدَاءَ قَدْ ... تَسْتَقْبِلُ الْقَوْمَ بِوَجْهٍ كَالْجِعَالِ (٥)

قَايَظْنَنَا يَأْكُلْنَ فِينَا عَفَرًا ... نَطْعَمُهَا قِدًّا وَمَحْرُوثَ الْخِمَالِ (٦)

---

(١) الخبر : الأمر الواقع المتيقن الذى لايحتمل الشك . مال : يامالك ، وهو يريد بنى مالك الذين منهم شهاب وعاصم اليربوعيين .

(٢) الثعالى : الثعالب ، شبه النساء اللائى سباهن من بنى يربوع بالثعالب فى روغانها عند محاولتهن التهرب والفرار من السبى .

(٣) أرحلنا : المكان الذى نزلنا فيه بعد الغارة وألقينا فيه رحالنا . معترفات : يريد أن الجوع والهزال قد أخذا منهن وظهرا عليهن ، فكأن ماهن عليه من سوء الحال اعتراف منهن به .

(٤) لم تسبنا : أى لم تسب نساءنا . استفأنا : اتخذنا من حى كندة فيئاً ، أى غنائم من مال ورجال ونساء وكراع . وكندة : قبيلة امرئ القيس .

(٥) كالجعال : كالخرق البالية التى تتخذ لانزال القدر بها عن النار .

(٦) قايظننا : أقمن فينا وقت القيظ . عفرا ، العفر : ظاهر التراب . قدا : جلدا مجففا . الخمال : الشجر الملتف .

أَيَّامَ صَبَّحْنَاكُمُ مَلْمُومَةً   كَأَنَّهَا قَدْ نُطِّقَتْ مِنْ حَزْمِ آلِ (١)
مِنْ كُلِّ قَبَّاءَ بِعَدْوِ الوَكَرَى   إِذَا تَوَانَى الخَيْلُ بِالقَوْمِ الثِّقَالِ (٢)

٦٦

ومما ينسب إلى امرئ القيس أنه قال :

لِمَنْ طَلَلٌ بَيْنَ الجُدَيَّةِ والجَبَلْ   مَحَلٌّ قَدِيمُ العَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطِّيَلْ (٣)
عَفَا غَيْرَ مُرْتَادٍ وَمَرَّ كَسَرْحَبٍ   وَمُنْخَفَضٍ طَامٍ تَنَكَّرَ وَاضْمَحَلْ (٤)
وزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ   عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سَكَنَ ارْتَحَلْ (٥)
تَنَطَّحَ بِالأَطْلَالِ مِنْهُ مُجَلْجِلٌ   أَحَمُّ إِذَا احْمَوْمَتْ سَحَائِبُهُ انْسَجَلْ (٦)

---

(١) ملمومة : كتيبة مجتمعة . نطقت : أحيطت بنطاق . الحزم : الضبط والأخذ فى الأمور بالثقة . آل : سراب .

(٢) قباء : فرس ضامرة . عدو الوكرى : ضرب من العدو السريع . توانى : قصر . الثقال : المثقلون بما عليهم من السلاح والدروع أو الثقال بأجسامهم والأول أشبه .

(٣) الطلل : الأثر الدارس . الجدية : جبل بنجد لطيئ ، والجبل : جبل أجأ ، أحد جبلى طيئ . الطيل : الأيام المتطاولة . ويروى : مكان عظيم الشأن طالت به الطول .

(٤) عفا : درس وامحت آثاره . مرتاد : من يرود مواقع الغيث ، وهو الرائد . السرحب الفرس الطويل . طام : كثير متطامن . تنكر : لم يعد يعرف ، واضمحل : ذهب كل أثر فيه . ويروى :

عفا غير مختار ومرّ كراكب   ومختطف طال التسكن فاضمحل

(٥) ارتحل : تحمل إلى أرض أخرى .

(٦) تنطح : يريد أن الرعود به تناطحت كما يتناطح الكباش ، غير أنه كان ذا صوت مجلجل : شديد ومعه سحاب . أحم : أسود لامتلائه بالمطر . احومت : اسودت

بِرِيحٍ وبَرْقٍ لَاحَ بَيْنَ سَحَائِبٍ ... ورَعْدٍ إِذَا مَا هَبَّ هَاتِفُهُ هَطَلْ (١)

فَأَنْبَتَ فِيهِ مِنْ غَشَنْضٍ وغَشْنَضٍ ... ورَوْنَقِ رَنْدٍ والصَّلَنْدَدِ والأَسَلْ (٢)

وفِيهِ القَطَا والبُومُ وابْنُ حَبَوْكَلٍ ... وطَيْرُ القَطَاطِ والبَلَنْدَدُ والحَجَلْ (٣)

وعُنْظُلَةٌ والخَيْشُوَانُ وبُرْسُلٌ ... وفَرْخُ فَرِيقٍ والرَّفَلَّةُ والرَّفَلْ (٤)

وفِيلٌ وأَذْيَابٌ وابْنُ خُوَيْدِرٍ ... وغَنْسَلَةٌ فِيهَا الخُفَيْعَانُ قَدْ نَزَلْ (٥)

وهَامٌ وهَمْهَامٌ وطَالِعُ أَنْجُدٍ ... ومُنْحَبِكُ الرَّوْقَيْنِ فِي سَيْرِهِ مَيَلْ (٦)

= وتكاثفت . انسجل : هطل منه الماء بشدة ، ويروى :

محنا بجنا مجتحنا مجاجــلا ... ملثأ إذا اسودت سحابته زجل

(١) هب هاتفه : ثار رعده . هطل : سح مطره بقوة .

(٢) غشنض وغشنض : الظاهر أنهما اسما نبات ، ولم أرهما فى القاموس ، وورنق رند : بها شجر طيب الريح ، والعود ، والآس . الصلندد نبات كما يؤخذ من السياق ، والأسل : الغاب تتخذ منه الرماح . ويروى :

فأنبت فيه منع شمس وغنطش ... ورقرق رمل والرفيـلة والرفل

(٣) ابن حبوكل : ليس له مسمى فيما بين يدى من المراجع ، إلا أن أم حبوكر هى الداهية ، القطا : طير معروف . البلندد : هو البلند ، وهو أصل الحناء ، والحجل الدجاج البرى .

(٤) العنظلة : الضبع . والخيشوان : حيوان لعله ذكر الضباع ، وبرسل : من الوحوش : والرفلة ، والرفل : الطويلة الشعر والذيل ، ولعل فى هذه الأسماء كلها تحريفا لم نهتد إليه الآن ، والخطب يسير ، إذ أن جهلها لا ينتقص من قيمة العالم

(٥) أذياب : ذئاب . ابن خويدر : جحش من ولد الأخدرى ، وهو حمار وحشى ، وغنسلة : اسم مكان . الخفيعان : لعله الجراد .

(٦) الهام : هو الصدى ، وهو ضرب من الطير ، وهمهام : لعله طير آخر . وطالع أنجد : لعله حمار الوحش ، ومنحبك الروقين : الثور الوحشى . ميل : تثن . ويروى : ومنحنى الروقين . والروقان : القرنان ، ولعله يريد به الوعل .

فلمّا عرفتُ الدارَ بعد توهّمي
تكفكفَ دمعي فوقَ خدّيَّ وانهملْ (١)

فقلتُ لها يا دارَ سلمى وما الذي تمتّعتِ لا بُدّلتِ يا دارُ بالبدلْ (٢)

لقد طالَ ما أضحيتِ قفراً ومأْلفاً ومُنتظَراً للحيّ من حلَّ أو رحلْ (٣)

ومأوى لأبكارٍ حِسانٍ أوانسٍ وربَّ فتى كالليثِ مُشتهرٍ بطلْ (٤)

لقد كنتُ أسبي الغيدَ أمردَ ناشئاً ويسبينَني منهنَّ بالدَّلِّ والمُقلْ (٥)

لياليَ أسبي الغانياتِ بجُمّةٍ مُعثكلةٍ سوداءَ زيّنها رجلْ (٦)

كأنَّ قطيرَ البانِ في عُكَناتِها على مُنثنى والمنكبينِ عطى رطِلْ (٧)

تعلّقَ قلبي طفلةً عربيّةً تنعّمُ في الديباجِ والحَلْيِ والحُلَلْ (٨)

لها مُقلةٌ لو أنّها نظرتْ بها إلى راهبٍ قد صامَ للهِ وابتهلْ (٩)

---

(١) ويروى : فلما رأيت الدار بعد خلوها .

(٢) ويروى :

فقلت لها يادار ليلى من الذي تبدلت لامتعت يادار بالبدل

(٣) مألف : مكان الاجتماع والألفة . حل : نزل .

(٤) الأوانس : الفتيات الحسان اللاتي يؤنسن بحديثهن . فتى كالليث : يريد به نفسه .

(٥) الغيد : النساء الحسان الدلال . المقل : العيون .

(٦) الجمة : مجتمع شعر الرأس . معثكلة : متكاثفة مسترسلة . رجل: تمشيط .

(٧) قطير البان : البان المقطر ، وهو ذو رائحة طيبة . عكناتها : طوايا بطنها . المنكبان : المكاهلان : عطى رطل : مدهن بالأدهان القطرة .

(٨) ويروى : تألف قلبي ، طفلة : فتاة ناعمة رخصة الجسد .

(٩) ويروى : لها مقلة دعجا فلو نظرت بها إلى عابد . . . . . .

لَأَصبحَ مَفتُونًا مُعَنًّى بِحُبِّهَا ... كأنْ لمْ يَصُمْ لِلهِ يوْمًا ولَمْ يُصَلْ (١)

ألا رُبَّ يومٍ قدْ لَهَوْتُ بِدَلِّهَا ... إذَا مَا أبُوهَا لَيْلَةً غَابَ أوْ غَفَلْ (٢)

فَقالَتْ لِأَتْرابٍ لَهَا قدْ رَمَيْتُهُ

فَكَيْفَ بِهِ إنْ مَاتَ أوْ كَيفَ يُحْتَبَلْ (٣)

أيَخْفَى لَنَا إنْ كانَ فى اللَّيلِ دفْنُهُ ... فَقُلْنَ وهَلْ يَخْفَى الهِلَالُ إذَا أفَلْ (٤)

قَتَلْتِ الفتَى الكِنْدِيَّ والشَّاعِرَ الذى ... تَدَانَتْ لهُ الأَشْعَارُ طُرًّا فَيَا لَعَلْ (٥)

لِمَهْ تَقتُلى المَشْهُورَ والفارِسَ الذى ... يُفَلِّقُ هَامَاتِ الرِّجالِ بِلَا وَجَلْ (٦)

ألَا يَا بَنِى كِنْدَةَ اقْتُلُوا بِابْنِ عَمِّكُمْ ... وإلَّا فَمَا أنْتُمْ قَبِيلٌ ولَا خَوَلْ (٧)

قَتِيلٌ بِوَادِى الحُبِّ مِنْ غَيْرِ قَاتِلٍ ... ولَا مَيِّتٍ يُعْزَى هُنَاكَ ولَا زَمَلْ (٨)

فَتِلْكَ الَّتِى هَامَ الفُؤَادُ بِحُبِّهَا ... مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ دُرِّيَّةُ القُبَلْ (٩)

ولِى ولَهَا فى النَّاسِ قَوْلٌ وسُمْعَةٌ ... ولِى ولَهَا فى كلِّ نَاحِيَةٍ مَثَلْ

---

(١) هام بها وافتتن بحبها وترك صلاته وصيامه من أجلها .

(٢) الدل : الغنج والتكسر .

(٣) الأتراب : اللدات من سن واحد . يحتبل : يقع فى الحبالة وهى شرك الصائد .

(٤) أفل : غاب . مثل قولهم : وهل يخفى القمر ؟

(٥) تدانت : قربت . ويروى : أقرت له الشعار . فيا لعل : دعاء بالنجاة . وأصلها : لعا

(٦) بلا وجل : بغير خوف . ويروى : لمه تقتلى المشهور والشاعر . وليس هذا مكانها .

(٧) خول : أتباع وأنصار .

(٨) هناك ، ويروى : نهاك . زمل : رفقاء .

(٩) مهفهفة : لطيفة غير سمينة . درية القبل : كأن مكان التقبيل منها ، وهو الثغر ، در منظوم .

كأنَّ على أسنانِها بعدَ هجعةٍ سفرجلَ أو تفاحَ في القندِ والعسلْ (١)

رداحٌ صموتُ الحِجلِ تمشي تبختراً
وصرّاخةُ الحِجلينِ يصرُخنَ في زجلْ (٢)

غموضٌ عضوضُ الحِجلِ لو أنها مشتْ
به عندَ بابِ السبسبيينَ لانفصلْ (٣)

فهي هي وهي هي ثمّ هي هي وهي وهي
مُنًى لي منَ الدُّنيا منَ الناسِ بالجملْ

ألا لا ألا إلّا لآلاءِ لابثٍ ولا لا ألا إلا لآلاءِ منْ رحلْ

فكمْ كمْ وكمْ كمْ ثمّ كمْ كمْ وكمْ وكمْ
قطعتُ الفيافي والمهامهَ لمْ أملْ

وكافٌ وكفكافٌ وكفّي بكفِّها
وكافٌ كفوفُ الودْقِ منْ كفِّها انهملْ (٤)

فلوْ لوْ ولوْ لوْ ثمّ لوْ لوْ ولوْ ولوْ دنا دارُ سلمى كنتُ أوّلَ منْ وصلْ

وعنْ عنْ وعنْ عنْ ثمّ عنْ عنْ وعنْ وعنْ
أسائلُ عنها كلَّ منْ سارَ وارتحلْ

---

(١) القند : عصير قصب السكر .

(٢) رداح : عظيمة الكفل . صموت الحجل : ممتلئة الساقين فلا يسمع لخلخالها صوت . ويروى : محجلة الحجلين . زجل : تصويت .

(٣) السبسبيين : لعله يريد بهم أصحاب يوم السباسب وهو يوم عيد الشعانين عند النصارى .

(٤) كفوف الودق : المطر الوكاف المنهمر . انهمل : سال .

وفى فى وفى فى فى ثم فى فى وفى وفى ... وفى وجنتى سلمى أقبل لم أمل

وسل سل وسل سل ثم سل سل وسل وسل

وسل دار سلمى والربوع فكم أسل

وشنصل وشنصل ثم شنصل عشنصل

على حاجبى سلمى يزين مع المقل (١)

حجازية العينين مكية الحشا ... عراقية الأطراف رومية الكفل (٢)

تهامية الأبدان عبسية اللمى ... خزاعية الأسنان درية القبل (٣)

وقلت لها أى القبائل تنسبى ... لعلى بين الناس فى الشعر كى أسل

فقالت أنا كندية عربية ... فقلت لها حاشا وكلا وهل وبل

فقالت أنا رومية عجمية

فقلت لها ورخيز بياخوش من قزل (٤)

فلما تلاقينا وجدت بنانها ... مخضبة تحكى الشواعل بالشعل

ولاعبتها الشطرنج خيلى ترادفت ... ورخى عليها دار بالشاه بالعجل

---

(١) وأكثر هذه الأبيات أو إن شئت فسمها الخزعبلات لاتستحق الشرح ولا البيان لأن أكثر كلماتها مفهومة ، أو لافائدة منها .

(٢) لا أدرى ماذا أراد الشاعر بهذه النسب ، وهل اختصت كل بلد من هذه البلاد بمزية فى أجسام نسائها أم هذا كلام وكفى . أنا لا أحب التعسف فى استخراج المعانى حيث لافائدة مرجوة من ورائها .

(٣) اللمى : حمرة فى الشفاه مع ميل إلى السواد .

(٤) يزعم الواضع لهذه القصيدة أو الشارح لها أن : (ورخيز بياخوش) كلمتان روميتان ولست أدرى صحة ذلك على أنه لم يبين معناهما .

فقالتْ وما هذا شطارةَ لاعبٍ ولكن قتلَ الشاهِ بالفيلِ هو الأجلْ

فناصبتُها منصوبَ بالفيلِ عاجلاً مِنَ اثنينِ في تسعٍ بسرعٍ فلم أملْ [1]

وقد كانَ لعبي كلَّ دستٍ بقُبلةٍ أُقبِّلُ ثغرًا كالهلالِ إذا أفلْ

فقبَّلتُها تسعًا وتسعينَ قُبلةً وواحدةً أيضًا وكنتُ على عجلْ

وعانقتُها حتى تقطَّعَ عِقدُها

وحتى فصوصُ الطوقِ مِن جيدِها انفصلْ

كأنَّ فصوصَ الطوقِ لمَّا تناثرتْ ضياءُ مصابيحٍ تطايرنَ عن شعلْ

وآخِرُ قولي مثلُ ما قلتُ أولاً لِمَنْ طللٌ بينَ الجديَّةِ والجبلْ [2]

٦٧

وروى له الهمذانى فى الإكليل قوله :

ولَيتي ما بقيتُ وكلُّ شيءٍ سيُودي مثلَ ما أودتْ هُمالُ [3]

وأبرهةُ الذي زالتْ قواهُ على ريدانَ إذ حانَ الزوالُ [4]

---

(١) ناصبتها : لاعبتها ليظهر لكل منا نصيبه فى الغلب .

(٢) قلت : لا رعى الله واضع هذه القصيدة فقد أتعبنى فيها على غير طائل ، ولولا الأمانة لأغفلتها ولم أثبتها فى هذا الديوان .

(٣) الهمال : الشيء المتروك سدى يقضى عليه الزمن .

(٤) أبرهة أحد ملوك الحبشة الذين تسلطوا على اليمن ، وريدان من بلاد اليمن . وأبرهة فيما قيل اسم حبشي ، ومعناه فى اللغة الحبشية : وجه أبيض . وزعم بعضهم أنه اسم سريانى . وكل هذا غير صحيح ، والمعقول أنه اسم بابلى الأصل أو كلدانى . سمى به الخليل إبراهيم ثم نقل إلى العبرية ، ومعناه : أبو الجمهور ، ومن العبرية نقل إلى الحبشة ولفظوه (أبرهة) أو اختصار (إبراهام) .

تَمَكَّنُ قَائِمًا وَبَنَى طِمِرًّا ... عَلَى رَيْدَانَ أَعْيَطَ لا يُنَالُ (١)

وَدَارُ بَنِي سُوَاسَةَ فِي رُعَيْنٍ ... تُحَطُّ إِلَى جَوَانِبِهَا الرِّحَالُ (٢)

وَأَلْحَقَ آلَ أَقْيَانٍ بِحُجْرٍ ... وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ عَـــدَدٌ وَمَالُ (٣)

٦٨

ومما قاله :

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ ... خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالَا (٤)

أَزَالَ عَنِ المَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ ... وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالجِبَالَا (٥)

وَأَنْشَبَ فِي المَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ ... وَلِلزَّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الحِبَالَا

هُمَامٌ طَحْطَحَ الآفَاقَ وَحْيًا ... وَسَاقَ إِلَى مَشَارِقِهَا الرِّعَالَا (٦)

وَسَدَّ بِحَيْثُ تَرْقَى الشَّمْسُ سَدًّا ... لِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ الجِبَالَا (٧)

فَإِنْ تَهْلِكْ شَنُوءَةُ أَوْ تَبَدَّلْ ... فَسِيرِي إِنَّ فِي غَسَّانَ خَالَا (٨)

---

(١) الطمر : لعله اسم قصر أو حصن .

(٢) سواسه : من عشائر اليمن ، وبنى رعين من قبائلهم :

(٣) ألحقهم : يريد أفناهم كما أفنى بنى حجر .

(٤) غول : يغتال أهله . ختور : مخادع . يلتهم : يأكل لا يبقى ولا يذر .

(٥) المصانع : القصور والحصون والمبانى الضخمة . ذو رياش : أحد ملوك اليمن التبابعة . وكذلك ذو منار فى البيت الثانى .

(٦) طحطح : دوخ . الرعال : جماعات الخيل .

(٧) يظهر أن هذا فيما يزعم العرب ذو القرنين ، وكان عندهم يسمى الصعب .

(٨) رواه العسكرى فى الصناعتين . شنوءة : قبيلة معروفة كان له معها شأن .

بِعِزِّهِمُ عَزَزْتَ فإنْ يَذِلُّوا فَذُلُّهُمُ أنالَكَ ما أنالَا [(١)]

٦٩

وقال :

كأنَّ المُدامَ وصَوْبَ الغَمَامِ وريحَ الخُزَامى وذَوْبَ العَسَلْ [(٢)]

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنْيَابِهَا إذا النَّجْمُ وَسْطَ السَّمَاءِ اسْتَقَلْ [(٣)]

٧٠

وقال :

أفَادَ فَجَادَ وسَادَ فَزَادَ وقَادَ فَذَادَ وعَادَ فَأفْضَلْ [(٤)]

٧١

وقال :

وقَدْ أقُودُ بِأقْرَابٍ إلَى حُرُضٍ إلَى جَمَاهِيرَ رَحْبَ الجَوْفِ صَهَّالَا [(٥)]

---

(١) يعنى أنه عز بنسبته إلى هؤلاء الملوك من بنى ، غسان وكانوا ملوك الشام ، لأنه من سلالتهم .

(٢) صوب الغمام : ماء المطر . ريح الخزامى : نكهة هذا النبات الطيبة .

(٣) يعل : يسقى مرة بعد مرة . ويروى : إذا غرد الطائر المستحر

(٤) فذاد : فدافع . عاد : بالفضل الجزيل ة

(٥) يعنى أقود بفرس ذى أقراب ، أى واسع الجفرة ، كثير التصهال .

٧٢

وقال :

وتَقَفَّتْهُ جَنُوبٌ وصَبَا ... وقَبُولٌ ودَبُورٌ وشَمَـلْ [١]

٧٣

ويروى له [٢] :

إذَا أجَأٌ تَلَفَّعَتْ بِشِعَابِـهَا ... عَلَيَّ وأمْسَتْ بالعَمَاءِ مُكَلَّلَهْ [٣]

وأصْبَحَتِ العَوْجَاءُ يَهْتَزُّ جِيدُهَا ... كَجِيدِ عَرُوسٍ أصْبَحَتْ مُتَبَذِّلَهْ [٤]

٧٤

ويروى له هذا المسمّط [٥] :

ومُسْتَلْئِمٍ كَشَفْتُ بالرُّمْحِ ذَيْلَهُ ... أقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِي شَقَائِقَ مَيْلَهُ [٦]

---

(١) تقفته :اقتفت هذه الرياح آثار بعضها بعضاً .

(٢) عزاه صاحب اللسان إلى امرئ القيس ، وقال : وهو ينسب إلى عمرو بن جوين الطائى . قلت : والمعروف أنه عامر .

(٣) أجأ : أحد جبلى طيئ ، والعماء : الغمام المتراكب .

(٤) العوجاء : يريد بها فرسه .

(٥) نسب هذا الشعر إلى امرئ القيس الجوهرى صاحب الصحاح ، وابن منظور صاحب اللسان هذه الأبيات وأقرها عليه ابن برى ، وقال : هذا شعر مسمط .

(٦) المستلئم : لابس اللأمة ، وهى الدروع وما إليها . العضب : السيف القاطع . ويروى : سفاسق . والسفاسق جمع سفسقة ، وهى طرائق السيف ، وقيل هى ما بين الشطبتين على صفح السيف طولا ، وهى كلمة فيما قيل فارسية معربة ، وقال أبو عبيد : هى التى يقال لها الفرند . أقام ميله : أى أدبه وأراه بحد السيف كيف يكون مستقيما .

فَجَمْتُ بِهِ فِي مُلْتَقَى الكَرِّ خَيْلَهُ ... تَرَكْتُ عِتَاقَ الطَّيْرِ تَحْجُلُ حَوْلَهُ (١)

كَأَنَّ عَلَى سِرْبَالِهِ نَضْحَ جِرْبَالِ (٢)

٧٥

ويروى له أيضا هذا المسمط :

تَوَهَّمْتُ مِنْ هِنْدٍ مَعَالِمَ أَطْلَالِ ... عَفَاهُنَّ طُولُ الدَّهْرِ فِي الزَّمَنِ الخَالِي (٣)

مَرَابِعُ مِنْ هِنْدٍ خَلَتْ وَمَصَايِفُ ... يَصِيحُ بِمَغْنَاهَا صَدًى وَعَوَازِفُ (٤)

وَغَيَّرَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ العَوَاصِفُ ... وَكُلُّ مُسِفٍّ ثُمَّ آخَرُ رَادِفُ (٥)

بِأَسْحَمَ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكَيْنِ هَطَّالِ (٦)

---

(١) ويروى : فجعت به فى ملتقى الحى .

(٢) سرباله : درعه وثيابه . نضح جربال : خمر منضوح أو يريد به الدم شبهه بالخمر

(٣) عفاهن : جار على هذه المعالم فأزال آثار أطلالها ، وهكذا الدهر ، ولم يبق منها إلا مايتخيله الوهم :

(٤) المرابع : الأماكن التى يغشاها أربابها أيام الربيع ، والمصايف : الأماكن التى تغشى ويصطاف فيها . خلت هذه المنازل من هند وأترابها وصارت خرائب يأوى إليها الصدى ، وهو طير البوم المعروف ، والعوازف : ماكان يتخيله العرب من عزف الجن فى الأطلال الدوارس .

(٥) هذا كله وصف لعمل الرياح والعواصف فى هذه الآثار العافية .

(٦) الأسحم : الأسود ، ويريد به السحاب المتراكم . فهو لتراكمه يبدو مائلا إلى السواد .

٧٦

ويروى له[1] :

أَحْزَنَ لَوْ أَسْهَلَ أَخْزَيْتُهُ   بِعَامِلٍ مِنْ خُرُصٍ ذَابِلِ[2]

٧٧

ويروى له[3] :

كَأَنِّيَ لَمْ أَسْمُرْ بِدَمُّونَ مَرَّةً   وَلَمْ أَشْهَدِ الغَارَاتِ يَوْمًا بِعَنْدَلِ[4]

٧٨

ويروى له :

وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الخَيْرِ رَبَّنَا   وَإِذْ نَحْنُ لَا نُدْعَى عَبِيدًا لِقَرْمَلِ[5]

---

(١) روى هذا البيت لامرئ القيس أبو عبيد البكرى .

(٢) أحزن : لزم التصعب والتشدد . أخزيته : ألزمته الخزى والعار : بعامل : برمح ذابل ، يعنى لدن.

(٣) روى هذا البيت ياقوت فى معجمه .

(٤) دمون وعندل : اسما مكانين من مساكن آل حجر .

(٥) هو مرثد بن ذى جدن أحد ملوك حمير باليمن . ربنا : يريد سيدنا . قرمل : هو ابن الحميم كان من أقيال اليمن الحيريين ، ملك بعد مرثد الخير وأمد امرأ القيس بالرجال .

٧٩

ورأى وهو مريض قبراً يحفر له فقال :

لِمَنْ زُحْلوفَةٌ زُلُّ ... بِهَا العَيْنَانِ تَنْهَلُّ [١]

يُنَادِي الآخِرَ الأُلُّ ... أَلا حُلُّوا أَلا حُلُّوا [٢]

---

(١) الزحلوفة ـ أهل العالية من نجد يقولون : الزحلوفة بالفاء ، وتميم تقولها بالقاف ، هي آثار تزلج الصبيان من عالى التل إلى أسفله ، وهي الزلافة التي يترجح عليها الصبيان .

(٢) قال المفضل الضبي : هذا معنى لعبة للصبيان ، يجتمعون فيأخذون خشبة فيضعونها على قوز من الرمل ثم يجلس على أحد طرفيها جماعة ، وعلى الآخر جماعة ، فأى الجماعتين كان أرزن ارتفعت الأخرى ، فينادون أصحاب الطرف الآخر : ألا حلوا : أي خففوا من عددكم حتى تساويكم فى التعديل . قال : وهذه التي تسميها العرب : الدورات ، والزحلوقة . قال : وتسمى أرجوحة الحضر : المطوحة .

قلت : وأرى أن امرأ القيس إنما كنى بالزحلوفة عن القبر لأنه ينحدر فيه كل من أدركه الموت ، فكأن الحال فيه ينادي من وراءه بلسان حاله : ألا حلوا كما حللنا ، أي اتبعونا إلى هذا المنزل الذي صرنا فيه كما حله من سبقنا .

قافيـــة الميم

٨٠

كان بين امرئ القيس وبين سبيع بن عوف أحد بنى طُهية وشيجة قربى، فنزل عليه سبيع، وسأله فلم يعطه شيئاً، فذمه سبيع بقوله:

إذَا مَا نَزَلْنَا دَارَ آلِ مُغَرِّزٍ بِلَيْلٍ فَلَا يُخْلِفْ عَلَيْهَا الغَمَامُ (١)

مُغَرِّزُ أَبْكَارِ اللِّقَاحِ إذَا شَتَا وَضَيْفُكَ جَارُ البَيْتِ لَأْيًا يَنَامُ (٢)

فقال امرؤ القيس مجيباً له:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَامِ فَعَمَايَتَيْنِ فَهُضْبِ ذِى إقْدَامِ (٣)

فَصَفَا الأَطِيطِ فَصَاحَتَيْنِ فَغَاضِرٍ تَمْشِى النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ (٤)

دَارٌ لِهِنْدٍ والرَّبَابِ وفَرْتَنَا وَلَمِيسَ قَبْلَ حَوَادِثِ الأَيَّامِ (٥)

---

(١) يدعو على هؤلاء القوم بعدم السقيا لأنهم بخلاء لم يحسنوا قراه.

(٢) اللقاح: النوق الغزيرة اللبن؛ جمع لقحة. مغرز: يحلب الناقة مرة ويتركها مرة. لأياً ينام: يعنى لا يكاد ينام من الجوع.

(٣) سحام: واد بفلج. وبلاد بنى سحام باليمن من ناحية ذمار، وعمايتان مثنى عماية، وعماية ويذبل: جبلان بالعالية. وذو إقدام: جبل.

(٤) صفا الأطيط: موضع. ورواه ياقوت:

فصفا الأطيط فصاحتين فغاشم تمشى النعــام به مع الآرام

ورواه غيره:

فصفا الأطيط فعاقتين فضارج تمشى النعــاج به مع الآرام

النعاج: بقر الوحش. والآرام: الغزلان.

(٥) هذه بعض أسماء صواحباته اللائى كان يشبب بهن.

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا ... نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامِ (١)

دَارٌ لَهُمْ إِذْ هُمْ لِأَهْلِكَ جِيرَةٌ ... إِذْ تَسْتَبِيكَ بِوَاضِحٍ بَسَّامِ (٢)

أَزْمَانَ فُوهَا كُلَّمَا نَبَّهْتَهَا ... كَالمِسْكِ بَاتَ وَظَلَّ فِي الفِدَامِ (٣)

أَوْ مَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا ... كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ (٤)

---

(١) عوجا : أعطفا وانزلا . الطلل المحيل : الذى أتت عليه الأحوال فغيرته . ابن حذام : قيل لأبى عبيدة : هل قال الشعر أحد قبل امرئ القيس ؟ قال : نعم ، قدم علينا رجال من بادية بنى جعفر بن كلاب فكنا نأتيهم فنكتب عنهم فقالوا : من ابن خدام ؟ قلنا : ما سمعنا به ! قالوا : بلى قد سمعنا به ورجونا أن يكون عندكم منه علم لأنكم أهل أمصار ، ولقد بكى فى الدمن قبل امرئ القيس ، وقد ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول :

عوجا خليلى الغداة لعلنا ... نبكى الديار كما بكى ابن خدام

وابن حذام وخدام وخذام واحد ، وقال الآمدى : وبعض الرواة يروى بيت امرئ القيس

عوجا على الطلل العميل لعلنا ... نبكى الديار كما بكى ابن حمام

ونقل صاحب الخزانة عن المرصع لابن الأثير أن ابن حذيم شاعر فى قديم الدهر ، يقال إنه كان طبيبا حاذقا ، يضرب به المثل فى الطب فيقال . أطب بالكى من ابن حذيم وسماه أوس : حذيماً - يعنى أنه حذف ابن - فقال : عليم بما أعيا النطاسى حذيما ، ويقال ابن حذام أيضاً ، وإنه أول من بكى من الشعراء فى الديار ، وهو الذى سماه امرؤ القيس فى قوله : عوجا على الطلل ... الخ فهذه جملة الأقوال فى هذا الشاعر أوردتها هنا ليكون المطلع على بينة .

(٢) تستبيك : تسبي عقلك . بواضح بسام : بثغر نقى ضاحك .

(٣) الفدام : الغطاء والصمام .

(٤) الأظعان : الهوادج فيها النساء . بواكر : مبكرات ، ويروى : بعاقل وشوكان موضع ، وقرية باليمن من ناحية ذمار . صرام : قطاف .

حُورٌ تَعَلَّلُ بِالعَبِيرِ جُلُودُهَا ... بِيضُ الوُجُوهِ نَوَاعِمُ الأَجْسَامِ (١)

فَظَلِلْتُ فى دِمَنِ الدِّيَارِ كَأَنَّنِي ... نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ (٢)

أُنُفٍ كَلَوْنِ دَمِ الغَزَالِ مُعَتَّقٍ ... مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبَامِ (٣)

وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ ... مُومٌ يُخَالِطُ جِسْمَهُ بِسَقَامِ (٤)

وَمُجِدَّةٍ نَسَّأْتُهَا فَتَكَمَّشَتْ ... رَتَكَ النَّعَامَةِ فى طَرِيقٍ حَامِ (٥)

تَخْدِي عَلَى العِلَّاتِ سَامٍ رَأْسُهَا ... رَوْعَاءَ مَنْسِمُهَا رَثِيمٌ دَامِي (٦)

---

(١) حور ، جمع حوراء ، وهى التى يغلب بياض عينيها سوادهما . تعلل بالعبير : تتطيب بالغالية مرة بعد مرة ، ويروى :

حور تعلل العبير روادعا ... كمها الشقائق أو ظباء سلام

(٢) الدمن : آثار السكان . نشوان : سكران . باكره : عجل إليه . الصبوح : الشرب صباحا .

(٣) أنف : لم يشرب من دنها أحد قبله . كلون دم الغزال : شديدة الحمرة . وهم يزعمون أن دم الغزال أشد حمرة من كل دم . عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة ، وهى مشرفة على الفرات ، وشبام : قرية باليمن .

(٤) الموم : مرض قالوا عنه إنه أشد من الجدرى .

(٥) المجدة : يريد بها ناقته لجدها فى السير . نسأتها : دفعتها بالمنسأة ، وهى العصا ويروى : أعملتها ، والمعنى واحد . فتكمشت : جدت مندفعة فى سيرها : رتك النعامة : يريد أنها فى سيرها تهتز اهتزاز النعامة . حام : متوهج من لهب الشمس .

(٦) تخدى ، يقال : خدى البعير يخدى خديا ، ووخد يخد وخدانا ووخدا ، أسرع فى سيره . على العلات : على ما بها من الكلال والجوع والعطش . سام رأسها : مرتفع نشاطاً . روعاء : حديدة الفؤاد قوية الروع ، وهو القلب . منسمها : طرف خفها والمنسم للبعير كالظفر للإنسان . رثيم : مشقوق صكته الحجارة فرثمته أى أدمته . ويروى :

يأتى عليها القدم واه خفها ... عوجاء منسمها رثيم دام

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي ... إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامِ (١)

فَجُزِيتِ خَيْرَ جَزَاءِ نَاقَةِ وَاحِدٍ ... وَرَجَعْتِ سَالِمَةَ القَرَا بِسَلَامِ (٢)

فَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَوَصْلُ كُتَيْفَةٍ ... وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامِ (٣)

أَبْلِغْ سُبَيْعاً إِنْ عَرَضْتَ رِسَالَةً ... أَنِّي كَهَمِّكَ إِنْ عَشَوْتُ أَمَامِ (٤)

فَاقْصُرْ إِلَيْكَ مِنَ الوَعِيدِ فَإِنَّنِي ... مِمَّا أُلَاقِي لَا أَشُدُّ حِزَامِي (٥)

---

(١) جالت : نهضت نشطة قلقة . لتصرعني لتلقي بي عن ظهرها إلى وجه الأرض. اقصري : كفي من جولانك ، واحبسي اضطرابك . صرعي عليك حرام : قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : المعنى أنه حاذق بالركوب فهذه الناقة لا تقدر أن تصرعه . وقال غيره : معناه : قد أتيت إليك من الإحسان ما لا ينبغي لك معه أن تصرعيني ، أي قد حرّم إحساني إليك صرعي عليك ، وهذا البيت انفرد الأصمعي بروايته ؛ وروى « حرام » بكسر الميم ، ولو رواه بضمها على الأقواء كان أجود . وزعم أبو حاتم في تعليل الكسر أنه أخرج « حرام » مخرج كفاف من قول الراجز :

يا ليت حظي من جداك الوافي ... والفضل أن تتركني كفاف

عدل كفاف عن كفاف ، وقال ابن الشجري : الأنسب أن يكون ألحقها ياء النسب للمبالغة من حيث كانت وصفاً كقولهم في الأحمر : أحمري . ثم خفف الياء من حرامي ضرورة .

(٢) يدعو لها بحسن الجزاء وبسلامة العودة إلى أعطانها وسلامة الظهر من الدبر .

(٣) بدر : جبل في بلاد باهلة بن أعصر ، وهناك أرمام الجبل المعروف . وكتيفة : جبل بأعلى مهل ، ومهل واد لعبد الله بن غطفان ، وعاقل : موضع كثر ذكره في شعره .

(٤) هو سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة الطهوي . كهمك : كحالك فيما هممت به وحسبته ، ويروى : إني كظنك . عشوت : نظرت نظراً ضعيفا . أمام : أدافع .

(٥) فاقصر : فأمسك عليك من وعيدك . لا أشد حزامي : لست في حاجة إلى أن أتهيأ وأستعد لنزال مثلك .

وأُنازِلُ البَطَلَ الكَرِيهَ نِزالُهُ ... وإذا أُناضِلُ لَا تَطِيشُ سِهَامِي (١)

وأَنا المُنَبِّهُ بَعْدَ مَا قَدْ نُوِّمُوا ... وأَنَا المُعَالِنُ صَفْحَةَ النُّوَّامِ (٢)

وأَنا الَّذِي عَرَفَتْ مَعَدٌّ فَضْلَهُ ... ونَشَدْتُ عَنْ حُجْرِ بْنِ أُمِّ قَطامِ (٣)

خَالِي ابْنُ كَبْشَةَ قَدْ عَلِمْتَ مَكانَهُ ... وأَبُو يَزِيدَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامِي (٤)

وإِذَا أُذِيتُ بِبَلْدَةٍ وَدَّعْتُهَا ... وَلَا أُقِيمُ بِغَيْرِ دَارِ مُقَامِ (٥)

٨١

طلب المنذر بن ماء السماء امرأ القيس ففر منه ونزل على المُعلَّى أحد بنى تيم بن ثعلبة ، فأجاره ومنعه ، فقال امرؤ القيس يمدحه :

كأَنِّى إِذْ نَزَلْتُ عَلَى المُعَلَّى ... نَزَلْتُ عَلَى البَوَاذِخِ مِنْ شَمَامِ (٦)

فَمَا مَلِكُ العِرَاقِ عَلَى المُعَلَّى ... بِمُقْتَدِرٍ وَلَا المَلِكُ الشَّآمِي (٧)

---

(١) أنازل البطل : أقاتل الشجاع الذى تخشى لقاءه الشجعان . أناضل : أرامى بالنبال . لاتطيش سهامى لاتتجاوز الغرض الذى أرميه ولا تخطئه .

(٢) أنا المنبه : أنا الذى أزعج أعدائى عن فرشهم وهم فى لذيذ منامهم . المعالن : الذى يقابل أعداءه وجها لوجه

(٣) معد : قبائل العرب من معد بن عدنان . ونشدت : رفعت ذكره فى الناس حجر بن أم قطام : أبوه وهكذا كان يلقب .

(٤) ابن كبشة : المعروف أن خاله مهلهل بن ربيعة فهل كانت أمه تسمى كبشة ؟ وابن كبشة : الصباح بن معديكرب الكندى أيضا ، وأبو يزيد : كنية أحد أعمامه وهم كثر

(٥) يعنى إذا نالنى أذى فى بلد تركتها إلى غيرها وحرمت على نفسى المقام بها .

(٦) البواذخ من شمام : الشواهق من جبال شمام .

(٧) ملك العراق : المنذر بن ماء السماء . والملك الشآمى : الحارث بن أبى شمر الغسانى

أَصُدُّ نَشَاصَ ذِي القَرْنَيْنِ حَتَّى ... تَوَلَّى عَارِضُ المَلِكِ الهُمَامِ [١]

أَقَرَّ حَشَا امْرِئِ القَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ... بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ [٢]

أَلَمْ تَرَيَا وَرَيْبُ الدَّهْرِ رَهْنٌ ... بِتَفْرِيقِ المَعَاشِرِ وَالسَّوَامِ

صَبَرْنَا عَنْ عَشِيرَتِنَا فَبَانُوا ... كَمَا صَبَرَتْ خُزَاعَةُ عَنْ جُذَامِ [٣]

٨٢

وروى له ابن عباس هذا البيت :

وَمَاءٍ آسِنٍ بَرَكَتْ عَلَيْهِ ... كَأَنَّ مُنَاخَهَا مُلْقَى لِجَامِ

٨٣

وقال يهجو البراجم إذ لم ينصروا عمه شُرحبيل بن عمرو بن حجر يوم قتل :

أَلَا قَبَحَ اللهُ البَرَاجِمَ كُلَّهَا ... وَجَدَّعَ يَرْبُوعًا وَعَفَّرَ دَارِمَا [٤]

---

(١) أصد : أدفع وأرد . نشاص : سحاب مرتفع ، ويريد به الجيش اللهام ، شبهه بالسحاب . ذو القرنين : يريد به المنذر الأكبر ، والظاهر أن العرب كانت تلقب كل ملك ظهر فيها بالشوكة والسلطان وكثرة الغزوات بذى القرنين ، ولهذا أطلقوه على غير واحد منهم . تولى عارض الملك : انهزم جيشه .

(٢) أقر حشاه : أدخل الطمأنينة على نفسه . بنو تيم : رهط المعلى ، وقد لزم هذه القبيلة هذا اللقب الجميل (مصابيح الظلام) منذ لقبهم به امرؤ القيس ، كما لزم بنى أسد ذلك اللقب الشنيع الذى لقبهم به من قبل وهو : (عبيد العصا) .

(٣) جذام : قبيلة كانت منازلها بجبال حسمى ، من معد .

(٤) البراجم : قبيلة من بنى حنظلة بن مالك ، وهم خمسة إخوة : الظليم ، وكلفة ، وغالب ، وعمرو ، وقيس . وجدع يربوعا : وقطع آناف بنى يربوع ، يعنى أذلهم . وعفر دارما : وأذل بنى دارم وجعل وجوههم فى التراب .

وآثَرَ بِالمِلْحاةِ آلَ مُجاشِعٍ رِقابَ إِماءٍ يَقْتَنِينَ المَفارِمَا (١)

فَما قاتَلوا عَنْ رَبِّهِمْ ورَبِيبِهِمْ ولا آذَنُوا جارًا فَيَظْعَنَ سالِمَا (٢)

ولا فَعَلُوا فِعْلَ العُوَيْرِ بِجارِهِ لَدَى بابِ هِنْدٍ إِذْ تَجَرَّدَ قائِمَا (٣)

٨٤

وقال حين بلغه نعى أبيه وهو يدمون :

أَتانِي وأَصْحابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ حَدِيثٌ أَطارَ النَّوْمَ عَنِّي فَأَنْعَمَا (٤)

فَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بَعِيدٍ مَآبُهُ أَبِنْ لِي وبَيِّنْ لِي الحَدِيثَ المُجَمْجَمَا (٥)

---

(١) وآثر بالملحاة : واختص بنى مجاشع بالملامة . ورقاب إماء : شبههم برقاب الإماء امتهاناً لهم وإذلالا وطعنا فى أنسابهم ، أو أنه جعلهم مجناه . المفارم : مايضيق به المحال ، فعل الفواجر . ويروى : يعتبين .

(٢) ربهم : سيدهم شرحبيل بن عمرو ، عمه . وربيبهم ، الناشئ فى كنفهم . ولا آذنوا جاراً : ولا أعلموه بأنهم قد تخلوا عن جواره وأضربوا عن مناصرته : وقدقتل شرحبيل يوم الكلاب فى خبر مضت خلاصة منه فى المقدمة . فيظعن : فيرحل عنهم سالما .

(٣) العوير : هو ابن شجنه الذى أجار قطين امرئ القيس بعد قتل أبيه حجر وانقضاء ملك كندة على بنى أسد . هند : أخت امرئ القيس . تجرد قائما : جد فى حمايتها والدفاع عنها وإبلاغها مأمنها .

(٤) صيلع : قال ياقوت : هو موضع كثير البان ، وبه ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر الكندى فقال :

أتانى وأصحابى على رأس صيلع حديث أطار النوم عنى فأنعما

فقلت لنجلى بعد ماقد أتى به تبين وبين لى الحديث المجمجما

فقال أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحوا حمى حجر فأصبح مسلما

(٥) مآبه : مرجعه . المجمجم : الذى لاتكاد تبينه .

فقالَ أبَيْتَ اللَّعْنَ عَمْرٌو وكاهِلٌ   أباحُوا حِمَى حُجْرٍ فأصْبَحَ مُسْلَمَا (١)

٨٥

وقال امرؤ القيس يتهدد أعداءه :

أنَّى عَلَيَّ اسْــتَتَبَّ لَوْمُكُما   ولَمْ تَلُومَا حُجْرًا ولا عُصُمَا (٢)

كَلَّا يَمِينَ الإلَهِ يَجْمَــعُنَا   شَيْءٌ وأخْوَالُنَا بَنُو جُشَمَا (٣)

حَتَّى تَزُورَ الضِّبَاعُ مَلْحَمَةً   كأنَّها مِنْ ثَمُودَ أو إرَمَا (٤)

٨٦

وقال امرؤ القيس يصف الحمر الوحشية : (٥)

ولَمَّا رَأتْ أنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا   وأنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي (٦)

---

(١) عمرو وكاهل : حيان من بنى أسد . مسلم : مباح فى أيديهم .

(٢) استتب : قر ونزل .

(٣) يجمعنا : لن يجمعنا . وأخوالنا بنو جشم : يعنى لن نجتمع معكم أيها الأعداء ما كان بنو جشم أخوالى وهم الذين أعتز بهم .

(٤) ملحمة : مقتلة عظيمة . ثمود وإرم : قبائل بائدة . ويروى : حتى تزور السباع .

(٥) لهذين البيتين قصة طريفة ؛ وهى أن وفدا من اليمن قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس بن حجر ؟ فقال : وكيف ذلك ؟ قالوا : أقبلنا نريدك فضللنا الطريق فبقينا ثلاثا بغير ماء فاستظللنا الطلح والسمر فأقبل راكب متلثم بعمامة ، وتمثل رجل منا ببيتين هما (هذين البيتين) فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ قال : امرؤ القيس بن حجر . قال : والله ما كذب ؟ هذا ضارج عندكم . قال : فجثونا على الركب إلى ماء كما ذكر ، عليه العرمض يفىء عليه الطلح ؛ فشربنا وحملنا مايكفينا ويبلغنا الطريق .
وقد علقنا على هذا الحديث فيما مضى من المقدمة .

(٦) الشريعة : مورد الماء الذى تشرع فيه الدواب ، وهمها : طلبها ؛ يعنى الحمر

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ الّتي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طامِي (١)

٨٧

وقال امرؤ القيس يهجو الشويعر الجعفى : (٢)

أَبْلِغَا عَنِّى الشُّوَيْعِرَ أَنِّى عَمْدَ عَيْنٍ نَكَبْتُهُنَّ حَرِيمَا

يريد أن الحمر لما رأت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة ، وأن ترمى فرائصها من سهامها عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التى فيها .

(١) وضارج : موضع فى بلاد بنى عبس . والعرمض : الطحلب . وطامى : مرتفع ويروى : يفيء عليها الطالح .

(٢) كان امرؤ القيس أرسل إلى هذا الشويعر فى فرس يبتاعها منه فمنعه فقال امرؤ القيس فيه أبياتاً منها هذا البيت ولم أعثر الآن على بقيتها . قال الآمدى : الشويعر محمد بن حمران (وساق نسبه) الجعفى ، وهو قديم ، وممن سمى محمداً فى الجاهلية فسمى بهذا البيت الشويعر ، وكان الشويعر قال :

أتتنى أمور فكذبتها وقد نميت لى عاما فعاما
بأن امرأ القيس أمسى كئيباً على أهله ما يذوق الطعاما
لعمر أبيك الذى لايهان لقد كان عرضك منى حراما
وقالوا هجوت ولم أهجه وهل يجدن فيك هاج مذاما
أتتنى ثمانون أعطيتها تخال مثالبهن الجلاما
ألست الجواد كفيض الفرا ت منهزما جانباه انهزاما
ألست الوفى بجيرانه فلم تصطلم أذناه اصطلاما
وحلته ضرجت بالعبير وهبت مهرا والصقيل الحساما
ومهرية كصفاة المسيل لايجد الماء فيها اهتضاما

قافية النون

٨٨

وقال امرؤ القيس :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وعِرْفَانِ ... ورَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ (١)

أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ... كَخَطِّ زَبُورٍ فى مَصَاحِفِ رُهْبَانِ (٢)

ذَكَرْتُ بِهَا الحَيَّ الجَمِيعَ فَهَيَّجَتْ ... عَقَابِيلَ سُقْمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وأَشْجَانِ (٣)

فَسَحَّتْ دُمُوعِى فى الرِّدَاءِ كَأَنَّهَا ... كُلًى مِنْ شَعِيبٍ ذَاتِ سَحٍّ وتَهْتَانِ (٤)

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ عَلَى شَىْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ (٥)

فَإِمَّا تَرَيْنِي فى رِحَالَةِ جَابِرٍ ... عَلَى حَرَجٍ كَالقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِى (٦)

---

(١) الذكرى : التذكر . وعرفان : معرفة . الرسم : آثار الديار . عفت : درست وامحت . آياته : علاماته .

(٢) الحجج : السنون والأحوال . زبور : كتاب يعنى أنها عفت حتى أصبحت آثارها الباقية منها كالخطوط فى الصحف .

(٣) الحى الجميع : القوم المجتمعون . عقابيل سقم : بقايا علة قديمة . الأشجان : الهموم والأحزان .

(٤) فسحت : فسالت . كلى من شعيب : رقع فى مزادة بالية قد انشعبت جوانبها وتمزقت ثم رقعت . التهتان : توالى انصباب الماء

(٥) يخزن لسانه : يمسك لسانه عن الكلام الجالب للعار والمؤاخذة ، وعن إفشاء الأسرار التى يهم الإنسان حفظها .

(٦) الرحالة : يريد بها المحفة التى صنعها له جابر بن حنى التغلبى حين أصابه المرض وهو عائد من بلاد الروم ، وكان جابر هذا وعمرو بن قميئة يحملانه فيها . الحرج : =

فَيَارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ... وَعَانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عَنْهُ فَفَدَّانِي (١)

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ بَعَثْتُ بِسُحْرَةٍ ... فَقَامُوا جَمِيعًا بَيْنَ عَاثٍ وَنَشْوَانِ (٢)

وَخَرْقٍ بَعِيدٍ قَدْ قَطَعْتُ نِيَاطَهُ ... عَلَى ذَاتِ لَوْثٍ سَهْوَةِ المَشْيِ مِذْعَانِ (٣)

وَغَيْثٍ كَأَلْوَانِ الفَنَا قَدْ هَبَطْتُهُ ... تَعَاوَرُ فِيهِ كُلُّ أَوْطَفَ حَنَّانِ (٤)

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... أَفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ وَلَا وَانِ (٥)

كَتَيْسِ الظِّبَاءِ الأَعْفَرِ انْضَرَجَتْ لَهُ ... عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانِ (٦)

= سرير كالنعش . والقر: مركب للنساء . تخفق : تضطرب . أكفانى : يريد بها ثيابه التى قدر أن يدفن بها .

(١) المكروب : يريد به هنا من أحاط به الكرب فى ساحة الحرب ، وضويق حتى كاد يصرع . كررت وراءه : رجعت إليه ودافعت عنه حتى أنقذته . وعان : أسير . فككت : نزعت . الغل : الحبل الذى فى عنقه . ويروى : فككت الكبل : يعنى القيد . ففدانى : فقال لى : فداك أبى وأمى .

(٢) بسحرة : نبهتهم وقت السحر : عاث : باحث عن ثيابه فى الظلمة . ونشوان : سكران ، يعنى من النعاس .

(٣) الخرق : المفازة التى تنخرق فيها الرياح جيئة وذهوبا . نياطه : أوساطه . على ذات لوث : على ناقة كأن بها جنون لقوتها ونشاطها . سهوة : سهلة المشى . مذعان : مطاوعه .

(٤) الغيث : يريد به الكلأ . الفنا : عنب الثعلب . تعاور : تداول . الأوطف : السحاب القريب ذو الأهداب . حنان : ذو صوت وقت انهماله .

(٥) على هيكل : على فرس ضخم كأنه الهيكل المبنى روعة وجمالا . أفانين جرى : ضروب من السير . غير كز : ليس بالمتقبض . ولا وان : وليس به فتور .

(٦) التيس : يريد به فحل الظباء . الأعفر : الذى لونه بين الحمرة والغبرة . انضرجت له : حلقت فوقه ، أو انحطت عقاب من الجو كاسرة منقضة . تدلت : =

وَخَرْقٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ مَضَلَّةٍ ... قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمِ الوَجْهِ حُسَّانِ (١)

يُدَافِعُ أَعْطَافَ المَطَايَا بِرُكْنِهِ ... كَمَا مَالَ غُصْنٌ نَاعِمٌ بَيْنَ أَغْصَانِ (٢)

وَمَجْرٍ كَغُلَّانِ الأُنَيْعِمِ بَالِغٍ ... دِيَارَ العَدُوِّ ذِي زُهَاءٍ وَأَرْكَانِ (٣)

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ ... وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ (٤)

وَحَتَّى تَرَى الجَوْنَ الَّذِي كَانَ بَادِنًا ... عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ نُسُورٍ وَعِقْبَانِ (٥)

٩٠

وقال امرؤ القيس :

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي ... كَخَطِّ الزَّبُورِ فِي العَسِيبِ اليَمَانِي (٦)

= نزلت عليه بشدة فضربه بجناحيها ففزع منها ومضى على وجهه. شماريخ ثهلان: رؤوس جبل ثهلان . ويروى : كتيس ظباء الحلب انفرجت له .

(١) بجوف العير : خال ، وانظر ما كتبناه عنه فى شرح معلقته . قفر مضلة : لايهتدى فيها السائر بعلامات ولا صوى . سام : فرس مشرف . ساهم الوجه : متغير الوجه أو قليل لحمه . حسان : غاية فى حسن المنظر وجمال الخلق .

(٢) أعطاف المطايا : النواحى التى تميل الإبل نحوها . بركنه : بمنكبه .

(٣) المجر : الجيش العظيم . غلان الأنيعم : نبات وادى الأنيعم . وقال ياقوت : موضع . قال حضرمى بن عامر الأسدى :

لقد شاقنى لولا الحياء من الصبا ... لميــة ربع بالأنيعم دارس

ليالى إذ قلبى بميــة موزع ... وإذ نحن جيران لها متلابس

وإذ نحن لانخشى النميمة بيننا ... ولو كان شىء بيننا متشاكس

(٤) مطوت : مددت بهم فى السير . تكل مطيهم : تتعب وتعيي إبلهم . الجياد : الخيل مايقدن بأرسان : يعنى أن الخيل من الإعياء ذلت فلا تحتاج إلى أن تقاد بالحبال .

(٥) الجون : الفرس الأشهب . البادن : الضخم السمين . العوافى : يريد بها سباع الطير

(٦) الطلل : ماشخص من آثار الديار . شجانى: هاج بى الحزن والهم . الزبور : =

دِيارٌ لِهِندٍ والرَّبابِ وفَرْتَنا   لَيالِيَنا بالنَّعفِ مِن بَدَلانِ (١)

لَيالِيَ يَدْعُونِي الهَوَى فأُجيبُهُ   وأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إلَيَّ رَوانِ (٢)

وإنْ أُمسِ مَكْرُوبًا فَيارُبَّ بُهْمَةٍ   كَشَفْتُ إذا ما اسْوَدَّ وَجْهُ الجَبانِ (٣)

وإنْ أُمسِ مَكْرُوبًا فَيارُبَّ قَيْنَةٍ   مُنَعَّمَةٍ أَعْمَلْتُها بِكِرانِ (٤)

لَها مِزْهَرٌ يَعْلُو الخَمِيسَ بِصَوْتِهِ   أَجَشُّ إذا ما حَرَّكَتْهُ اليَدانِ (٥)

وإنْ أُمسِ مَكْرُوبًا فَيارُبَّ غارَةٍ   شَهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رِخْوِ اللَّبانِ (٦)

عَلَى رَبِذٍ يَزْدادُ عَفْوًا إذا جَرَى   مِسَحٍّ حَثِيثِ الرَّكْضِ والذَّأَلانِ (٧)

ويَرْدِي عَلَى صُمٍّ صِلابٍ مَلاطِسٍ   شَدِيداتِ عَقْدٍ لَيِّناتِ مِتانِ (٨)

= الكتاب المزبور أى المكتوب بالمزبر، وهو القلم. بالعسيب اليمانى: بسعف النخل، ويروى: فى عسيب يمان.

(١) هند والرباب وفرتنا: فتيات كان يشبب بهن. النعف: المكان المرتفع. دلان: موضع.

(٢) ويروى: ليالى يدعونى الصبا. روان: نواظر.

(٣) البهمة: الأمر المبهم الذى لايدرى من أين يؤخذ، والبهمة: البطل الشجاع الذى لاسبيل لأحد عليه. كشفت: فرجت ومضيت فيه، أو كشفته ونلت منه.

(٤) القينة: الجارية المغنية. منعمة: ذات نعمة وترف. الكران: عود الطرب

(٥) المزهر: العود. يعلو: يغلب بصوته. الخميس: الجيش اللجب. أجش: فى صوته بحة. اليدان: يريد بهما يدى الجارية.

(٦) الغارة: السطو على الحى عند الصباح. الأقب: الفرس الضامر. رخواللبان لين الصدر عتيق.

(٧) الربذ: الفرس السريع الواسع الخطو. العفو: النشاط والارتياح إلى الجرى. مسح: كثير العرق. حثيث الركض: موالى الجرى. الذألان: الشد الخفيف.

(٨) يردى: كأنما يردى فى سيره لسرعته. ويروى: ويخدى، من الوخدان

وغَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ حُوٍّ تِلاعُهُ ... تَبَطَّنْتُهُ بِشَيْظَمٍ صَلَتَانِ (١)

مِخَشٍّ مِجَشٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَتَيْسِ ظِبَاءِ الحُلَّبِ العَدَوَانِ (٢)

إِذَا مَا جَنَبْنَاهُ تَأَوَّدَ مَتْنُــــهُ ... كَعِرْقِ الرُّخَامَى اهْتَزَّ فِى الهَطَلَانِ (٣)

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَانِ ... مِنَ النَّشَوَاتِ وَالنِّسَاءِ الحِسَانِ (٤)

مِنَ البِيضِ كَالآرَامِ وَالأُدْمِ كَالدُّمَى ... حَوَاصِنُهَا وَالمُبْرِقَاتُ رَوَانِ (٥)

أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا ... بِجِزْعِ المَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ (٦)

= وهو ضرب من السير . صم صلاب : حوافر صلبة مصمتة . ملاطس : معاول ، شبهها بها لأنها تكسر ما تقع عليه من حجر وغيره . شديدات عقد : يريد أن حوافره شديدات عقد الأرساغ . المثانى : المفاصل .

(١) الغيث : يريد به الكلأ . الوسمى : المطر أول ما يقع على الأرض لأنه يسمها . حو تلاعه : خضر مرتفعاته . تبطنته : نزلت إلى بطنه . بشيظم صلتان : بفرس طويل منجرد الشعر .

(٢) مخش مجش : جرىء غليظ الصوت . ويروى : مكر مفر . التيس : يريد به فحل الظباء . الحلب : نبات تأكله الوحوش فتضمر عليه بطونها . العدوان : العدو والجرى

(٣) جنبناه : قدناه إلى جنب الركائب. تأود متنه . تثنى ظهره . كعرق : كعود . الرخامى : نبات . اهتز : تحرك . الهطلان : تتابع المطر ، ويروى : إذا نحن قدناه .

(٤) النشوات : السكرات . يقول تمتع من الدنيا بما يكون فيه سرورك وابتهاجك وراحتك ، لأنك فان .

(٥) الآرام : أولاد الظباء . والأدم : السمر . كالدمى : كالتماثيل المنحوتة على أشباه الحيوانات . حواصن : عفيفات . والمبرقات : اللائى يظهرن بريق حليهن للرجال ، أو اللائى يبرقن بأعينهن . روان : ناظرات .

(٦) نبهانية : امرأة من بنى نبهان من طيئ . الجزع : منعطف الوادى . الملا : ما استوى من الأرض . تبتدران : تتسابق دموعهما .

فَدَمْعُهُمَا سَحٌّ وَسَكْبٌ وَدِيمَةٌ ... وَرَشٌّ وَتَوْكَافٌ وَتَنْهَمِلَانِ (١)

كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَا مُتَعَجِّلٍ ... فَرِيَّانِ لَمَّا تُسْلَقَا بِدِهَانِ (٢)

٩١

لما قتل شرحبيل عم امرئ القيس يوم الكُلاب قام عوف بن شجنة بن الحارث فى بنى سعد وبنى عوف دون عياله ، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ، وكان بنو حنظلة تخاذلوا عنهم ، فقال امرؤ القيس يمدح بنى عوف :

أَحَنْظَلَ لَوْ حَامَيْتُمُ وَصَبَرْتُمُ ... لَأَثْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَأَرْضَانِ (٣)

أَلَا إِنَّ قَوْمًا كُنْتُمُ أَمْسِ دُونَهُمْ ... هُمُ اسْتَنْقَذُوا جَارَاتِكُمْ آلَ غُدْرَانِ (٤)

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ ... وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانِ (٥)

---

(١) سح وسكب وديمة : كل هذا بمعنى انهمال الدمع . وكذلك الرش والتوكاف وما بعدهما .

(٢) المزادتان : القربتان الكبيرتان . فريان : مخرقتان ومخروزتان حديثاً . تسلقا تدهنا بدهان يسد مواضع الخرز منهما . يشبه عينيه فى سح دموعهما بحالة هاتين القربتين . مبالغة .

(٣) يقول : يابنى حنظلة لودافعتم عن عمى وصبرتم معه فى مواطن القتال ، أولو حاميتم عن أهله كما حامى بنو عوف لأرضانى ذلك ، ولأثنيت عليكم بصالح أعمالكم .

(٤) آل غدران : يقول يابنى حنظلة يا أهل الغدر وعدم الوفاء بالعهد .

(٥) طهارى نقية : لم تعلق بها الأرجاس ولا الأدناس التى علقت بثيابكم يا آل حنظلة . المشاهد : الوقائع والحروب . غران : طاقة بيضاء متهللة . والطهارة والنقاء هنا قد يراد بهما القلوب والسرائر ، والنفوس والضمائر .

عُوَيْرٌ وَمَنْ مِثْلُ العُوَيْرِ وَرَهْطِهِ وأسْعَدَ فى لَيْلِ البَلَابِلِ صَفْوَانِ [(١)]

هُمُ أَبْلَغُوا حَىَّ المُضَلَّلِ أَهْلَهُمْ وساروا بهم بَيْنَ العِراقِ وَنَجْرَانِ [(٢)]

فَقَدْ أَصْبَحُوا واللهُ أَصْفَاهُمُ بِهِ أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ وأَوْفَى بِجِيرانِ [(٣)]

٩١

وقال فى مقامه من حمير :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَبِيتَ بِحِمْيَرٍ غَرِيبًا وَلَا أَغْدُو إِلَى بَابِ هَمْدَانِ [(٤)]

وَلَا أَتَمَنَّى فى ظِفَارٍ وأَجْتَنِى جَنَى النَّخْلِ غَرْثَانًا وَلَا غَيْرَ غَرْثَانِ [(٥)]

أَلَا لَيْتَ لِي بِالنَّخْلِ أَحْيَاءَ عَامِلٍ وبِالخَشَلَاتِ البُقْعِ أَرْشَاءَ غِزْلَانِ [(٦)]

٩٢

كان امرؤ القيس يتصيد مع إخوته ، فأغار عليهم المنذر بن النعمان بن

---

(١) عوير : هو عوف بن شجنة ، وعوير : تصغير أعور . وصفوان من سادات بنى سعد .

(٢) حى المضلل : يريد بهم بنى عمه شرحبيل . أهلهم : يعنى بنى كندة أو بنى عمرو بن الحارث .

(٣) أصفاهم به : اختاره لهم . يعنى العوير ، وهو البر الوفى المجير .

(٤) يقول : ما كنت أخشى ذلك لأنهم قرابتى ، ولأنهم كرام .

(٥) غرثان : جائع .

(٦) ليت المقادير ابدلتنى بالنحل أحياء عامل ، وبهذه الخشلات البقع . الخشلات جمع خشلة ، وهى نوى المقل اليابس أى الدوم أرشاء غزلان . تيمنى لو كانت أحياء عامل : أرض عامل ، وهى من مواطنه . وأرشاء غزلان : يريد جمع رشأ . وهى الظباء الصغار التى بأرضه .

امرئ القيس الملقب بذي القرنين [١] ، لثأر كان له عند أبيهم ، فأصاب اثني عشر شابا من بني حجر بن عمرو ، وأفلت امرؤ القيس على فرس شقراء فطلبه القوم ففاتهم . وأمر المنذر بضرب أعناقهم ، فقتلوا عند الجفر ، فسمى جفر الأملاك ، وهو موضع بظاهر الحيرة به دير بنى مرينا . فقال امرؤ القيس يرثيهم :

أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لِي شَنِينَا ... وَبَكِّي لِي المُلُوكَ الذَّاهِبِينَا [٢]

مُلُوكًا مِنْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو ... يُسَاقُونَ العَشِيَّةَ يُقْتَلُونَا [٣]

فَلَوْ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ أُصِيبُوا ... وَلٰكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا [٤]

فَلَمْ تُغْسَلْ جَمَاجِمُهُمْ بِسِدْرٍ ... وَلٰكِنْ بِالدِّمَاءِ مُرَمَّلِينَا [٥]

تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ ... وَتَنْتَزِعُ الحَوَاجِبَ وَالعُيُونَا [٦]

٩٣

وممـا قاله فى تقلب الزمان وتداوله :

أَبَعْدَ الحَارِثِ المَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو ... لَهُ مُلْكُ العِرَاقِ إِلَى عُمَانِ [٧]

---

(١) كان للعرب ولع بأن يطلقوا على بعض ملوكهم لقب ذو القرنين ، لاسيما عرب اليمن من حمير . وعلى الخصوص إذا كان كثير الغزوات والذهاب بالجيوش فيما وراء بلادهم . والمشهور منهم ذوالقرنين الحميرى ، وقد منح هذا اللقب بعض المؤرخين العابثين الإسكندر المقدونى الشهير ، مع أنه لا يصح أن يلقب بهذا اللقب مطلقا . وبين ذى القرنين الحميرى والإسكندر - كما قدر المحققون - ١٩٥٨ سنة .

(٢) شنين : قطر الماء . الملوك الذاهبون : يريد بهم إخوته المقتولين .

(٣) هم إخوته المقتولون .

(٤) يقول : لوقتلوا فى ساحة حرب لكان الأسف عليهم أخف . بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

(٥) ويروى يغسل . مرملون : مخلوطة دماؤهم بالرمال .

(٦) عاكفة : محيطة بهم نازلة عليهم .

(٧) هو الحارث الأكبر بن عمرو بن معاوية . قيل إنه ملك معدا ستين سنة وهو عمه

مُجَاوِرَةً بَنِي شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ هَوَانًا مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانِ [١]

وَيَمْنَعُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمُ حَنَانَكَ ذَا الْحَنَانِ [٢]

٩٤

وقال فى بعض شأنه :

وَمَا هَاجَ هٰذَا الشَّوْقَ غَيْرُ مَنَازِلٍ دَوَارِسَ بَيْنَ يَذْبُلٍ فَرِقَانِ [٣]

وَغَرْبٌ عَلَى مَقْطُورَةٍ بَكَرَتْ بِهِ غَدَتْ فِى سَوَادِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْمَثَانِى [٤]

يُصَرِّفُهَا شَثْنٌ يُرَى بِلَبَانِهِ وَلِحْيَتِهِ نَضْحٌ مِنَ النَّقَيَانِ [٥]

٩٥

وامتنّ عليه رجل من طيئ بمنة فقال امرؤ القيس :

أَفْسَدْتَ بِالْمَنِّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَّانِ [٦]

---

(١) بنو شمجى : حى من طيئ . يقول ذلك حينما نزل بهم فلم يحمد نزلهم . أتيح : عرض .

(٢) حنانك : تحننك وترحمك . يتهكم بهم ، ويروى : ويمنحها .

(٣) دوارس : بوالى . يذبل وفرقان : موضعان .

(٤) الغرب : حد السيف ، أو هو الفرس الكثير الجرى . مقطورة : ناقة قطرت بأختها

(٥) شثن : خشن . لبانه : صدره . النقيان : التراب .

(٦) هذا فيه معنى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »

٩٦

وله يصف رمحه :

جَمَعْتُ رُدَيْنِيًا كأَنَّ سِنَانَهُ   سَنَا لَهَبٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِدُخَانِ (١)

---

(١) الرديني : الرمح المقوم ، منسوب إلى ردينة ، قبيلة من العرب كانت معروفة بتقويم الرماح .

قافيــــة الياء

٩٧

ولما ذهبت أمواله فى بعض أحياء طيئ قال :

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى ... كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِىُّ (١)

وَجَادَ لَهَا الرَّبِيعُ بِوَاقِصَاتٍ ... فَآرَامٍ وَجَادَ لَهَا الوَلِىُّ (٢)

إِذَا مُشَّتْ حَوَالِبُهَا أَرَنَّتْ ... كَأَنَّ الحَىَّ صَبَّحَهُمْ نَعِىُّ (٣)

تَرُوحُ كَأَنَّهَا مِمَّا أَصَابَتْ ... مُعَلَّقَـــةً بِأَحْقِيهَا الدُّلِىُّ (٤)

فَتُوسِعُ أَهْلَهَا أَقِطًا وَسَمْنًا ... وَحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِىُّ (٥)

انتهى شعر امرئ القيس بحمد الله ، ويتلوه كتاب « أخبار المراقسة وأشعارهم » إن شاء الله تعالى .

---

(١) جلتها : كبراها . يقول : إذا لم يكن فى اليد إبل مقتناة فإن الاجتزاء بالمعزى فيه سداد من عوز .

(٢) جاد : أمطر مطراً غزيراً . واقصات ، واقصة : ماء لبنى كعب . وآرام : موضع آخر .

(٣) مشت حوالبها : مسحت ضروعها بالكف لينزل اللبن . أرنت : أسمعت صوتها

(٤) تروح : تعود إلى حظائرها فى المساء . بأحقيها : بما بين أفخاذها . الدلى ، جمع دلو ، ويريد بها حوالبها واحتفالها باللبن .

(٥) الأقط : ضرب من الجبن . ويروى الجاحظ هذه الأبيات هكذا :

لنـــا غنم نسوقها غزار ... كأن قرون جلتها العصى

فتملأ بيتنا أقطا وسمنـــا ... وحسبك من غنى شبع ورى

إذا شذت حوالبهـا أرنت ... كأن الحى صبحهم نعى

=

. . . .

= وجاد بها الربيع بواقصات وآرام وجاد بها اولى

ومما يروى أن رؤبة بن العجاج الراجز المشهور كان يقول : مارأيت أفخر من امرئ القيس حيث يقول .

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

ولا أنذل من قوله :

لنا غنم نسوقها غزار كأن قرون جلتها العصى
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع ورى

أقول : قد احتاط رؤبة فى تعبيره حيث قال (ولا أنذل من قوله) ولم يقل : ولا انذل منه . لأن امرأ القيس لم يقل هذا عن رضى بهذه الحالة التعسة ، ولكنه قاله تنديدا وسخرية بتصرفات الدهر واستخفافا بما صارت إليه حاله . ومع هذا فقد كذب هذا القول بنهوضه الفائق فى سبيل السعى لأخذ الثأر من قتلة أبيه . . .

وقد أخذ خفاف بن غضين البرجمى معنى قول امرئ القيس فى بيتيه الأول فبسطه حيث قال :

ولو أن ما أسعى لنفسى وحدها لزاد يسير أو ثياب على جلدى
لاأنت على نفسى وبلغ حاجتى من المال مال دون بعض الذى عندى
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وكان أبى نال المكارم عن جدى

انتهى شرح ديوان امرئ القيس

ويليه « أخبار المراقسة وأشعارهم »

أخبار المراقسة وأشعارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

ومعه

أخبار النوابغ وآثارهم

تأليف

حسن السندوبي

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد أشرف الأولين والآخرين ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد : فهذا كتاب صنفته فى أخبار من تسمى بامرئ القيس ، ممن له خبر مأثور ، أو شعر مروى مذكور . فى جاهلية العرب العمياء ، وفى صدر الملة الإسلامية السمحة الزهراء . أنشأ فكرته فى خاطرى ما رأيته من اختلاف الرواة فى نسبة بعض الأشعار إلى امرئ القيس بن حُجر ، أو عزوها إلى غيره ممن شاركه فى هذا الاسم ؛ وذلك أثناء شرحى لديوان الملك الضّلّيل ، وتتبعى ما أثر عنه وما فيه قيل ، وقد رأيت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدى [1] عد منهم عشرة ، وعد منهم صاحب القاموس أحد عشر ، وأحصى منهم

---

(1) هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى الكاتب النحوى اللغوى . كان حسن الفهم جيد الرواية ، واسع الدراية . أخذ عن الأخفش على بن سليمان ، وعن الزجاج ، وعن أبى موسى الحامض ، وعن ابن السراج ، وعن ابن دريد . وعن نفطويه ، وغيرهم . وله من الكتب كتاب الموازنة بين الطائيين . والمختلف والمؤتلف فى أسماء الشعراء . وفعلت وأفعلت . قالوا : لم يصنف مثله . وفرق ما بين الخاص والمشترك من معانى الشعر . وما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ . وتفضيل شعر امرئ القيس على شعر الجاهليين . ونثر المنظوم . وشدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه . وتبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر . ومعانى شعر البحترى . وكتاب فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما . والرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام . والأضداد . وديوان شعره . وغير ذلك من الكتب التى باد أكثرها . توفى سنة ٣٧١ هـ ٩٨٢ م .

السيوطى سنة عشر . وقد رأيت أن أستخلصهم من المصادر التى وقفت عليها وأثبتهم فى هذا الثبت من المقدمة :

امرؤ القيس بن حجر الكندى ، حامل لواء الشعر . وقد مضى ما هو متعلق بشأنه وشعره فيما قدمنا به شرحنا على ديوانه .

امرؤ القيس بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة .

امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة التغلبى .

امرؤ القيس بن أبان التغلبى .

امرؤ القيس بن حُمام الكلبى .

امرؤ القيس بن عابس الكندى .

امرؤ القيس بن بكر الكندى .

امرؤ القيس بن بحر الزهيرى الكلبى .

امرؤ القيس بن مالك الحميرى .

امرؤ القيس بن كلاب العقيلى .

امرؤ القيس بن عمرو الكندى .

امرؤ القيس بن عدى الكلبى .

امرؤ القيس بن عمرو السكونى الكندى .

امرؤ القيس بن عمرو بن عدى اللخمى .

امرؤ القيس بن جبلة السكونى .

امرؤ القيس بن الفاخر الخولانى .

امرؤ القيس بن الأسود الكندى «الجفشيش» .

امرؤ القيس بن حارثة الكلبى المآزرى .

امرؤ القيس بن خلف بن بهدلة التميمى .

امرؤ القيس بن عوف بن عامر الكلبي .

امرؤ القيس بن عبد الأشهل .

امرؤ القيس بن السمط الكندي .

امرؤ القيس بن عبد مناة بن تميم .

امرؤ القيس بن الأصبغ بن دؤالة الكلبي .

امرؤ القيس بن زين مناة .

هذا ، وقد يكون فيهم المكرر ، لاختلاف النسب إلى الآباء تارة ، وإلى الأجداد أخرى ، مما يخلط فيه الرواة . ولما تم لى إحصاؤهم على هذا الوجه ، ألفت بينهم فى هذا الكتاب الذى أسميته :

أخبار المراقسة وأشعارهم

فى الجاهلية وصدر الإسلام

وقد خطرت لى هذه الكلمة « المراقسة » وهى ـ فيما أرى ـ جمع امرئ القيس ، ولم أكن رأيت هذا الجمع ، ولا سمعت به ، ولكنى قستها على المهالبة والمسامعة وأشباههما ، ثم خطر لى الرجوع إلى القاموس ، فلما نظرت فيه رأيته يقول : والنسبة إلى الكل : مَرْئِيٌّ . إلا ابن حُجر فإنها : مَرْقَسِيٌّ . وقد تعقبه الزبيدى فى كتابه تاج العروس بقوله ـ بعد قول صاحب القاموس : إلا ابن حجر ـ : هكذا فى سائر النسخ ، وهو غلط ، والصواب : إلا ابن الحارث بن معاوية ، فإنها «مَرْقَسِيٌّ» مسموع عن العرب فى كندة لا غيره ، كما حققه ابن الجوانى فى المقدمة ، وهذا الذى استثنى به هو امرؤ القيس أخو معاوية الأكرمين ، الجد الرابع لامرئ القيس فحل الشعراء ، وهو المعروف بابن تملك ، وهى أمه ، وهى بنت عمرو بن زيد

ابن مذحج ، وبها يعرف بنوه . قال الزبيدى : فتأمل هذا فإنه نفيس وقل من نبه عليه .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : والنسبة إلى امرئ «مَرَئِىٌّ» ومنه المَرَئِىُّ الشاعر ، وكذلك النسبة إلى امرئ القيس ، وإن شئت «امرِئِىٌّ» وامرؤ القيس من أسمائهم ، وقد غلب على القبيلة[1] ، والإضافة إليه «امرِئِىٌّ» وهو من القسم الذى وقعت فيه الإضافة إلى الأول دون الثانى ، لأن امْرَأً لم يضف إلى اسم علم فى كلامهم إلا فى قولهم : امرؤ القيس ؛ وأما الذين قالوا «مَرَئِىٌّ» فكأنهم أضافوا إلى مَرْءٍ فكان قياسه على ذلك «مَرْئِىٌّ» ولكنه نادر معدول النسب . قال ذو الرمة :

إذَا المَرَئِىُّ شَبَّ لَهُ بَنَاتٌ   عَقَدْنَ بِرَأسِهِ إبَةً وعَارَا

قلت : وعلى هذا يكون الجمع «المَرَئِيُّونَ» أو «الامرِئِيُّونَ» وما أنبا كل منهما عن اللسان ، وأنفر السمع عنهما ، وأبعد الذوق عن استساغتهما ! ! فلما رأيت ذلك لم أجد لى حجة فيه ؛ فمضيت فى البحث والتقصى حتى أظفرنى الله ببغيتى ، ووقفت على طَلِبَتى ، وعثرت على أمنيتى ، فقد رأيت أبا زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى[2] يقول فى شرحه لأبيات إصلاح المنطق

---

(١) القبيلة هى امرؤ القيس بن زيد مناة بنى تميم .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى الشهير بالخطيب التبريزى ، أحد أئمة اللغة وأفراد أهل الأدب . أخذ عن أجلاء العلماء فى عصره ، ومنهم أبى العلاء المعرى والخطيب البغدادى صاحب تاريخ بغداد ، وكان أول من تصدر لدرس الأدب فى المدرسة النظامية ببغداد . وكان قد دخل مصر فى عنفوان شبابه وأخذ عنه أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاد النحوى المصرى شيئا من اللغة . ثم عاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن مات وله شعر حسن جيل . فمن أملحه وأطرفه قوله : =

لابن السكيت : (النسبة إلى امرئ القيس «مَرْقَسِيٌّ» وأشعر «المراقسة» ابن حُجر هذا ، وبعده امرؤ القيس الذائد ، وهو أوّل من تكلم فى نقد الشعر) .

فلما وقفت على هذا النص حمدت الله تعالى أن حقق ظنى ، وصحح قياسى ، وجاءنى بشاهد عدل يُقوّم حجتى ، ويُثبت قدمى . وهل من شاهد بعد هذا الرجل الحجة الثبت الثقة شيخ اللغة فى زمانه ، وإمام الأدب بحكم أقرانه ، الخطيب التبريزى ؟ والظاهر أن صاحبي القاموس والتاج وكذلك صاحب اللسان لم يقف أحد منهم على هذا النص ، وإلا لبادر إلى روايته ولم يهمله ، ولقال فيه قولا يثبته أو يغفله . والقول الفصل فى هذه الكلمة أنها مما أخلت به المعجمات العربية من الجموع .

ومن العجب أن ترى صاحب القاموس قد سمى امرأ القيس بن حجر «سليمان» وأعجب من هذا وأغرب أن صاحب التاج لم يبد أية ملاحظة على هذه التسمية التى جاء بها الفيروزابادي وتفرد بها دون غيره ، ولم يجاره

= خليلى ما أحلى صبوحى بدجلة وأطيب منه بالصراة غبــوق
شربت على الماءين من ماء كرمة فكانا كدرّ ذائب وعقيق
على قمرى أفق وأرض تقابلا فن شائق حلو الهوى ومشوق
فمازلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقينى ويشرب ريق
وقلت لبدر التم : تعرف ذا الفتى ؟ فقال : نعم ، هذا أخى وشقيق

ومن شعره قوله :

فمن يسأم من الأسفار يوما فإنى قد سئمت من المقام
أقمنــا بالعراق على رجال لئــام ينتمون إلى لئام

وله مراسلات بالنثر والشعر ، بينه وبين بعض فضلاء زمانه . ومؤلفاته فى اللغة والأدب والمنطق معروفة مشهورة ، كما له فى النحو والعروض وإعراب القرآن كتب جيدة . وكانت ولادته فيما قبل سنة ٤٢١ هـ وتوفى ببغداد سنة ٥٠٢ هـ ١١٠٨ م

عليها أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، ولا شك أن كلمة « سليمان » قد أقحمها أحد النساخ الأقدمين ، ولذلك جاءت فى النسخة التى شرح عليها الزبيدى .

وإنى لأحسب أن صنيعى فى هذا الكتاب ـ لا سيما ما استدركته فى هذه الطبعة الثانية ـ مما يحمدنى عليه طلاب الآداب ، فقد قدمت به إلى جمهرة المتأدبين طرفة سنية لم أسبق إليها ، وقمت فيه بخدمة حسنة إلى اللغة العربية أستحق عليها من الله خير الجزاء ، والله عنده حسن الثواب .

القاهرة : حسن السندوبى

٣

امرؤ القيس بن المنذر «ماء السماء»

كان امرؤ القيس هذا ملكا على الحيرة . وكان بين هذا الملك وبنى غسان حروب ووقائع أسرت فيها غسان امرأ القيس هذا بعد أن قتلت أباه المنذر فثارت قبائل بكر بن وائل وأغارت على بعض بوادى الشام والتحموا مع جنود الغساسنة وقتلوا أحد ملوكهم واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر وسبي عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها «ميسون» ، ثم إن حجراً أبا امرئ القيس ، وكان يقال له «حجر بن أم قطام» أعد عدته لغزو امرئ القيس ملك الحيرة ، فلما تحرك فى جموعه الكثيرة من كندة قاصداً نحو الحيرة تلقته جموع من بكر بن وائل - وكانوا من أحلاف ذلك الملك - فردت حجرًا وأثخنت فى جنوده ، وقتلت منهم من قتلت . وقد ذكر ذلك الحارث بن حلزة فى قصيدته المعلقة ؛ حيث يقول :

أَيُّهَـــا الشَّانِئُ المُبَلِّغُ عَنَّا   عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ انْتِهَاءُ (١)

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ آيَا   تٌ ثَلَاثٌ فى كُلِّهِنَّ القَضَاءُ (٢)

---

(١) يريد بالشانئ عمرو بن كلثوم . ويروى : أيها الكاذب المبلغ . والمخبر ، والمقرش ، والمرقش . المقرش : الواش . المرقش : النمام المزور لكلامه والمزخرف له . ويروى : وهل له إبقاء . أى لا يبقى عليكم لما ألقيتم إليه .

(٢) ويروى :

إن عمرا لنا لديه خلال   غير شك فى كلهن البلاء

ملك مقسط وأكمل من يمـ   ـشى ومن دون ما لديه الثناء

إرمى بمثله جالت الجـــبـــل وتأبى لخصمها الإجلاء

آيةٌ شارقُ الشَّقيقةِ إذ جا ءتْ مَعَدٌّ لكلِّ حيٍّ لِواءُ (١)

حَولَ قَيسٍ مُستَلئِمينَ بكَبشٍ قَرَظِيٍّ كأنَّهُ عَبلاءُ (٢)

فَرَدَدْناهُمُ بِطَعنٍ كما يَخْـ ـرُجُ مِن خُربةِ المَزادِ الماءُ (٣)

ثمَّ حُجْرًا أعني ابنَ أمِّ قَطامٍ ولَهُ فارِسِيَّةٌ خَضراءُ (٤)

أَسَدٌ في اللِّقاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ ورَبيعٌ إنْ شَمَّرَتْ غَبراءُ (٥)

وفَكَكْنا غُلَّ امرئِ القَيسِ عَنـ ـهُ بَعدَ ما طالَ حَبسُهُ والعَناءُ (٦)

وأقَدْناهُ رَبَّ غَسّانَ بالمُنْـ ـذِرِ كَرْهًا إذْ لا تُكالُ الدِّماءُ (٧)

---

(١) ويروى :

آية شارق الشقيقة إذ جا ؤا جميعا لكل حى لواء

وبنو الشقيقة قوم من شيبان كانوا أغاروا على إبل عمرو بن هند وعليهم قيس بن معديكرب - وهو أبو الأشعث بن قيس - فردتهم بنو يشكر وقتلوا منهم . ويقال أن الشقيقة أيضا صخرة بيضاء . والظاهر أنهم كانوا من أحياء مختلفة لكل حى منهم لواء .

(٢) مستلئمين: لابسين الدروع ، حاملين الرماح والسيوف . قرظى : منسوبون إلى البلاد التى ينبت بها القرظ ، وهى بلاد اليمن . والقرظ معروف بمصر وبثمره وورقه تصبغ الثياب بعد غليه . العبلاء : الصخرة الصماء .

(٣) خربة ، المزاد : ثقب القربة الذى فى أسفلها .

(٤) ثم رددنا حجر بن أم قطام . وهو والد امرئ القيس حينما غزا المنذر ملك الحيرة فردته بكر بن وائل كما مر . وله فارسية خضراء: أى ومعه كتيبة خضراء من كثرة السلاح ، وأسلحتها من عمل أهل فارس .

(٥) يريد أن حجرا جاء فى قوة الأسد الهموس : أى الخفى الوطء . ومع ذلك فقد كان ربيعا فى سنة الشدة .

(٦) يريد بامرئ القيس : ابن المنذر الذى نحن بصدد الحديث عنه .

(٧) المراد برب غسان ، ذلك الملك الذى قتلته بكر وأخذ عمرو بن هند ابنته (ميسون) لا تكال الدماء : لا تذهب هدرا .

وفَدَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلَا ... كٍ كِرَامٍ أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ (١)



امرؤ القيس: مهلهل بن ربيعة التغلبى

هو امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جُشم بن بكر ابن حُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. وهو مهلهل الشاعر الفارس المشهور. وهو خال امرئ القيس بن حُجر الكندى الشاعر الأشهر. أول المراقسة.

الاختلاف فى اسمه ولقبه

من سماه امرأ القيس: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى، والعينى، والفيروزابادى، والسيوطى، واحتج من سماه بامرئ القيس بقوله:

* يَامْرَأَ القَيْسِ حَانَ وَقْتُ الفِرَاقِ *

من سماه عديا: محمد بن سلام الجمحى، وابن قتيبة. والبغدادى فى الخزانة.

---

(١) كان المنذر قد بعث بخيل من بكر بن وائل فى طلب بنى حجر بعد أن قتل حجر، وكانوا قد دنوا من اليمن فأدركوهم وظفروا بهم وأسلموهم إلى المنذر بالحيرة فأمر بذبحهم عند منازل بنى مرينا فى مكان بظاهر الحيرة سمى من يومئذ (جفر الأملاك) وفى ذلك يقول امرؤ القيس بن حجر.

ألا يا عين بكى لى شنينا ... وبكى للملوك الذاهبينا
ملوك من بنى حجر بن عمرو ... يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ... ولكن فى ديار بنى مرينا

يقول إنهم لو أصيبوا فى معركة يهاجون فيها أو يدافعون لقل الحزن عليهم، ولكنهم وأسفاه قد أصيبوا فى تلك الديار بالقتل دون أن يملكوا لأنفسهم نفعا ولا ضرا، لأنهم أخذوا مكبلين بالقيود والأغلال، ولذلك فالحزن عليهم طويل.

واحتج من سماه عديا بقوله :

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إلَيَّ وقَالَتْ يا عَدِيًا لَقَدْ وَقَتْكَ الْأَوَاقِي [(١)]

وزعموا أن الحارث بن عُباد اليشكري لق المهلهل في بعض حروبهم ولم يعرفه . ولو عرفه لقتله ، فلما عرفه بعد ، قال :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْـ ـرِفْ عَدِيًا إذْ أمْكَنَتْنِي الْيَدَانِ [(٢)]

من سماه مهلهلا : ابن قتيبة وأبو الحسن الأخفش وغيرهما . قالوا : وإنما سمي مهلهلا بقوله :

لمَّا تَوَعَّرَ فى الكُرَاعِ هَجِينُهُمْ هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ جَابِرًا أوْ صِنْبِلَا [(٣)]

وقيل : لأنه أوّل من قصد القصيد ، أي أطاله ، ولم يكن أحد قبله يقول عشرة أبيات . وأوّل من هلهل الشعر ؛ أي أرقّه بالغزل والنسيب ، وأجاد المراثى .

وهذه كلها تعليلات لا يستسيغها العقل الفاحص المنقب ، وأكثرها من اختراع الرواة الذى لا يمت إلى الحقيقة بسبب .

وقال المرزبانى : وقيل إن عديا هذا هو أخو مهلهل . وأحسب أنه هو الصحيح إن شاء الله تعالى . وروى سلمة بن عاصم النحوي لعدى بن ربيعة لما مات أخوه مهلهل وبعض آله وقومه قصيدة ذكر فيها من مات منهم

---

(١) ويروى : رفعت رأسها إليّ .

(٢) أمكنتني اليدان : يقول إن عديا قد وقع فى يدى أسيراً وتمكنت منه ثم أفلت منى ، فوالهفى على مافاتنى منه .

(٣) لما توعر : ويروى : لما توقل ، ولما توغل . توعر : تعسر . الكراع : أنف الحرة . وقيل : فى الغبار . هجينهم ، الهجين من الرجال من أبوه عربى وأمه غير عربية . ويريد به فيما قيل : امرأ القيس بن حمام وكان مع زهير بن جناب فى إحدى وقائعه مع بنى تغلب قبل حرب البسوس وفر من المهلهل هاربا . هلهلت : كدت وقاربت أثأر : أخذ بثأر جابر وصنبل رجلان من تغلب .

فى حروبهم مع بكر . وفى رواية أبى الفرج الأصبهانى عن عامر بن عبد الملك أن هذه الأبيات للمهلهل ، وهو عنده : عدى ـ والقصيدة هى :

طِفْلَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُجَلِّلِ بَيْضَا ... ءُ لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فى الْعِنَاقِ (١)

فَاذْهَبِى مَا إِلَيْكِ غَيْرُ بَعِيدٍ ... لَا يُوَاتِى الْعِنَاقُ مَنْ فى الْوَثَاقِ (٢)

ضَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَىَّ وقَالَتْ ... يا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ الْأَوَاقِى (٣)

مَا أُرَجِّى فى الْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَا ... ىَ أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَأْسِ حَلَاقِ (٤)

بَعْـــدَ عَمْرٍو وعَامِرٍ وحُيَىٍّ ... ورَبِيعِ الصَّدُوقِ وابْنَىْ عَنَاقِ (٥)

وامْرِئِ الْقَيْسِ مَيِّتٍ يَوْمَ أَوْدَى ... ثُمَّ خَلَّى عَلَىَّ ذَاتَ الْعَرَاقِى (٦)

وكُلَيْبٍ سُمِّ الْفَوارِسِ إِذْ حُـ ... ـمَّ رَمَاهُ الْكُمَاةُ بِالِاتِّفَـــاقِ (٧)

فارِسٌ يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيْـ ... ـفِ دِرَاكًا كَلَاعِبِ الْمِخْرَاقِ (٨)

---

(١) المجلل : المنعوت بالجليل . وهو هنا اسم شخص بعينه كما سيأتى .

(٢) لايواتى : لايساعد ولا يساعف . من فى الوثاق : من هو أسير الهموم والأحزان على الذاهبين من أهله .

(٣) ضربت نحرها . ويروى : ضربت صدرها . وذلك من جزعها عليه . وقتك الأواقى : تدعو له بأن تحيطه الواقيات بحفظها . وقد نسب الجوهرى هذا البيت إلى المهلهل ، وذكر الصاغانى أنه لأخيه عدى .

(٤) الكأس الحلاق : الشربة الحالقة لمن تجرعها ، أى المهلكة له .

(٥) يذكر فى هذا البيت أسماء من هلك من قومه .

(٦) وامرؤ القيس : يريد به المهلهل . إن كان الشعر لعدى أخ المهلهل . أو هو امرؤ القيس بن أبان التغلبى إذا كان الشعر لمهلهل . ذات العراقى : الداهية الكبرى .

(٧) سم الفوارس : الذى يميت الفرسان فى المعترك . حم : وقع الموت به وانقطع أجله . الكماة : الشجعان المتكمون بالسلاح .

(٨) دراكا : ضربا متتابعاً بغير توقف . المخراق : خرقة تفتل ويتضارب بها الصبيان المتلاعبون فهم يمرونها بأيديهم مرا سريعاً .

إنَّ تحتَ الأحجارِ حزمًا وعزمًا وخصيمًا ألدَّ ذا مِغْـلاقِ [1]

حيّةً في الوجارِ أربدَ لا يَنْـ ـفعُ منهُ السليمَ نفثةُ راقِ [2]

وزعموا أن أولاد ربيعة بن الحارث كانوا خمسة : كليب[3] وعدى ، وامرؤ القيس ، وسلمة ، وعبد الله . وعندى أنه لو صح أن اسم مهلهل عدى لم يمنع هذا أن يكون امرؤ القيس لقبه . وقد كان العرب يفعلون ذلك ، فهذا امرؤ القيس بن حجر قالوا إن اسمه الذى ولد عليه « حندج » غير أنه شهر بلقبه . وكذلك امرؤ القيس بن ربيعة فقد شهر بلقبه المنتزع من شعره ، فصار « مهلهل » أشهر من كل اسم ومن كل لقب لقب به .

وقد كان المهلهل من أصبح الناس وجها ، وأفصحهم لساناً ، وأشدهم بأساً ، وأشجعهم قلباً ، وأبرعهم فروسية ، فقد نشأ فى ساحات المعارك والمعامع ، ودرج فى ميادين الحروب والوقائع ، وقد رافق أخاه كليباً فى حروبه ومعاركه ، وظهر تميزه بالشجاعة والإقدام كما هو مشهور .

هذا ما رأيته فى شأن مهلهل وأوليته واسمه ولقبه . وقبل الدخول فى تفصيل باقى أخباره ، ورواية أشعاره ، أرى من المفيد الإلمام بحال قبائل ربيعة بن نزار وما كانت عليه العرب فى عهد ربيعة بن الحارث وكليب بن

(١) ألد : شديد الخصومة . ذا مغلاق : فصيح قوى الحجة بين البرهان ذا سلطان على خصمه ؛ إذا نازعه أخذ عليه سبل حجته فيغلقها فى وجهه فلا يكاد يبين .

(٢) حية فى الوجار : شبهه بالحية فى وجارها لاتستجيب لراق ، والحية تذكر وتؤنث . والسليم : اللديغ ، قيل له سليم على جهة التفاؤل .

(٣) كليب بن ربيعة : اسمه وائل ، وإنما لقب بكليب باسم الجرو الذى اتخذه يحمى المياه والكلأ بامتداد صوته ، فكان العرب يضربون المثل به فيقولون « أعز من كليب وائل » ثم كثر حتى سمى به وائل فصار كليبا .

ربيعة ، ثم أمر بحروب البسوس مراريًا لألخصها تلخيصاً كافياً. وذلك لأن حياة المهلهل مبسوطة فيها بسطاً شافياً . وفيها ظهرت مواهبه الحربية ، وفصاحته الشعرية . فأقول :

قبائل ربيعة بن نزار وسيادة ربيعة بن الحارث

كانت قبائل ربيعة وقبائل مضر ابنى نزار بن معد مفترقة فى أنحاء جزيرة العرب ، فكانوا فى ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة وما والاها من البلاد وانقطعوا إليها وانتشروا فيها ، فكانوا بالذنائب وواردات والأحص وشبيث وبطن الجريب والتغلبين وما حولها من المنازل من سائر جهاتها ، وكانت الحروب تنشب بينهما فى الفينة بعد الفينة . ولهذا كان للملوك التبابعة فى اليمن سلطان على شبه الجزيرة من جنوبها إلى شمالها ، فكانوا يولون العمال على معظم قبائل نزار ، ويبسطون عليها نفوذهم ، ويجبون منها إتاواتهم ، ويقومون على أحكامهم ، ولم يكن لأبناء نزار معهم قبض ولا بسط . وظلوا على ذلك دهراً طويلا . قالوا : ولم تجتمع قبائل معد كلها قبل كليب إلا على رجلين . أولهما : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث العدوانى ، [1] قادهم يوم البيداء ، وكانت أول وقعة بين

(١) كان عامر بن الظرب العدوانى من حكام العرب ومن عقلائهم ، وهو الذى يقال له « ذو الحلم » قاد قبائل قيس وهزم بهم إياداً ، وله وقائع أخرى ، ويعدفى المعمرين وفيه يقول المتلمس :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا	وما علم الإنسان إلا ليعلما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه	بكف له أخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذه حتف هذه	فلم تجد الأخرى عليها تقدما
فلما استقاد الكف بالكف لم يجد	له دركا فى أن تبينا فأحجما
فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى	مساغا لنابيه الشجاع لصمما

تهامة واليمن . وثانيهما : ربيعة بن الحارث ، قادهم فى الوقائع التى نشبت بينهم وبين قبائل اليمن، وعليها زهير بن جناب الكلبى ، وكان عاملا على ربيعة من قبل ملوك اليمن.

قال أبو عمرو الشيبانى : كان أبرهة [١] (بن الصباح) حين طلع نجداً أتاه زهير بن جناب فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب ، ثم أمره على ابنى وائل تغلب وبكر ، فوليهم حتى أصابتهم سنة شديدة ، فطالبهم زهير بالإتاوة فامتنعوا ، فأقامهم زهير فى الجدب ومنعهم النجعة ، حتى يؤدوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فدخل عليه ابن زيابة التيمى [٢] وكان

(١) اسم أبرهة كثير فى العرب ، وأكثر ما يكون فى ملوك الحبشة . وملوك اليمن ، وقد زعم بعضهم أنه اسم سريانى ، وقال بعضهم إنه اسم حبشى معناه ذو الوجه الأبيض ، وكل هذا غير صواب ، والأقرب إلى الحقيقة أنه اسم بابلى نقل إلى العبرية باسم إبراهيم ، وهو اسم الخليل عليه السلام ومعناه : أبو الجمهور . ومنه أخذ اسم أبرهة ، وإبرام ، وإبراهام . والمؤرخون مختلفون فى أسماء هؤلاء الأبارهة وفى أعمارهم وأماكنهم . والظاهر أن أبرهة هذا ـ وقد التقى بزهير بن جناب الكلبى ـ كان فى حوالى سنة ٥٦٠ م .

(٢) هو سلمة بن ذهل التيمى ، عرف بابن زيابة ، وهى أمه . وكان من الفتاك شاعرا ثائرا . فمن شعره قوله :

نبئت عمرا غارزا رأسه ... فى سـنة يوعد أخواله
وتلك منه غـير مأمونة ... أن يفعل الشىء إذا قاله
الرمح لا أملأ كفى به ... واللبـد لا أتبع تزواله
والدرع لا أبغى بها ثروة ... كل امرئ مستودع ماله
إنك ياعمرو وترك الندى ... كالعبد إذ قيـد أجماله
آليت لا أدفن قتلاكم ... فدخنوا المـرء وسرباله

وقال له الحارث بن همام الشيبانى :

أيا ابن زيابة إن تلقنى ... لا تلقنى فى النعم العازب =

أحد الفتاك ، وكان زهير نائماً فوضع السيف فى بطنه حتى أخرجه من ظهره ، غير أنه لم يصب أعفاج بطنه ' فسلم زهير ، وظن التيمى أنه قتله ، وسكت زهير ولم يتحرك من مكانه حتى خرج ابن زيابة وقال لقومه : قد والله قتلت زهيراً !؟ فسرهم ذلك . وكان زهير إذ ذاك فى نفر من قومه بمنزلة الشرط فحمله هؤلاء النفر ـ على أنه ميت ـ ودفنوه فى ظاهر الأمر ليخفوا حقيقته على بكر وتغلب ، ثم أخذوه وساروا به إلى أرض قومه ، فجمع الجموع من بنى كلب ، ومن انضم إليهم من شذاذ العرب ، ومن أطاعه من أهل اليمن وسار بهم نحو ديار بكر وتغلب ، فأصابهم على ماء يقال له « الحبى » فتلقوه وقاتلوه قتالا شديداً ، فهزمهم وقتل منهم قتلى كثيرة ، وأسر كليباً ومهلهلا ابنا ربيعة ، واستاق أموالهم ، وسبى نساءهم ، كما أسر جماعة من فرسانهم ووجوههم . وفى ذلك يقول زهير :

تَبًّا لِتَغْلِبَ أَنْ تُسَاقَ نِسَاؤُهُمْ ... سَوْقَ الْإِمَاءِ إِلَى الْمَوَاسِمِ عُطَّلَا [1]

لَحِقَتْ أَوَائِلُ خَيْلِنَا سَرَعَانَهُمْ ... حَتَّى أَسَرْنَ عَلَى الْحَبِيِّ مُهَلْهِلَا [2]

إِنَّا مُهَلْهِلَ لَا تَطِيشُ رِمَاحُنَا ... أَيَّامَ تَنْقُفُ فِى يَدَيْكَ الْحَنْظَلَا [3]

= وتلقـــنى يشتد بى أجرد ... مستقدم البركة كالراكب

فأجابه ابن زيابة :

ياهف زيابة للحارث الصـــابح فالغـــانم فالآيب

والله لو لاقيتـــه خاليا ... لآب سيفانا مع الغالب

أنا ابن زيابة إن تدعنى ... آتك والظن على الكاذب

(١) تبا لهم ، التب : الهلاك والتباب . عطل : لاحلى عليهن .

(٢) سرعانهم : أوائلهم . الحبى : ماء بموضع بأرض تهامة .

(٣) مهلهل هنا منادى . ينقف الحنظل : يكسره وينحى قشره ليستخرج لبه .

وَلَّتْ حُمَاتُكَ هَارِبِينَ مِنَ الوَغَى ... وَبَقِيتَ فِى حَلَقِ الحَدِيدِ مُكَبَّلَا (١)

فَلَئِنْ قَهَرْتَ لَقَدْ أَسَرْتُكَ عَنْوَةً ... وَلَئِنْ قَتَلْتَ لَقَدْ تَكُونُ مُرَمَّلَا (٢)

وقال يعير بنى تغلب بهذه الوقعة فى قصيدة أولها :

حَىِّ دَارًا تَغَيَّرَتْ بِالجَنَابِ ... أَقْفَرَتْ مِنْ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ

يقول فيها :

أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ مِن حَذَرِ المَوْ ... تِ إِذْ تَتَّقُونَ بِالأَسْلَابِ (٣)

إِذْ أَسَرْنَا مُهَلْهِلًا وَأَخَاهُ ... وَابْنَ عَمْرٍو فِى القَيْدِ وَابْنَ شِهَابِ (٤)

وَسَبَيْنَا مِنْ تَغْلِبٍ كُلَّ بَيْضَا ... ءَ رَقُودِ الضُّحَى بَرُودِ الرُّضَابِ (٥)

يَوْمَ يَدْعُو مُهَلْهِلٌ يَالَ بَكْرٍ ... هَا أَهَذِى حَفِيظَةُ الأَحْسَابِ (٦)

وَيْحَكُمْ وَيْحَكُمْ أُبِيحَ حِمَاكُمْ ... يَا بَنِى تَغْلِبٍ أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ (٧)

وَهُمْ هَارِبُونَ فِى كُلِّ فَجٍّ ... كَشَرِيدِ النَّعَامِ فَوْقَ الرَّوَابِى (٨)

---

(١) حماتك : أنصارك .

(٢) عنوة : قوة واقتداراً . مرمل : معفر بالرمال .

(٣) تتقون بالأسلاب : تجعلون أسلابكم وقاية لكم من القتل وتفرون عنها .

(٤) أخاه : كليب . ابن شهاب : هو الأخنس بن شهاب التغلبى الشاعر .

(٥) رقود الضحى : يعنى أنها عزيزة فى قومها مرفهة مخدمة ، لاتنهض من فراشها لحاجة تقضيها ، فهى لا تزال فى نومها حتى يرتفع النهار . برود الرضاب : عذبة الريق خصرته .

(٦) حفيظة الأحساب : هل هذه هى الغضبة للأحساب ؟

(٧) ابن الضراب : ابن القتال .

(٨) الروابى : المرتفعات من الهضاب .

وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْمَنَايَا عَلَيْهِمْ ... بِلُيُوثٍ مِنْ عَامِرٍ وَجَنَابِ [1]

طَحَنَتْهُمْ أَرْحَاؤُهَا بِطَحُونٍ ... ذَاتِ ظُفْرٍ حَدِيدَةِ الْأَنْيَابِ [2]

فَهُمْ بَيْنَ هَارِبٍ لَيْسَ يَأْلُو ... وَقَتِيلٍ مُعَفَّرٍ فِي التُّرَابِ

فَضَلَ الْعِزَّ عِزُّنَا حِينَ نَسْمُو ... مِثْلَ فَضْلِ السَّمَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ

ثم إن قبائل ربيعة أجمعت أمرها ، ولمت شمثها ، وأحكمت شأنها ، وكرت على جموع زهير فأنكت فيها ، واستردت أسلابها ، وافتكت أسراها . وجمعهم ربيعة بن الحارث إليه وهاجم بهم زهير بن جناب وقبائل كلب ومذحج ، الذين كان يقودهم ، والتقوا عند السُّلّان ، من أرض تهامة ، مما يلي اليمن ، فهزمهم وشتت شملهم ، ومزق مجتمع القبائل اليمنية ، التي كان عليها بعض أقيال حمير ، وفتكوا بهم ، وفضوا جموعهم . واستقلت بعد ذلك معد زمناً تحت سيادة ربيعة بن الحارث والد كليب والمهلهل إلى أواخر القرن الخامس الميلاد . وفي وقعة السُّلّان يقول كليب :

دَعَانِي دَاعِيَا مُضَرٍ جَمِيعًا ... وَأَنْفُسُهُمْ تَدَانَتْ لِاخْتِنَاقِ [3]

فَكَانَتْ دَعْوَةً جَمَعَتْ نِزَارًا ... وَلَمَّتْ شَعْثَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ [4]

أَجَبْنَا دَاعِيَيْ مُضَرٍ وَسِرْنَا ... إِلَى الْأَمْلَاكِ بِالْقُبِّ الْعِتَاقِ [5]

---

(١) عامر وجناب : حيان من أحياء بني كلب قوم زهير بن جناب .

(٢) طحنتهم : يعني المنايا .

(٣) يريد داعيا ربيعة ومضر ابني نزار .

(٤) لم تجتمع ربيعة ومضر إلا على ربيعة بن الحارث والد كليب ومهلهل .

(٥) الأملاك : يريد بهم أقيال اليمن الذين قادوا الجيوش مع زهير بن جناب الكلبي . القب العتاق : الخيل الضوامر الكرام .

عَلَيْهَا كُلُّ أَبْيَضَ مِنْ نِزَارٍ ... يُسَاقِي المَوْتَ كُرْهًا مَنْ يُسَاقِي [1]

أَمَامَهُمْ عُقَابُ المَوْتِ تَهْوِي ... هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا العَرَاقِي [2]

فَأَرْدَيْنَا المُلُوكَ بِكُلِّ عَضْبٍ ... وَطَارَ هَزِيمُهُمْ حَذَرَ اللِّحَاقِ [3]

كَأَنَّهُمُ النَّعَامُ غَدَاةَ خَافُوا ... بِذِي السُّلَّانِ قَارِعَةَ التَّلَاقِي [4]

فَكَمْ مَلِكٍ أَذَقْنَاهُ المَنَايَا ... وَآخَرَ قَدْ جَلَبْنَا فِي الوَثَاقِ [5]

إلا أنه فى أواخر عهد ربيعة اشتدت شوكة زهير ، واسترد ما كان له من نفوذ على معد ، فضرب عليهم الجزية ، وعسفهم عسفاً شديدا . فسار إليه كليب على رأس جيش فى عهد أبيه فهزمه بخزاز [6] وفرق جمعه . وكان زهير قد أسن ، فعاد إلى قومه معتزلا إمرة بنى معد . وروى الرواة أن مضر وربيعة اجتمعت بعد يوم خزازى [6] على أن يقيموا منهم ملكا يقضى بينهم ، فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ، ومن مضر ملك . ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر ، أن يكون الملك منهم . فكان خلاف تفاقم شره . فأجمع أشرافهم وذو الرأى فيهم على تدارك الحال ، وإصلاح ذات البين ، وجمع ما تفرق . فأداروا الرأى فيما بينهم فلم يجدوا أمامهم أفضل من أن يقصدوا الحارث بن عمرو المقصور ابن حُجر

---

(١) يساقيه : يعاطيه كأس الموت .

(٢) عقاب الموت : أرجح أنه يريد بها الراية التى اجتمعوا اليها وكانت تسمى العقاب

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) قارعة التلاقى : خافوا مقارعة الأبطال ، من بكر وتغلب ، فانهزموا كأنهم النعام الشارد .

(٥) جلبنا فى الوثاق : أسرناه وقدناه ذليلا فى الوثاق .

(٦) يقال : خزاز وخزازى ، وهو جبل بتهامة .

آكل المُرار ملك كندة ـ وهو جد امرئ القيس ـ وأن يولوه أمرهم ، ويلقوا إليه بأزمتهم ، ويبايعوه على النظر فى شؤونهم ؛ فلما حصلوا بين يديه ، وشكوا إليه ماهم فيه ، وتعهدوا له بالسمع والطاعة ، أجابهم إلى ما رغبوا فيه ، وأقام أولاده الخمسة ملوكا على قبائل نزار . فكان حُجر ـ أبو امرئ القيس ـ ملكا على أسد وغطفان وكنانة وأتباعهم ، وكان شُرحبيل على بكر وحنظلة ومن إليهم ، وكان معديكرب المعروف بغلفاء على تغلب والنَّمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن معهم ، وكان سلمة على قبائل قيس بأسرها ـ وقال ابن الكلبي : إن سلمة بن الحارث كان على تغلب وبكر ابنى وائل ـ وكان عبد الله على بقية قيس ومن والاهم . وكان عمرو ابن عنق الحية عامل خراج على تهامة ، ولبيد بن عنبسة الغسانى عامل خراج على ربيعة ومضر فى نجد .

واستتب السلم بين رؤساء ربيعة وملوك كندة زمناً أخذ فيه هؤلاء العهود عليهم دون غيرهم من القبائل ، لأنهم كانوا أشد العرب بأساً وأمنعهم جواراً ، وكانوا يقدمون إليهم الهدايا والمنح ويحسنون معاملتهم .

سيادة كليب على ربيعة

فلما مات ربيعة بن الحارث سيد قبائل ربيعة بن نزار ، فى أواخر القرن الخامس للميلاد خلفه كليب فى السيادة .

وكان لبيد بن عنبسة عامل ملوك كندة ، قد تزوج الزهراء أخت كليب ، فطغى على ربيعة ، وثقلت وطأته عليهم ، فأنكرت الزهراء عليه صنعه ربيعة ! فقال لها : ما بال أخيك كليب ينتصر لمضر ويتهدد الملوك كأنه يعز

بغيرهم ؟ فقالت : ما عرف أعز من كليب ؟ وهو كفؤ لها ! فغضب لبيد ولطمها لطمة أعشت عينها . فخرجت باكية إلى كليب وهى تقول :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ والحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... أَنَّا عَبِيدُ الحَىِّ مِنْ قَحْطَانِ (١)

حَتَّى أَتَتْنِي مِنْ لَبِيدٍ لَطْمَةٌ ... فَعَشَتْ لَهَا مِنْ وَقْعِهَا العَيْنَانِ (٢)

إِنْ تَرْضَ أُسْرَةُ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ ... تِلْكَ الدَّنِيَّــةَ أَوْ بَنُو شَيْبَانِ

لَا يَبْرَحُوا الدَّهْرَ الطَّوِيلَ أَذِلَّةً ... هُدْلَ الأَعِنَّةِ عِنْدَ كُلِّ رِهَانِ (٣)

فلما سمع كليب قولها ، ورأى ما بها من أثر اللطمة ، ثارت به حميته ، فهجم على أبيات لبيد وعلاه بالسيف فقتله ، وقال :

إِنْ يَكُنْ قَتْلُنَا المُلُوكَ خَطَاءً ... أَوْ صَوَابًا فَقَدْ قَتَلْنَا لَبِيدَا (٤)

وَجَعَلْنَا مَعَ المُلُوكِ مُلُوكًا ... بِجِيَادٍ جُرْدٍ تَفُلُّ الحَدِيدَا (٥)

نُسْعِرُ الحَرْبَ بِالَّذِي يَحَافُ النَّا ... سُ بِهِ قَوْمَكُمْ وَنُذْكِي الْوَقُودَا (٦)

أَوْ تَرُدُّوا لَنَــا الإِتَاوَةَ وَالْفَىْ ... ءَ وَلَا نَجْعَلَ الحُرُوبَ وَعِيدَا (٧)

(١) تريد بالحى من قحطان : ملوك كندة اليمنيين لأن قبائل اليمن كلها من سلالة قحطان

(٢) عشت : ضعفت وقل إبصارها .

(٣) هدل الأعنة : مسترخية أعنة خيولهم ذلة ومهانة .

(٤) يعنى سواء علينا أقتلنا الملوك فى حق أو فى باطل ، فقد قتلنا لبيدا ، وليكن ما يكون بعد ذلك .

(٥) الجياد الجرد : الخيل القصيرة الشعر من تضميرها والعناية بها . تفل الحديد : تقطعه . ويروى : تقل الحديد ، أى تحمله ، ويريد بالحديد هنا الأسلحة والدروع .

(٦) قومكم هنا بدل من الناس ، أى بالذى يخاف به القوم . وتذكى الوقود : تشعل نار الحرب .

(٧) الإتاوة والفىء : الخراج الذى كانت تجبيه عمال ملوك كندة .

إنْ تَلُمْنِي عَجَائِزٌ مِنْ نِزَارٍ فَأَرَانِي فِيمَا فَعَلْتُ مُجِيدَا

فلما رأت ربيعة أن كليباً قتل لبيداً ، أيقنت بأن الحرب واقعة بينها وبين ملوك كندة لا محالة . وكان للبيد أخ فخرج حتى أخبر ابن عُنق الحية بقتل أخيه ، فأبلغ ذلك إلى سَلَمة بن الحارث ملك قيس ، فبلغه إلى ملوك كندة وحمير باليمن ، فجهزوا جيشاً كبيراً وسيروه إلى ديار ربيعة .

وجاءت الأخبار إلى كليب بما أعدّ له أهل اليمن ، فنادى فى قومه بالغارة ، فأجابته القبائل من ربيعة ومضر وإياد وطيئ وقضاعة ، فعقد الألوية ، وتقدمهم برهطه الأراقم[1] حتى غشى جيوش اليمن فوقعت بينهم عدة وقائع . وكانت قبائل اليمن قد نزلت خَزَاز وعليهم عشرة من أقيال حمير . فلما علم كليب ذلك ألقى النفير فى جموعه وحضهم على الثبات . ثم قدم على كل قبيلة قائدا : فقدم الأحوص بن جعفر على مضر ، ومرة بن ذُهل أبا جساس على ذهل وشيبان ، وذُهل بن حارثة على ربيعة ، وطرفة بن العبد على قيس . وجعل على مقدمته سَلَمة بن خالد ، وهو السفاح التغلبى ، وأمره أن يعلو خزازى فيوقد النار ليهتدى بها الجيش ، وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين .

وكانت طلائع اليمن وبعض الأقيال قد سبقوهم إلى ماء الذنائب ، فسار إليهم كليب بجموعه فقتلهم عن آخرهم . ثم اتجه نحو خَزَاز فأوقد السفاح لهم النار ، فهجمت عليه قبائل مذحج وعليها سلمة بن الحارث ، فرفع السفاح ناراً أخرى[2] فأقبل كليب فى جموع ربيعة إليهم فصبحهم ، والتقوا بخزاز فاقتتلوا

(١) الأراقم : هم أحياء جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحرث بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب . وأصل الأراقم الحيات . تشبهوا بالحيات بشدة فتكها .

(٢) وفى ذلك يقول السفاح التغلبي :

قتالا شديداً دام أياما ، فانهزمت جموع اليمن وانتصرت نزار نصراً مؤزرا ، وفى ذلك يقول كليب :

لَقدْ عَرفتْ قحطانُ صَبْرِى ونَجْدَتى ... غَداةَ خَزَازَى والْحُقُوقُ دَوانِ (١)

غَداةَ شَفَيتُ النَّفْسَ مِنْ ذُلِّ حِمْيَرٍ ... وأوْرَثْتُهَا ذُلّا بِصِدْقِ طِعانِى (٢)

دَلَفتُ إلَيهِمْ بِالصَّفائحِ والقَنَا ... عَلَى كلِّ لَيْثٍ مِنْ بَنِى غَطَفَانِ (٣)

ووائِلُ قَدْ جَذَّتْ مَقَادِيمَ يَعْرُبٍ ... فَصَدَّقَهَا فى مَحْوِهَا الثَّقَلانِ (٤)

قال ابن الأثير : وكان يوم خزازى أعظم يوم التقته العرب فى الجاهلية ، فإن نزاراً لم تكن تنتصف من اليمن ، ولم تزل اليمن قاهرة لها فى كل شىء حتى كان يوم خزازى ، فلم تزل نزار ممتنعة قاهرة لليمن فى كل يوم التقوا به بعد خزازى حتى جاء الإسلام .

= وليلة بت أوقد فى خزازى ... هديت كتائبا متحيرات

ضلال من السهاد وكن لولا ... سهاد النوم أحسب هاديات

فكن مع الصباح على جذام ... ولخم بالسيوف المشهرات

وقال عمرو بن زيد أحد شعراء اليمن فى ذلك اليوم :

كانت لنا بخزازى وقعة عجب ... لما التقينا وحادى الموت يحديها

ملنا على وائل فى وسط بلدتها ... وذو الفخار كليب العز يحميها

قد فوضوه وساروا تحت رايته ... سارت إليه معد من أقاصيها

وحمير قومنا صارت مقاولها ... ومذحج الغر صارت فى تعانيها

(١) يريد بالحقوق : ما حق على كل مقاتل منهم من الموت ، أو الأسر ، أو الحياة

(٢) يريد من ذل أقيال حمير الذين كانوا يقودون جيوش اليمن وكندة .

(٣) الصفائح : السيوف الرقاق . والقنا : الرماح الطوال .

(٤) جذت مقاديم يعرب : أسرت رجال الحرب من يعرب بن قحطان وجزت نواصيها ، وهكذا كانت تفعل العرب .

ولما انتصر كليب وفض جموع اليمن وهزمهم فى هذه الوقعة ، اجتمعت عليه معد كلها ، وجعلوا له قَسم الملك وتاجه وتحيته وطاعته . فغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهو شديد فطغى وبغى على قومه ، حتى بلغ من بغيه أن كان يحمى مواقع السحاب فلا يُرعَى حماه . وكان له جِرْوُ كلب ، فإذا نزل بمكان فيه كلأٌ قذف بذلك الجرو فيه ، فلا يرعى أحد من ذلك الكلأ امتداد عوائه ، فيختص هو به ، ويشاركهم فى غيره ، حتى ضرب العرب به المثل فقالوا « أعز من كليب وائل » وكان يجير على الدهر فلا تخفر ذمته ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى ، فلا يهاج . ولا يورد مع إبله أحد . ولا توقد نار مع ناره . وكان قد حمى مكانا لا يطأ إنسان ولا بهيمة ، فدخل فيه يومًا فطارت قنبرة بين يديه عن بيضها فقال لها :

يا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِى ... لا تَرْهَبِى خَوْفًا ولا تَسْتَنْكِرِى [1]

قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْكِ فابْشِرِى ... ورُفِعَ الفَخُّ فماذا تَحْذَرِى [2]

---

(١) نقل الدميرى فى حياة الحيوان أن طرفة بن العبد كان مع عمه فى سفر وهو ابن سبع سنين ، فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ فنصبه للقنابر وبقى عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب فقال :

يالك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضى واصفرى

قد رفع الفخ فماذا تحذرى ... ونقرى ما شئت أن تنقرى

قد ذهب الصياد عنك فابشرى ... لا بد من أخذك يوما فاحذرى

مع أن كليبا كان أقدم من طرفة ، والدميرى لايعتد بروايته لأنه كان حاطب ليل يجمع الغث مع السمين ولعل طرفه كان حفظ أبيات كليب وتصرف فيها بما لاظرفه.

(٢) حذف النون من تحذرين لوفاق القافية .

خلا لكِ الجوُّ فَبيضِي واصْفِرِي ... ونقِّري ما شِئْتِ أنْ تُنقِّرِي[1]
فأنتِ جارِي مِنْ صُرُوفِ الحَذَرِ ... إلى بُلوغِ يَوْمِكِ المُقَــدَّرِ

وكان كليب قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وكان لها عشرة إخوة هم : همام ، ونضلة ، ودبب ، وكسر ، وسيار ، وجندب ، وسعد ، وبجير ، والحارث ، وجساس ، وهو أصغرهم . وكان بنو جشم وبنو شيبان قد نزلوا فى منزل واحد بتهامة . فجاءت خالة لجساس تسمى « البسوس بنت منقذ التميمية » حتى نزلت فى جوار جساس ، وكان لها ناقة يقال لها سراب . وقيل إن الناقة كانت لرجل من جرم كان جاراً للبسوس[2]. فخرج كليب ومعه جساس يوما يتفقدان إبلهما فى مراعيها ، وكانت إبل كليب وجساس مختلطة ترعى فى مكان واحد ، فرأى كليب سراب فأنكرها ! فقال له جساس : هذه ناقة جارنا الجرْمىّ ! فقال : لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحِمَى ! فقال جساس : لا ترعى إبلى مرعى إلا وهذه معها . فقال كليب : لئن عادت لأضعنّ سهمى فى ضرعها ؟ فقال جساس : لئن وضعت سهمك فى ضرعها لأضعن سنان رمحى فى صلبك ..؟ ثم افترقا .

وقال كليب لامرأته : أترين أن فى العرب رجلا مانعاً منى جاره ؟ فقالت : لا أعلم إلا جساسا ! فحدثها الحديث ، فكانت بعد ذلك تمنعه من الخروج إلى الحىّ وتناشده الله أن لا يقطع رحمه ، وكانت تنهى أخاها جساساً عن تسريح إبله .

(١) قال أبو عمرو : المراد بالجو هنا ما اتسع من الأودية .
(٢) وهذا هو الأرجح .

مقتل كليب

فخرج كليب يوماً إلى الحمى فرأى بيض القنبرة قد وطئته سراب فكسرته ، فغضب وجعل يقول :

يا طَيْرةً بَيْنَ نَبَاتٍ أَخْضَرِ جاءتْ عَلَيْهَا نَاقَةٌ بِمُنْكَرِ

إِنَّكِ في حِمَى كُلَيْبِ الأَزْهَرِ حَمَيْتُهُ مِنْ مَذْحِجٍ وحِمْيَرِ

فَكَيْفَ لا أَمْنَعُهُ مِنْ مَعْشَرِي .

وأمر غلامه فرمى ضرعها بسهم فخرقه ، وعقر فصيلها ، ثم طرد إبل جساس عن مياه شُبَيْث والأحص ، حتى أخذ منها العطش . وقال :

سَيَعْلَمُ آلُ مُرَّةَ حَيْثُ كانُوا بِأَنَّ حِمَايَ لَيْسَ بِمُسْتَبَاحِ

وأَنَّ لَقُوحَ جارِهِمُ سَتَغْدُو عَلَى الأَبْيَاتِ غَدْوَةَ لا بَرَاحِ (١)

وتُضْحِي بَيْنَهُمْ لَحْماً عَبِيطاً يُقَسِّمُهُ المُقَسِّمُ بِالقِـداحِ (٢)

وظَنُّوا أَنَّنِي بِالحِنْثِ أَوْلَى وأَنِّي كُنْتُ أَوْلَى بِالنَّجَاحِ (٣)

إذا عَطَفَتْ سَرَابُ بِفِرْسِنَيْهَا تَبَيَّنَتِ المِرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ (٤)

ومَا يُسْرَى اليَدَيْنِ إذا أَضَرَّتْ بِهَا اليُمْنَى بِمُدْرِكَةِ الفَلاحِ

بَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانٍ خُذُوهَا فَمَا في ضَرْبَتَيْهَا مِنْ جُنَاحِ

ونفرت سراب من وقع السهم ولها عجيج حتى بركت بفناء دار البسوس وضرعها يشخب دما ولبنا ، فلما رأى الجرمىُّ ما حل بناقته صرخ واذلاه ،

---

(١) اللقوح : هى الناقة المسماة سراب . غدوة لا براح : أى أنها لن تبرح مكانها بعد الآن لأنها ستقتل .

(٢) اللحم العبيط : الطرى الذى لايزال بدمه . القداح : السهام .

(٣) الحنث : اليمين الكاذبة . وأنى : والحال أنى كنت الخ .

(٤) بفرسنيها : بطرفى خفيها .

فخرجت البسوس إليه فلما رأت ما بناقته نزعت خمارها، وصكت وجهها، ووضعت يدها على رأسها وصرخت : واذلاه ! واذل جاراه ! والجرمى يدعو بالويل . فقال لها جساس : اسكتى فلك بناقتك ناقة أعظم منها ! فأبت، فزادها إلى عشراً . فلما كان الليل رفعت صوتها ـ لتُسمع جساساً ، وهى تخاطب جارها سعداً الجرمىْ صاحب الناقة ـ تقول :

أيا سَعْدُ لا تَغْرُرْ بِنَفْسِكَ وارتَحِلْ فإنّكَ فى قَوْمٍ عَنِ الجارِ أمواتِ[1]

ودُونَكَ أذْوَادِي إلَيْكَ فإنّنِي مُحاذِرَةٌ أنْ يَغْدِرُوا بِبنَيّاتِى[2]

لَعَمْرِى لَوْ أَصْبَحْتُ فى دارِ مُنقِذٍ لَمَا ضِيمَ سَعْدٌ وهُوَ جارٌ لأبياتى[3]

ولَكِنّنِى أصْبَحْتُ فى دَارِ غُرْبَةٍ مَتَى يَعْدُ فِيها الذِّئْبُ يَعْدُ عَلَى شاتِى

فلما سمع جساس صوتها سكّنها وقال لها : اسكتى ولا تراعى ، وسكّن الجرمىْ ، وقال لهما : والله لأعقرن جملا عظيما غداً، هو أعظم عقراً من ناقتك ! فبلغ كليباً قوله فظن أنه أراد عقر (عُلَيّان) وهو فحل كريم لم ير فى زمانه مثله . فقال: هيهات، دون عقره خرطُ القتاد فى الليلة الطَّخياء . وإنما أراد جساس بمقالته كليباً، ثم أنشأ جساس يقول :

إنّمَا جَارِي لَعَمْرِي فاعْلَمُوا أدْنَى عِيالِي

وأرَى لِلْجارِ حَقًّا كيَمِينِي مِنْ شِمَالِي

وأرَى نَاقَةَ جارِي فاعْلَمُوا مِثْلَ جِمَالِي

إنّمَا نَاقَةُ جارِي فى جِوَارِي وظِلالِي

---

(١) لا تغرر : لا تخدع نفسك.

(٢) أذوادى : جمع ذود ، وهى النوق دون العشرة .

(٣) منقذ : قبيلة البسوس . ويروى : فى دار منقر ، وأظنها أصح .

إنَّ لِلجَارِ عَلَيْنَا رَفْعَ ضَيْمٍ بِالعَوَالِي
فَأَقِلِّي اللَّوْمَ مَهْلًا دُونَ عِرْضِ الجَارِ مَالِي
سَأُؤَدِّي حَقَّ جَارِي وَيَدِي رَهْنُ فِعَالِي
أَوْ أَرَى المَوْتَ فَيَبْقَى لُؤْمُهُ عِنْدَ رِجَالِي

وكان المهلهل بعد أن شهد مع أخيه كليب حروبه ووقائعه، وهو شاب طرير، فأظهر فيها من الشجاعة والبسالة والإقدام مابشر بمستقبل له رائع، فلما استتب الأمر لكليب مال المهلهل إلى عيشة الترف والاستهتار، ومعاقرة الخمر، مع همّام بن مُرة، وكان كثير اللهو والعبث ومجالسة النساء ومغازلتهن، فلما بدأ قرن الفتنة ينجم بين كليب وجساس، أراد مهلهل أن يلطف من حدة كليب ويطامن من كبريائه، ويرده عن غيه، فغضب كليب وقال له: إنما أنت زير نساء[1] والله لئن قُتلتُ ما أخذت بدمى إلا اللبن؟[2] فقال المهلهل أبياته التى أولها «أخ وحريم سيئ إن قطعته» وقد ذكرناها فيما يأتى من شعره. فأجابه كليب بقوله:

سَأَمْضِى لَهُ قُدُمًا وَإِنْ شَابَ فِى الَّذِى أَهُمُّ بِهِ فِيمَا صَنَعْتُ المَقَادِمُ[3]
مَخَافَةَ قَوْلٍ أَنْ يُخَالِفَ فِعلَه وَأَنْ يَهْدِمَ العِزَّ المُشَيَّدَ هَادِمُ

ولما بلغ جساس هذه الأبيات رد على كليب فقال:

إِنِّى وَرَبِّ الشَّاعِرِ المَغْرُورِ وَبَاعِثِ المَوْتَى مِنَ القُبُورِ

(١) زير النساء: من يكثر مجالستهن ومحادثتهن.

(٢) يريد باللبن أنه يأخذ عن دمه فداء من نوق حوالب وغيرها.

(٣) سأمضى قدما: سأقدم على ما عزمت عليه وان أرجع عنه، وإن كان فيه من الكوارث ما تشيب له النواصى.

وعالمِ المكنونِ في الضميرِ إنْ رُمْتَ منها مَعقِرَ الجزورِ[1]
لأثبنّ وثبـةَ المغيرِ الذئبِ أو ذي اللبدةِ الهصورِ[2]
بصارمٍ ذي قَبَسٍ مشهورِ

ثم انتجع الحي فمروا على نِهْي[3] يقال له « شُبَيْث » فنهاهم كليب عنه، ثم مروا على آخر يقال له « الأحص » فنهاهم عنه. ثم ساروا حتى نزلوا على « الذنائب » فمر جساس ومعه رمحه، وفي صحبته عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان برمحه، فدخلا على كليب الحيّ وهو على غدير الذنائب منفرداً، فقال له جساس: أطردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً!؟ فقال كليب: مامنعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون. فقال جساس: هذا كفعلك بناقة خالتي!؟ قال: أو قد ذكرتها؟ أما إني لو وجدتها في غير إبل مُرة لاستحللت تلك الإبل. فضربه جساس فأرداه، وبه رمق، فقال له:

أغثني يا جَسّاسُ منكَ بشربةٍ تعوّدْها فضلاً عليّ وأنعُمَا

فقال له جساس: تجاوزت الأحص وشبيثاً - يعني أنه تباعد عن موضع الماء. ثم نزل عمرو بن الحارث فظنه يسقيه، فلما علم أن نزوله للاجهاز عليه قال:

المُستجيرُ بعمرٍو عندَ كُربتِهِ كالمُستجيرِ منَ الرَّمضاءِ بالنّارِ

فطعنه فقصم صلبه. ثم أجهزا عليه. ولذلك قال مهلهل:

قتيلٌ مَا قتيلُ المرءِ عمرٍو وَجسّاسُ بنُ مُرّةَ ذا ضَريرِ

(١) معقر الجزور: عقر الناقة سراب.
(٢) ذو اللبدة الهصور: الأسد.
(٣) النهي: غدير تصب فيه مياه الغدران.

وبينا مُرة أبو جساس فى نادى قومه رأى جساساً مقبلا يركض فى حالة ذُعر ، فقال : والله لقد جرجساس جريرة عظيمة . ثم وقف على أبيه فقال له : قد قتلت كليباً ! فقال مرة : إذن نسلمك بجريرتك ونريق دمك فى صلاح العشيرة ، فلا أنا منك ولا أنت منى ! فوالله لبئس مافعلت ، ووددت أنك وإخوانك متم قبل هذا ؟ فرقت جماعتك ، وأطلقت حربها ، وقتلت سيدها ورئيسها فى شارف من الإبل ، والله لاتجتمع وائل بعدها أبداً ، ولا يقوم لها عماد فى العرب . فجعل جساس يقول :

تَأَهَّبْ مِثْلَ أُهْبَةِ ذِى كِفَاحٍ ... فَإِنَّ الْأَمْرَ جَلَّ عَنِ التَّلَاحِى

فَإِنِّى قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْباً ... تَغُصُّ الشَّيْخَ بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ

وَمُذْكَرَةً مَتَى مَا يَصْحُ مِنْهَا ... فَتًى نَشِبَتْ بِآخَرَ غَيْرِ صَاحِ

تَسَعَّرُ نَارُهَا وَهْجًا وجاءتْ ... إِذَا خَمَدَتْ كَنِيرَانِ الْفِصَاحِ [(١)]

مَا تَنْفَكُّ نَائِحَةٌ تَعَزَّى ... بِمَا نَدَبَتْ وَتُعْلِنُ بِالنُّوَاحِ

تَعَدَّتْ تَغْلِبٌ ظُلْماً عَلَيْنَا ... بِلَا جُرْمٍ يُعَدُّ وَلَا جُنَاحِ

سِوَى كَلْبٍ عَوَى فى بَطْنِ قَاعٍ ... لِيَمْنَعَ حِمْيَةَ الْقَاعِ الْمُبَاحِ [(٢)]

فَلَمَّا أَنْ رَأَيْنَا وَاسْتَبَنَّا ... عُقَابَ الْبَغْىِ رَافِعَةَ الْجَنَاحِ

صَرَفْتُ إِلَيْهِ نَحْساً يَوْمَ سُوءٍ ... لَهُ كَأْسٌ مِنَ الْمَوْتِ الْمُتَاحِ

تُنَكِّلُ عَنْ ذِئَابِ الْبَغْىِ قَوْماً ... وَتَدْعُو آخَرِينَ إِلَى الصَّلَاحِ ؟

---

(١) نيران الفصاح : النيران التى كانت توقدها نصارى العرب فى أعياد الفصح والظاهر أنهم كانوا يبالغون فى إشعالها .

(٢) سوى كلب : يريد الجرو الذى اتخذه كليب للحمى .

ذَرِينِي قَدْ طَرِبْتُ وحانَ مِنِّى طِرَادُ الخَيْلِ عارِضَةَ الرِّمَاحِ
ومالِى هِمَّـةٌ أَرْجُو إِخَاهَا سِوَى الخَطِّىِّ والفَرَسِ الوَقَاحِ (١)

فاعترض القوم على مرة وقالوا له : لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وإياك . فأمسك مُرة ، وغمس يده مع ابنه فى عهد الحرب وأخذ يستعد لها ، وأجاب جساساً بقوله :

لَئِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَىَّ حَرْبًا تَغِصُّ الشَّيْخَ بِالمَاءِ القَرَاحِ
جَمَعْتَ بِهَا يَدَيْكَ عَلَى كُلَيْبٍ فَلَا وَانٍ وَلَا رَثُّ السِّلَاحِ
ولٰكِنِّى عَلَى العِلَّاتِ أَجْرِى إلى المَوْتِ المُذِيقِ مَعَ الصَّبَاحِ (٢)
وإِنِّى حِينَ تَشْتَجِرُ العَوَالِى أُجِرُّ الرُّمْحَ فى إِثْرِ الجِرَاحِ (٣)
شَدِيدُ البَأْسِ لَيْسَ بِذِى عَيَاءٍ ولٰكِنِّى أَبُوءُ إِلَى الفَـلَاحِ (٤)
سَأَلْبَسُ ثَوْبَهَا وأَذُبُّ عَنْهَا بِأَطْرَافِ العَـوَالِى والصِّفَاحِ
لَعَمْرِى مَا أُبَالِى حِينَ جُرَّتْ عَلَىَّ الحَرْبُ بِالقَـدَرِ المُتَاحِ
فَإِنِّى قَدْ طَرِبْتُ وهَاجَ شَوْقِى طِرَادُ الخَيْـلِ عَارِضَةَ الرِّمَاحِ
وأَجْمَلُ مِنْ حَيَاةِ الذُّلِّ مَوْتٌ وبَعْضُ العَارِ لا يَمْحُوهُ مَاحِ

ثم قال مُرة لبنيه : اظعنوا بنا عن مجاورة القوم حتى ننظر ماذا يصنعون . فظعنوا حتى نزلوا بماء يقال له « النِّهْىُ » وأخذوا يجلون الأسنة ،

---

(١) الخطى : الرمح . الفرس الوقاح : التام الخلق المستحكم السن .

(٢) على العلات : أى على أى حال كان من قطع صلة الرحم ، والدخول فى حرب ليس المغلوب فيها بأشد خسارة من الغالب .

(٣) أجر الرمح : اتركه فى أثر الطعنة .

(٤) أبوء : أعود وأرجع إلى ما فيه الفلاح والصلاح

ويشحذون السيوف ، ويقوّمون الرماح . ومضى جساس على وجهه .

وكان هَمّامُ بن مُرة قد آخى مهلهلا وصادقه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً . فبيناهما يتنادمان على شراب جاءت أمَةٌ فأسرت إلى همام الخبر، فقال له مهلهل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره . فذكّره العهد ، فقال : تقول : إن أخي قتل أخاك ؟ فقال : باع أخيك أقصر من ذلك ! فسكت . وأقبلا على شرابهما ، وجعل مهلهل يشرب شرب الآمن ، وهمام يشرب شرب الخائف ؛ فلم تلبث الخمر أن أخذت من المهلهل مأخذها ، فانسل همام ولحق بقومه . وكان قتل كليب فى أواخر القرن الخامس الميلاد .

وعاد المهلهل إلى الحى فى حالة السكر فراعه أن رأى قومه قد تملكهم الجزع فأخذوا يعقرون خيولهم ، ويكسرون سيوفهم ، ويقصفون رماحهم ؛ فوقف فيهم وقال : ويحكم ما الذى دهاكم ؟ ! فأخبروه بما كان من قتل كليب ، فقال : لقد ذهبتم شر مذهب ! أتعقرون خيولكم حين احتجتم إليها ؟ وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليها ؟ فانتهوا عن ذلك ؟ ثم نهى النساء عن البكاء وقال : استبقين للبكاء عيوناً تبكى إلى آخر الأبد... ! فظن قومه أن ذلك بدافع السكر . ثم ذهبوا فأحضروا جثة كليب ودفنوها بالذنائب . والذنائب على يسار ولجّة للمصعد إلى مكة .

وخرج إلى قبره أبكار الحى ، وذوات الخدور ، والعواتق من النساء ، فشقوا الجيوب ، وخمشوا الوجوه . ثم خرجت جليلة إلى بيت أبيها فى حالة وَلَه ، فشيعتها أخت كليب بقولها : رحلة المعتدى ، وفراق الشامت ، ويل غداً لآل مُرة ، من الكرة بعد الكرة . فقالت جليلة : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ ! أسعد الله جد أختى ، أفلا قالت :

نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ؟ ! ثم أنشأت تقول :

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إنْ لُمْتِ فَلَا	تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتِ الَّذِي	يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي وَاعْذِلِي
إنْ تَكُنْ أُخْتُ امْرِئٍ لِيمَتْ عَلَى	جَزَعٍ مِنْهَا عَلَيْهِ فَافْعَلِي
جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسَ فَيَا	حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَى أَوْ يَنْجَلِي
فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ	قَاصِمٌ ظَهْرِي وَمُدْنٍ أَجَلِي
لَوْ بِعَيْنٍ فُقِئَتْ عَيْنِي سِوَى	أُخْتِهَا فَانْفَقَأَتْ لَمْ أَحْفِلِ
تَحْمِلُ الْعَيْنُ أَذَى الْعَيْنِ كَمَا	تَحْمِلُ الْأُمُّ أَذَى مَا تَفْتَلِي
يَا قَتِيلًا قَوَّضَ الدَّهْرُ بِهِ	سَقْفَ بَيْتَيَّ جَمِيعًا مِنْ عَلِ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ	وَانْثَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثَبٍ	رَمْيَةَ الْمُصْمَى بِهِ الْمُسْتَأْصَلِ
يَا نِسَائِي دُونَكُنَّ الْيَوْمَ قَدْ	خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ
مَسَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَظًى	مِنْ وَرَائِي وَلَظًى مُسْتَقْبَلِ
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ	إنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
يَشْتَفِي الْمُدْرِكُ بِالثَّأْرِ وَفِي	دَرَكِي ثَأْرِيَ ثُكْلُ الْمُثْكِلِ
لَيْتَهُ كَانَ دَمًا فَاحْتَلَبُوا	دِرَرًا مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْحَلِي
إنَّنِي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ	وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَاحَ لِي

حرب البسوس

ثم أخذ الحزن من المهلهل على أخيه شرّ مأخذ ، فجعل يبكي عليه

ويندبه ويرثيه بالأشعار ، ويتوعد بنى مرة ويتهددهم ، وظل على ذلك زمناً حتى داخل قومه اليأس منه ، وقالوا : لقد صدق كليب ، ماهو إلا زير نساء . وسخرت منه بكر ، وهمّ بنو مُرة بالعود إلى الحى . فلما بلغ المهلهل ذلك ثارت حميته فشمر للحرب ، وجمع أطرافه ، ونادى فى قومه بالاستعداد لأخذ الثأر ، ثم جزّ شعره ، وقصر ثيابه ، وهجر لهوه ، وخمره ، وقره . فاجتمع إليه وجوه قومه وأشرافهم ، فبعث إلى بنى شيبان فأتوا مُرة بن ذهل ، وهو فى ناديه ، وعنده أشراف قومه ، فعظموا ما بينهم من وشائج القربى ، وصلات النسب ، وقالوا : إنكم أتيتم أمراً عظيما بقتلكم كليباً بناب من الإبل ؛ فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرم بيننا وبينكم ؛ وقد كرهنا العجلة دون الإعذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم إحدى خلال أربع ، لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة : ماهى ؟ قالوا : إما أن تحيى لنا كليباً ؛ أو تدفع إلينا جساساً قاتله نقتله به ؛ أو هماماً فإنه كفء له ؛ أو تمكننا من نفسك ، فإن فيك وفاء من دمه ! فقال : أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ؛ وأما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عَجَل ثم ركب رأسه فلا أدرى أى البلاد قصد ؛ وأما همّامُ فإنه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، كلهم فرسان قومه ، فلن يسلموه إلىّ فأدفعه إليكم ليقتل بجريرة غيره ؛ وأما أنا ، فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فيها ! فما أتعجل من الموت !! ولكن لكم عندى إحدى خصلتين : أمّا إحداهما فهؤلاء بَنِىَّ الباقون فعلقوا فى عنق من شئتم نِسعة[1] وانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه بصاحبكم ، وإلا فإنى أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق ، حُمر الوبر ،

(١) النسعة : سير رفيع من الجلد المدبوغ .

أقيم لكم بها كفيلا من بكر بن وائل . فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت في الجواب ، أتسومنا اللابن من دم كليب ؟ !

ولما بلغ المهلهل ما قاله مرة استعد للحرب ، وشمر عن ساعده ، وأخذت بنو تغلب في جمع متفرقها ، ولم شعثها ، ودعت إليها النَّمِرَ بنَ قاسط فانضمت إليها ، ولحقت بهم غُفَيلة بن قاسط ، فكانوا يداً واحدة على بني شيبان ومن لف لفهم . واعتزلت قبائل من بكر بن وائل وكرهوا مساعدة بني شيبان على قتال إخوتهم بني تغلب ، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنت لجيم عنهم ، وكفّت يَشكر عن نصرتهم ، وانقبض الحارث بن عُباد في أهل بيته . ثم زحفت بنو تغلب ومن معهم ، وعليهم المهلهل إلى بني شيبان ومن انضم إليهم ، وعليهم الحارث بن مرة ، فكانت بينهم وقائع في أيام معروفة بأسمائها فنها :

يوم النِّهْي ، وكانت شيبان نازلة عليه . فالتقوا عنده ، فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيبان ، واسْتَحَرّ القتل فيهم ، غير أنه لم يصب من بني مرة أحد في ذلك اليوم .

ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم أيامهم ، فظفرت تغلب وقتل من بني شيبان ومن معهم من بكر مقتلة عظيمة ، فقد قتل فيها شراحيل بن مرة بن همام ابن مُرة بن ذُهل بن شيبان ـ وهو جد الحوفزان ، وهو الحارث بن شَريك ابن عمرو بن قيس بن شراحيل ـ قتله عتاب بن قيس بن زهير بن جُشم ؛ وقتل الحارث بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قتله كعب بن زهير بن جُشم ؛ وقتل عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ؛ وقتل جميل بن مالك ابن تيم الله ، وعبد الله بن مالك بن تيم الله ؛ وقتل سعد بن ضُبيعة

ابن قيس ، وتيم بن قيس بن ثعلبة ـ وهو أحد الخَرِفِينَ وكان شيخاً كبيرا ، ورأساً من رءوس بكر . قتله عمرو بن مالك بن الفَدَوْكس جد الأخطل الشاعر . فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر فى هذا اليوم ، غير من أصيب من أشياعهم .

ثم التقوا بواردات [1] ، فظفرت بنو تغلب بعد قتال عنيف ، واستحر القتل فى بنى شيبان ومن معهم من بكر ، وفى هذا اليوم قُتل شَمِر وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، وسيار بن الحارث بن سيار ؛ وفيه قتل همام بن مرة [2] أخو جساس فمر به مهلهل مقتولا فقال له : والله

---

(١) وقد شهد هذه الوقعة الفند الزمانى فى صفوف بنى شيبان ، وكان فارسا مغواراً وشاعراً مجيداً ، وكان إذ ذاك شيخا كبيراً ، وفيها يقول :

لقيت تغلب كعصبة عاد ... إذ أتاهم هول العذاب صباحا
ونهينا عن حربنا تغلب الشو ... س فما عافت البلاء المتاحا
دون أن أبصرت خيولا لبكر ... وسيوفا هنــدية ورماحا
فقتلنــا بواردات رجالا ... إذ بدا كاتم الضمــير فباحا
ورجت تغلب تعيــد كليبا ... فأطحنا سراتهم حيث طاحا
قد تركنا نساءهم معولات ... معلنــات مع البكاء نواحا
وتركنا ديار تغلب قفراً ... وكسرنا من الغواة جناحا
بقيت بعده الجليــلة تبكى ... والخدود البيضاء تدعو لحاحا
وترى الزير يمعج القول فينا ... بعد ما صار مفرداً مستباحا

يؤخذ من شعر الفند الزمانى أن بنى شيبان كان لهم بلاء عظيم ونكاية بالغة فى بنى تغلب ومن معهم . والظاهر من شأن الفريقين المتقاتلين أنهما كانا متعادلين فى حومة المعترك، وأن القتل كان مستحرا فى رجال القبيلين فى هذا اليوم .

(٢) وكان همام بن مرة شاعرا ، ولم أعثر له إلا على البيتين الآتيين وهما مشهوران . قال :

ما قتل بعد كليب قتيل هو أعز عليّ فقداً منك ! وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبداً ! قتله ناشرة ، وكان همام رباه وكفله . وكاد جساس يؤخذ في هذا اليوم لولا أنه سلم ففر منهزماً إلى الشام .

ثم التقوا بعُنيزة ، وهو عند فُلجة ، فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة ، كل ذلك كانت الدائرة فيه لبني تغلب على بني بكر فيما يرجح .

ولما أسرف المهلهل في القتل ، ولم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر أوقع ، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليباً ، وفي هذه الأثناء قتل جساس هارباً بالشام ، قتله أحد بني تغلب ، فأرسل أبوه مرة إلى المهلهل يقول : إنك قد أدركت ثأرك بقتل جساس ، فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف ، وأصلح ذات البين ، فهو أبقى للحيين وأنكى لعدوهم ! فلم يجبه المهلهل .

حرب بكر وتغلب بقيادة الحارث بن عباد

فذهب رؤساء بكر إلى الحارث بن عباد ـ وكان معتزلاً تلك الحروب قائلاً « لا ناقة لي فيها ولا جمل » ـ فقالوا له : أدرك قومك فقد تفانوا ! فأرسل بجيراً ابن أخيه عمرو بن عُباد إلى المهلهل وقال للرسول معه قل له :

= وإذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
هـــذا لعمركم الصغار بعينـــه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب

وزعم بعض الرواة أن قائل هذا الشعر هو عمرو بن الغوث الطائي . قالوا وهو أول من قال الشعر في طيء بعد طيء ، أي بعد جدهم الأعلى .

إن الحارث يقول لك : إنك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثأرك ، سوى ما قتلت من بكر ، وقد أرسلتُ إليك ابن أخي فإمّا قتلته بأخيك وأصلحت بين الحيين ، وإما أطلقته وأصلحت ذات البين ، فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيراً لنا ولكم .

فلما حضر الغلام بجير إلى المهلهل وأبلغه الرسالة ، نظر إليه المهلهل وشرع فيه الرمح ! فنهاه امرؤ القيس بن أبان التغلبي فلم ينته ، وطعنه بالرمح وقال : بُؤْ بِشِسْعِ نَعل كليب ! فقال الغلام : إن رضيت بنو بكر رضيت ! وبلغ الحارث بن عُباد قتله فقال : نِعم الغلام أصلح بين ابنى وائل وباء بكليب . فقيل له : إن مهلهلا قال له : بؤ بشسع نعل كليب !؟ فغضب الحارث عند ذلك ونادى بالثأر ؛ ودعا بفرسه النعامة وقال :

كلُّ شيءٍ مَصِيرُهُ لِلزَّوالِ ... غَيْرَ رَبِّي وَصَالِحِ الأَعْمَالِ [1]

وتَرَى النَّاسَ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا ... لَيْسَ فِيهِمْ لِذَاكَ بَعْضُ احْتِيَالِ

قُلْ لِأُمِّ الأَغَرِّ تَبْكِي بُجَيْرًا ... حِيلَ بَيْنَ الرِّجَالِ والأَمْوَالِ

ولَعَمْرِي لَأَبْكِيَنَّ بُجَيْرًا ... مَا أَتَى المَاءُ مِنْ رُءُوسِ الجِبَالِ

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى بُجَيْرٍ إذَا مَا ... جَالَتِ الخَيْلُ يَوْمَ حَرْبٍ عُضَالِ

وتَسَاقَى الكُمَاةُ سُمًّا نَقِيعًا ... وبَدَا البِيضُ مِنْ قِبَابِ الحِجَالِ

وسَعَتْ كُلُّ حُرَّةِ الوَجْهِ تَدْعُو ... يَا لَبَكْرٍ غَرَّاءُ كالتِّمْثَالِ

يَا بُجَيرَ الخَيْرَاتِ لَا صُلْحَ حَتَّى ... نَمْلَأَ البِيدَ مِنْ رُءُوسِ الرِّجَالِ

وتَقَرَّ العُيُونُ بَعْدَ بُكَاهَا ... حِينَ تَسْقِي الدِّمَا صُدُورَ العَوَالِي

---

(١) أقول إن هذا الشعر ظاهر فيه التوليد ، ولا بد أن بعض الرواة قد افتعله . وإن كان فيه بعض أبيات قد يكون قالها الحارث وأضاف إليها الراوى ما يناسبها .

أَصْبَحَتْ وَائِلٌ تَعِجُّ مِنَ الحَرْ بِ عَجِيجَ الجِمَالِ بِالأَثْقَالِ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّٰـ ـهُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا اليَوْمَ صَالِ

قَدْ تَجَنَّبْتُ وَائِلاً كَيْ يُفِيقُوا فَأَبَتْ تَغْلِبٌ عَلَيَّ اعْتِزَالِي

وَأَشَابُوا ذُؤَابَتِي بِبُجَيْرٍ قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغَيْرِ قِتَالِ

قَتَلُوهُ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ إِنَّ قَتْلَ الكَرِيمِ بِالشِّسْعِ غَالِ

يَا بَنِي تَغْلِبٍ خُذُوا الحِذْرَ إِنَّا قَدْ شَرِبْنَا بِكَأْسِ مَوْتٍ زُلَالِ

يَا بَنِي تَغْلِبٍ قَتَلْتُمْ قَتِيلاً مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ فِي الخَوَالِي

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَوْلِي يُرَادُ لَكِنْ فِعَالِي

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي جَدَّ نَوْحُ النِّسَاءِ بِالإِعْوَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرَتْنِي القَوَالِي

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لِلسُّرَى وَالغُدُوِّ وَالآصَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي طَالَ لَيْلِي عَلَى اللَّيَالِي الطِّوَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لِاعْتِنَاقِ الأَبْطَالِ بِالأَبْطَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي وَاعْدِلَا عَنْ مَقَالَةِ الجُهَّالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَلْبِي عَنِ القِتَالِ بِسَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي كُلَّمَا هَبَّ رِيحُ ذَيْلِ الشَّمَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لِبُجَيْرٍ مُفَكِّكِ الأَغْلَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لِكَرِيمٍ مُتَوَّجٍ بِالجَمَالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَا نَبِيعُ الرِّجَالَ بَيْعَ النِّعَالِ

قرّبا مربطَ النعامةِ منى | لِبُجَيْرٍ فِدَاهُ عمّى وخالي
قرّباها لِحَىّ تغلبَ شُوسًا | لاعتناقِ الكُماةِ يومَ القتالِ
قرّباها وقرّبا لأمتى دِرْ | عًا دِلاصًا تَرُدُّ حدَّ النِّبالِ
قرّباها بمُرْهَفات حِدادٍ | لِقِراعِ الأبطالِ يومَ النِّزالِ
رُبَّ جيشٍ لقيتُه يُمطِرُ الموْ | تَ على هيكلٍ خفيفِ الجلالِ
سائلوا كِنْدةَ الكرامَ وبكرًا | واسألوا مَذْحِجًا وحىَّ هلالِ
إذ أتونا بعسكرٍ ذى زُهاء | مُكفَهِرّ الأذى شديدِ المَصالِ
فقرَيْناهُ حين رامَ قِرانا | كلَّ ماضى الذُّبابِ عَضْبٍ صَقّالِ

ثم نهض الحارث وشمر، وقاد بكراً فى حربها مع تغلب، وعليها المهلهل؛ وجرت وقائع بين الحيين فى عدة أيام كان أعظمها يوم قِضّة، وهو يوم تحلاق اللمم، وكان لبكر على تغلب، وفيه ـ فيما زعموا ـ أسر الحارث بن عُباد مهلهلا وهو لا يعرفه، فقال له: دلنى على عَدِيّ وأُخلى عنك! فقال له: عليك العهد بذلك إن دللتك عليه؟ قال: نعم؛ قال: فأنا عدىّ! فقال له: دلنى على كفء لبجير؟ فقال: لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان! فجز ناصيته وأطلقه، ثم قصد امرأ القيس فشدّ عليه فقتله وقال:

لهفَ نفسى على عَدِيّ ولمْ أعْ | رِفْ عَدِيًّا إذ أمكنتْنى اليدانِ [1]
طُلَّ مَنْ طَلَّ فى الحروبِ ولمْ يُطْ | لَلْ بُجَيْرٌ أبانَهُ ابنُ أبانِ [2]

---

(١) أمكنتنى اليدان: يقول إنه وقع فى يدى أسيرا وتمكنت منه ثم أفلت منى فوالهفى على مافاتنى منه.

(٢) طل: ذهب دمه هدرا دون فداء أو قود. ولم يطلل قتيل، ويروى: ولم أوتر بجيرا. أبانه: أبعده عنى بقتله إياه. ابن أبان: هو امرئ القيس بن أبان التغلبى

فَارِسٌ يَضْرِبُ الكَتِيبَةَ بِالسَّـ ... ـيْفِ وتَسْمُو أَمَامَهُ العَيْنَانِ (١)

والراجح أن الذي أسر هو عدي أخو المهلهل . وكان هذا اليوم من أشد الأيام على تغلب ، فقد انهزمت فيه هزيمة منكرة ، وقُتل فيه عمرو وعامر التغلبيان . وفي ذلك يقول الحارث بن عُباد :

سَلْ حَيَّ تَغْلِبَ عَنْ بَكْرٍ ووَقْعَتِهِمْ
بِالحِنْوِ إِذْ خَسِرُوا جَهْرًا وما رَشَدُوا (٢)

فَأَقْبَلوا بِجَنَاحَيْهِمْ يَلُفُّهُمَا ... مِنَّا جَنَاحَانِ عِنْدَ الصُّبْحِ فَاطَّرَدُوا

فَأَصْبَحُوا ثُمَّ صَفُّوا دُونَ بِيضِهِمُ ... وأَرْقَوا سَاعَةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا (٣)

وأَيْقَنُوا أَنَّ شَيْبَانًا وإِخْوَتَهُمْ ... قَيْسًا وذُهْلًا وتَيْمَ اللَّاتِ قَدْ رَصَدُوا

ويَشْكُرٌ وبَنُو عِجْلٍ وإِخْوَتُهُمْ ... بَنُو حَنِيفَةَ لَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ

ثُمَّ الْتَقَيْنَا ونَارُ الحَرْبِ سَاطِعَةٌ ... وسَمْهَرِيُّ العَوَالِي بَيْنَنَا قِصَدُ (٤)

طَوْرًا نُدِيرُ رَحَاهَا ثُمَّ نَطْحَنُهُمْ ... طَحْنًا وطَوْرًا نُلَاقِيهِمْ فَنَجْتَلِدُ

حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ دَارَتْ أَجْفَلُوا هَرَبًا ... عَنَّا وخَلَّوا عَنِ الأَمْوَالِ وانْجَرَدُوا

قَدْ قَرَّتِ العَيْنُ مِنْ عَمْرَانِ إِذْ قُتِلَتْ ... ومِنْ عَدِيٍّ مَعَ القَمْقَامِ إِذْ جُهِدُوا (٥)

= وسيرد ذكره . وهنا يعترف الحارث بن عباد بأن القاتل لبجير إنما هو امرؤ القيس هذا ، لا المهلهل ، ولم يتنبه لذلك أحد من قبل فيما أعرف .

(١) تسمو : ترتفع إليه ناظرة إلى جلائل أفعاله .

(٢) الحنو : اسم المكان الذي كانت به هذه الوقعة .

(٣) أي وقفوا صفوفا دون نسائهم .

(٤) قصد : أي قطع منتثرة .

(٥) عمران : يريد بهما عمرو وعامر . وعدي : هو ابن ربيعة أخو المهلهل .

وَمِنْ زِيَادٍ وَمِنْ غَنْمٍ وَإِخْوَتِهَا ... وَمِنْ حَبِيبٍ أَصَابُوا الذُّلَّ فَانْفَرَدُوا
وَمِنْ بَنِي أَوْسٍ إِذْ شُلَّتْ قَبِيلَتُهُمْ ... لَا يَنْفَعُونَ وَقَدْ ضَرُّوا وَمَا حُمِدُوا
فَرُّوا إِلَى النَّمْرِ مِنَّا وَهْوَ عَمُّهُمُ ... فَمَا وَقَى النَّمْرُ إِذْ طَارُوا وَهُمْ مُرُدُ[1]
نَحْنُ الفَوَارِسُ نَغْشَى النَّاسَ كُلَّهُمُ ... وَنَقْتُلُ النَّاسَ حَتَّى يُوحِشَ البَلَدُ
لَقَدْ صَبَحْنَاهُمُ بِالْبِيضِ صَافِيَةً ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَحَرُّ المَوْتِ يَتَّقِدُ
وَقَدْ فَقَدْنَا أُنَاسًا مِنْ أَمَاثِلِنَا ... وَمِثْلَهُمْ فَكَذَاكَ القَوْمُ قَدْ فَقَدُوا[2]
وَالخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي مِنْ فَوَارِسِهَا ... يَوْمَ الطِّعَانِ وَقَلْبُ القِرْنِ يَرْتَعِدُ
وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أُصَالِحُهُمْ ... مَا دَامَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فِي المَلَا أَحَدُ[3]

---

(١) النمر: قبيلة النمر بن قاسط .

(٢) وهذا يؤيد ما علقنا ، على شعر الفند الزمانى .

(٣) وفى هذه الحروب يقول الفند الزمانى قصيدته المشهورة ، وكان مع الحارث ابن عباد ، وهى :

صفحنا عن بنى هند ... وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعـ ... ـن قوما كالذى كانوا
فلما صرح الشر ... فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث ... غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين ... وتخضيع وإقران
وطعن كفم الزق ... غذا والزق ملآن
وبعض الحلم عند الجهـ ... ـل للذلة إذعان
وفى الشر نجاة حيـ ... ـن لا ينجيك إحسان

ويروى : صفحنا عن بنى ذهل . أما هند فهى أم بكر وتغلب ابنى وائل . وهذا هو الصواب فيما يرجح .

وليس بعجيب أن تكون النصرة فى آخر الأمر للحارث بن عُباد وقومه ، ومن انضم إليهم من الأحياء التى كانت معتزلة الحرب ، على بنى تغلب . فقد كان هؤلاء جميعا فى نجوة عن الحروب وأهوالها ، طوال الزمن الذى شبت فيه نيرانها . ولا شك فى أن الحارث وقومه كانوا ـ وهم فى معتزلهم ـ يرقبون هذه الوقائع ويتتبعون أطوارها ، فهم يعدون العدة ، ويتخذون الأهبة لهذه الخاتمة ، إن ساعفتهم الظروف وواتتهم الفرص . فلما سنحت لهم هذه الفرصة انتهزوها وباشروا الحرب وهم جامُّون مستريحون ، تاموا العَدد ، مشحوذوا العُدد ، مع النشاط والإقبال . فى حين أن خصومهم المهلهل وبنى تغلب وأشياعهم ، قد أخذت منهم هذه الحروب وطول الأمد فى خوض غمراتها كل مأخذ ، فأفنت عديدهم ، وذهبت بحدة عُددهم ، وأفقدتهم نشاطهم ، وأدخلت السأم والملال فى نفوسهم . وناهيك بقوم لا يزالون فى حروب وكروب دهراً طويلا ، فهم لا يخرجون من معركة إلا ليدخلوا فى معركة ، حتى قدر الرواة مدة هذه الوقائع بأربعين سنة ؟ !

خاتمـــة المهلهل

وكان المهلهل قد ضجر من الحرب ، وسئم أهوالها ، وقد شاخ وخرف ففارق قومه ونزل فى أخواله من بنى يشكر ، فزعم بعض الرواة أنه بقى عندهم وحيداً إلى أن وجد ميتاً بين رجلى جمل هاج عليه . وقيل إنه فارق أخواله وسار حتى نزل فى قبائل مذحج باليمن ، عند قوم يقال لهم بنو جنب . فخطبوا إليه أخته ـ وقيل ابنته ـ فقال لهم : إنى طريد بينكم ، فمن أجبتكم قالوا إنهم اقتسروه ؟ ! فلم يرضهم منه ذلك بل أجبروه فزوجها مكرها ،

وساقوا إليه فى صداقها جلوداً من أدم . فقال أبياتاً يتمنى فيها حاله ، سنذكرها فيما سيأتى من شعره . ثم فارقهم منحدراً فلقيه عمرو بن مالك عم المرقش الأكبر الشاعر ، فأسره وأحسن إساره وأكرمه وسقاه الخمر . فلما انتشى أخذ يتغنى فى شعره بذكر كليب وهجاء بنى بكر . فقال عمرو : إنه لريان ، والله لا يشرب بعدها حتى يرد «رُبيب»[1] فقال له بعض وجوه قومه : بئس ما حلفت ؟ ! ثم بعثوا فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام . قيل وفى خلال ذلك مات المهلهل عطشا .

وفى رواية ابن الأثير أن عمرو بن مالك بن ضبيعة البكرى الذى أسر مهلهلا فى نواحى هجر وأحسن إساره وأفرده فى بيت كان مزوجا ابنة خال المهلهل وهو المجلل التغلبى . فأرادت أن تزور المهلهل وهو أسير وكان فى حالة سكر فقال فيها الأبيات التى أولها :

طِفْلَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُجَلِّلِ بَيْضَا ء لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فى الْعِنَاقِ

فلما نقلت هذه الأبيات إلى عمرو بن مالك حلف أن لا يسقيه الماء حتى يرد «ربيب» وهو فحل من فحول الإبل صعب الورود ـ فسأل الناس أن يورده قبل وروده ، فأورده وسقاه حتى تحلل من يمينه . ثم إنه سق المهلهل من ماء هناك كان أوخم المياه ، فمات مهلهل .

وقيل إن مهلهلا لما أسن وخرف اتخذ عبدين يصحبانه فى شؤونه ، فكان يغير بهما على قبائل بكر . وظلا على هذه الحال إلى أن ملا وسئما

---

(١) ربيب : بعير صعب كان لعمرو بن مالك لايرد الماء إلا سبعا . والسبع ظمء من أظماء الإبل ، وهى أن ترد فى اليوم السابع . وقيل : كان لايرد إلا بعد عشرة فى حمارة القيظ .

الحياة معه . فخرج بهما فى بعض أسفاره ، وقد ضاقت به نفوسهما ، فأتمرا على قتله والتخلص منه وإلقائه فى بعض الفلوات . غير أنه أدرك منتواهما وأيقن أنهما قاتلاه لا محالة ، فقال لهما : إن كنتما لا بد منفذين عزمكما فى قتلى والتخلى عنى فإنى أوصيكما أن تبلغا الحى ما تسمعان منى ! ثم قال :

مَنْ مُبْلِغُ الأَحْيَاءِ أَنَّ مُهَلْهِلاً   لِلّهِ دَرُّكُمَا وَدَرُّ أَبِيكُمَا

فقتلاه ثم رجعا إلى الحى فقالا : إن مهلهلا مات ودفناه بموضع كذا . فسئلا : هل وصى بشىء؟ قالا : نعم ، وأنشدا البيت . فلم يدر القوم ما معنى ذلك حتى أقبلت ابنته سليمى [1] امرأة الهجرس بن كليب . فلما سمعت الشعر قالت : إن أبى يخبركم أن العبدين قتلاه ، وإنما أراد

مَنْ مُبْلِغُ الأَحْيَاءِ أَنَّ مُهَلْهِلاً   أَمْسَى صَرِيعاً فى الفَلاةِ مُجَدَّلا
لِلّهِ دَرُّكُمَا وَدَرُّ أَبِيكُمَا   لا يَبْرَحُ العَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلا

فأخذوا العبدين فعذبوهما حتى اعترفا بأنهما قتلاه ، فقتلا به .

وقيل إن البيت لمرقش الأكبر [2] ، وذلك أنه كان يهوى أسماء ابنة عمه ، فزوجها أبوها لرجل من مراد ، فلما رحل بها تاقت نفس المرقش إلى رؤيتها ، فخرج فى طلبها وصحب معه رجلا من غُفيلة بن قاسط ، ومع الرجل امرأته وفى أثناء سيرهم مرض المرقش وثقل عليهما حمله والعناية به ،

(١) يروى ابن الأثير أن الهجرس بن كليب كان متزوجا ابنة خاله جساس لأنه ولد ونشأ فى حضنه بعد قتل أبيه . أقول: فلعله كان قد فارق أخواله ملتجئاً إلى أعمامه وتزوج سليمى ابنة عمه المهلهل .

(٢) هو عوف أو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة المعروف بالمرقش الأكبر البكرى . كان شاعرا فحلا وشجاعا باسلا . وله مواقف ومشاهد فى حروب بكر وتغلب . وله فيها أشعار تؤثر . وهو يعد فى العشاق . قيل إنه مات سنة ٥٥٢ م .

فقال الرجل الغفلى لزوجته : نتركه هنا حتى يموت ونذهب إلى قومه فنخبرهم بموته ! فأبت امرأته إلا المناية به ؛ نعزم عليها وهددها ؛ فسمع المرقش حوارهما فكتب على مؤخرة الرحل ، فيما يزعمون :

يَا صَاحِبَيَّ تَلَبَّثَا لَا تَعْجَلَا ... إِنَّ الرَّوَاحَ رَهِينُ أَلَّا تَفْعَلَا

فَلَعَلَّ لُبْثَكُمَا يُفَرِّطُ سَيِّئًا ... أَوْ يَسْبِقُ الإِسْرَاعُ سَيْبًا مُقْبِلَا

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... أَنَسَ بْنَ سَعْدٍ إِنْ لَقِيتَ وَحَرْمَلَا

لِلَّهِ دَرُّكُمَا وَدَرُّ أَبِيكُمَا ... إِنْ أَفْلَتَ الغُفُلِيُّ حَتَّى يُقْتَلَا [1]

مَنْ مُبْلِغُ الأَقْوَامِ أَنَّ مُرَقِّشًا ... أَمْسَى عَلَى الأَصْحَابِ عِبْئًا مُثْقِلَا

ذَهَبَ السِّبَاعُ بِأَنْفِهِ فَتَرَكْنَهُ ... أَعْثَى عَلَيْهِ بِالجِبَالِ وَجَيْئَلَا [2]

وَكَأَنَّمَا تَرِدُ السِّبَاعُ بِشِلْوِهِ ... إِذْ غَابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ مَنْهَلَا [3]

فرجع الغفلى وأخبر آل المرقش بأنه مات . غير أن حرملة وأنساً أخوا مرقش رأيا الأبيات التى فى مؤخرة الرحل وعرفا منها شأن أخيهما ، فأمسكا بالرجل الغفلى وضيقا عليه حتى اعترف لهما بما حدث ، فقتلاه وذهبا إلى موضع أخيهما فوجداه ميتاً عند أسماء ـ وكان راعيها قد عثر به فى تطوافه فجاءها به ، وقد أكل الذئب أنفه ـ فأخذاه وذهبا بجثمانه إلى أرضهما ودفناه بها .

وسواء أصح خبر من هذه الأخبار ، أم كانت من أوضاع الرواة ،

(١) الغفلى : هو ذلك الرجل الذى كان يصحبه فى بنى غفيلة وقتله .

(٢) الأعثى والجيئل : الضباع .

(٣) يقول كأن السباع والوحوش وهى تتعاور جثمانه ترد منهلا من الماء لا يكاد ينضب .

فيما أرجح ، فمما لا شك فيه أن مهلهلا قد مات بعد أن عانى من الحروب والوقائع ، والكروب وأحداث المعامع ، ما أفنى فيه أيامه ، وباشره حتى أدركه حمامه . وزعموا أن وفاته كانت فى الثلث الأول من القرن السادس الميلادى وحددها بعض المستشرقين بسنة ٥٣١ م . وهذه تقديرات لا يمكن الاعتماد عليها كحقيقة واقعة ، ولكنها تؤخذ بطريق الاستئناس لا غير .

شعر امرئ القيس مهلهل بن ربيعة التغلبي

بعد أن استعرضت حياة المهلهل فى كنف أخيه كليب ، وأحواله وأحداثه فى حروبه ووقائعه ، وألممت بشؤون العرب السياسية فى عهد قيام السيادة فى ربيعة ، ولخصت حروب البسوس معتمداً فيها على أرجح الروايات ، أعرض هنا ما وقفت عليه من شعر امرئ القيس مهلهل بن ربيعة ، مما رواه الرواة له . فمما روى له قوله يرثى كليباً [1] ويندبه :

١

إنَّ فى الصَّدْرِ مِنْ كُلَيْبٍ شُجُونًا هَاجِسَاتٍ نَكَأْنَ مِنْهُ الجِرَاحَا [2]

---

(١) وقد ذكر هذه الأحداث عمرو بن الأهتم فقال :

وإن كليبا كان يظلم قومه فأدركه مثل الذى تريان

فلما حشاه الرمح كف ابن عمه تذكر ظلم الأهل أى أوان

وقال لجساس أغثنى بشربة وإلا فخبر من رأيت مكانى

فقال تجاوزت الأحص وماءه وبطن شبيث وهو غير دوان

(٢) الشجون : الأحزان . نكأن منه الجراحا ، نكأ الجرح : قشره قبل أن يبرأ

أَنْكَرَتْنِي حَلِيلَتِي إِذْ رَأَتْنِي ... كَاسِفَ البَالِ لَا أُطِيقُ المُزَاحَا

وَلَقَدْ كُنْتُ إِذْ أُرَجِّلُ رَأْسِي ... مَا أُبَالِي الْإِفْسَادَ وَالْإِصْلَاحَا

بِئْسَ مَنْ عَاشَ فِي الحَيَاةِ شَقِيًّا ... كَاسِفَ اللَّوْنِ هَائِمًا مُلْتَاحَا (١)

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْبًا ... وَاعْلَمَا أَنَّهُ مُلَاقٍ كِفَاحَا

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْبًا ... ثُمَّ قُولَا لَهُ نَعِمْتَ صَبَاحَا

يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُلَيْبًا ... قَبْلَ أَنْ تُبْصِرَ العُيُونُ الصَّبَاحَا

لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَنَا يَوْمَ سِرْنَا ... نَسْلُبُ المُلْكَ غُدْوَةً وَرَوَاحَا

وَضَرَبْنَا بِمُرْهَفَاتٍ عِتَاقٍ ... تَتْرُكُ الهُدْمَ فَوْقَهُنَّ صُيَاحَا

تَرَكَ الدَّارَ ضَيْفُنَا وَتَوَلَّى ... عَذَرَ اللهُ ضَيْفَنَا يَوْمَ رَاحَا (٢)

ذَهَبَ الدَّهْرُ بِالسَّمَاحَةِ مِنَّا ... يَا أَذَى الدَّهْرِ كَيْفَ تَرْضَى الجِمَاحَا

وَيْحَ أُمِّي وَوَيْحَهَا لِقَتِيلٍ ... مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ وَوَيْحًا وَوَاحَا

يَا قَتِيلًا نَمَاهُ فَرْعٌ كَرِيمٌ ... فَقْدُهُ قَدْ أَشَابَ مِنِّي المِسَاحَا (٣)

كَيْفَ أَسْلُو عَنِ البُكَاءِ وَقَوْمِي ... قَدْ تَفَانَوْا فَكَيْفَ أَرْجُو الفَلَاحَا



لما قتل كليب كان المهلهل يشارب همام بن مرة الخمر ، فأعلمه همام بالخبر ، فأكب على الشراب وأخذ يقول :

---

(١) الملتاح : الخائف الحذر مع العطش .

(٢) يقول بعد موت كليب لايستطيع ضيف أن يقيم لدينا فإن انشغالنا بموت كليب يحول بيننا وبين القيام على شؤونه كما كان يفعل كليب بأضيافه .

(٣) المساح : مكان مسح اليد من الرأس .

دَعِينِى فَمَا فِى اليَوْمِ مَصْحًى لِشَارِبٍ ... وَلَا فِى غَدٍ مَا أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَدِ (١)

دَعِينِى فَإِنِّى فِى سَمَادِيرِ سَكْرَةٍ ... بِهَا جَلَّ هَمِّى وَاسْتَبَانَ تَجَلُّدِى (٢)

فَإِنْ يَطْلُعِ الصُّبْحُ المُنِيرُ فَإِنَّنِى ... سَأَغْدُو الهُوَيْنَا غَيْرَ وَانٍ مُفَرَّدِ (٣)

وَأُصْبِحُ بَكْرًا غَارَةً صَيْلَمِيَّةً ... يَنَالُ لَظَاهَا كُلَّ شَيْخٍ وَأَمْرَدِ (٤)

٣

وقال ـ لما أسرف فى قتل بنى بكر ـ:

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِى بَكْرٍ بِرَبِّهِمُ ... حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِى لَهُمْ أَحَدُ

آلَيْتُ بِاللهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمُ ... حَتَّى أُبَهْرِجَ بَكْرًا أَيْنَمَا وُجِدُوا (٥)

٤

وقال من أبيات ـ ولم أقف له منها إلا على هذا البيت ـ:

إِنِّى وَجَدْتُ زُهَيْرًا فِى مَآثِرِهِمْ ... شِبْهَ اللُّيُوثِ إِذَا اسْتَأْسَدْتَهُمْ أَسِدُوا

٥

ويروى له كذلك من أبيات:

لَوْ كُنْتُ قَتَلْتُ جِنَّ الحَابِلَيْنِ كَمَا ... قَتَلْتُ بَكْرًا لَأَضْحَى الجِنُّ قَدْ نَفِدَا

---

(١) يقول لن أترك الشرب اليوم، ولن أشرب فى الغد وما بعده. وهذا كقول امرئ القيس فيما مر يوم جاءه نعى أبيه.

(٢) السمادير: ما يخيله السكر للسكران مما لا يخطر بباله وهو صاح.

(٣) غير وان: لن أكون مقصرا.

(٤) صيلمية: تستأصلهم، أى تهلكهم وتأتى عليهم.

(٥) أبهرجهم: أجعلهم فى منزلة الزيوف من النقود يردها كل من رآها ولا يقبلها

٦

وروى له قوله من قصيدة :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ أَبْنَاءِ بَكْرٍ   وَحَطَّتْ بَرْكَهَا بِبَنِي عُبَادِ (١)

٧

وفى غداة دفن كليب وقف المهلهل على قبره وقال يرثيه :

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي الْإِذِّكَارُ   هُدُوًّا فَالدُّمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ (٢)

وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا   كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ (٣)

وَبِتُّ أُرَاقِبُ الْجَوْزَاءَ حَتَّى   تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْحِدَارُ (٤)

أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ   تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَغَارُوا (٥)

وَأَبْكِي وَالنُّجُومُ مُطَلَّعَاتٌ   كَأَنْ لَمْ يَحْوِهَا عَنِّي الْبُخَارُ (٦)

---

(١) حطت بركها : أناخت الحرب بكلكلها على بنى يشكر وحط الحارث بن عباد

(٢) الاذكار : التذكر . يعنى تذكرى كليبا . هدوا : فى هدأة من الليل . انحدار : انحدار . وقد قال جساس يرد على مهلهل هذه الأبيات:

ألا أبلغ مهلهل ما لدنيا   فأدمعنا كأدمعـه غزار

بكينا وائل الباغى علينا   وشر العيش مافيه غيار

ونحن مع المنايا كل يوم   ولا ينجى من الموت الفرار

وكل قد اتى ماقـد لقينا   وكل ليس منه له اصطبار

(٣) يعنى أن همومه وأحزانه أطالت عليه ليله حتى كأن لانهار له .

(٤) الجوزاء : من نجوم السماء ، وانحدارها لايكون إلا فى أواخر الليل .

(٥) تباينت : اختلفت . فغاروا : فذهبوا غورا إلى غير رجعة .

(٦) البخار : ماتبخر من الماء بين الأرض والسماء ، ويروى : البحار . وقد كانوا يظنون بين السماء والأرض بحرا .

عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا ... لَقَادَ الخَيْلَ يَحْجُبُهَا الغُبَارُ (١)

دَعَوْتُكَ يَا كُلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي ... وَكَيْفَ يُجِيبُنِي البَلَدُ القِفَارُ (٢)

أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ ... لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ (٣)

سَقَاكَ الغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا ... وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ اليَسَارُ

أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا ... كَأَنَّ غَضَى القَتَادِ لَهَا شِفَارُ (٤)

وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ ... وَتَعْفُو عَنْهُمُ وَلَكَ اقْتِدَارُ (٥)

وَتَمْنَعُ أَنْ يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ ... مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

وَكُنْتُ أَعُدُّ قُرْبِي مِنْكَ رِبْحًا ... إِذَا مَا عَدَّتِ الرِّبْحَ التِّجَارُ

فَلَا تَبْعَدْ فَكُلٌّ سَوْفَ يَلْقَى ... شَعُوبًا يَسْتَدِيرُ بِهَا المَدَارُ (٦)

يَعِيشُ المَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ ... وَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ بِحَيْثُ صَارُوا

أَرَى طُولَ الحَيَاةِ وَقَدْ تَوَلَّى ... كَمَا قَدْ يُسْلَبُ الشَّيْءُ المُعَارُ

كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كُلَيْبًا ... تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ الشَّرَارُ

فَدُرْتُ وَقَدْ عَشِي بَصَرِي عَلَيْهِ ... كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا العُقَارُ

سَأَلْتُ الحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ ... فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ الحَيِّ دَارُ

---

(١) من كان حيا : يعنى أن كليبا لو كان حيا ونعى إليه لنهض فى ثأره ولم يتوان

(٢) البلد القفار : الخالى من السكان .

(٣) خلاك ذم : أى برئت مما تذم عليه من قول أو فعل .

(٤) غضى القتاد : شوكه ، شبه أشفار عينيه بشوك القتاد لأنه لايستطيع إطباقها حتى ينام .

(٥) الحلم عند المقدرة من أجل صفات القادرين .

(٦) شعوب : المنية .

فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا ... وطَارَ النَّوْمُ وامْتَنَعَ القَرَارُ

وحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرٍ ... ثَوَى فِيهِ المَكَارِمُ والفَخَارُ

لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لمْ يَشِنْهُ ... ولَمْ يَحْدُثْ لَه في النَّاسِ عَارُ [1]

أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا ... جَبَانُ القَوْمِ أَنْجَاهُ الفِرَارُ

أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا ... حُلوقُ القَوْمِ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ [2]

أَقولُ لِتَغْلِبٍ والعِزُّ فِيهَا ... أَثِيرُوهَا لِذَلِكُمُ انْتِصَارُ

تَتَابَعَ إِخْوَتِي ومَضَوْا لأَمْرٍ ... عَلَيْهِ تَتَابَعَ القَوْمُ الخِيَارُ [3]

خُذِ العَهْدَ الأَكِيدَ عَلَيَّ عُمْرِي ... بِتَرْكِي كُلَّ مَا حَوَتِ الدِّيَارُ

وهَجْرِي الغَانِيَاتِ وشُرْبَ كَأْسٍ ... ولُبْسِي جُبَّةً لا تُسْتَعَارُ

ولَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وسَيْفِي ... إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ

وإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ ... فَلا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا أَثَارُ

٨

ولما اشتدت الحرب بينه وبين بكر ، قال هذه القصيدة ، وقد رواها أبو على القالي وغيره :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيرِي ... إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي [4]

(١) الأروع : الشجاع القوى القلب .

(٢) يقول أتكون معي يوم الاقتتال ؟

(٣) تتابعوا : تلاحقوا بعضهم فى إثر بعض .

(٤) ذو حسم : موضع . وتحوري : ترجعي . يقال : ماله لاحار إلى أهله ، أى لا رجع إليهم . ويقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أى من النقصان بعد الزيادة =

فإنْ يَكُ بالذَّنائِبِ طالَ لَيْلى ... فقدْ أبكى مِنَ اللَّيْلِ القَصِيرِ (١)

وأنقذَنى بَيَاضُ الصُّبْحِ مِنْها ... لقدْ أُنقِذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِيرِ (٢)

كأنَّ كَواكِبَ الجَوْزاءِ عُوذٌ ... مُعَطَّفَةٌ على رُبَعٍ كَسِيرِ (٣)

تَلألأَ واسْتَقَلَّ لها سُهَيْلٌ ... يَلُوحُ كَقِمَّةِ الجَبَلِ القَدِيرِ

وتَخْبُو الشِّعْرَيَانِ إلى سُهَيْلٍ ... كَفِعْلِ الطَّالِبِ القَذِفِ الغَيُورِ

كأنَّ الجَدْىَ فى مَثْنَاةِ رِبْقٍ ... أَسِيرٌ أوْ بِمَنْزِلَةِ الأَسِيرِ (٤)

كأنَّ النَّجْمَ إذْ وَلَّى سُحَيْرًا ... فِصَالٌ جُلْنَ فى يَوْمٍ مَطِيرِ (٥)

كَوَاكِبُها زَوَاحِفُ لاغِبَاتٌ ... كأنَّ سَمَاءَها بِيَدَىْ مُدِيرِ (٦)

= قال أبو على القالى : والكور مأخوذ من كور العمامة ، كأنه رجع عما كان أحكمه من الخير وشده . وقال أبو عبيدة : الحور الهلكة .

(١) يريد فقد أبكى على ليالى السرور لأنها قصيرة . وقال أبو على القالى : إن كان طال ليلى بهذا الموضع لقتل أخى فقد كنت استقصر الليل وهو حى .

(٢) يقول : إن طلوع الصبح عليه وهو مسهد يتقلب على جمر الهموم قد أنقذه من هذه الليلة الليلاء التى منى بها فى ذى حسم . وبعض الشر أهون من بعض .

(٣) العوذ : النوق الحديثات النتاج ، واحدتها عائذ . وإنما قيل لها عوذ لأن أولادها تعوذ بها . والربع : ما نتج فى الربيع . يقول : كأن كواكب الجوزاء نوق حديثات النتاج عطفن على ربع مكسور ، فهى لا تتركه ، وهو لا يقدر على النهوض .

(٤) المثناة : الحبل المثنى . الربق : الحبل . يقول كأن الجدى قد شد بحبل مثنى فهو أحكم لشدة . ويريد بالجدى نجم فى السماء .

(٥) النجم : الثريا . وإنما شبهها بالفصال فى يوم مطير لبطئها ، لأن الفصيل يخاف الزلق فلا يسرع .

(٦) الزواحف اللاغبات : المعييات التى لا تقدر على النهوض . وكأن سماءها بيدى مدير ، يريد أن سماءها أثقل من أن يديرها مدير ، فهو اذا تكلف إدارتها عجز ولم يقدر

كَوَاكِبُ لَيْلَةٍ طَالَتْ وَغَمَّتْ ... فَهَذَا الصُّبْحُ رَاغِمَةً فَغُورِى (١)

وَتَسْأَلُنِي بُدَيْلَةُ عَنْ أَبِيهَا ... وَلَمْ تَعْلَمْ بُدَيْلَةُ مَا ضَمِيرِى (٢)

فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ ... فَيُخْبَرَ بِالذَّنَائِبِ أَىُّ زِيرِ (٣)

بِيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا ... وَكَيْفَ إِيَابُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ (٤)

وَإِنِّى قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتٍ ... بُجَيْرًا فِى دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

يَنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالرُّمْحُ فِيهِ ... وَيَخْلِجُهُ خِدَبٌّ كَالْبَعِيرِ (٥)

هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِى عُبَادٍ ... وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ

وَهَمَّامَ بْنَ مُرَّةَ قَدْ تَرَكْنَا ... عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ (٦)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا رَجَفَ الْعِضَاهُ مِنَ الدَّبُورِ (٧)

---

(١) يريد أن يقول : فغورى أيتها الليلة راغمة لما بك من نحوس .

(٢) يروى أميمة .

(٣) يقول : أى زير أنا يوم وصفتنى بزير نساء . والذنائب اسم مكان . يقال : هو زير نساء ،وخلم نساء ، وخلب نساء ، وتبع نساء ، وطالب نساء ، إذا كان يهوى التحدث إليهن ، والطلب لهن ، وتتبع آثارهن ومخالبتهن ومجالستهن .

(٤) الشعثمان : زعم أبو على القالى أنه موضع معروف . وذكر أبو عبيد البكرى أنهما أخوان : شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وفى شرح شواهد المغنى نقلا عن القالى : الشعثمان : شعث و شعب ابنا معاوية بن عمرو بن عقل بن تغلب ـ كذا ـ والصحيح : شعثم وعبد شمس ، قتلهما مهلهل يوم واردات ،وهما سيدا ذهل وفارساها

(٥) ينوء : ينهض . ويخلجه : يجذبه والخدب : الضخم .

(٦) القشعمان : النسران الهرمان .

(٧) رجف : تحرك حركة شديدة . والعضاه : كل شجر له شوك واحدتها عضة . الدبور : الريح الآتية من الخلف .

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا مَا ضِيمَ جِيرَانُ الْمُجِيرِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا خِيفَ الْمَخُوفُ مِنَ الثُّغُورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... غَدَاةَ بَلَابِلِ الْأَمْرِ الْكَبِيرِ (١)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا بَرَزَتْ مُخَبَّأَةُ الْخُدُورِ

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إِذَا عَلَنَتْ نَجِيَّاتُ الْأُمُورِ (٢)

فِدًا لِبَنِي الشَّقِيقَةِ يَوْمَ جَاءُوا ... كَأُسْدِ الْغَابِ لَجَّتْ فِي زَئِيرِ (٣)

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ ... بَعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْهَا جَرُورِ (٤)

فَلَا وَأَبِي جَلِيلَةَ مَا أَفَأْنَا ... مِنَ النَّعَمِ الْمُؤَبَّلِ مِنْ بَعِيرِ (٥)

وَلَكِنَّا نَهَكْنَا الْقَوْمَ ضَرْبًا ... عَلَى الْأَثْبَاجِ مِنْهُمْ وَالنُّحُورِ (٦)

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرٍو ... وَجَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرِ (٧)

---

(١) البلابل : الاضطراب .

(٢) النجيات : السرائر .

(٣) بنو الشقيقة هؤلاء حى من ذهل بن شيبان . وهم الذين قال فيهم قريط بن أنيف :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ... بنو الشقيقة من ذهل بن شيبانا

(٤) الأشطان : الحبال . والبئر هاهنا : الهواء الذى من الجال إلى الجال والبين : الوصل والقطع ، وهو من الأضداد .

(٥) وأبى جليلة يريد وحياة أبى جليلة بنت مرة ، وهى يمين تهكمية . النعم المؤبل : النوق المقتناة .

(٦) نهكنا القوم : أجهدناهم . الأثباج : الأوساط والصدور . وقيل الأكتاد ، وهى ما بين الكواهل إلى الظهور .

(٧) عمرو : هو عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان ، وهو الذى عاون جساسا على قتل كليب . ذو ضرير : صاحب مشقة على العدو ، أو ذو صبر على الشر ومقاساته

تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ كَأَنَّ الخَيْلَ تَدْحَضُ فِى غَدِيرِ (١)

كَأَنَّا غُدْوَةً وَبَنِى أَبِينَا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ (٢)

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حِجْرٍ صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ (٣)

هذا ما رواه أبو على من هذه القصيدة ، ويُروى أنها تزيد على الخمسين بيتاً وهى فى كتاب البسوس .

٩

ولما شفى نفسه من أخذ ثأر أخيه ، لم يكفه ذلك ، بل أخذ يتهدد بنى بكر ويقول :

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِى كُلَيْبًا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ (٤)

يَا لَبَكْرٍ إِظْعَنُوا ثُمَّ حُلُّوا صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَاحَ السِّرَارُ (٥)

---

(١) عاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق .

(٢) عنيزة : المكان الذى التقوا فيه . والرحيان إذا أدارهما مدير أثرت إحداهما فى الأخرى ، وهما من معدن واحد ، وكذلك الأحياء من وائل ، هم من أصل واحد ، وهم مع ذلك يتباحقون ويقتتلون ويفنى بعضهم بعضا .

(٣) حجر : قصبة اليمامة ، وإنما كانت حروبهم بالجزيرة ؛ ولذلك قالوا : هذا أول كذب سمع فى الشعر . قلت : ولو أدرك قائلو هذا زماننا الذى نحن فيه ورأوا عجائب الراديو لصح عندهم هذا القول ولما كان كذبا . والصليل : الصوت . والبيض : الخوذ . والقرع : الضرب . والذكور : السيوف .

(٤) أنشروه : ابعثوه حيا . قال تعالى : « ثم إذا شاء أنشره » أى بعثه .

(٥) صرح الشر : ظهر وبان . وباح السرار : وقد أعلن ما كان مسارة فاظعنوا أو حلوا ، فقد انفضح أمركم يا آل بكر

سَفِهَتْ شَيْبَانُ لَمَّا الْتَقَيْنَا ... إِنَّ عُودَ التَّغْلَبِيِّ نُضَارُ (١)

وَبَنُو عِجْلٍ تَقُولُ لِقَيْسٍ ... وَلِتَيْمِ اللهِ سِيرُوا فَسَارُوا (٢)

يَا كُلَيْبَ الْخَيْرِ لَسْتُ بِرَاضٍ ... دُونَ رَوْحٍ تَرَاحُ مِنْهُ الدِّيَارُ (٣)

أَوْ أُغَادِرَ قَتْلَى تَقَرُّ بِعَيْنِي ... وَيُؤَدَّى مَا عِنْدَهُ الْمُسْتَعَارُ

إِسْأَلُوا جَهْرَةً إِيَادًا وَلَخْمًا ... وَالْحَلِيفَيْنِ حِينَ سِرْنَا وَسَارُوا (٤)

إِذْ دَلَفْنَا لَهُمْ وَبَكْرًا جَمِيعًا ... فَأَسَرْنَا سَرَاتَهُمْ حِينَ ثَارُوا (٥)

وَقَتَلْنَا قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ حَتَّى ... أَمْعَنُوا فِي الْفِرَارِ حَيْثُ الْفِرَارُ (٦)

١٠

وله من قصيدة :

أَشَاقَتْكَ مَنْزِلَةٌ دَاثِرَهْ ... بِذَاتِ الطُّلُوحِ إِلَى كَاثِرَهْ (٧)

وفيها يقول :

وَخَيْلٍ تَكَدَّسُ بِالدَّارِعِينَ ... كَمَشْيِ الْوُعُولِ عَلَى الظَّاهِرَهْ (٨)

---

(١) سفهت : يريد ضلت وانحرفت عن السداد . عود التغلبي نضار : أصل كل تغلبي جيد مثل الذهب .

(٢) بنو عجل بن لجيم : حي من أحياء ربيعة ، وكذلك قيس وتيم الله .

(٣) روح : يريد نفحة خير تستريح بها الديار .

(٤) يشير فى هذا البيت إلى وقائع قديمة كانت بين قومه وبين إياد ولخم وجذام

(٥) دلفنا : ملنا عليهم .

(٦) قيس بن عيلان : يريد قبائل قيس .

(٧) ذات الطلوح : المكان الكثير السمر ، وهو شجر أم غيلان .

(٨) تكدس : تترامى . والدارعين : الشجعان الذين أسبغوا عليهم دروعهم . =

١١

وقال فى فساد الأمر بعد كليب ورثيه ويذكر أخذ ثأره :

مَنْ مُبْلِغٌ بَكْرًا وآلَ أبِيهِمُ عَنِّى مُغَلْغَلَةَ الرَّوِىِّ الأقْعَسِ (١)

وقَصِيدَةً شَعْوَاءَ بَاقٍ نَارُهَا تَبْلَى الجِبَالُ وإِثْرُهَا لَمْ يُطْمَسِ (٢)

أكُلَيْبُ إِنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُخْمِدَتْ ونَسِيتُ بَعْدَكَ طَيِّبَاتِ المَجْلِسِ (٣)

أكُلَيْبُ مَنْ يَحْمِى العَشِيرَةَ كُلَّهَا أوْ مَنْ يَكُرُّ عَلَى الخَمِيسِ الأشْوَسِ (٤)

مَنْ لِلأرَامِلِ واليَتَامَى والحِمَى والسَّيْفِ والرُّمْحِ الدَّقِيقِ الأمْلَسِ

ولَقَدْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ سَرَوَاتِهِمْ بِالسَّيْفِ فى يَوْمِ الذُّنَيْبِ الأغْبَسِ (٥)

= الوعول : تيوس الجبل . وقد أثبت هذا البيت لمهلهل : أبو عبيد البكرى ، ورواه صاحب اللسان لمهلهل أو لعبيد بن الأبرص . ورووا لعبيد يخاطب امرئ القيس بن حجر :

ألا أيها الملك المرسل الـــقوافى وذو الأمر والنائرة

هل لك فينا وما عنـــدنا وهل لك فى الأدم الوافرة

وخيل تمكدس . . . . :

صبحنا تميما غداة النسا ر شهباء ملمومة باسره

(١) مغلغلة الروى ، متنقلة من بلد إلى بلد ، يعنى قصيدة سائرة : الأقعس : الرفيع الصدر .

(٢) شعواء : مغيرة غالبة فى كل مكان . باق نارها : لايزول أثرها ، فهو باق بقاء الميسم فى الجلد .

(٣) أخمدت : يريد بها نار كليب التى كان يوقدها فى مجلسه فلا يوقد أحد نارا معه هيبة له وإعظاما .

(٤) الخميس الأشوس : الجيش المتجهم الوجه ، وإنما قيل للجيش خميس لأنه مؤلف من خمس فرق : المقدمة ، والمؤخرة ، والقلب ، والجناحان .

(٥) يوم الذنيب : يوم الذنائب، صغره لاستقامة الوزن. الأغبس: الأسود المكفهر

إنَّ القَبائِلَ أضْرَمَتْ مِنْ جَمْعِنَا يَوْمَ الذَّنائِبِ حَرَّ مَوْتٍ أحْمَسِ [١]
فَالإِنْسُ قَدْ ذَلَّتْ لَنَا وَتَقاصَرَتْ وَالجِنُّ مِنْ وَقْعِ الحَدِيدِ المُلْبِسِ

١٢

وقال يرثى أخاه ويذكر الحال بعده :

نُبِّئْتُ أنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ [٢]
وَتَكَلَّمُوا فى أمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شاهِدَ أمْرِهِمْ لَمْ يَنْبِسُوا [٣]
وإذَا تَشاءُ رَأيْتَ وَجْهًا وَاضِحًا وَذِرَاعَ باكِيَةٍ عَلَيْهَا بُرْنُسُ [٤]
تَبْكِي عَلَيْكَ وَلَسْتُ لائِمَ حُرَّةٍ تَأْسَى عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ وَتَنَفُّسُ [٥]
أبَنِي رَبِيعَةَ مَنْ يَقُومُ مَقامَهُ أمْ مَنْ يَرُدُّ عَلَى الضَّرِيكِ وَيَحْبِسُ [٦]

---

(١) الأحمس : الشديد فى أمره .

(٢) النار التى أوقدت بعد كليب هى نار خصومه من بكر وأفنائها ، وقد كانوا فى حياته يتحرجون من إيقادها خوفا منه وهيبة له . واستب : سب بعضهم بعضا حيث لا يوجد من يحتشمونه .

(٣) لم ينبسوا : لم يستطيعوا الكلام رهبة وإشفاقا . وقد روى الجاحظ هذين البيتين هكذا :

أودى الخيار من المعاشر كلهم واستب بعدك يا كليب المجلس
وتنازعوا فى كل أمر عظيمة لو قد تكون شهدتهم لم ينبسوا

(٤) يقول : إن النساء بعدك قد تملكهن الحزن عليك حتى سلبهن الحياء فهن يظهرن سافرات الوجوه ، مكشفات الأذرع .

(٥) لست لائم حرة : لن أوجه لوما إلى حرة تتسلب فيك وتبكى عليك . بعبرة : بدموع غزار . وتنفس : وتأوه وتحسر .

(٦) بنو ربيعة : يريد بهم إخوته . الضريك : الزمن والضرير ، والفقير السيئ الحال .

١٣

وقال يتهدد بنى شيبان ويتوعدهم ، ويرثى كليبا :

لَمَّا نَعَى النَّاعِي كُلَيْبًا أَظْلَمَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ فَمَا تُرِيدُ طُلُوعَا

قَتَلُوا كُلَيْبًا ثُمَّ قَالُوا أَرْتِعُوا ... كَذَبُوا لَقَدْ مَنَعُوا الجِيَادَ رُتُوعَا[١]

كَلَّا وَأَنْصَابٍ لَنَا عَادِيَّةٍ ... مَعْبُودَةٍ قَدْ قُطِّعَتْ تَقْطِيعَا[٢]

حَتَّى أُبِيدَ قَبِيلَةً وَقَبِيلَةً ... وَقَبِيلَةً وَقَبِيلَتَيْنِ جَمِيعَا

وَتَذُوقَ حَتْفًا آلُ بَكْرٍ كُلُّهَا ... وَنَهُدَّ مِنْهَا سَمْكَهَا المَرْفُوعَا[٣]

حَتَّى نَرَى أَوْصَالَهُمْ وَجَمَاجِمًا ... مِنْهُمْ عَلَيْهَا الخَامِعَاتُ وُقُوعَا[٤]

وَنَرَى سِبَاعَ الطَّيْرِ تَنْقُرُ أَعْيُنًا ... وَتَجُرُّ أَعْضَاءً لَهُمْ وَضُلُوعَا

وَالْمَشْرَفِيَّةَ لَا تُعَرِّجُ عَنْهُمُ ... ضَرْبًا يَقُدُّ مَغَافِرًا وَدُرُوعَا[٥]

وَالخَيْلَ تَقْتَحِمُ الغُبَارَ عَوَابِسًا ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ مَا يُرِدْنَ رُجُوعَا

١٤

ويروى له من أبيات ؛ قوله :

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسَارَى ... تَقُودُهُمُ عَلَى رَغْمِ الأُنُوفِ

---

(١) ارتعوا : سرحوا خيولكم ترتع فى مراعيها .

(٢) الأنصاب : الأوثان . قطعت : يريد صورت ونقشت وجوهها .

(٣) سمكها : يريد به رفعة محلها .

(٤) الخامعات : الضباع ، وهى لا تقع إلا على القتلى .

(٥) المغافر ، جمع مغفر ، وهو الزرد يلبس تحت الخوذة ويسبل على الدرع من خلف الفارس .

١٥

وروى له أبو زيد القرشي في جمهرته هذه القصيدة وهي من المنتقيات :[(١)]

جَارَتْ بَنُو بَكْرٍ وَلَمْ يَعْدِلُوا ... وَالْمَرْءُ قَدْ يَعْرِفُ قَصْدَ الطَّرِيقْ

حَلَّتْ رِكَابُ الْبَغْيِ مِنْ وَائِلٍ ... فِي رَهْطِ جَسَّاسٍ ثِقَالُ الْوُسُوقْ[(٢)]

يَا أَيُّهَا الْجَانِي عَلَى قَوْمِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ كَانَ لَهُ بِالْخَلِيقْ

جِنَايَةً لَمْ يَدْرِ مَا كُنْهُهَا ... جَانٍ وَلَمْ يُضْحِ لَهَا بِالْمُطِيقْ

كَقَاذِفٍ يَوْماً بِأَجْرَامِهِ ... فِي هُوَّةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ طَرِيقْ[(٣)]

مَنْ شَاءَ وَلَّى النَّفْسَ فِي مَهْمَهٍ ... ضَنْكٍ وَلَكِنْ مَنْ لَهُ بِالْمَضِيقْ[(٤)]

إِنَّ رُكُوبَ الْبَحْرِ مَا لَمْ يَكُنْ ... ذَا مَصْدَرٍ مِنْ تَهْلُكَاتِ الْغَرِيقْ

---

(١) وللجساس بن مرة أبيات يرد بها على مهلهل ، وفيها يقول :

إنا على ما كان من حادث ... لم نبدل القوم بذات العقوق

قد جربت تغلب أرماحنا ... بالطعن إذ جاروا وحز الحلوق

لم ينههم ذلك عن بغيهم ... يوما ولم يعترفوا بالحقوق

وأسعروا للحرب نيرانها ... للظلم فينا باديا والفسوق

أليس من أردى كليبا لمن ... دون كليب منكم بالمطيق

من شرع العدوان في وائل ... اقترف الظلم وضنك المضيق

بدأتم بالظلم في قومكم ... وكنتم مثل العدو الحنق

والظلم حوض ليس يسقى به ... ذو منعة في كل أمر يطيق

فإن أبيتم فاركبوها بما ... فيها من الفتنة ذات البروق

(٢) الوسوق : الأحمال .

(٣) بأجرامه : بجسمه .

(٤) يريد بالمهمه الضنك : الفلاة التي لا متنفس فيها لضيقها وطولها .

لَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَعْدُ فى بَغْيِهِ غَدَا بِهِ تَخْرِيقُ رِيحٍ خَرِيقْ (١)

كَمَنْ تَعدَّى بَغْيُهُ قَوْمَهُ طَارَ إلَى رَبِّ اللِّوَاءِ الخَفُوقْ (٢)

إلَى رَئِيسِ النَّاسِ والمُرْتَجَى لِعُقْدَةِ الشَّدِّ ورَتْقِ الفُتُوقْ (٣)

مَنْ عَرَفَتْ يَوْمَ خَزَازَى لَهُ عُلْيَا مَعَدٍّ عِنْدَ جَبْذِ الوُثُوقْ (٤)

إذْ أَقْبَلَتْ حِمْيَرٌ فى جَمْعِهَا وَمَذْحِجٌ كَالعَارِضِ المُسْتَحِيقْ

وَجَمْعُ هَمْدَانَ لَهُمْ جَلْبَةٌ وَرَايَةٌ تَهْوِى هُوِىَّ الأَنُوقْ (٥)

فَقَلَّدَ الأَمْرَ بَنُو هَاجِرٍ مِنْهُمْ رَئِيسًا كَالحُسَامِ العَتِيقْ

مُطَّلِعًا بِالأَمْرِ يَسْمُو لَهُ فى يَوْمٍ لَا يُسْتَاغُ حَلْقٌ بِرِيقْ

ذَاكَ وَقَدْ عَنَّ لَهُمْ عَارِضٌ كَجُنْحِ لَيْلٍ فى سَمَاءِ البُرُوقْ

تَلْمَعُ لَمْعَ الطَّيْرِ رَايَاتُهُ عَلَى أَوَاذِى لُجِّ بَحْرٍ عَمِيقْ (٦)

فَاحْتَلَّ أَوْزَارَهُمْ إِزْرَهُ بِرَأْيِ مَحْمُودٍ عَلَيْهِمْ شَفِيقْ (٧)

وَقَدْ عَلَتْهُمْ لِلِقَا هَبْوَةٌ ذَاتُ هِيَاجٍ كَلَهِيبِ الحَرِيقْ (٨)

---

(١) الريح الخريق : الكثيرة الاختراق للفلوات ، الشديدة الهبوب.

(٢) رب اللواء : رئيس القوم . الخفوق : الذى تلعب به الرياح .

(٣) عقدة الشد : يريد به الأمر العسير الحل . سد الثغور : حماية النواحى التى يخشى من العدو مهاجمتها واقتحامها .

(٤) خزازى : جبل كانت عنده وقعة بين نزار وعليها كليب . واليمن وعليها زهير ابن جناب . جبذ : جذب . الوثوق : الحبال .

(٥) جلبة : أصوات وجلبة . الأنوق : العقاب ، وهو الطائر المعروف .

(٦) الأواذى : الأمواج . واللج : الماء الكثير .

(٧) الأوزار : الأثقال .

(٨) الهبوة . الغبار .

فَانفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِرًا ... مُنْبَلِجًا مِثْلَ انْبِلَاجِ الشُّرُوقْ

فَذَاكَ لَا يُوفِي بِهِ مِثْلُهُ ... وَلَسْتَ تُلْفِي مِثْلَهُ فِي فَرِيقْ (١)

قُلْ لِبَنِي ذُهْلٍ يَرُدُّونَهُ ... أَوْ يَصْبِرُوا لِلصَّيْلَمِ الْخَنْفَقِيقْ (٢)

فَقَدْ تَرَوَّيْتُمْ وَمَاذُقْتُمُ ... تَوْبِيلَهُ فَاعْتَرِفُوا بِالْمَذُوقْ (٣)

أَبْلِغْ بَنِي شَيْبَانَ عَنَّا فَقَدْ ... أَضْرَمْتُمُ نِيرَانَ حَرْبٍ عَقُوقْ

لَا يَرْقَأُ الدَّهْرَ لَهَا عَانِكٌ ... إِلَّا عَلَى أَنْفَاسِ نَجْلَا تَفُوقْ (٤)

سَتَحْمِلُ الرَّاكِبَ مِنْهَا عَلَى ... سِيسَاءِ حِدْبِيرٍ مِنَ الشَّرِّ نُوقْ (٥)

أَيُّ امْرِئٍ ضَرَّجْتُمُوا ثَوْبَهُ ... بِمَائِهِ مِنْ دَمِهِ كَالْخَلُوقْ

سَيِّدُ سَادَاتٍ إِذَا ضَمَّهُمْ ... مُعْظَمُ أَمْرٍ يَوْمَ أَزْلٍ وَضِيقْ

لَمْ يَكُ كَالسَّيِّدِ فِي قَوْمِهِ ... بَلْ مَلِكٌ دِينَ لَهُ بِالْحُقُوقْ

تَنْفَرِجُ الظَّلْمَاءُ عَنْ وَجْهِهِ ... كَاللَّيْلِ وَلَّى عَنْ صَدِيعٍ أَنِيقْ (٦)

إِنْ نَحْنُ لَمْ نَثْأَرْ بِهِ فَاشْحَذُوا ... شِفَارَكُمْ مِنَّا لِحَزِّ الْحُلُوقْ

ذَبْحًا كَذَبْحِ الشَّاةِ لَا تَتَّقِي ... ذَابِحَهَا إِلَّا بِشَخْبِ الْعُرُوقْ

---

(١) تلفى : تجد .

(٢) الصيلم الخنفقيق : الداهية الكبرى التى تصطلمهم .

(٣) توبيله : عاقبته ، من الوبال .

(٤) لايرقأ : لايكف عن الانهمال . العانك : الدم الأحمر . النجلاء : الطعنة بالرمح . تفوق : تفور .

(٥) السيساء : الحارك . والحدبير : المهزولة .

(٦) يريد بالصديع : الصبح . والأنيق : الحسن .

غَدًا تَسَاقَى فاعْلَمُوا بَيْنَنَا ... أرْمَاحُنَا منْ عَابِكٍ كالرَّحِيقْ

مِنْ كلِّ مِغْوَارِ الضُّحَى بُهْمَةٍ ... شَمَرْدَلٍ مِنْ فَوْقِ طِرْفٍ عَتِيقْ[١]

سَعَالِيًا يَحْمِلْنَ مِنْ تَغْلِبٍ ... فِتْيَانَ صِدْقٍ كَلُيُوثِ الطَّرِيقْ[٢]

لَيْسَ أَخُوكُمْ تَارِكًا وِتْرَهُ ... دُونَ تَقَضِّي وِتْرِهِ بِالْمُفِيقْ

١٦

ولما بلغ المهلهل ما قاله الحارث بن عباد لفرسه (النعامة) دعا بفرسه المشهّر وأنشأ يعارضه ويقول :

هَلْ عَرَفْتَ الغَدَاةَ مِنْ أطْلَالِ ... رَهْنِ رِيحٍ ودِيمَةٍ مِهْطَالِ[٣]

يَسْتَبِينُ الحَلِيمُ فِيهَا رُسُومًا ... دَارِسَاتٍ كَصَنْعَةِ العُمَّالِ

قَدْ رَآهَا وأهْلُهَا أهْلُ صِدْقٍ ... لا يُرِيدُونَ نِيَّةَ الارْتِحَالِ

يَا لَقَوْمِي لِلَوْعَةِ البَلْبَالِ ... ولِقَتْلِ الْكُمَاةِ والأبْطَالِ

ولِعَيْنٍ تُبَادِرُ الدَّمْعَ مِنْهَا ... لِكُلَيْبٍ إذْ فَاتَهَا بِانْهِمَالِ

لِكُلَيْبٍ إذِ الرِّيَاحُ عَلَيْهِ ... نَاسِفَاتُ التُّرَابِ بِالأذْيَالِ

إنَّنِي زَائِرٌ جُمُوعًا لِبَكْرٍ ... بَيْنَهُمْ حَارِثٌ يُرِيدُ نِضَالِي[٤]

قَدْ شَفَيْتُ الغَلِيلَ مِنْ آلِ بَكْرٍ ... آلِ شَيْبَانَ بَيْنَ عَمٍّ وخَالِ

كَيْفَ صَبْرِي وقَدْ قَتَلْتُمْ كُلَيْبًا ... وشَقِيتُمْ بِقَتْلِهِ فِي الخَوَالِي

---

(١) البهمة: الشجاع الذي يحار خصمه في الوصول إليه والنيل منه. والشمردل: الطويل.

(٢) سعاليا : السعالى زعموا أنها نوع من الجن ، وهم يشبهون الخيل بها .

(٣) الديمة : المطرة الدائمة السح .

(٤) حارث : هو الحارث بن عباد .

فلعَمْرِي لأَقتُلَنْ بِكُلَيْبٍ كلَّ قَيْلٍ يُسْمَى مِنَ الأَقْيَالِ[1]

ولعَمْرِي لَقَدْ وَطِأْتُ بَنِي بَكْـ ـرٍ بِمَا قَدْ جَنَوْهُ وَطْءَ النِّعَالِ

لَمْ أَدعْ غَيْرَ أَكْلُبٍ ونِساءٍ وإِمَاءٍ حَوَاطِبٍ وعِيَـــالِ

فاشْرَبُوا ما وَرَدْتُمُ الآنَ مِنَّا واصْدُرُوا خاسِرِينَ عَنْ شَرِّ حالِ

زَعَمَ القَوْمُ أَنَّنَا جَارُ سُوءٍ كَذَبَ القَوْمُ عِنْدَنَا فِي المَقَالِ

لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَنَا يَوْمَ سِرْنَا نَسْلُبُ المُلْكَ بِالرِّمَاحِ الطِّوَالِ

يَوْمَ سِرْنَا إِلَى قَبَائِلِ عَوْفٍ بِجُمُوعٍ زُهَاؤُهَا كَالجِبَــالِ

لَمْ يَقُمْ سَيْفُ حَارِثٍ بِقِتَالٍ أَسْلَمَ الوَالِدَاتِ فِي الأَثْقَـالِ

صَدَقَ الجَارُ إِنَّنَا قَدْ قَتَلْنَا بِقِبَالِ النِّعَالِ رَهْطَ الرِّجَالِ

لا تَمَلُّ القِتَالَ يا ابْنَ عُبَادٍ صَبِّرِ النَّفْسَ إِنَّنِي غَيْرُ سَالِ

يا خَلِيـــلَيَّ قَرِّبَا اليَوْمَ مِنِّي كُلَّ وَرْدٍ وأَدْهَمٍ صَهَّـالِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ المُشَهَّرِ مِنِّي لِكُلَيْبٍ الَّذِي أَشَابَ قَذَالِي

قـــرِّبا مربط المشهر مني واسْأَلانِي ولا تُطِيلا سُؤَالِي

قـــرِّبا مربط المشهر مني سَوْفَ تَبْدُو لَنَا ذَوَاتُ الحِجَالِ

قـــرِّبا مربط المشهر مني إِنْ قَوْلِي مُطَابِقٌ لِفِعَالِي

قـــرِّبا مربط المشهر مني لِكُلَيْبٍ فِدَاهُ عَمِّي وخَالِي

قـــرِّبا مربط المشهر مني لاعْتِنَاقِ الكُمَاةِ والأَبْطَـالِ

قـــرِّبا مربط المشهر مني سَوْفَ أُصْلِي نِيرَانَ آلِ بِلالِ

قـــرِّبا مربط المشهر مني إِنْ تَلاقَتْ رِجَالُهُمْ بِرِجَالِي

---

(١) القيل : الأمير العظيم من أمراء اليمن وكان يلي الملك في الرتبة .

قـــربا مربطَ المشهر مني ... طَالَ لَيلِي وأقْصرَتْ عُذَّالي
قـــربا مربطَ المشهر مني ... يَالَ بَكْرٍ وأَيْنَ مِنْكُمْ وِصَالي
قـــرّبا مربطَ المشهر مـــني ... لِنِضَالٍ إِذَا أَرَادُوا نِضَالِي
قـــرّبا مربطَ المشهر مـــني ... لِقَتِيــلٍ سَــفَتْهُ رِيحُ الشَّمَالِ
قـــرّبا مربطَ المشهر مـــني ... مَعَ رُمْحٍ مُثَقَّفٍ عَسَّــالِ
قـــرّبا مربطَ المشهر مـــني ... قَـــرِّبَاهُ وقَـــرِّبَا سِرْبَالي
ثم قولَا لِكلِّ كَهْلٍ ونَاشٍ ... مِنْ بَنِي بَكْرٍ جَرِّدُوا لِلْقِتَالِ
قَدْ مَلَكْنَاكُمْ فَكُونُوا عَبِيدًا ... مَالَكُمْ عَنْ مِلَاكِنَا مِنْ مَجَالِ
وخُذُوا حِذْرَكُمْ وشُدُّوا وجِدُّوا ... واصْبِرُوا لِلنِّزَالِ بَعْدَ النِّزَالِ
فَلَقَدْ أَصْبَحَتْ جَمَائِعُ بَكْرٍ ... مِثْلَ عَادٍ إِذْ مُزِّقَتْ فِي الرِّمَالِ
يَا كُلَيْبًا أَجِبْ لِدَعْوَةِ دَاعٍ ... مُوجَعِ القَلْبِ دَائِمِ البَلْبَالِ
فَلَقَدْ كُنْتَ غَيْرَ نِكْسٍ لَدَى البَأْ ... سِ ولَا وَاهِنٍ ولا مِكْسَالِ
قَدْ ذَبَحْنَا الأَطْفَالَ مِنْ آلِ بَكْرٍ ... وقَهَرْنَا كُمَاتَهُمْ بِالنِّضَالِ
وكَرَرْنَا عَلَيْهِمُ وانْثَنَيْنَا ... بِسُيُوفٍ تَقُدُّ فِي الأَوْصَالِ
أَثْكَلُوا كلَّ ذَاتِ بَعْلٍ وأُخْرَى ... ذَاتِ خِدْرٍ غَرَّاءَ مِثْلَ الهِلَالِ
يَا لَبَكْرٍ فَأَوْعِدُوا مَا أَرَدْتُمْ ... واسْتَطَعْتُمْ فَمَا لِذَا مِنْ زَوَالِ

١٧

ومر ليلة بقبر أخيه وقد عاد من اليمن ، وعلى القبر قبة رفيعة ، فلما رآه خنقته العبرة ، وكان تحته بغل له نجيب ، فلما رأى القبر فى الغلس نفر منه ،

فنزل المهلهل عنه ، وضربه بالسيف فعرقبه ، وقال :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ بَغْلٍ ... بِمَشْحُوذٍ مِنَ النَّبْلِ [1]
أَما تُبْلِغُنِي أَهْلِكَ ... أَوْ تُبْلِغُنِي أَهْلِي
أَكُلَّ الدَّهْرِ مَكْرُوبٌ ... مِنَ الْبُكَاءِ والعزْلِ
وقَدْ قُلْتُ ولَمْ أَعْدِلْ ... كَلاماً غَيْرَ ذِي هَزْلِ
أَلا أَبْلِغْ بَنِي بَكْرٍ ... رِجالاً مِنْ بَنِي ذُهْلِ
وأَبْلِغْ سائِقاً حَلْوَى ... إِلَى قَارِعَةِ النَّخْلِ
بَدَأْتُمْ قَوْمَكُمْ بِالْغَدْ ... رِ والعُدْوَانِ والقَتْلِ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ النَّاسِ ... ومَنْ لَيْسَ بِذِي مِثْلِ
وقُلْتُمْ كُفْؤُهُ رَجُلٌ ... ولَيْسَ الرَّأْسُ كالرِّجْلِ
ولَيْسَ الرَّجُلُ الْماجِدُ ... مِثْلَ الرَّجُلِ النَّذْلِ
فَتًى كَانَ كَأَلْفٍ مِنْ ... ذَوِي الإِنْعَامِ والفَضْلِ
لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا دَهْمَا ... ءَ كَالْحَيَّةِ فِى الجِذْلِ [2]
وقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَنْعَا ... ءَ شَابَتْ مَفْرِقَ الطِّفْلِ
وقَدْ كُنْتُ أَخَا لَهْوٍ ... فَأَصْبَحْتُ أَخَا شُغْلِ
أَلا يَا عَاذِلِي أَقْصِرْ ... لَحَاكَ اللهُ مِنْ عَذْلِ
فَإِنَّا تَغْلِبَ الغَلْبَا ... ءَ نَعْلُو كُلَّ ذِي فَضْلِ
رِجَالٌ لَيْسَ فِى حَرَجٍ ... لَهُمْ مِثْلٌ ولَا شَكْلُ [3]

(١) المشحوذ : الحد المسنون الماضى .

(١) كالحية فى الجذل : كالأفعوان فى أصل الشجر .

(٢) فى هذا البيت إقواء كما يقول أهل العروض ، وهو من العيوب فى الشعر

بِما قَدَّمَ جَسّاس لَهُمْ مِنْ سَيِّئِ الفِعْلِ
سَأَجْزِي رَهْطَ جَسّاسٍ كَحَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ

١٨

وبما رثا أخاه به قوله :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجارِ حَزْمًا وعَزْمًا وَقَتيلاً مِنَ الْأَراقِمِ كَهْلا
قَتَلَتْهُ ذُهْلٌ فَلَسْتُ بِراضٍ أَوْ نُبيدَ الحَيَّيْنِ قَيْسًا وَذُهْلا
وَيَطيرُ الْحَريقُ مِنّا شَرارًا فَيَنالَ الشَّرارُ بَكْرًا وَعِجْلا
قَدْ قَتَلْنا بِهِ وَلا ثَأْرَ فيهِ أَوْ تَعُمَّ السُّيوفُ شَيْبانَ قَتْلا
ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْبًا أَوْ تَحُلّوا عَلَى الْحُكومَةِ حَلّا[1]
ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْبًا أَوْ أُذيقَ العُداةَ شَيْبانَ ثُكْلا
ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْبًا أَوْ تَنالَ الْعُداةُ هُونًا وَذُلّا
ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْبًا أَوْ تَذوقوا الوَبالَ عَلّا وَنَهْلا
ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوا كُلَيْبا أَوْ تَميلوا عَنِ الْحَلائِلِ عُزْلا
أَوْ أَرى القَتْلَ قَدْ تَقاضَى رِجالًا لَمْ يَميلوا عَنِ السَّفاهَةِ جَهْلا
إِنَّ تَحْتَ الأَحْجارِ وَالتُّرْبِ مِنْهُ لَدَفينًا عَلا عَلاءً وَجَلّا
عَزَّ وَاللهِ يا كُلَيْبُ عَلَيْنا أَنْ تَرَى هامَتي دِهانًا وَكُحْلا

١٩

وقال يبكي أخاه كليباً ويتوجع عليه ، ويذكر شأنه مع بكر :

---

(١) يريد أو تقبلوا التحكيم فيما بيننا .

بَاتَ لَيْلِي بِالْأَنْعَمَيْنِ طَوِيلَا ... أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا لَنْ يَزُولَا[١]

كَيْفَ أُمْدِي وَمَا يَزَالُ قَتِيلٌ ... مِنْ بَنِي وَائِلٍ يُنَادِي قَتِيلَا[٢]

أَزْجُرُ الْعَيْنَ أَنْ تُبَكِّي الطُّلُولَا ... إِنَّ فِي الصَّدْرِ مِنْ كُلَيْبٍ فَلِيلَا[٣]

إِنَّ فِي الصَّدْرِ حَاجَةً لَنْ تَقَضَّى ... مَادَعَا فِي الْغُصُونِ دَاعٍ هَدِيلَا[٤]

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا كُلَيْبُ وَلَمَّا ... أَقْضِ حُزْنًا يَنُوبُنِي وَغَلِيلَا

أَيُّهَا الْقَلْبُ أَنْجِزِ الْيَوْمَ نَحْبًا ... مِنْ بَنِي الْحِصْنِ إِذْ غَدَوْا وذُحُولَا[٥]

كَيْفَ يَبْكِي الطُّلُولَ مَنْ هُوَ رَهْنٌ ... بِطِعَانِ الْأَنَامِ جِيلًا فَجِيلَا

إِنْتَضَوْا مَعْجِسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقْنَا ... كَمَا تُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا[٦]

وَصَبَرْنَا تَحْتَ الْبَوَارِقِ حَتَّى ... دَكْدَكَتْ فِيهِمُ السُّيُوفُ طَوِيلَا

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا ... وَأَخُو الْحَرْبِ مَنْ أَطَاقَ النُّزُولَا

٣٠

ولما نجا من وقعة قِضَّة، التي كان يديرها الحارث بن عُباد، وعاد إلى الحي

---

(١) الأنعمان: واديان، هما الأنعم وعاقل بنجد. قال أحد بني عقيل يتشوقه:

وإن بجنب الأنعمين أراكة ... عداني عنها الخوف دان ظلالها

منعمة من فوق أفنانها العلى ... جنى طيب للمجتني لو ينالها

لها ورق لايشبه الورق الذى ... رأينا وحيطان يلوح جمالها

(٢) أمدي: أتبين الأمد الذى أنتهي إليه من هذه الحرب.

(٣) فليل: فلول، قروح وندوب.

(٤) الهديل: صوت الحمام. وزعموا أنه اسم الذكر من الحمام خاصة.

(٥) الذحول: الثارات.

(٦) معجس القسي: مقبضها.

أقبل عليه النساء والولدان يسألونه عن الرجال ، فكانت المرأة تسأل عن زوجها وأخيها وأبيها وولدها ، وكان الغلام يسأل عن أبيه وعمه وأخيه ، فقال المهلهل يخاطبهم :

لَيْسَ مِثْلِي يُخَبِّرُ النَّاسَ عَنْ آ بَائِهِمْ قُتِّلُوا وَيَنْسَى الْقَتِيلَا (١)

لَمْ أَرِمْ عَرْصَةَ الْكَتِيبَةِ حَتَّى انْتَعَلَ الْوَرْدُ مِنْ دِمَاءٍ نِعَالاَ (٢)

عَرَفَتْهُ رِمَاحُ بَكْرٍ فَمَا يَأْ خُذْنَ إِلَّا لَبَّاتِهِ وَالْقَذَالاَ (٣)

غَلَبُونَا وَلاَ مَحَالَةَ يَوْمًا يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالاً فَحَالاَ

٢١

وممـا قاله فى وصف حروبه مع بكر قوله :

أَثْبَتُّ مُرَّةَ وَالسُّيُوفُ شَوَاهِرٌ وَصَرَفْتُ مُقْدَمَهَا إِلَى هَمَّامِ (٤)

وَبَنِي لُجَيْمٍ قَدْ وَطِئْنَا وَطْأَةً بِالْخَيْلِ خَارِجَةً عَنِ الْأَوْهَامِ (٥)

وَرَجَعْنَا نَجْتَنِيُ الْقَنَا فِي ضُمَّرٍ مِثْلِ الذِّئَابِ سَرِيعَةِ الْإِقْدَامِ (٦)

---

(١) وينسى القتيل : يريد به كليبا .

(٢) لم أرم : لم أترك ولم أبرح . عرصة الكتيبة : ساحة القتال . الورد : فرسه

(٣) لبته وقذاله : صدره وقفاه .

(٤) أثبت مرة : أصبته بجراحة لايقوم منها . ومرة : هو ابو جساس . وهمام هو ابن مرة .

(٥) بنو لجيم من أحياء ربيعة . وطئه : نكل به . خارجة عن الأوهام : وطئناهم بحالة لايتصورها وهم متوهم .

(٦) نجتنئ القنا : نميل الرماح . فى ضمر : على خيل مضمرة . يريد نق الخيل برماحنا من اندفاع أعدائنا .

وسَقَيْتُ تَيْمَ اللَّاتِ كَأْسًا مُرَّةً ... كالنَّارِ شُبَّ وقودُهَا بِضِرَامِ (١)

وبُيُوتَ قَيْسٍ قَدْ وَطِئْنَا وَطْأَةً ... فَتَرَكْنَا قَيْسًا غَيْرَ ذَاتِ مُقَامِ (٢)

ولقَدْ قَتَلْتُ الشَّعْثَمَيْنِ وَمَالِكًا ... وابْنَ المُسَوَّرِ وابْنَ ذَاتِ دَوَامِ (٣)

ولقَدْ خَبَطْتُ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً ... أَخْوالُنَا وهُمُ بَنُو الأَعْمَامِ

لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ ... حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الأَعْلَامِ (٤)

قَتَلُوا كُلَيْبًا ثُمَّ قَالُوا أَرْتِعُوا ... كَذَبُوا وَرَبِّ الحِلِّ والإِحْرَامِ (٥)

حَتَّى تَلُفَّ كَتِيبَةً بِكَتِيبَةٍ ... ويَحُلَّ أَصْرَامٌ عَلَى أَصْرَامِ (٦)

وتَجُولَ رَبَّاتُ الخُدُورِ حَوَاسِرًا ... يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذَوَائِبِ الأَيْتَامِ (٧)

حَتَّى تَرَى غُرَرًا تُجَرُّ وجُمَّةً ... وعِظَامَ رُؤْسٍ هُشِّمَتْ بِعِظَامِ

حَتَّى يَعَضَّ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيَّةٍ ... مِمَّا يَرَى جَزَعًا عَلَى الإِبْهَامِ

ولَقَدْ تَرَكْنَا الخَيْلَ فِي عَرَصَاتِهَا ... كَالطَّيْرِ فَوْقَ مَعَالِمِ الأَجْرَامِ

فَقَضَيْنَ دَيْنًا كُنَّ قَدْ ضُمِّنَّهُ ... بِعَزَائِمٍ غُلْبِ الرِّقَابِ سَوَامِي (٨)

مِنْ خَيْلِ تَغْلِبَ عِزَّةً وتَكَرُّمًا ... مِثْلِ اللُّيُوثِ بِسَاحَةِ الآثَامِ

---

(١) تيم اللات : قبيلة من ربيعة وهى التى يقال لها أيضا : تيم الله .

(٢) وبيوت قيس : أحياء قيس بن عيلان .

(٣) الشعثمان : هما شعثم وعبد شمس ؛ ابنا معاوية .

(٤) شوامخ الأعلام : عوالى الجبال .

(٥) ارتعوا : سرحوا خيولكم ترتع فى مراعيها .

(٦) أصرام : جماعات .

(٧) يروى بيضات الخدور . ويمسحن فضل .

(٨) غلب الرقاب : غلاظ الأعناق . سوامى : مرتفعات الرؤوس .

٢٣

وقال يصف قتل كليب ويرثيه ، ويذكر قاتليه ، وما أظن أن هذا هو مطلع القصيدة ، ولعله قد ضاع فيما ضاع من شعر مهلهل :

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ المَرْءِ عَمْرٍو ... وَجَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ ذِى صَرِيمِ (١)

أَصَابَ فُؤَادَهُ بِأَصَمَّ لَدْنٍ ... فَلَمْ يَعْطِفْ هُنَاكَ عَلَى حَمِيمِ (٢)

فَإِنَّ غَدًا وَبَعْدَ غَدٍ لَرَهْنٌ ... لِأَمْرٍ مَا يُقَامُ لَهُ عَظِيمِ (٣)

جَسِيمًا مَا بَكَيْتُ بِهِ كُلَيْبًا ... إِذَا ذُكِرَ الفَعَالُ مِنَ الجَسِيمِ (٤)

سَأَشْرَبُ كَأْسَهَا صِرْفًا وَأَسْقِى ... بِكَأْسٍ غَيْرِ مُنْطِقَةٍ مُلِيمِ (٥)

---

(١) عمرو : هو عمرو بن الحارث الذى شرك جساسا فى قتل كليب . ذو صريم : صاحب قطيعة للرحم . قيل إن كليبا حينما طعنه جساس قال :

أغثنى ياجساس منك بشربة ... تعودها فضلا على وأنعم

فقال له جساس : تجاوزت الأحص وشبيثا ، يعنى أنه تباعد عن مواضع سقياه . ثم نزل إليه عمرو بن الحارث فظنه يسقيه ، فلما علم أنه إنما نزل للإجهاز عليه قال :

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فطعنه فقصم صلبه .

(٢) أصم لدن : رمح مصمت لين .

(٣) لوهن : الفساد وضعف ، ويروى : لرهن ، ولعله الصواب كما يؤيده باقى البيت

(٤) يقول : إنما أبكى من كليب على أمر جسيم لايقوم له شىء .

(٥) غير منطقة مليم : لاتترك مجالا لقول لائم .

٢٣

ولما أجبر على تزويج أخته أو ابنته ، فى بنى جنب كرهاً ، قال ينعى شأنه معهم :

أَعزِزْ عَلى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيَتْ ... أُخْتُ بَنِي الأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمِ (١)

أَنْكَحَهَا فَقْدُهَا الأَرَاقِمَ فِى ... جَنْبٍ وَكَانَ الحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ (٢)

لَوْ بِأَبَانِينَ جَاءَ يَخْطُبُهَـــا ... زُمِّلَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ (٣)

لَيْسُوا بِأَكْفَائِنَا الكِرَامِ وَلَا ... يُغْنُونَ مِنْ عَيْلَةٍ وَلَا عُدُمِ (٤)

أَصْبَحْتُ لَا مَنْفَسًا أَصَبْتُ وَلَا ... أُبْتُ كَرِيمًا حُرًّا مِنَ النَّدَمِ (٥)

---

(١) أعزز : عزيز على قبيلة تغلب أن ترى إحدى أخواتها تلقى هذه المهانة . ويروى :

هان على تغلب الذى لقيت ... أخت بنى المالكين من جشم

(٢) الأراقم : بنو أبيه ربيعة بن الحارث . جنب : حى من مذحج . الحباء : الصداق ، وفى معظم المصادر : الخباء ، وأظنه غلطا . من أدم : من جلد مدبوغ .

(٣) أبانين : جبل كان فى سفحه منازل تغلب . زمل : لطخ . ويروى : ضرج . يعنى لو جاء يخطبها عند قومها لهشموا أنفه وضرجوه بدمه .

(٤) يقول إن بنى جنب ليسوا لنا بأكفاء فى النسب ، وهم مع ذلك فقراء معدمون وضعاف مخذولون .

(٥) المنفس : الشيء الثمين الذى يتنافس فيه . والمنفس : المكان الذى يتنفس فيه الإنسان تنفس الراحة والسكينة .

٣٤

ولما قال له أخوه كليب : إنك زير نساء ، قال يخاطبه :

أَخٌ وحَرِيمٌ سَيِّئٌ إنْ قَطَعْتَهُ ... وسُنَّةُ عَزْمٍ هَدْمُهَا لَكَ هَادِمُ [١]

وَقَفْتَ عَلى ثِنْتَيْنِ إحْداهُمَا دَمٌ ... وأُخْرَى بِهَا مِنَّا تُحَزُّ الغَلَاصِمُ [٢]

فَمَا أَنْتَ إلَّا بَيْنَ هَاتَيْنِ غَائِصٌ ... وكِلْتَاهُمَا بَحْرٌ وذُو الغَيِّ نَادِمُ

فَمَنْقَصَةٌ فِي هٰذِهِ ومَذَلَّةٌ ... وشَرٌّ شَمِرٌ بَيْنَكُمْ مُتَفَاقِمُ [٣]

وكُلُّ حَمِيمٍ أَوْ أَخٍ ذِي قَرَابَةٍ ... لَكَ اليَوْمَ حَتَّى آخِرَ الدَّهْرِ لَائِمُ

فَأَخِّرْ فَإِنَّ الشَّرَّ يَحْسُنُ آخِرًا ... وقَدِّمْ فَإِنَّ الحُرَّ لِلْغَيْظِ كَاظِمُ [٤]

٣٥

وقال يصف أخاه كليباً ويمدحه [٥] :

وأَغَرَّ مِنْ وُلْدِ الأَرَاقِمِ مَاجِدٍ ... صَلْتِ الجَبِينِ مُعَاوِدِ الإِقْدَامِ [٦]

---

(١) والأخ : هو كليب . والحريم : كل ما يجب على المرء صونه وحفظه والدفاع عنه

(٢) تحز الغلاصم : تقطع الأعناق .

(٣) فمنقصة فى هذه : يعنى فى الإقدام على إغضاب جساس فى جاره . ومذلة : وذلك يعنى أنه إذا لم ينفذ ما توعد به جساسا كان فى ذلك مذلة له ، وكلتا الحالتين شر . وشمر : ماض على وجهه . متفاقم : متزايد بالغ أشده .

(٤) يقول إن الشر إذا تأخر إنفاذه كان خيرا ، لأنه لا يكون إلا بعد روية ، وقد تنتج الروية فيه خيرا ، وكظم الغيظ من صفاة الأحرار الكرام .

(٥) قال : أبو عبيد البكرى : هو لمهلهل بن ربيعة ، وقد زعم بعضهم أنه لشرحبيل بن مالك العصمى ، ورواه بعضهم لعمرو بن الأيهم التغلبى .

(٦) الأغر : الأبيض. الأراقم : هم جشم، ومالك، وعمرو ، وثعلبة ، والحارث، =

خلعَ المُلوكَ وسَارَ تحتَ لِوائِهِ شَجَرُ العُرَى وعَرَاعِرُ الأَقوَامِ (١)

إنّا لنَضرِبُ بالصَّوارِمِ هَامَهَا ضَربَ القُدارِ نَقِيعَةَ القُدّامِ (٢)

٣٦

وأنشد له أبو عبيدة :

كلُّ قتِيلٍ في كلَيْبٍ حُلاَّمْ حتى يَنالَ القتلُ آلَ هَمّامْ (٣)

٣٧

وقال يخاطب ابن عنق الحية ، ويصف له شجاعة قومه فى حروبهم ، أيام

ومحاربة ، بنو بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . قيل إنه مر كاهن بأمهم وهم ستة فى قطيفة لها فقالت له : انظر إلى بنى هؤلاء ! فنظر ثم قال : لكأنما رمونى بعيون الأراقم . والأراقم : الحيات . وأمهم هى مارية بنت حمار من بنى عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان . صلت الجبين ، واضح الغرة .

(١) شجر العرى : هو العضاه ، وبه تعتصم الإبل بعد هيج النبات ، أى هم عصم للناس كالعضاه التى تعتصم بها الأموال . شبه من تبعه بهذا الشجر . وعراعر الأقوام : رؤوسهم وقادتهم وذوو الرأى فيهم . وقال أبو عبيد البكرى : وهذه كناية عن شداد الرجال الصابرين على اللأواء ومضض الحروب ويروى : وعراعر ، بالفتح جمع عرعر بالضم . يعنى سادة القوم وأعلامهم ، مأخوذ من عرعرة الجبل . وروى الزمخشرى هذا البيت للبيد بن ربيعة العامرى . ويروى لشرحبيل بن مالك يمدح معديكرب بن عكب .

(٢) القدار : الجزار . والنقيعة : ما يذبح للقادم من سفر ، ضيفا كان أو غيره .

(٣) حلام : دمه هدر . قال أبو على القالى يقول : كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك ، حتى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به . قلت : والحلام الذى ذكره القالى هو الجدى أو الخروف .

الكلاب والسُّلَّان وغيرها :

لَوْ كَانَ نَاهٍ لِابْنِ حَيَّةَ زَاجِرًا ... لَنَهَاهُ ذَا عَنْ وَقْعَةِ السُّلَّانِ[١]

يَوْمٌ لَنَا كَانَتْ رِئَاسَةَ أَهْلِهِ ... دُونَ القَبَائِلِ مِنْ بَنِي عَدْنَانِ

غَضِبَتْ مَعَدٌّ غَثُّهَا وَسَمِينُهَا ... فِيهِ مُمَالَأَةً عَلَى غَسَّانِ[٢]

فَأَزَالَهُمْ عَنَّا كُلَيْبُ بِطَعْنَةٍ ... فِى عُمْرِ بَابِلَ مِنْ بَنِي قَحْطَانِ[٣]

وَلَقَدْ مَضَى عَنْهَا ابْنُ حَيَّةَ مُدْبِرًا ... تَحْتَ العَجَاجَةِ وَالحُتُوفُ دَوَانِ

لَمَّا رَآنَا بِالكُلَابِ كَأَنَّنَا ... أُسْدٌ مَلَاوِثَةٌ عَلَى خُفَّانِ[٤]

تَرَكَ الَّتِى سَحَبَتْ عَلَيْهِ ذُيُولَهَا ... تَحْتَ العَجَاجِ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ[٥]

وَنَجَا بِمُهْجَتِهِ وَأَسْلَمَ قَوْمَهُ ... مُتَسَرْبِلِينَ رَوَاعِفَ المُرَّانِ[٦]

يَمْشُونَ فِى حَلَقِ الحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ ... جُرْبُ الجِمَالِ طُلِينَ بِالقَطِرَانِ

---

(١) ابن حية : هو عمرو بن عنق الحية الذى كان يلى الخراج على ربيعة لملوك كندة . ويوم السلان : كان من أيامهم المذكورة، وكان على الناس ربيعة بن الحارث ومعه كليب والمهلهل .

(٢) غسان : قبيلة يمنية الأصل ، نزلت على ماء بالشام يسمى غسان فسميت به ومنهم ملوك غسان بالشام .

(٣) عمر بابل . الظاهر أنه يريد به عمر الزعفران . والعمر هنا : الدير ، وكان عمر الزعفران حافلا بالقلايات والرهبان . وكان هذا العمر بالجانب الشرقى فى نصيبين ، وهو من مشاهير العمورة والديورة ؛ فلعل الواقعة كانت بجواره أو قريبا منه .

(٤) الكلاب : يوم من أيام العرب المشهورة . الملاوثة : من بهم لوثة وهى ضرب من الجنون . خفان : مأسدة مشهورة .

(٥) التى سحبت عليه ذيولها : الدرع الضافية ؛ يقول إنه ألقاها عن نفسه ليخفف عن فرسه فى انهزامه .

(٦) رواعف المران : الرماح تقطر الدماء من أسنتها .

نِعْمَ الفوارسُ لا فوارسُ مَذْحِجٍ يَوْمَ الهِيَاجِ ولَا بَنُو هَمْدَانِ

هَزَمُوا العُدَاةَ بِكُلِّ أَسْمَرَ مَارِنٍ ومُهَنَّدٍ مِثْـلِ الغَدِيرِ يَمَـانِي

٢٨

وقال ـ بعد أن نهى قومه عن عقر الخيول وكسر السلاح ، يوم مقتل كليب وخروج النساء متسلبات عليه . قال ابن الأثير : وهذا أول شعر قاله فى هذه الحادثة ـ :

كُنَّا نَغَارُ عَلَى العَوَاتِقِ أَنْ تَرَى بِالأَمْسِ خَارِجَةً عَنِ الأَوْطَانِ (١)

فَخَرَجْنَ حِينَ ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّرًا مُسْتَيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَـوَانِ

فَتَرَى الكَوَاعِبَ كَالظِّبَاءِ عَوَاطِلاً إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ مِنَ الأَكْفَانِ (٢)

يَخْمِشْنَ مِنْ أَدَمِ الوُجُوهِ حَوَاسِرًا مِنْ بَعْـدِهِ وَيَعِدْنَ بِالأَزْمَانِ (٣)

مُتَسَلِّبَاتٍ نُـكْدُهُنَّ وَقَدْ وَرَى أَجْوَافُهُـنَّ بِحُرْقَةٍ وَرَوَانِي (٤)

وَيَقُلْنَ مَنْ لِلْمُسْتَضِيقِ إِذَا دَعَا أَمْ مَنْ لِخَضْبِ عَوَالِي المُرَّانِ (٥)

---

(١) العواتق : الأوانس فى حدود الإدراك .

(٢) الكواعب : اللائى كعبت أثداؤهن . عواطل : لاحلى عليهن .

(٣) يخمش : الخمش إدماء الوجوه بالاظافر .

(٤) متسلبات : يعنى أنهن لشدة حزنهن شققن جيوبهن وأرسلن شعورهن . وورى أجوافهن بحرقة : كأن النار قد اشتعلت بأجوافهن من حرقة الحزن . روانى : ناظرات بعيون ذابلة مكسورة .

(٥) المستضيق : من وقع فى ضيق من عيش أو حادث دهر . عوالى المران : الرماح ، وخضبهن : تلويثهن بدماء الأعداء .

أَمْ لِاتِّسَارٍ بِالْجَزُورِ إِذَا غَدَتْ ... رِيحٌ تُقَطِّعُ مَعْقِدَ الأَشْطَانِ[1]

أَمْ مَنْ لِإِسْبَاقِ الدِّيَاتِ وَجَمْعِهَا ... وَلِفَادِحَاتِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ[2]

كَانَ الذَّخِيرَةَ لِلزَّمَانِ فَقَدْ أَتَى ... فِقْدَانُهُ وَأَخَلَّ رُكْنَ مَكَانِي

يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ زَمَانٍ فَاجِعٍ ... أَلْقَى عَلَيَّ بِكَلْكَلٍ وَجِرَانِ[3]

بِمُصِيبَةٍ لَا تُسْتَقَالُ جَلِيلَةٍ ... غَلَبَتْ عَزَاءَ الْقَوْمِ وَالنِّسْوَانِ[4]

هَدَّتْ حُصُونًا كُنَّ قَبْلُ مَلَاوِذًا ... لِذَوِي الْكُهُولِ مَعًا وَلِلشُّبَّانِ[5]

أَضْحَتْ وَأَضْحَى سُورُهَا مِنْ بَعْدِهِ ... مُتَهَدِّمَ الأَرْكَانِ وَالْبُنْيَانِ

فَابْكِينَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَانْدُبْنَهُ ... شُدَّتْ عَلَيْهِ قَبَاطِيَ الأَكْفَانِ[6]

وَابْكِينَ لِلأَيْتَامِ لَمَّا أَقْحَطُوا ... وَابْكِينَ عِنْدَ تَخَاذُلِ الْجِيرَانِ

وَابْكِينَ مَصْرَعَ جِيدِهِ مُتَزَمِّلًا ... بِدِمَائِهِ فَلِذَاكَ مَا أَبْكَانِي

فَلَأَتْرُكَنَّ بِهِ قَبَائِلَ وَائِلٍ ... قَتْلَى بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَمَكَانِ

قَتْلَى تَعَاوَرُهَا النُّسُورُ أَكُفَّهَا ... يَنْهَشْنَهَا وَحَوَاجِلُ الْغِرْبَانِ

---

(١) الاتسار بالجزور : المساهمة فى لحمه والمقامرة عليه ، وقد كانوا يقامرون بالإبل ، فمن قمر صاحبه ألزمه نحر جزور يتقاسمه الأيسار الذين يلعبون الميسر . الأشطان : الحبال .

(٢) إسباق الديات : المسابقة على دفع ديات القتلى عمن لاقدرة لهم بدفعها .

(٣) شبه الزمان ببعير يبرك بصدره وعنقه عليه ، فلا يكاد ينهض عنه .

(٤) لاتستقال : لايمكن طلب رفعها ولا تمنى دفعها .

(٥) ملاوذ : يلوذ بها الخائفون ، ويلجأ إليها اليائسون من شبان وكهول .

(٦) القباطى : ثياب كانت تصنع بمصر .

٢٩

وقال فى وقعة واردات ، وفرار جساس إلى الشام :

لَوْ أَنَّ خَيْلِي أَدْرَكَتْكَ وَجَدْتَهُمْ ... مِثْلَ اللُّيُوثِ بِسَتْرِ غِبِّ عَرِينِ [١]

فَلَأُورِدَنَّ الْخَيْلَ بَطْنَ أَرَاكَةٍ ... وَلَأَقْضِيَنَّ بِفِعْلِ ذَاكَ دُيُونِي [٢]

وَلَأَقْتُلَنَّ جَحَاجِحًا مِنْ بَكْرِكُمْ ... وَلَأُبْكِيَنَّ بِهَا جُفُونَ عُيُونِ [٣]

حَتَّى تَظَلَّ الْحَامِلَاتُ مَخَافَةً ... مِنْ وَقْعِنَا يَقْذِفْنَ كُلَّ جَنِينِ

٣٠

وروى الجاحظ لمهلهل الأبيات الآتية [٤] :

مِلْنَا عَلَى وَائِلٍ وَأَفْلَتَنَا ... يَوْمًا عَدِيٌّ جُرَيْعَةَ الذَّقَنِ [٥]

---

(١) بستر غب عرين : كالأسود خارجة من عرينها بعد أن حجبت به زمنا .

(٢) أراكة : موضع باليمامة يقال له ذو الأراكة ، به نخل لبنى عجل بن لجيم . ونزل بهم رجل فأساؤوا قراه فقال :

لا ينزلن بذى الأراكة راكب ... حتى يقدم قبله بطعام

ظلت بمخترق الرياح ركابنا ... لا مفطرون بها ولا صوام

يا عجل قد زعمت حنيفة أنكم ... عتم القرى وقليلة الآدام

(٣) الجحاجح : السادة الشجعان .

(٤) أنا أشك فى نسبة هذه الأبيات إلى المهلهل . ولا أظنها صادرة عن تغلبى ، وإذا نسبت إلى بكرى كان ذلك أولى بها ، لأنه ما معنى وائل وما المقصود من عدى ؟ إذا لم يكونا كليب والمهلهل ! ؟ أما البيت الأول فقد رواه صاحب اللسان لمهلهل ، والأبيات الأخرى رواها الجاحظ له ، وأنا أثبتها هنا مع شكى فى نسبتها .

(٥) جريعة الذقن : كان فى يدى فأفلت منى ، وقد بلغت نفسه موضع الذقن ، يعنى وما كاد يفلت .

دَفَعْتُ عَنْهُ ٱلرِّمَاحَ مُجْتَهِدًا ... حِفْظًا لِحِلْفٍ وحِلْفِ ذِي يَمَنِ (١)
أَذْكُرُ مِنْ عَهْدِنَا وعَهْدِهِمُ ... عَهْدًا وثِيقًا بِمَنْحَرِ ٱلْبُدُنِ (٢)
مَا بَلَّ بَحْرٌ كَفًّا بِصُوفَتِهَا ... ومَا أَنَافَ الهِضَابُ مِنْ حَضَنِ (٣)
يَزِيدُهُ ٱللَّيْلُ والنَّهَارُ مَعًا ... شَدًّا خِرَاطَ الجَمُوحِ في الشَّطَنِ (٤)

٣١

وقال مهلهل يرثى أخاه كليباً ، ويتفجع عليه :

كُلَيْبُ لا خَيْرَ فى الدُّنْيَا ومَنْ فِيهَا ... إِذْ كُنْتَ خَلَّيْتَهَا فِيمَنْ يُخَلِّيهَا (٥)
كُلَيْبُ أَيُّ فَتًى عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... تَحْتَ السَّقَائِفِ إِذْ يَعْلُوكَ سَافِيهَا (٦)
نَعَى النُّعَاةُ كُلَيْبًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَادَتْ بِنَا الأَرْضُ أَمْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا (٧)

---

(١) كان بين تغلب واليمن حلف قديم ، والمقصود باليمن هنا بعض قبائل قحطان

(٢) منحر البدن : مكان النحر بمنى .

(٣) كانوا يقولون : والله لا كلمته ما بل بحر صوفة . والبحر لا يزال يبل الصوف. إذن لا يكلمه أبداً . حضن : جبل بأعلى نجد .

(٤) الخراط : الجماح . الشطن : الحبل .

(٥) ولجساس أبيات يرد بها على مهلهل يقول فيها :

أبلغ مهلهل عن بكر مغلغلة ... منتك نفسك من غي أمانيها
تبكى كليبا وقدشالت نعامته ... حقا وتضمر أشياء ترجيها
فاصبر لبكر فإن الحرب قد لقحت ... وعز نفسك عمن لا يواليها
فقد قتلنا كليبا لم تبال به ... بناب جار ودون القتل يكفيها
نحمى الذمار ونحمى كل أرملة ... حقا وندفع عنها من يعاديها

(٦) السقائف : يريد بها أحجار القبر : سافيها : ماتسفيه الرياح من التراب .

(٧) مادت : مالت واضطربت . رواسيها : جبالها .

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ ... وانشقّتِ الأرْضُ فانجابَتْ بِمَا فِيهَا [١]

أضحتْ منازلُ بالسُّلّانِ قَدْ دَرَسَتْ ... تَبْكِي كُلَيْبًا ولَمْ تَفْزَعْ أقَاصِيهَا [٢]

ألحَزْمُ والعَزْمُ كانَا مِنْ طَبائِعِهِ ... مَا كُلُّ آلائِهِ يَا قَوْمِ أُحْصِيهَا [٣]

النّاحِرُ الكُومَ مَا يَنْفَكُّ يُطْعِمُهَا ... والواهِبُ المِئَةَ الحَمْرَا بِرَاعِيهَا [٤]

ألقائِدُ الخَيْلَ تَرْدِي فِي أعِنَّتِهَا ... إلّا وقدْ خَضَبَتْهَا مِنْ أعَادِيهَا [٥]

قَدْ كانَ يُصْبِحُهَا شَعْوَاءَ مُشْعَلَةً ... تَحْتَ العَجَاجَةِ مَعْقُودًا نَوَاصِيهَا [٦]

تَكُونُ أوَّلَهَا فِي حِينِ كَرَّتِهَا ... وأنْتَ بِالكَرِّ يَوْمَ الكَرِّ حَامِيهَا

حَتَّى تُكَسِّرَ شَزْرًا فِي نُحُورِهِمُ ... زُرْقَ الأسِنَّةِ إذْ تَرْوِي صَوَادِيهَا

أمْسَتْ وقَدْ أوْحَشَتْ جُرْدٌ بِبَلْقَعَةٍ ... لِلْوَحْشِ مِنْهَا مَقِيلٌ فِي مَرَاعِيهَا

يَنْفِرْنَ عَنْ أُمِّ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِهَا ... والحَرْبُ يَفْتَرِسُ الأقْرَانَ صَالِيهَا

يُهَزْهِزُونَ مِنَ الخَطِّيِّ مُدْمَجَةً ... صُمًّا أنَابِيبُهَا شُهْبًا عَوَالِيهَا [٧]

تَرْمِي الرِّمَاحَ بِأيْدِينَا فَنُورِدُهَا ... بِيضًا ونُصْدِرُهَا حُمْرًا أعَالِيهَا

---

(١) انجابت : تشققت وتمزقت.

(٢) السلان : المكان الذى حدثت به بعض الوقائع ، وله يوم من أيامهم . والظاهر أن أحياء تغلب كانت نازلة به .

(٣) آلاؤه : فضائله ومزاياه .

(٤) الكوم ، جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام .

(٥) تردى : تندفع فى جريها .

(٦) يصبحها شعواء يعنى الغارة التى لاتبق ولا تذر ، فهى آتية من كل مكان

(٧) ويروى : كنتا أنابيبها زرقاء عواليها .

يَارُبَّ يَوْمٍ يكونُ النَّاسُ فى رَهَجٍ بِهِ تَرَانِى عَلَى نَفْسِى مَكاوِيها[1]

مُسْتَقْدِمًا غُصَصًا للحَرْبِ مُقْتَحِمًا نَارًا أُهَيِّجُهَا حِينًا وأُطْفِيها

لا أَصْلَحَ اللهُ مِنَّا مَنْ يُصالِحُكمْ حَتَّى يُصالِحَ ذِئْبَ المَعْزِ رَاعِيها[2]

هـذا ما عثرت عليه من شعر المهلهل بن ربيعة . والظاهر أن له من الشعر قدراً كبيرا ، ضاع أكثره ، أو دخل فى شعر غيره مما تشدق به الرواة من تراث الأقدمين ، ولم يبق إلا أقله ، على أن فى صحة الكثير من هذا القليل الذى ذكرته لنظرا .

---

(١) الرهج : غبار الحرب حينما يرتفع فوق رؤس المقاتلة .

(٢) ويروى : مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها . والغرض أن الصلح بين تغلب وبكر ، مستحيل .

امرؤ القيس بن أبان التغلبي

هو امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم . شاعر جاهلي ؛ كان من أشراف بنى تغلب وساداتهم ، وكان على مقدمتهم زماناً طويلا . وهو وإن لم أقف له على شعر فيما بين يدى من المصادر ، إلا أنه كان ذا شأن فى حروب بكر وتغلب . ولا بد أن شعره قد ذهب فيما ذهب من الشعر . وقد روى الرواة له هذه القصة ، وهى تدل على عقل وحكمة ، آثرت ذكرها له بدلا من شعره :

قال أبو رياش : لما كان آخر وقائع بكر وتغلب ابنى وائل ، خرج بُجير ابن عمرو بن عُباد[1] فى أثر إبل له ندت ، يطلبها فعرض له مهلهل بن ربيعة فى مقنب[2] من مقانب بنى تغلب يطلبون غِرة بكر بن وائل ، فلما نظر إليه أعجبه الغلام وما رأى من جماله وهيئته ، فقال له : من أنت يا غلام ؟ فقال : بجير بن عمرو بن عباد ، قال : فمن خالك ؟ قال : أمى أخيذة ؛[3] فبوأ له الرمح ليطعنه به ، فقال امرؤ القيس بن أبان : لا تفعل ، فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يسأل عن خاله من هو ، وإياك أن تحقر البغى الظلم فإن عاقبتهما وبئة ، وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته[4] واعتزلوا

(١) من الرواة من زعم أن بجيرا هو ابن الحارث ، والراجح أنه كان ابن أخيه عمرو كما حققه أبو رياش فى شرح الحماسة .

(٢) المقنب : كتيبة من الفرسان .

(٣) الأخيذة : المأخوذة فى حرب قهراً . وهى المسبية .

(٤) وفى اعتزال الحارث الحرب بين بكر وتغلب ، قال سعد بن مالك ، جد

قومهم وتركوا القتال مع بكر بن وائل ، فخل عنه وأطعنى . فأبى امرؤ القيس المهلهل إلا قتله ، فطعنه برمحه حتى خرج من ظهره ، وقال : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كليب[1]. فبلغ كلامه عم الغلام الحارث بن عباد وما كان من أمره . وكان من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين ، وكان من أحلم أهل زمانه وأشدّهم بأساً وأقواهم بدنا . فقال الحارث : نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل ، فكف سفهاءهم ، وحقن دماءهم . فقيل له : إن المهلهل إنما قتله بشسع نعل

= طرفة بن العبد ، يذكر حرب البسوس ، ويعرض بقعود الحارث عنها :

يابؤس للحـــرب التى وضعت أراهط فاستراحوا
والحـــرب لاتبقى لجا محها التخيـــل والمراح
إلا الفتى الصبار فى النجـــدات والفرس الوقاح
والنثرة الحصداء والبيـــض المكلل والرماح
وتساقط الأوشاظ والذنبـــات إذ جهد الفضـــاح
والكر بعد الفر إذ كره التقـــدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح
فالهم بيضات الخـــدو ر هناك لا النعم المراح
بئس الخـــلائف بعدنا أولاد يشكر واللقاح
من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لابراح
صبرا بنى قيس لهـــا حتى تريحوا أو تراحوا
إن الموائل خوفها يحتاقها الأجـــل المتاح
هيهات حال الموت دو ن الفوت وانتضى السلاح
كيف الحياة إذا خلت منا الظـــواهر والبطاح
أين الأعـــزة والأســـنة عند ذلك والسماح

ويروى : أين الأعزة . وما أثبتناه أجود .

(1) بؤ بشسع نعل كليب : يعنى أن بجيرا لايفى إلا بقبال نعله ، وهو السير الذى يربط به النعل ، وهذا منتهى التحقير .

كليب! فلم يقبل ذلك ولم يعجل على القوم، وأرسل إليهم: إن كنتم إنما قتلتم بجيراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فإني راض بذلك وطيبة به نفسي ليهدأ هذا الأمر. فأرسل إليه المهلهل: إنما قتلته بشسع نعل كليب.

قلت: ولكن يؤخذ من شعر الحارث أن الذي قتل بجيراً هو امرؤ القيس بن أبان التغلبي، وذلك حيث يقول:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْـ ... ـرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمْكَنَتْنِي الْيَدَانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ يُطْـ ... ـلَلْ بُجَيْرٌ أَبَانَهُ ابْنُ أَبَانِ

والأشعار في ذكر الحوادث، في منزلة الأخبار، وقد تكون أقوى منها في الدلالة عليها.

فقال الحارث بن عباد لِأَمَةٍ له: ردّي جمالك، ألحقك الشر بأهلك[1]، فمن أناس ما أنت. فذهبت مثلا. ثم دعا بفرسه النعامة فجزّ ناصيتها، وهلب ذنبها[2]، ويقال: قطعه، وكان أول من فعل ذلك بالخيل فيما زعموا. فقال بعض العرب: ردّها جَذَعَةً[3]. ثم قال الحارث:

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْـ ... ـطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ
قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ[4]

---

(١) يريد أن قيام الشر هو الذي ردها إلى أهلها.

(٢) هلب ذنبها: نتفه أو قصه.

(٣) ردها جذعة: أي أنه أعاد الحرب إلى شبابها وفتائها بعد أن اكتهلت، وظاهر القول أنه يريد الفرس، ولكن المعنى بهذا إنما هي الحرب.

(٤) لقحت: حملت. والحيال أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل، وهذا مثل ضربه؛ لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها وإنما يعظم أمر الحرب لما ينتج منها من الأمور التي لم تكن في الحسبان.

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي [١]

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي إِنَّ قَتْلَ الْكَرِيمِ بِالشِّسْعِ غَالِ [٢]

ثم ارتحل الحارث بجماعته ، ومن معه من قومه ، وانضم إلى بكر بن وائل ، وكان عليهم يومئذ الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة . فقال الحارث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتلهم بالنساء ! قال الحارث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلد كل امرأة إداوة [٣] : من ماء وأعطها هراوة [٤] واجمل جمعهن من ورائكم ، فإن ذلكم يزيدكم اجتهادا ، وأعلموا بعلامات يعرفنها ، فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه . فأطاعوه ؛ وحلقت بنو بكر يومئذ رءوسها استبسالا للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم . واقتتل الفريقان قتالا شديداً فانهزمت بنو تغلب . قيل : وفي هذه الوقعة ، وهي التي تسمى « يوم التحالق » أسر مهلهل ، أسره الحارث بن عباد وهو لا يعرفه . فقال له : دلني على عدي وأخلي عنك ؟ فقال له : عليك العهد بذلك ؟ قال : نعم . قال : فأنا عدي ! فجز ناصيته وتركه بعد أن قال له : دلني على كفء لبجير ، فدله على امرئ القيس بن أبان هذا . فقصده الحارث وقتله .

وقد وفيت بهذا الحديث عن حروب البسوس وما تقدمها ، وما قيل فيها من الشعر ، وما انتهت إليه . ملخصاً ذلك تلخيصاً جيداً على قدر الإمكان .

---

(١) صالي : مقتحم سعيرها .

(٢) زعم الأصمعي أن الحارث قال قصيدته وله من العمر ١٣٥ سنة ويقال إنه توفي سنة ٥٧٠ ميلادية وله ١٥٠ سنة

(٣) الإداوة : القربة الصغيرة .

(٤) الهراوة : العصا الغليظة .

٥

امرؤ القيس بن حمام الكلبي

وهو امرؤ القيس بن حُمام بن مالك بن عبيدة بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبَرة . شاعر جاهلي . ذكر الرواة أن امرأ القيس هذا كان هجينا . يريدون أن أمه كانت أمةً . وكان يدعى عَدْل الآصرة[١] ، قالوا : وإياه يعنى مهلهل بن ربيعة التغلبي بقوله :

لمَّا توَغَّرَ فى الكُرَاعِ هَجِينُهُمْ   هَلْهَلْتُ أثأرُ جابِرًا أوْ صِنْبِلا[٢]

وبهذا البيت قيل لمهلهل : مهلهل . وكان زُهير بن جناب الكلبي قد أغار على بنى تغلب ومعه امرؤ القيس هذا ، فانهزم امرؤ القيس هاربا .

قال الآمدي : والذى أدركه الرواة من شعره قليل جدا ، ورووا له قوله :

لِآلِ هِنْدٍ بِجَنْبَيْ نَفْنَفٍ دَارُ   لَمْ يَمْحُ جِدَّتَهَا رِيحٌ وأَمْطَارُ[٣]

أَمَا تَرَيْنِي بِجَنْبِ البَيْتِ مُضْطَجِعًا   لا يَطَّبِيني لَدَى الحَيَّيْنِ أَبكارُ[٤]

فَرُبَّ بَيْتٍ يُصِمُّ القَوْمَ رَجَّتُهُ   أَفَأْتُهُ إِنَّ بَعْضَ القَوْمِ عُوَّارُ[٥]

وهى أبيات فى أشعار كليب . وبهذا يتم الحديث عن حروب بكر وتغلب .

(١) عدل الآصرة : إذا لم تكن هذه الكلمة محرفة . كانت بمعنى صاحب الحبس أو صاحب المحابيس . أو هو عدل فى أصل آصرته ، وهم ذوو قرباه . ولعل هذا هو الأصح

(٢) ويروى : لما توقل . لما توغل . ويروى : أثأر مالكا . وهلهلت : قاربت وكدت .

(٣) النفنف هنا اسم موضع بعينه .

(٤) لايطبيني : لايستميلني ولا يملك على نفسي .

(٥) أفأته : تحولت عنه . عوار : تقذى بهم العين .

ما حدث بعد حروب بكر وتغلب

بعد حرب البسوس ، وموت المهلهل ، استمرت الحرب مشتعلة النيران بين الحيين الأخوين بكر وتغلب حتى كادا يتفانيان . غير أنه لما قام الملك عمرو بن هند بأعباء الملك بالحيرة بعد أبيه المنذر بن امرئ القيس ـ وكانت أمه هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر الأشهر ـ ذهب إليه الحارث ابن عمرو وسعى عنده فى شأن العمل على إجراء الصلح بين بكر وتغلب . فدعا الملك عمرو بن هند رؤساء الفريقين وزعماء الحيين ، وتحدث إليهما فى شأن الصلح ، ومازال بهما حتى أوقع التراضى بينهما ، ولأجل ضمان استمرار هذا الصلح ، أخذ من كل حى منهما مائة غلام وجعلهما رُهُنًا لديه على الوفاء . ثم إنه ألف من هؤلاء الغلمان كتيبة يغزو بها من يشاء غزوه من القبائل التى تخرج عليه ويرد بهم جماحها . وغبروا على ذلك زمنا . وبينما هم فى بعض أسفارهم نحو غزواتهم هبت ريح سموم عليهم فأهلكت منهم عامة التغلبيين ولم يصب البكريون منهم بأذى . فأثار هذا الحادث المفاجئ ثائرة قبيلة بنى تغلب فقام زعماؤهم وذهبوا إلى البكريين يطلبون إليهم أن يؤدوا ديات أبنائهم . فأبى عليهم البكريون وقالوا لهم : إن ديات أبنائكم لا تلزمنا . ووقع النزاع بين الزعماء ، وتمادى بهم الغضب ، وكاد الشر يقع بينهم ، فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، وبكر إلى النعمان بن هرم اليشكرى ، واتفقوا على أن يعرضوا الأمر على الملك عمرو بن هند . فلما ذهبوا إليه وأخذوا فى بسط ما هم فيه ، وقع التنازع بين عمرو بن كلثوم والنعمان بن هرم حتى غضب عمرو بن هند ، وهم بالنعمان ، فقام الحارث بن حلزة اليشكرى الشاعر المشهور بين يدى الملك وارتجل ـ فيما قيل ـ قصيدته المشهورة .

وقد اختلف الرواة فيما نشروه منها ، فهى عند الزوزنى ٨٢ بيتا ، وعند التبريزى ٨٥ بيتا ، ومن الغريب أن أبازيد محمد بن أبى الخطاب القرشى لم يذكرها فى جمهرة أشعار العرب ، ولم يشر إليها . مع أن أبا عمرو الشيبانى الراوية المشهور ، كان يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة فى موقف واحد ، ويقول : لو قالها فى حول لم يلم ، وقد ذكر فيها عدة من أيام العرب ، عير ببعضها بنى تغلب ، وعرض وندد بها تصريحا ، بعمرو بن هند الملك . وعاش بعد ذلك مدة ، وهو يعد فى المعمرين ، قيل إنه مات وله ١٥٠ سنة . وقيل إنه مات سنة ٥٨٠ م .

ولما كانت القصيدة كثيرة الأبيات التى لا ينتفع منها قارئ اليوم ، فقد رأيت أن اختار منها ما قد يكون فيه فائدة لطالب الأدب ومستطلع الشعر الجاهلى . وهذا ما رأيت اختياره ، قال الحارث :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)

بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ (٢)

لَا أَرَى مَنْ عَهِدتُ فِيهَا فَأَبْكِي الْـيَوْمَ دَلْهًا وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ ؟ (٣)

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّـارَ أَصِيلًا تُلْوِي بِهَا الْعَلْيَاءُ (٤)

---

(١) آذنتنا : أعلمتنا وأنذرتنا . ببينها : البين الفراق . الثاوى : المقيم . ويمل ، من الملال ، وهو الضجر وعدم الرغبة.

(٢) ويروى : بعد عهد لها . يقول إنها أنذرتنا بالفراق بعد عهدها لنا بهذه المواضع التى هى ببرقة شماء ، والخلصاء .

(٣) يقول : غاب عنى من عهدت فى هذه المواضع ولذلك فإنى أبكى بكاء دلها أى باطلا محيرا ، على أنه لافائدة من هذا البكاء الذى لايغنى شيئاً ولا يرد فائتا .

(٤) وبعينيك:أى بمرأى منك أوقدت هند النار ، وأسماء وهند كن من صويحباته

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصَيْـــنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ (١)

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلَاءُ (٢)

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ (٣)

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُمُّ رِئَالٍ دَوِّيَّـــةٌ سَـــقْفَاءُ (٤)

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقَنَّـــاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ (٥)

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَقْـــعِ مَنِينًا كَأَنَّهُ إِهْبَـــاءُ (٦)

أَتَلَهَّى بِهَا الْهَوَاجِرَ إِذْ كُـلُّ ابْنِ هَمٍّ بَلِيَّـــةٌ عَمْيَـــاءُ (٧)

أصيلا ، أي وقت الأصيل أي عند غروب الشمس . تلوى بها العلياء : أي ترفعها وتضيئها له من المكان المرتفع ، وإنما أراد بالعلياء هنا أرض العالية وهي الحجاز وما يجاوره من بلاد قيس .

(١) العقيق وشخصان اسما مكانين ، غير أن شخصين عبارة عن أكمة لها شعبتان . بعود : يريد بالعود الذي يتبخر به ، وكان الإيقاد قويا حتى أضاء كما تضيء النار .

(٢) تنورتها : نظرت هذه النار وعرفت موقعها خزازى : جبل كانوا يوقدون عليه النار غداة الغارة . هيهات منك الصلاء : أي بعد عنك المكان الذي يمكن أن يصطلى بناره أي تستدفئ بها .

(٣) الثوى : المقيم النجاء السرعة .

(٤) بزفوف : يريد بناقة سريعة تزف في سرعتها زفيف الهقلة أي النعامة . أم رئال : أم فراخ ، وفرخ النعام يسمى رألا . الدوية : الأرض البعيدة الأطراف . وسقفاء : مرتفعة ويريد بها الطويلة العنق .

(٥) آنست : احست نبأة صوت خفي . يريد أن ناقته في سرعتها كأنها النعامة التي أحست بالقناص فأسرعت نحو رئالها ، وناهيك بها في هذه الحال

(٦) المنين : الغبار الدقيق تثيره لشدة عدوها . الرجع : قوائمها . والوقع : وقع خفافها . والاهباء : الغبار وإثارة التراب .

(٧) أتلهى : ألهو بها في الهواجر . وابن الهم : صاحب الهموم . والبلية : الناقة

وأتانا عن الأراقِمِ أنبـــاءٌ وخَطْبٌ نُعْنَى بِهِ ونُساءُ [١]

أنّ إخوانَنا الأراقمَ يَغْــلُونَ علينا فى قيلِهِمْ إحْفاءُ [٢]

يَخْلِطُونَ البَرِىءَ مِنّا بِذِى الذَّنْــبِ ولا يَنْفَعُ الخَلِىَّ الخَلاءُ [٣]

زَعَمُوا أنّ كلَّ مَنْ ضَرَبَ العَــيْرَ مُوالٍ لنا وأنّا الوَلاءُ [٤]

أجْمَعُوا أمْرَهُمْ بِلَيْلٍ فلمّا أصْبَحُوا أصْبَحَتْ لهُمْ ضَوْضاءُ [٥]

مِنْ مُنادٍ ومِنْ مُجيبٍ ومِنْ تَصْــهالِ خَيْلٍ خِلالَ ذاكَ رُغاءُ [٦]

أيُّها النّاطِقُ المُرَقِّشُ عَنّا عِندَ عَمْرٍو وهَلْ لِذاكَ انْتِهاءُ [٧]

= كانت إذا مات الرجل منهم عقلت عند قبره بإزاء رأسه حتى تموت . يريد أن صاحب الهم إذا أخذته الحيرة نجوت أنا على ناقتى ولم أقع فى حيرة .

(١) الأراقم : أحياء من تغلب وجشم وبكر وغيرهم من بنى وائل . شبهوا بالأراقم وهى الحيات . نعنى : نهتم . ونساء : أى أن هذا الخطب يسيئنا .

(٢) يغلون علينا : يبالغون فى ظلمنا ويتزيدون فى القول علينا ويحملونا ذنب غيرنا . إحفاء : مبالغة فى التقصى ونقض العهد .

(٣) يخلطون : يسوون بين ذى الذنب ومن لا ذنب له . الخلى : البرىء عما يتهم به . والخلاء : البراءة .

(٤) يريد أنهم يلزموننا ذنب كل من أتى جرما من الناس جميعا . موال لنا : ناصر لنا ، ذائد عنا .

(٥) يروى : أجمعوا أمرهم عشاء . يريد أنهم ائتمروا بنا ليلا ، ثم أصبحوا فى تعبئة لما أحكموه من إسراج وإلجام واستعداد للحرب .

(٦) من مناد ، يعنى الذى ينادى صاحبه لليقظة والانتباه وإجابة صاحبه له . وبين ذلك صهيل الخيل ورغاء الإبل .

(٧) المرقش : المزين القول بالباطل ليقبل منه الملك عمرو بن هند باطله ، وهل لهذا الباطل بقاء ؟ ويروى : أيها الناطق المقرش عنا . والتقريش والإغراء : الإفساد

لا تَخَلْنَا على غَرَاتِكَ إنّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاءُ [١]

فَبَقِينَا على الشَّنَاءَةِ تَنْمِينَا جُدُودٌ وعِزَّةٌ قَعْسَاءُ [٢]

مَلِكٌ مُقْسِطٌ وأفضَلُ مَنْ يَمْشِي ومِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ [٣]

إرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الخَيْلُ وتَأْبَى لِخَصْمِهَا الإجْلاَءُ [٤]

أَيُّمَا خُطَّةٍ أرَدْتُمْ فَأدُّوهَا إلَيْنَا تَسْعَى بِهَا الإمْلاَءُ [٥]

إنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَالصَّاقِبُ فِيهِ الأَمْوَاتُ والأَحْيَاءُ [٦]

أَوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أغْمَضَ عَيْنًا في جَفْنِهَا الأَقْذَاءُ [٧]

أَوْمَنَعْتُمْ مَا تَسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا العَلاَءُ [٨]

---

(١) لاتخلنا : لاتحسبنا إنا جازعون لإغرائك الملك بنا ، ولقد طالما وشى بنا الأعداء قبلك ، ولم نقم لذلك وزنا ، لأن الوشايات الضالة لاتدوم

(٢) الشناءة : البغض . تنمينا : ترفعنا حظوظنا ، وتمنحنا عزتنا من أن نضام .

(٣) مقسط : عادل . ويروى : ملك باسط ، أي يبسط العدل .

(٤) أرمى : أى منسوب إلى إرم عاد ، إما فى الحلم وإما فى الجسم .

(٥) الخطة : الأمر يقع بين المتشاجرين كل يريد نهجا فيه . فأدوها : فابعثوا بما ترون من ذلك مع سفرائكم . والسفراء عند العرب : الساعون فى إصلاح ذات البين . والإملاء : الجماعات .

(٦) ملحة : مكان . والصاقب : جبل . كانت عندهما وقعة ودفنت بجوارهما الأموات ، والأحياء منا ومنكم يعرفون ذلك .

(٧) يقول إن سكتم على ما كان بيننا وبينكم سكتنا ، ولم نثر الدفائن ، ونغمض أعيننا على ما فيها منكم من أقذاء .

(٨) يقول : فمن بلغكم أنه علا علينا فى قديم الدهر فتطمعون فى ذلك منا . فإذا منعتم ما تسألون فيما بيننا وبينكم فلأى شىء كان ذلك منكم مع ما تعرفون من عزنا وامتناعنا .

لا يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَـــلَدِ السَّـ ـهْلِ ولا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ (١)

لَيْسَ يُنْجِي مُوائِلاً مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وحَرَّةٌ رَجْلاءُ (٢)

فاتْرُكُوا الطَّيْخَ والتَّعَاشِي وإمَّا تتعاشوا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ (٣)

واذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وما قُدِّ مَ فِيهِ العُهُودُ والكُفَلاءُ (٤)

حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعَدِّي وهَلْ يَنْـ ـقُضُ ما فِي المَهَارِقِ الأَهْوَاءُ (٥)

واعْلَمُوا أَنَّنَا وإيَّاكُمْ فِيـــمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءُ (٦)

---

(١) يقول : كانت الغارات تمنع الأعزاء من المقام بالبلد السهل ، بل كانوا يتحصنون بالجبال ويمتنعون برءوس الشعاف . وكان الأذلاء لا ينفعهم الفرار من الموت المحيق بهم . يعني أن الشر كان عاما شاملا لم يسلم منه العزيز ولا الذليل .

(٢) يوائل : يلجأ فزعا وهربا إلى رأس الجبل ، ولا ينجي الهارب التجاؤه إلى الحرة الرجلاء : الغليظة الشديدة .

(٣) الطيخ : الجهل والكلام القبيح والتكبر والتعظم . التعاشي : التعامي . تتعاشوا : تتعاموا وتتجاهلوا . في التعاشي الداء : ففيه الشر الذي يعمكم .

(٤) ذو المجاز : موضع بمنى كانت به سوق في الجاهلية . يريد بالعهود والكفلاء أن عمرو بن هند كان أوقع الصلح بين بكر وتغلب وأخذ عليهم العهود على الوفاء والمواثيق على الإخاء ، كما أخذ منهم رهائن من كل حي ، وهم الكفلاء .

(٥) المهارق : الصحف ، واحدها مهرق . والمهرق : الصحيفة البيضاء . وقيل المهرق : ثوب حرير أبيض كان يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . ويقال أيضا إنه خرزة يصقلون بها الثياب ثم يكتب الناس فيها ، أي في الثياب . وذلك قبل أن تصنع القراطيس بالعراق . وهي كلمة فارسية معربة . وهي بالفارسية « مهركرد » وقيل مهره وهو اسم للخرزة بالفارسية . يقول : وهل تستطيع الأهواء أن تنقض ما هو مكتوب في الصحف ، من عهود ومواثيق ؟

(٦) يقول إننا اشترطنا أن تكون الجنايات علينا وعليكم سواء فلا تلزمنا دونكم .

عَنَنًا بَاطِلاً وظُلْمًا كَمَا تُعْـــتَرُ عَنْ حُجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاءُ [١]

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـــنَمَ غَازِيهِمُ ومِنَّا الجَزَاءُ ! [٢]

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى العِبَادِ كَمَا نِيـــطَ بِجَوْزِ المُحَمَّلِ الأَعْبَاءُ ؟ [٣]

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَو مَا جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ [٤]

---

(١) عننا باطلا : اعتراض باطل منكم إذ تدعون علينا الذنوب ظلما وعدوانا . تعتر : أى أنتم تعاملوننا كما تعامل العتيرة التى تذبح فى رجب . وقد كان العرب فى الجاهلية يفعلون ذلك لآلهتهم .

(٢) قال الأصمعى : كانت كندة أخذت خراج الملك وهربت فوجه إليهم كتائبه فاستباحتهم وقتلت منهم . وقيل إن كندة كانت غزت تغلب وقتلت منهم وسبت . فهو يقول : أتلزموننا ما فعلت كندة بكم ؟

(٣) يقال إن بعض العباد كانوا أصابوا فى بنى تغلب دماء فلم يدرك بنو تغلب ثأرهم منهم . والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية ونزلوا بأرض الحيرة ـ وهم العباديون ـ ولهم شأن فى تاريخ العرب بالجزيرة .

(٤) يقول : هل علينا فى العهود والمواثيق التى أخذتموها علينا أن تأخذونا بما فعلت حنيفة وما اجترمت لصوص محارب وصعاليكها ؟ وذلك أن شمر بن عمرو الحنفى ، وهو أحد بنى سحيم كان ـ لما غزا المنذر بن ماء السماء غسان ، وكانت أم شمر ابن عمرو غسانية ـ خرج يتوصل بجيش المنذر يريد اللحاق بالحارث بن جبلة الغسانى ، فلما دنا من الشام سار حتى لحق بالحارث بن جبلة وقال له : قد أظلك ما لا طاقة لك به ! فندب الحارث بن جبلة مائة رجل من أصحابه وجعلهم تحت لواء شمر الحنفى ثم قال له : سر حتى تلحق بالمنذر وتقول له : إنا معطوه ما يريد وينصرف عنا ، فإذا وجدتم منهم غرة فاحملوا عليهم . فخرج شمر يسير فى أصحابه حتى أتى معسكر المنذر فدخل عليه وأبلغه رسالة الحارث الغسانى ، فركن إلى قوله ، واستبشر أهل العسكر ، وغفلوا بعض الغفلة ، فحمل الحنفى عليه بالسيف فقتله ، وحمل أصحابه على من كان حول القبة وقتلوا منهم وفرّ سائرهم .

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْـــسَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ (١)

ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ (٢)

ثُمَّ فَاءُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَلَا يَبْرُدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ (٣)

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ مِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ (٤)

قالوا إن الملك عمرو بن هند أعجب بهذه الخطبة الشعرية المرتجلة، وعلى إثر إلقائها أمر بجز نواصي السبعين رجلا الذين بقوا فى يده من المائة غلام البكريين، ثم دفعهم إلى الحارث، وتراضى الفريقان.

ويقال إن الحارث بن حلزة ارتجل قصيدته هذه بين يدى الملك عمرو ابن هند وله من العمر مائة وخمس وثلاثون سنة. وهو يعد فى المعمرين، قيل إنه مات وله مائة وخمسون سنة فى نحو سنة ٥٨٠ م.

ومن شعره الحسن هذه الأبيات ـ وكان النضر بن شميل يفضلها ويستجيدها ويقول فيها: لله دره ما أشعره ـ والأبيات هى:

مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْـ ـرِ مَالَ عَلَيَّ عَمْـــدًا (٥)

---

(١) قيل إن قضاعة كانت غزت بنى تغلب وقتلوا منهم وسبوا. وهذا كله تعيير لبنى تغلب، وعمرو بن كلثوم يسمع ذلك كله.

(٢) الشامة: السوداء. والزهراء: البيضاء، يعنى أنهم لم يرجع إليهم شىء عما أخذ منهم.

(٣) فاءوا: رجعوا. قاصمة الظهر: يريد بها الخيبة والفشل الذريع. والغليل والغلة: شدة العطش.

(٤) يريد بالرب هنا: المنذر بن ماء السماء. وكان المنذر غزا أهل الحيارين ومعه بنو يشكر فأبلوا. والرب هنا يريد به السيد. والحياران: بلدان. ويروى: الحوارين.

(٥) يقول: من يحكم بينى وبين الدهر الجائر الذى تعمدنى بالأذى ومال على بما لا طاقة لى بحمله.

أَوْدَى بِسَادَتِنَا وَقَدْ تَرَ كُوا لَنَا حَلَقًا وَجُرْدَا (١)

خَيْلِي وفارِسُهَا وربِّ أَبِيــكَ كَانَ أَعَزَّ فَقْدَا (٢)

فَلَوَ انَّ مَا يَأْوِي إِلَيَّ أَصَابَ مِنْ ثَهْلَانَ فِنْدَا (٣)

أَو رَأْسَ رَهْوَةَ أَو رُؤُوسَ شَمَارِخٍ لَهُدِدْنَ هَدًّا (٤)

فَضَعِي قِنَاعَكِ إِنَّ رَيْبَ الدَّ هْرِ قَدْ أَفْنَى مَعَــدَّا (٥)

فَلَكَمْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدْ جَمَّعُوا مالًا ووُلْدَا (٦)

وهُمُ زَبَابٌ حائِرٌ لا تَسْمَعُ الآذَانُ رَعْدَا (٧)

عِيشِي بِجَــدٍّ لا يَضُرُّ كِ نُوكُ ما لاقَيْتِ جَدَّا (٨)

فالعَيْشُ خَـيرٌ فى ظِلا لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عاشَ كَدَّا (٩)

---

(١) أودى بهم : ذهب بهم . الحلق : الدروع والمغافر . والجرد : الخيول .

(٢) فارسها : لعله يريد به أحد أولاده الذين فقدهم وكان فارساً شجاعا .

(٣) ما يأوى إلى : ما ينزل بساحتى . ثهلان : جبل معروف . والفند : رأس الجبل .

(٤) رأس رهوة ، ورءوس شمارخ : هى رءوس جبال وقممها .

(٥) يقول لها : ضعى قناعك فقد ذهب من كان يستحي منه ، وأفنى الدهر قبائل معد وكانوا خيار الخلق .

(٦) يقول : كم من أناس رأيتهم قد جمعوا الأموال وأنجبوا الأولاد ولم يقهم ذلك من سطوة الدهر .

(٧) الزباب ، جمع زبابة : وهى فأرة صماء حتى لا تكاد تسمع الرعد .

(٨) يقول : عيشى بجد يعنى بحظ ، ولا يضرك النوك ، وهو الجهل ، ما كان حظك قائما .

(٩) يقول : إن العيش الهنىء الناعم فى ظلال الجهل ، خير من العيش الشاق فى ظلال العقل .

أعقاب حرب بكر وتغلب

رأينا بعد أن انتهينا من شأن حرب بكر وتغلب أن ننظر فيما أعقبها من الأحداث ، وتتحدث عن عمرو بن كلثوم لما له من شأن فى هذه العواقب لاسيما أنه كان ابن بنت المهلهل ، وأن نتجوز فى شأنه قليلا ونروى قصيدته المعلقة جامعين فيها بين مختلف الروايات .

ولمولد عمرو قصة طريفة لا بأس من إيرادها والتعقيب عليها بما تحدث به الرواة فى شأنه ومنزلته من الشعراء .

فقد زعموا أن مهلهلا كان قد تزوج هند بنت عتيبة ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك ، فقال لأمها : غيبيها عنى أو اقتليها ؟ . . . فلما نام هتف به هاتف يقول :

كَمْ مِنْ فَتًى مُؤَمَّلِ وَسَــيِّدٍ شَمَرْدَلِ
وعَــدَدٍ لا يُجْهَلِ فى بَطْنِ بِنْتِ مُهَلْهِلِ

فلما استيقظ قال لهند : أين ابنتى ؟ فقالت : قتلتها ! فقال : لا وإلـه ربيعة

ومن هنا أخذ أبو محمد يحي بن المبارك اليزيدى قوله يهجو شيبة بن الوليد أحد القواد فى عهد المهدى العباسى ، ويسخر منه ، فقال :

عش بجد ولا يضرك نوك إنما عيش من ترى بالجدود
عش بجد وكن هبنقة القيــسى نوكا أو شيبة بن الوليد
رب ذى إربة مقل من المــال وذى عنجهية مجــدود
شيب يا شيب يا هنى بنى القعــقاع ما أنت بالحليم الرشيد
لا ولا فيك خصلة من خصال الـــخير أحرزتها بحلم وجود
غير ما إنك المجيــد لتحبــير غناء وضرب دف وعود
فعلى ذا وذاك يحتمل الدهــر مجيداً به وغير مجيــد

وكان أول من حلف بذلك ـ لجاءته بها . فسماها «ليلى» وقيل «أسماء» وعنى بتربيتها وتنشئتها حتى كبرت فتزوجها كلثوم بن مالك . فزعموا أنه لما دخل بها وحملت منه أتاها آت فى المنام فقال لها :

يَا لَكِ لَيْلَى مِنْ وَلَدْ ‏ ‏ يَقْدُمُ إِقْدَامَ الأَسَدْ

مِنْ جُشَمٍ فِى العَدَدْ ‏ ‏ أَقُولُ قَوْلاً لا فَنَدْ

فلما تمت أشهر حملها، ولدت عمرو بن كلثوم . فجاءها الهاتف وهى نائمة فقال :

أَنَا زَعِيمٌ لَكِ أُمَّ عَمْرِو ‏ ‏ بِمَاجِدِ الْجَدِّ كَرِيمِ النَّجْرِ

أَشْجَعَ مِنْ ذِى لِبَدٍ هِزَبْرِ ‏ ‏ وَقَّاصِ أَقْرَانٍ شَدِيدِ الأَسْرِ

يَسُودُهُمْ فِى خَمْسَةٍ وَعَشْرِ

فكان كما قال ـ فيما زعموا ـ ساد عمرو بن كلثوم قومه بنى تغلب ولم يتجاوز الخامسة عشر من عمره . ولا جدال فى أنه كان سيد بنى تغلب وقائدها فى حروبها . وكان مع هذا فارسا كميا، وشاعرا فى مقدمة شعراء زمنه . وقد أطنب الرواة فى شعره ، فقالوا : هو من قدماء الشعراء وأعزهم نفسا ، وأكثرهم امتناعا وأجودهم واحدة . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنه لم يقل غير واحدته ، ولولا أنه افتخر فيها بذكر مآثر قومه ماقالها . ويقول عيسى بن عمر : لله در عمرو بن كلثوم ، أى حلس شعر ، ووعاء علم ! لو أنه رغب فيما رغب فيه غيره من الشعراء ، وإن واحدته لأجود سبعهم ، ولو وضعت أشعار العرب فى كفة وقصيدة عمرو فى كفة لرجحت بأكثرها . ويقال إن قصيدته المعلقة كانت تزيد على ألف بيت ذهب أكثرها وبقى فى أيدى الناس أقلها مما حفظوه وتناقلوه .

ومما لا ريب فيه أن عمرو بن كلثوم قد أنشد من قصيدته بين يدى عمرو بن هند الملك أبياتاً تناسب الحال التى اقتضتها . ثم أكملها بعد ذلك مضمناً إياها أحداثاً ووقائع جرت بعد حادث عمرو بن هند ويقال إنه قام بإنشادها فى يوم من أيام سوق عكاظ . وكان عمرو بن هند . حينما ولى الملك حوالى سنة ٥٦٢ م أراد أن يصلح ما أفسدته حرب البسوس بين بكر وتغلب . غير أن بعض الحوادث استثارت عمرو بن كلثوم فضرب رأس عمرو بن هند بالسيف فى مجلسه فقتله .

وتروى له أشعار كثيرة فى حوادث شتى .

أما قصيدته المعلقة فهاهو نصها الذى نقلناه عن مختلف الروايات ؛ فهى هنا أصح منها فى أى مكان آخر :

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ... وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (١)

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا ... إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا (٢)

تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ ... إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا (٣)

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَّتْ ... عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا (٤)

(١) ألا هبي : ألا أفيق من نومك . الصحن : القدح العظيم . أصبحينا : قدمى لنا الصبوح ، وهو شراب الصباح . الأندرين : قرية من قرى الشام كانت معروفة بجودة الخمر . قال ياقوت : وهى الآن خراب .

(٢) مشعشعة : ممزوجة ، فهى رقيقة . الحص : الورس ، أو هو الزعفران ، شبه صفرتها به . سخينا : جدنا بما فى أيدينا ؛ من السخاء

(٣) تجور : تعدل بذى الحاجة عن مراده حتى يلين لأصحابه ومجالسهم ، مضربا عن أمانيه التى كانت تشغله .

(٤) اللحز : الضيق البخيل السيئ الخلق اللئيم . إذا أمرت : أى أديرت . يعنى أن الخمر إذا تعاطاها البخيل جاد بماله وأهانه فى سبيلها .

كأنَّ الشُّهْبَ فى الآذانِ مِنْهَا ... إذَا قَرَعُوا بِحَافَتِهَا الْجَبِينَا (١)

صَبَنْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ... وكَانَ الْكَأْسُ مُجْرَاهَا الْيَمِينَا (٢)

ومَا شَرُّ الثَّـلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِى لاَ تَصْبَحِينَا (٣)

وكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ ... وأُخْرَى فى دِمَشْقَ وقَاصِرِينَا (٤)

إذَا صَمَدَتْ حُمَيَّاهَا أَرِيبـًـا ... مِنَ الفِتْيَانِ خِلْتَ بِهِ جُنُونَا (٥)

فَمَا بَرِحَتْ مَجَالَ الشَّرْبِ حَتَّى ... تَغَالَوْهَا وقَالُوا قَدْ رَوِينَا (٦)

وإنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا الْمَنَايَا ... مُقَدَّرَةً لَنَا ومُقَدَّرِينَـا (٧)

وإنَّ غَدًا وإنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ ... وبَعْـدَ غَدٍ بِمَا لاَ تَعْلَمِينَا (٨)

قِفِى قَبْـلَ التَّفَرُّقِ يَاظَعِينَا ... نُخَبِّرْكِ الْيَقِينَ وتُخْبِرِينَـا (٩)

بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْبًا وطَعْنًا ... أَقَرَّ بِهِ مَوَالِيـكِ الْعُيُونَا (١٠)

---

(١) يعنى كأن آذان الشرب حينما يدب دبيبها فيهم شهب لحرتها ، وذلك إذا قرعوا جباههم بآنيتها .

(٢) صبنت : صرفت الكأس فأجريتها على اليسار وكان مجراها على اليمين .

(٣) يقول : لست شر أصحابى الثلاثة الذين تسقينهم فكيف أخرتنى عنهم وتركت سقى الصبوح .

(٤) بعلبك ودمشق وقاصرين : بلاد معروفة بالشام .

(٥) صمدت : قصدت . حمياها : سورتها . الأريب : العاقل المهذب .

(٦) الشرب : جمع شارب . والمجال : موضع المجاولة . تغالوها : تنافسوا فيها .

(٧) المنايا : جمع المنية . يقول : خذ حظك منها قبل أن تدركك المقادير فتموت .

(٨) ونحن رهن بما لا تعلم مما هو مقدر لنا شيئا .

(٩) الظعينة : المرأة فى الهودج .

(١٠) بيوم كريهة : يريد بيوم وقعة تستلب فيها النفوس ، فهى كريهة عليها .

قِفِى نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً ... لِوَشْكِ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتِ الْأَمِينَا (١)

أَفِى لَيْلَى يُعَاتِبُنِى أَبُوهَا ... وَإِخْوَتُهَا وَهُمْ لِى ظَالِمُونَا (٢)

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ ... وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الْكَاشِحِينَا (٣)

ذِرَاعَىْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ ... تَرَبَّعَتِ الْأَجَارِعَ وَالْمُتُونَا (٤)

وَثَدْياً مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخْصاً ... حَصَاناً مِنْ أَكُفِّ اللَّامِسِينَا (٥)

وَنَحْراً مِثْلَ ضَوْءِ الْبَدْرِ وَافَى ... بِإِتْمَامٍ أُنَاساً مُدْجِنِينَا (٦)

وَمَتْنَىْ لَدْنَةٍ طَالَتْ وَلَانَتْ ... رَوَادِفُهَا تَنُوءُ بِمَا يَلِينَا (٧)

وَمَأْكَمَةً يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا ... وَكَشْحاً قَدْ جُنِنْتُ بِهَا جُنُونَا (٨)

وَسَارِيَتَىْ بَلَنْطٍ أَوْ رُخَامٍ ... يَرِنُّ خَشَاشُ حَلْيِهِمَا رَنِينَا (٩)

---

(١) الصرم : القطيعة ، وشدة البين : قرب الفراق .

(٢) يقول : أمن أجل ليلى يعاتبنى أبوها وإخوتها ؟ والحق أنهم لى ظالمون .

(٣) على خلاء : على غرة منها . الكاشح : العدو .

(٤) العيطل : الطويل العنق ، يريد بها الناقة فهو يشبه ذراعى ليلى فى طولها بعنق الناقة . والأدماء : البيضاء . تربعت : رعت الربيع . الأجارع : جمع أجرع : وهو الرمل المنبسط . والمتون : جمع متن : وهو ما ارتفع من الأرض .

(٥) أى وتريك ثديا كحق العاج فى بياضه . رخصا : لينا . الحصان : العفيفة ، وهى التى تحصنت من الريبة . ويريد باللامسين : أهل الريب .

(٦) النحر : أعلى الصدر . مدجنينا : جلوس فى الظلمة ، فهو يضىء عليهم كالبدر .

(٧) اللدنة : اللينة . روادفها : أعجازها . وتنوء : تنهض . المتن : الصلب من الإنسان .

(٨) المأكمة : رأس الورك ، ويريد بها العجيزة . والكشح : الخصر .

(٩) السارية : الأسطوانة أى العمود . بلنط : عاج أو رخام ، يعنى ساقين كأنهما

تَذَكَّرْتُ الصِّبَا واشْتَقْتُ لَمَّا ... رأَيْتُ حُمُولَهَا أُصُلاً حُدِينَا (١)

وأَعْرَضَتِ اليَمَامَةُ واشْمَخَرَّتْ ... كأَسْيَافٍ بأَيْدِي مُصْلِتِينَا (٢)

فَمَا وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ ... أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَا (٣)

ولا شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا ... لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إلَّا جَنِينَا (٤)

أَبَا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا (٥)

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا ... ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا (٦)

وأَنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَفْشُو ... عَلَيْكَ ويُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا (٧)

= صنما من عاج أو رخام لتناسقهما فى الضخم والبياض ، وقد حليا بالخلاخيل ذات الرنين متى مشت .

(١) يقول : تذكرت العشق والهوى والتصابى واشتقت إلى من أحب حينما رأيت حمولها قد سيقت بإبلها عشيا وأخذ حاديها يتغنى أمامها .

(٢) أعرضت : ظهرت . اليمامة : يريد قرى اليمامة . اشمخرت : ارتفعت فى أعيننا كأنها السيوف المجردة بأيدى رجال قد سلوها من أغمادها ، فلها بريق ولمعان .

(٣) أم السقب : الناقة . وجدت : جزعت ورددت صوتها فى حزن على فقدان سقبها أى ولدها . يقول : إن حزن هذه الناقة دون حزنه وتوجعه .

(٤) الشمطاء : المرأة قد ابيض شعرها . يقول : لم يبلغ حزن هذه المرأة الشمطاء التى فقدت تسعة بنين لها كلهم ماتوا ودفنوا ، أى أجنهم القبر .

(٥) أبو هند : هو عمرو بن هند الملك . يقول له : لا تعجل علينا بحكمك قبل أن تعرف من أمرنا وشرفنا ما تجهل فعندنا من ذلك الخبر اليقين .

(٦) وهذا الخبر اليقين هو أننا نورد الرايات فى الحروب بيضا ، ونرجعها حمرا قد رويت من دماء الأبطال .

(٧) الضغن : الحقد . يفشو : يكثر وينتشر . الداء الدفين : الكامن فى النفس والمنطوية عليه الأضلاع .

وأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا (١)

وسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِى المُحْجَرِينَا (٢)

تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا (٣)

وأَنْزَلْنَا البُيُوتَ بِذِى طُلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ تَنْفِى المُوعِدِينَا (٤)

وقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الحَىِّ مِنَّا وشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا (٥)

ونَحْنُ إِذَا عِمَادُ الحَىِّ خَرَّتْ عَلَى الأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا (٦)

نُدَافِعُ عَنْهُمُ الأَعْدَاءَ قُدْمًا ونَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونَا (٧)

ورِثْنَا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا (٨)

---

(١) الأيام هنا يريد بها الوقائع . غر : مشهورة . عصينا الملك : أبينا على الملك أن ندين له أو نخضع .

(٢) يقول : ورب سيد مطاع متوج يحمى المحجرين : أى حام للملجئين .

(٣) قتلناه وحبسنا خيلنا على مصرعه . الصفون : جمع صافن وهو الفرس يقوم على ثلاث قوائم ويثنى سنبك الرابع .

(٤) يقول : وأنزلنا بيوتنا بهذه الأماكن المسماة بذى طلوح والشامات ، ونفينا منها أعداءنا .

(٥) يقول : ولما لبسنا أسلحتنا أنكرتنا الكلاب ، وكان لها فى وجوهنا هرير ، وكسرنا شوكة من يقرب منا .

(٦) الأحفاض : أمتعة البيت . والعماد : جمع عمود . أى أنهم كانوا يرحلون بأمتعتهم للنجعة وطلب الكلأ . ومع هذا فهم يمنعون من يجاورهم ويدافعون عنه .

(٧) يعنى أنهم كانوا يدافعون عن جيرانهم ويحملون عنهم أثقال الحياة .

(٨) يقول : قد علمت قبائل معد أننا ورثنا الشرف عن آبائنا الأمجاد ، فنحن نطاعن دونه حتى يظهر لكل ذى عينين .

نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا ... وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إذا غُشِينَا

بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ... ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيضٍ يَخْتَلِينَا (١)

مَتَى نَنْقُلْ إلى قَوْمٍ رَحَانَا ... يَكُونُوا فى اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا (٢)

يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ ... وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا (٣)

تَخَالُ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ فِيهَا ... وُسُوقًا بِالأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٤)

نَجُذُّ رُءُوسَهُمْ مِنْ غَيْرِ وِتْرٍ ... وَلاَ يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٥)

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بِأَيْدِى لاَعِبِينَا (٦)

نَشُقُّ بِهَا رُءُوسَ القَوْمِ شَقًّا ... وَنَخْلِيهَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا (٧)

---

(١) يريد بالسمر : الرماح . اللدن : اللينة . ويريد بالبيض : السيوف . والخطية : الرماح المنسوبة إلى الخط، والخط مرفأ البحرين وإليه كانت الرماح ترد من الهند ومنه تحمل إلى بلاد العرب .

(٢) يقول متى ندير رحى الحرب على قوم من أعدائنا يكونوا لهذه الرحى طحينا .

(٣) الثفال : الجلدة التى توضع تحت الرحى ليقع عليها ما تطحنه من الدقيق . واللهوة : القبضة من الحب المراد طحنه تلق فى فم الرحى .

(٤) الأماعز : الاماكن الصلبة من الارض الكثيرة الحجارة والحصى . والوسوق : الحمول ، جمع وسق .

(٥) نجذ : نقطع . من غير وتر : دون أن يكون لنا ثأر لديهم . ومع ذلك فهم لا يدرون كيف يتقونا لأن ما دهمناهم به أفقدهم القدرة على دفعه .

(٦) المخاريق جمع مخراق : وهو مايلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، فهم يتبادلون الضرب بها بسرعة وخفة .

(٧) نخليها الرقاب : نجعلها فى الأعناق كالخلالى ، أو نخليها نجذها كما نجذ الحشيش من الأرض ، وذلك لحدة السيوف ومضائها .

كأنّ ثيابنا منّا ومنهمْ ... خُضبن بأرجوانٍ أو طُلينا (١)

نزلتم منزلَ الأضياف منّا ... فأعجلنا القِرى أنْ تشتُمونا (٢)

قريناكمْ فعجّلنا قراكمْ ... قُبيلَ الصُّبح مرداةً طحونا (٣)

نَعُمُّ أُناسَنا ونعِفُّ عنهمْ ... ونحملُ عنهمُ ما حمّلونا (٤)

إذا ما عيَّ بالإسنافِ حيٌّ ... من الهول المُشبَّهِ أنْ يكونا (٥)

نَصبْنا مثلَ رهوةَ ذاتِ حدٍّ ... مُحافظةً وكُنّا السابقينا (٦)

بفتيانٍ يرونَ القتلَ مجْداً ... وشيبٍ في الحُروبِ مُجرَّبينا (٧)

يُدهْدِهن الرؤوسَ كما تُدهْدي ... حزاورةٌ بأبطحِها الكُرينا (٨)

---

(١) الأرجوان : شجر له نوار أحمر أحسن ما يكون قالوا إن الكلمة فارسية معرب (أرغوان) .

(٢) أعجلنا القرى : بادرنا إلى إكرامكم لئلا تمدوا ألسنتكم علينا بالشتيمة . وهذا من باب السخرية بهم والاستهزاء .

(٣) المرداة : الصخرة التي تكسر بها الحجارة أو التي يرمى بها . والمراد بها الحرب التي أهلكتهم .

(٤) يقول : نعم عشائرنا بخيرنا ونوالنا ونعف عن أموالهم ونحمل عنهم ما أثقلهم من مؤن وحقوق .

(٥) الإسناف : الإقدام . يقول : إذا عجز عن الإقدام قوم مخافة الأهوال المنتظر وقوعها .

(٦) يقول : نصبنا كتائبنا مثل هذا الجبل المسمى رهوة ، محافظة على أحسابنا وكنا السابقين إلى الحفاظ ،

(٧) يقول : نسبق ونغلب بشبابنا الذين يعدون القتل في الحروب مجداً ، وبشيبنا المجربين في الوقائع .

(٨) يدهدهن الرؤس : يدحرجن الرؤوس ، كما يدحرج الغلمان الكرة بالأرض البطحاء .

حُدَيّا النّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعًا ... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا (١)

فأَمّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ ... فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَبًا ثُبِينَا (٢)

وأَمّا يَوْمَ لا نَخْشَى عَلَيْهِمْ ... فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا (٣)

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ والحُزُونَا (٤)

أَلا لا يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا وأَنَّا قَدْ وَنِينَا (٥)

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا (٦)

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وتَزْدَرِينَا (٧)

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيها قَطِينَا (٨)

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تَرَى أَنّا نَكُونُ الأَرْذَلِينَا (٩)

تُهَدِّدُنَا وتُوعِدُنَا رُوَيْدًا ... مَتَى كُنّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينَا (١٠)

---

(١) حديا الناس : أي نتحدى الناس إلى المقارعة والمبارزة .

(٢) ثبين : جماعات وعصب مؤتلفة .

(٣) نمعن : نسرع في الغارة عليهم . التلبب : التحزم والاستعداد .

(٤) الرأس : السيد ، وهو يريد به هنا الجماعة .

(٥) ونينا : تهاونا وتضعضعنا وضعفنا عن مباشرة النوازل .

(٦) يريد بالجهل هنا الاعتداء والمبادرة بالشر .

(٧) الوشاة هنا : يريد بهم الطاعنين بظاهر الغيب .

(٨) القيل : الرئيس الذي يلي الملك . القطين : العبيد الأذلاء .

(٩) يريد بالأرذلين : المطرودين المنبوذين .

(١٠) المقتوون . الخدم .

وإنَّ قَناتَنا يا عَمْرُو أعْيَتْ عَلى الأعْداءِ قَبْلَكَ أنْ تَلينا (١)

إذا عضَّ الثِّقافُ بِها اشْمَأزَّتْ وولَّتْهُمْ عشَوْزَنَةً زَبُونا (٢)

عَشَوْزَنَةً إذا انْقَلَبَتْ أرَنَّتْ تَشُجُّ قَفا المُثَقِّفِ والجَبينا (٣)

فَهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ جُشَمِ بنِ بَكْرٍ بِنَقْصٍ في خُطوبِ الأوَّلينا (٤)

وَرِثْنا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيْفٍ أباحَ لنا حُصُونَ المَجْدِ دِينا (٥)

وَرِثْتُ مُهَلْهِلاً والخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذّاخِرِينا (٦)

وعَتّابًا وكُلْثُومًا جَمِيعًا بِهِمْ نِلْنا تُراثَ الأكْرَمِينا (٧)

وذا البُرَةِ الذي حُدِّثْتَ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى ونَحْمِي المُحْجَرِينا (٨)

---

(١) يقول قد جرب الأعداء قبلك أن يلينوا من قناتنا فأعيت عليهم فلا تحاول ما حاولوا فيكون نصيبك الفشل .

(٢) الثقاف : الخشبة التي تقوم بها الرماح . اشمأزت : ارتفعت . والعشوزنة : الصلبة . الزبون : الدفوع .

(٣) أرنت : كان لها رنين . المثقف : مقوم الرماح .

(٤) يقول : هل أتاك نبأ بأن قبائل جشم بن بكر حدث لها نقص في خطوبها التي باشرتها في العهود الماضية ؟ .

(٥) هذا علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن غنم ابن جشم بن تغلب بن وائل وهو الذي حين أصابتهم المجاعة في أرضهم وديارهم ، رحل بهم وأنزلهم الجزيرة بالعراق بعد وقائع وحروب ؛ فملكوها وتمتعوا بخيراتها ثم أورثها أبناءه حتى صارت من حق بني تغلب .

(٦) ورث مهلهلا لأنه كان جده لأمه ، وورث زهيراً لأنه كان جده لأبيه .

(٧) عتاب جده وكلثوم أبوه ؛ لأنه عمرو بن كلثوم بن عتاب.

(٨) ذو البرة : هو كعب بن زهير بن تيم . المحجرون : الفقراء اللاجئون .

وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِى كُلَيْبٌ فَأَىُّ المَجْدِ إلا قَدْ وَلِينَا (١)

مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ نَجُذَّ الحَبْلَ أو نَقِصِ القَرِينَا (٢)

وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إذَا عَقَدُوا يَمِينَا (٣)

وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فى خَزَازَى رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا (٤)

وَنَحْنُ الحَابِسُونَ بِذِى أَرَاطَى تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُورُ الدَّرِينَا (٥)

وَنَحْنُ الحَاكِمُونَ إذَا أُطِعْنَا وَنَحْنُ العَازِمُونَ إذَا عُصِينَا (٦)

وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا وَنَحْنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا (٧)

---

(١) يريد بكليب بن وائل سيد بنى تغلب الذى بسببه شبت حرب البسوس . الساعى ، يعنى إلى المجد والعلاء .

(٢) القرينة الناقة التى تقرن إلى أختها ، والمراد متى نقرن إلى غيرنا فى تسابق إلى المجد فى حرب أو سلم وقصنا عنق من يقرن إلينا وتفوقنا عليه .

(٣) الذمار . هو ما يحق على الإنسان أن يحميه ويدرأ عنه العوادى حتى يصير منيعاً .

(٤) يريد يوم أوقدت نار الحرب فى هذا الموضع المسمى خزازى . وكانت فيه وقعة بين ربيعة واليمن ، وكانت قضاعة فيه أحلافاً لربيعة . الرافد : العظيم المدونة.

(٥) ذو أراطى : موضع كانت فيه وقعة من وقائعهم . وتسف الجلة : تطعم الإبل المسنة الجليلة ، الدرين وهو ما تهشم من الشجر . والخور : الغزيرات الألبان .

(٦) الحاكمون يريد بهم المانعين لمن أطاعهم . والعازمون . الثابتون على قتال من عصاهم حتى يردوهم إلى الطاعة .

(٧) يقول : إذا كرهنا شيئاً تركناه ، وإذا رضينا عن شىء أخذناه ، ولا يقوى أحد على إجبارنا على ما لا نرضى أو قسرنا على ترك ما نريد.

وكُنَّا الأَيْمَنِينَ إِذَا الْتَقَيْنَا وكانَ الأَيْسَرِينَ بنو أَبِينَا (١)

فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا (٢)

فآبُوا بالنِّهَابِ وبالسَّبَايَا وأُبْنَا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا (٣)

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا اليَقِينَا (٤)

أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينَا (٥)

تَقُودُ الخَيْلَ دَامِيَةً كُلاهَا إِلَى الأَعْدَاءِ لاحِقَةً بُطُونَا (٦)

عَلَيْنَا البَيْضُ واليَلَبُ اليَمَانِي وأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا (٧)

عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلاصٍ تَرَى تَحْتَ النِّجَادِ لَهَا غُضُونَا (٨)

---

(١) يريد أنهم كانوا حماة الميمنة فى لقاء الأعداء وكان إخوانهم حماةالميسرة.يشير إلى غنائهم فى الحرب التى وقعت بين نزار واليمن عند مقتل كليب وائل لبيد بن عنق الغسانى عامل الغساسنة على تغلب حين لطم أخت كليب وكانت تحته ، أى زوجته.

(٢) صالوا فيهم : حملوا عليهم .

(٣) آب حلفاؤنا بما نهبوا وسلبوا ، وأبنا أى رجعنا إلى ديارنا وفى أصفادنا الملوك والرؤوس .

(٤) بنو بكر هم خصومهم وأبناء عمومتهم .

(٥) يطعن : يتطاعن : والكتائب : الفرق المكتبة أى المجمعة،ويرتمين:يترامون على الأعداء ليحصدوهم .

(٦) الكلى جمع كلية . لاحقة بطونا فى الجهد والبلاء وفوات أوقات الأكل .

(٧) البيض : الخوذ . اليلب : هى الترسة كانت تعمل فى بلاد اليمن من جلود الإبل لايكاد يعمل فيها شىء . وقد تتخذ فوق الرؤس ، وقد تلبس تحت الدروع . والترسة كل مايتترس به للوقاية .

(٨) السابغة الدلاص : الدرع التامة اللينة . الغضون : التكسر . النجاد : حمائل السيف .

إذا وُضِعَتْ على الأبطالِ يومًا وَرَأيتَ لها جُلودَ القومِ جُونا [(١)]

كأنَّ مُتُونَهنَّ مُتونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُها الرِّياحُ إذا جَرَيْنا [(٢)]

وتَحمِلُنا غَداةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ عُرِفْنَ لنا نَقائِذَ وافْتُلِينا [(٣)]

ورَدْنَ دَوارِعًا وخَرَجْنَ شُعْثًا كأمثالِ الرَّصائِعِ قد بَلِينا [(٤)]

ورِثْناهُنَّ عن آباءِ صِدْقٍ ونُورِثُهـا إذا مُتْنا بَنِينا [(٥)]

وقد عَلِمَ القَبائلُ غيرَ فَخْرٍ إذا قُبَبٌ بأبْطَحِها بُنِينا [(٦)]

بأنَّا العاصِمُونَ إذا أُطِعْنا وأنَّا العازِمُونَ إذا عُصِينا [(٧)]

وأنَّا المُنْعِمُونَ إذا قَدَرْنا وأنَّا المُهلِكونَ إذا أُتِينا [(٨)]

---

(١) يريد بالجون السواد .

(٢) المتون : الأوساط . الغدر جمع غدير الماء . والدروع تشبه فى صفائها بالماء فى الغدران .

(٣) الجرد : الخيل . وإنما سميت جرداً لقصر شعرها وهذا يدل على الجودة . النقائذ جمع النقيذة ، وهى المختارة .

(٤) الدوارع : المدرعات ، ودروع الخيل : تجافيفها . والرصائع : عقد الأعنة على قذل الخيل .

(٥) يقول : ورثنا هذه الخيل عن آبائنا الكرام ونورثها أبناءنا إذا نحن متنا .

(٦) ويروى : وقد علم القبائل من معد .

(٧) يريد أنهم يعصمون من يلجأ إليهم ويدخل فى كنفهم من العدوان عليه . ويريد بالعازمين المعتدين بشدة .

(٨) وأنهم ينعمون بالخيرات على كل من يقصدهم متى قدروا . وأنهم يهلكون من أتاهم يريد بهم الشر .

وأنّا الحاكمونَ بما أردْنا	وأنّا النازلونَ بحيثُ شِينا (١)
وأنّا التاركون لما سخطنا	وأنّا الآخذونَ لما هوينا (٢)
وأنّا الطالبونَ إذا نقمنا	وأنّا الضاربونَ إذا ابتلينا (٣)
وأنّا النازلونَ بكلّ ثغرٍ	يخافُ النازلون به المنونا (٤)
وأنّا المانعونَ لما يلينا	إذا ما البيضُ زايلتِ الجفونا (٥)
وأنّا الشاربونَ الماء صفوًا	ويشربُ غيرُنا كدرًا وطينا (٦)
ألا سائلْ بني الطمّاح عنّا	ودُعميًا فكيفَ وجدتمونا (٧)
على آثارنا بيضٌ حِسانٌ	نحاذِرُ أنْ تُفارِقَ أو تهونا (٨)
ظعائنُ منْ بني جُشَمِ بنِ بكرٍ	خلطْنَ بمَيسمٍ حسبًا ودينا (٩)

(١) يريد أن أحكامهم فى أيديهم لايمليها عليهم أحد ، وأنهم ينزلون فى الأرض حيث شاؤا

(٢) يريد أنهم يتركون ما لا يريدون ، ويأخذون مايبتغون .

(٣) وأنهم إذا نقموا على أحد طلبوه حتى يحلوا به نقمتهم ، وأنهم يضربون من قصدهم ببلاء .

(٤) الثغر هنا المكان الذى يخشى أن يطرقه العدو ، والمنون : الموت .

(٥) وأنهم يحمون كل مايليهم من البلاد والأحياء . البيض يريد بها السيوف . وجفونها جفرها .

(٦) وأن شربهم صافى الماء وشرب أعدائهم الماء الكدر والطين .

(٧) بنو الطماح : حى فى نمارة فى بنى وائل . ودعمى : حى من جديلة من إياد . ويروى : ألا أبلغ .

(٨) يريد بالبيض الحسان : نساءهم اللاتى خلفوهن وراءهم ، فهم يقاتلون عنهم حماية لهن من الأعداء .

(٩) الميسم : الحسن . والحسب : مايعد فى مكارم الإنسان ومفاخر أسلافه .

أَخَذْنَ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا ... إِذَا لَاقَوْا فَوَارِسَ مُعْلِمِينَا (١)

لَيَسْتَلِبُنَّ أَبْدَانًا وَبِيضًا ... وَأَسْرَى فِى الحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا (٢)

إِذَا مَا رُحْنَ يَمْشِينَ الهُوَيْنَا ... كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا (٣)

يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ ... بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا (٤)

إِذَا لَمْ نَحْمِهِنَّ فَلَا بَقِينَا ... بِخَيْرٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَيِينَا (٥)

وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ ... تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلِينَا (٦)

كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ ... وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا (٧)

تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ ... قَدِ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا (٨)

إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا ... أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فِينَا (٩)

---

(١) عاهدن بعولتهن على لقاء الفرسان .

(٢) أن يغصبوهم على خيلهم وبيضهم ويكبلوا أسراهم فى الحديد ويأتوا بهم مقرنين فى الأصفاد .

(٣) يصف نساءهم برقة المشى لكثرة لحومهن وثقل أعجازهن ، فهن يمشين فى تبختر مشى السكارى .

(٤) وأنهن يقمن على إطعام خيولنا وعلف جيادنا ، ويقلن : لستم بأزواجنا إذا لم تمنعونا من الأعداء .

(٥) ويروى : إذا لم نحمهن فلا تركنا ... لشىء بعدهن ....

(٦) القلون جمع قلة : الخشبة التى يضربها الصبيان بالمقلاء وهو أطول من المقلة .

(٧) يقول كأنا حال استلال السيوف من أغمادها نحمى الناس جميعا ؛ كأنا ولدناهم فحمايتهم واجبة علينا .

(٨) يقول ترانا بارزين فى الصحارى التى لا وقاية بها لثقتنا بنجدتنا وقوة شوكتنا ، وغيرنا يستجير ويعتصم خوف سطوتنا .

(٩) إذا الملك سام الناس ظلما وأذلهم أبينا ذلك عليه وامتنعنا من الذل والامتهان

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا ... وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا [(١)]

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ... كَذَاكَ الْبَحْرَ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا [(٢)]

نُسَمَّى ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا ... وَلَكِنَّا سَنَبْدَأُ ظَالِمِينَا [(٣)]

تَنَادَى الْمُصْعَبَانِ وَآلُ بَكْرٍ ... وَنَادُوا يَالَ كِنْدَةَ أَجْمَعِينَا

فَإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا ... وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا [(٤)]

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا وَلِيدٌ ... تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

هذا ما أمكن العثور عليه من معلقة ابن كلثوم . والذي رواه التبريزي منها ٩٦ بيتا ، وروى الزوزني ١٠١ بيتا ، أما أبو زيد القرشي فقد روى منها في الجمهرة ١١٦ بيتا ، والذي رويناه هنا ١١٩ بيتا . وإني لأظن أنها أكثر من ذلك ولكن ضاع منها ذلك الكثير [(٥)] . وقد وقفت لعمرو بن كلثوم على أبيات من الشعر منثورة هنا وهناك . لا بأس بإيراد ما عثرت عليه منها . فمن ذلك قوله يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأن خاله كان صائغاً بيثرب :

---

(١) لنا الدنيا أي ملكناها بقوة بطشنا

(٢) يعني أن الدنيا قد ضاقت بهم برا وبحرا ، لما لهم من الجيوش في البر والسفن في البحر .

(٣) ويروى : بغاة ظالمين وما ظلمنا .

(٤) المغلب المغلوب كثيرا .

(٥) وقد عنى بعض المستشرقين بشعر عمرو بن كلثوم فنشر شعره مع شعر الحارث بن حلزة اليشكري والأستاذ فريتز كرنكو الألماني ، وطبعه بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت ، كما عنى المستشرف الألماني ولدفيج أبيل بمعلقته فطبعها مع مقدمة وترجمة عليها وملاحظات قيمة باللغة الألمانية وطبعها في برلين سنة ١٨٩٠ .

لَحَا اللهُ أَدْنانا مِنَ اللُّؤْمِ زُلْفَةً وَأَلْأَمَنا خالاً وَأَعْجَزَنا أَبَا
وَأَجْدَرَنا أَنْ يَنْفخَ الكِيرَ خالُهُ يَصُوغُ القُرُوطَ والشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا

وقوله يعيره بأمه سلمى :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتاجِ وَقَدْ تَكونُ قَدِيماً فِى بَنِى نَاجِ (١)
إِذْ لا تُرَجِّى سُلَيْمَى أَنْ يَكونَ لَهَا مَنْ بِالخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ (٢)
وَلا يَكونُ عَلَى أَبْوابِها حَرَسٌ كَمَا تَلَفَّفَ قِبْطِيٌّ بِدِيبَاجِ
تَمْشِى بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ مَشْىَ المُقَيَّدِ فِى اليَابُوتِ وَالحَاجِ

وبلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان يتوعده فدعا كاتباً وأملى عليه :

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمانَ عَنِّى رِسَالَةً فَمَدْحُكَ حَوْلِىٌّ وَذَمُّكَ قَارِحُ (٣)
مَتَى تَلْقَنِى فِى تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ وَأَشْياعِها تَرْقَ إِلَيْكَ المَسَالِحُ (٤)

ومر الحارث بن أبى شمر الغسانى بقوم من بنى تغلب فلم يخفوا لاستقباله وركب إليه عمرو بن كلثوم فلما لقيه قال له الملك : ما منع قومك أن يتلقونى ؟ فقال له : ما علموا بمرورك ! فقال : لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومى ! فقال له عمرو : ما استيقظ قوم قط إلا نَبُلَ رأيهم ، وعزت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم !! فقال : كأنك تتوعدنى بهم !

(١) الخبت : ما اطمأن من الأرض واتسع ، أو هو الوادى العميق الوطىء. أو هو موضع بالشام . وفرتاج : موضع ببلاد طيء . وبنو ناج : قبيلة من عدوان .

(٢) الخورنق القصر المشهور وكان النعمان بن المنذر بناه لبعض أولاد الأكاسرة وأصل كلمة الخورنق فارسية تلفظ: خورنكاه ، ومعناها مكان الأكل وموضع الشرب . والقين : الحداد .

(٣) الحولى : الصغير من الحيوان . والقارح : الكبير .

(٤) المسالح : الكتائب المسلحة .

ثم مضى متهدداً متوعدا . وعاد عمرو إلى قومه وأخبرهم بتهديد الملك وتوعده [1] وقال :

أَلَا فَاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّا عَلَى عَمْدٍ سَنَأْتِي مَا نُرِيدُ
تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ وَأَنَّ زِنَادَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ
وَأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ يُوَازِيِنَا إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ

ثم إن الحارث غزا بنى تغلب فى جيوشه بنى غسان ، غير أن عمراً فى رجال بنى تغلب هزموا الحارث وقتلوا أخاه وشتتوا شمل بنى غسان بعد مقتلة عظيمة ؛ فقال عمرو :

هَلَّا عَطَفْتَ عَلَى أَخِيكَ إِذْ دَعَا بِالثُّكْلِ وَيْلَ أَبِيكَ يَا ابْنَ أَبِي شَمِرْ
فَذُقِ الَّتِي جَشَّمْتَ نَفْسَكَ وَاعْتَرِفْ فِيهَا أَخَاكَ وَعَامِرَ بْنَ أَبِي حُجُرْ

ومن أخبار عمرو أنه أغار على بنى تميم ، ثم مر على حى من بنى قيس ابن ثعلبة فأصاب منهم أسارى وسبايا ، ثم انتهى إلى بنى حنيفة باليمامة فثار به بنو سحيم وعليهم يزيد بن عمرو بن شمر ، فلما رآهم عمرو بن كلثوم أخذ يرتجز ويقول :

مَنْ عَاذَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلَا اجْتَبَرْ وَلَا سَقَى الْمَاءَ وَلَا رَعَى الشَّجَرْ
بَنُو لُجَيْمٍ وَجَعَاسِيسُ مُضَرْ بِجَانِبِ الدَّوِّ يُدَيْهُونَ الْفِكَرْ

---

(١) ومما تحسن الإشارة إليه . ويدل على عزة بنى تغلب وأنفتهم أنهم ظلوا على جاهليتهم إلى ما بعد الإسلام ، ولما تولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين طالبهم بأداء الجزية، فأبوا أن يعطوها باسم الجزية ، ثم قبلوا أن يؤدوها باسم الصدقة، على أن تكون مضاعفة ! فقال عمر رضى الله عنه : أدوها وسموها ما شئتم !! فلله در عمر ما أوسع عقله . وما أعظم فضله .

فحمل عليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وقاده أسيرا ـ وكان يزيد شجاعا باسلا ـ فشده في القِدّ وقال له : أنت الذي تقول :

مَتَى تَعْقِدْ قَرِينَتُنَا بِحَبْلٍ ... تَجُذَّ الْحَبْلَ أَوْ تَقِصَ القَرِينَا؟

أما إني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما جميعا ! فنادى عمرو بن كلثوم : يالربيعة ؟ أمثلة ؟؟ فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ـ ولم يكن يريد به ذلك ـ ثم سار به إلى بعض قصورهم بحجر وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه وأكرمه وسقاه الخمر . فلما رأى عمرو بن كلثوم ماغمره به من الإكرام أخذ يغني :

أَأَجْمَعَ صُحْبَتِي السَّحَرَ ارْتِحَالَا ... وَلَمْ أَشْعُرْ بِبَيْنٍ مِنْكِ هَالَا

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ هَالَةَ فِي مَعَدٍّ ... أُشَبِّهُ حُسْنَهَا إِلَّا الْهِلَالَا

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ ... وَتَغْلِبَ كُلَّمَا أَتَيَا حِلَالَا

بِأَنَّ الْمَاجِدَ الْقَرْمَ ابْنَ عَمْرٍو ... غَدَاةَ نِطَاعِ قَدْ صَدَقَ الْقِتَالَا

كَتِيبَتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ ... إِذَا يَرْمُونَهَا تَفْنِي النِّبَالَا

جَزَى اللهُ الْأَغَرَّ يَزِيدَ خَيْرًا ... وَلَقَّاهُ الْمَسَرَّةَ وَالْجَمَالَا

بِأَخْذِهِ ابْنَ كُلْثُومِ بْنَ عَمْرٍو ... يَزِيدُ الْخَيْرِ نَازَلَهُ نِزَالَا

بِجَمْعٍ مِنْ بَنِي قُرَّانَ صِيدٍ ... يُجِيلُونَ الطِّعَانَ إِذَا أَجَالَا

يَزِيدُ يُقَدِّمُ الشَّقْرَاءَ حَتَّى ... يُرَوِّي صَدْرَهَا الْأَسَلَ النِّهَالَا

ومما يروى له قوله :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَّ مِنَ الْقَتْلِ

قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا ... بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِي أَرَاكٍ وَذِي أَثْلِ

فما أبقتِ الأيامُ م المالِ عندنا سوى جذمِ أذوادٍ محذّفة النسلِ
ثلاثة أثلاثٍ : فأثمانُ خيلنا وأقواتنا ، وما تسوقُ إلى القتلِ

ومما يتمثل به فى غلبة الطباع على التخلق والتكلف ، قوله :

ولكنْ فطامُ النفس أيسرُ محملاً منَ الصخرةِ الصمّاءِ حينَ ترومُها

هذا ما أردنا تلخيصه من أخبار عمرو بن كلثوم ، وما وجدناه من شعره .

ومما يحسن إيراده أن بنى تغلب كانت تفخر بمعلقته ، ويتناشدها كبارهم ، ويولع بها صغارهم ، فيحفظونها ويرددونها فى كل مناسبة حتى قال فيهم أحد شعراء بكر بن وائل ، أو هو قيس بن زمان بن سلمة المعروف بـ(الموج) التغلبي ، وهو ابن أخت القطامى الشاعر ، وكان أعمى خبيثا من أهل الجزيرة :

ألهى بنِي تغلبٍ عن كلِّ مكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كلثومِ
يُفاخرونَ بها مُذْ كانَ أوّلُهمْ يا للرِّجالِ لشعرٍ غيرِ مسؤومِ
إنَّ القديمَ إذا ما ضاعَ آخرُهُ كساعدٍ فلَّهُ الأيامُ مخطومُ

ويعد عمرو بن كلثوم فى المعمرين . قيل إنه عمر مائة وخمسين سنة . وكانت وفاته فيما قيل سنة ٦٢٢ ميلادية وهى أول سنى الهجرة .

٦

امرؤ القيس بن عابس الكندى

هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر . وهو قرابة امرئ القيس بن حجر . شاعر فارس كندى صحابى . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ورجع إلى بلاده ، وثبت على إسلامه فلم يرتد مع من ارتد من كندة . ثم خرج إلى الشام مجاهداً وشهد اليرموك وغيرها من الوقائع . ويروى أنه كان بينه وبين رجل من حضرموت اسمه ربيعة بن عيدان خصومة فارتفعا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام للحضرمى : بَيِّنَتُكَ وإلْا فَيَمِينُهُ ؟ فقال الحضرمى : يارسول الله، إن حلف ذهب بأرضى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ كاذِبَةٍ يَقْتَطِعُ بِهَا حَقَّ أخِيهِ لَقِىَ الله وهُوَ عَلَيهِ غَضْبان . [1] فقال امرؤ القيس : يارسول الله ! فما لمن تركها وهو يعلم أنه محق ؟ قال : الجنة . قال : فإنى أشهدك أنى قد تركتها له .

وحكى ابن سعد فى الطبقات أن امرأ القيس هذا كان شاعراً ، وقال للأشعث بن قيس لما رفض بيعة أبى بكر الصديق وارتد : أنشدك الله يا أشعث ووفادتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامك أن

(١) هذه رواية ابن عساكر . وفى الجامع الصغير : من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان . قال شارحه المناوى . وهذا الحديث فيه قصة ، وذلك أن ابن مسعود لما حدث بذلك فى مجلسه دخل الأشعث بن قيس فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ـ قالوا : كذا وكذا . قال : صدق ، فى نزلت ، كان بينى وبين رجل أرض باليمن فخاصمته إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : هل لك بينة ؟ قلت : لا . قال : فيمينه ؟ قلت : إذن يحلف ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ـ فذكره ـ فنزلت ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا﴾ الآية .

تنقض[1] دين الله ؟ والله ليقومن بهذا الأمر من بعده ثم يقتل من خالفه ، فإياك إياك ، إبْق على نفسك فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك ، وإن تأخرت افترقوا واختلفوا ؟ . . فأبى الأشعث وقال : قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد . فقال امرؤ القيس : ستَرى ! وأخرى : لا يَدَعُك عاملُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجع إلى الكفر ـ يعنى زياد بن لبيد ـ فلما قدم الأشعث على أبى بكر قال له : ألست الذى تقول قد رجعت العرب إلى ما كانت تعبد ، وتكلمت بما تكلمت ، فرد عليك من هو خير منك ؟ يعنى امرأ القيس بن عابس ، فقال لك : لا يدعك عامله ترجع إلى الكفر ؟ !

ولما ارتدت اليمن فى فتنة مُسَيْلِمَةَ كانت كندة فيمن ارتد . ولكن امرأ القيس ثبت على إسلامه وكتب إلى أبى بكر يقول :

أَلا أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُولَا ... وَخُصَّ بِهَا جَمِيعَ المُسْلِمِينَا

فَلَسْتُ مُجَاوِرًا أَبَدًا قَبِيلًا ... بِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُكَذِّبِينَا

دَعَوْتُ عَشِيرَتِى لِلسِّلْمِ لَمَّا ... رَأَيْتُهُمُ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا

فَقُلْتُ لَهُمْ أَنِيبُوا يَالَ قَوْمِى ... إِلَى مَا قَدْ أَنَابَ الْمُسْلِمُونَا[2]

فَقَدْ وَلَّوْا أَبَا بَكْرٍ جَمِيعًا ... أُمُورَهُمُ هَزِيلًا أَوْ سَمِينَا[3]

(١) يريد ألا تنقض ، وهذا من عباراتهم المعروفة .

(٢) أنيبوا : عودوا إلى الحق والزموا المحجة البيضاء .

(٣) هزيلا أو سمينا : يقول قد أجمع المسلمون على توليته وارتضوه إماما لهم ، فلا اعتراض على ذلك ، أو هو يريد : ما صغر فى أمر المسلمين وما عظم ، هذا هو الأولى

وما عَدَلُوا بِه أحدًا ولَوْلَا ... أبو بَكْرٍ لقَدْ أضْحَوْا عِزِينَا (١)

وكُونُوا مِنْهُم أنى اهْتَدَيْتُمْ ... وإلّا فاقْنَعُوا بِالذُّلِّ فِينَا

فإنى آخِذٌ عَنْكُمْ شِمَالًا ... بِرَحْلِي إنْ ضَلَلْتُمْ أو عَمِينَا (٢)

فَلَمّا أنْ عَصَوْنى لَمْ أُطِعْهُمْ ... ولَمْ أطْمَعْهُمُ مُتَحَزِّبِينَا

أخَذْتُ الفَضْلَ إذْ جارُوا وحَسْبى ... بأخْذِ الفَضْلِ دِينًا مُسْتَبِينَا

فَلَسْتُ مُبَدِّلًا بِاللهِ رَبًّا ... ولا مُسْتَبْدِلًا بِالسِّلْمِ دِينَا (٣)

شَأَمْتُم قَوْمَكم وشَأَمْتُمُونَا ... وغابِرُكم سَيَشْأَمُ غابِرِينَا

وكانَ الأشْعَثُ الكِنْدِيُّ رَأْسًا ... لقَدْ أضْحَى بِهَا غَلِقًا مَدِينَا (٤)

أيَجْمَعُ غَدْرَتَيْنِ مَعًا جَمِيعًا ... وفى شَهْرَيْنِ مَنْكُوبَيْنِ فِينَا

فَلا المُسْلِمِينَ وفَيْتَ صَبْرًا ... وقَدْ صَبَرُوا ولا لِلْمُشْرِكِينَا

فَضَحْتَ بَنِي مُعَاوِيةٍ ولَمَّا ... تَنَلْ بِذَاكَ حِجْرًا والسَّكُونَا (٥)

وكُنْتَ بِهَا أخَا إفْكٍ وكِذْبٍ ... ولَمْ تَكُ فى فِعَالِكَ مُسْتَبِينَا (٦)

ولما سيرت الجيوش الإسلامية إلى أهل الرِّدَّةِ من اليمن انضم إليها امرؤ القيس بن عابس وقاتل فى صفوفها حتى هزمهم الله، واستقاموا على الواضحة. وكان له فى ذلك الفتح غَناء عظيم، وبلاء حسن. ثم نزلت كندة

---

(١) عزين: فرق مختلفة.

(٢) يقول، فإنى مفارقكم إن لم تطيعونى وتثبتوا على الإيمان.

(٣) بالسلم: بالإسلام.

(٤) غلقا: رهينا بما ارتكب من إثم.

(٥) بنو معاوية، وبنو حجر، والسكون: قبائل يمنية إليهم ينسب الأشعث بن قيس

(٦) مستبين: مستوضح الحق من الباطل.

الرياض فرض امرؤ القيس وخاف أن يموت قبل أن يتخذ الحمى بكندة فقال فى ذلك :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَرَى الْوَرْدَ مَرَّةً ... يُطَالِبُ سِرْبًا مُوكَلًا بِعَرَارِ [1]

أَمَامَ رَعِيلٍ أَوْ بِرَوْضَةِ مَنْصَحٍ ... أُبَادِرُ أَنْعَامًا وَإِجْلَ صِوَارِ [2]

وَهَلْ أَشْرَبَنْ كَأْسًا بِلَذَّةِ شَارِبٍ ... مُشَعْشَعَةً أَوْ مِنْ صَرِيحِ عُقَارِ

إِذَا مَا جَرَتْ فِى الْعَظْمِ خِلْتَ دَبِيبَهَا ... دَبِيبَ صِغَارِ النَّمْلِ وَهْىَ سَوَارِى

ثم إن امرأ القيس نزل الكوفة فلم تطب له ، فرحل إلى الشام ونزل فى بيسان ، فلما وقع طاعون عمواس أسرع فى كندة ؛ فقال فى ذلك :

رُبَّ خِرْقٍ مِثْلِ الْهِلَالِ وَبَيْضَا ... ءَ لَعُوبٍ بِالْجِزْعِ مِنْ عَمْوَاسِ [3]

قَدْ لَقُوا اللهَ غَيْرَ بَاغٍ عَلَيْهِمْ ... فَأُحِلُّوا بِغَيْرِ دَارِ أَسَاسِ

وَصَبَرْنَا حَقًّا كَمَا وَعَدَ اللهُ وَكُنَّا فِى الصَّبْرِ قَوْمَ تَأَسِّى

وروى ابن دريد لامرئ القيس بن عابس هذه القصيدة :[4]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمُدِ ... وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِى الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ

---

(١) الورد : فرسه .

(٢) روضة منصح : هى روضة بها منازل بنى وليعة من كندة . إجل صوار : جماعة البقر الوحشية .

(٣) الخرق : السخى الشريف . ويريد به نفسه .

(٤) ورواها غير ابن دريد لامرئ القيس بن حجر وليست من بابته . وزعم ابن الكلبي أنها لعمرو بن معد يكرب . وانظر تعليقنا عليها فى شرحنا لديوان امرئ القيس

وذلكَ مِنْ نَبإٍ جاءَني ... وأُنبِئْتُهُ عَنْ أبي الأسْودِ
ولَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جاءَني ... وجُرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليَدِ
لَقُلْتُ مِنَ القَوْلِ ما لا يَزا ... لُ يُؤثَرُ عَنِّي يَدَ المُسْنَدِ
بِأيِّ عَلاقَتِنا تَرْغَبُونَ ... أَعَنْ دَمِ عَمْرٍو على مَرْثَدِ
فإنْ تَدْفِنُوا الدّاءَ لا نُخْفِهِ ... وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ
وإنْ تَقْتُلونا نُقَتِّلْكُمُ ... وإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ
مَتَى عَهْدُنا بِطِعانِ الكُما ... ةِ والمَجْدِ والحَمْدِ والسُّؤْدُدِ
وبَنْيِ القِبابِ ومَلْءِ الجِفانِ ... والنّـــارِ والحَطَبِ المُفْأَدِ
وأعْدَدْتُ لِلحَرْبِ وَثّابَةً ... جَوادَ المَحَثَّـــةِ والمُرْوَدِ
سَبُوحًا جَمُوحًا وإحْضارُها ... كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ المُوقَدِ
ومُطَّرِدًا كَرِشاءِ الجَرُو ... رِ مِنْ خُلُبِ النَّخْلَةِ الأجْرَدِ
وذَا شُطَبٍ غامِضًا كَلْمُهُ ... إذَا صابَ بِالعَظْمِ لَمْ يَنْأدِ
ومَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةً ... تَضاءَلُ في الطَّيِّ كالمِبْرَدِ[1]
تَفِيضُ عَلى المَرْءِ أرْدانُها ... كَفَيْضِ الأتِيِّ عَلى الجُدْجُدِ

ومما رواه له الرواة قوله :

قِفْ بِالدِّيارِ وُقُوفَ حابِسْ ... وتَأَنَّ إنَّكَ غَيْرُ آيِسْ[2]
لَعِبَتْ بِهِنَّ الغادِياتُ الرّا ... ئِحاتُ مِنَ الرَّوامِسْ[3]

---

(١) هذا وصف للدرع .

(٢) ويروى : وتأي . وهي بمعناها .

(٣) الغاديات : المبكرات . والرائحات من الروامس : هي الرياح .

مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الوُقو ... فِ بِهامِدِ الطَّلَلَيْنِ دَارِسْ
يَا رُبَّ بَاكِيَةٍ عَلَىَّ ... ومُنْشِدٍ لِي فِي المَجَالِسْ[1]
أَوْ قَائِلٍ يَا فَارِسًا ... مَاذَا رُزِئْتُ مِنَ الفَوَارِسْ
لا تَعْجَبُوا أَنْ تَسْمَعُوا ... هَلَكَ امْرُؤُ القَيْسِ بنِ عابِسْ

وروى صاحب الأغانى هذه القصيدة له — قال أبو عمرو الشيبانى :
إن من يرويها لامرئ القيس بن حجر يغلط - وهى قوله :[2]

حَيِّ الحُمُولَ بِجَانِبِ العَزْلِ ... إِذْ لا يُلائِمُ شَكْلُهَا شَكْلِي
مَاذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظَعَنٍ ... إِلَّا صِبَاكَ وَقِلَّةُ العَقْلِ
مَنَّيْتِنَا بِغَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ ... حَتَّى بَخِلْتِ كَأَسْوَإِ البُخْلِ
يَا رُبَّ غَانِيَةٍ لَهَوْتُ بِهَا ... وَمَشَيْتُ مُتَّئِدًا عَلَى رِسْلِي
لا أَسْتَقِيدُ لِمَنْ دَعَا لِصِبًا ... قَسْرًا وَلا أُصْطَادُ بِالخَتْلِ
وَتَنُوفَةٍ جَرْدَاءَ مُهْلِكَةٍ ... جَاوَزْتُهَا بِنَجَائِبٍ فُتْلِ
فَيَبِتْنَ يَنْهَسْنَ الجَبُوبَ بِهَا ... وَأَبِيتُ مُرْتَفِقًا عَلَى رَحْلِي
مُتَوَسِّدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ ... فِي مَتْنِهِ كَمَدَبَّةِ النَّمْلِ
يُدْعَى صَقِيلاً وَهْوَ لَيْسَ لَهُ ... عَهْدٌ بِتَمْوِيهٍ وَلا صَقْلِ
عَفَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا أَهْلِي ... وَلَوَتْ شَمُوسُ بَشَاشَةَ البَذْلِ
نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جَازِئَةٍ ... حَوْرَاءَ حَانِيَةٍ عَلَى طِفْلِ

---

(٤) المنشد : الطالب والذاكر له .

(٥) قلت : ومن تأمل هذه القصيدة لا يشك فى أنها لشاعر تذوق حلاوة الإسلام وفضائله فهى بلا شك لامرئ القيس بن عابس ، أما شرح مفرداتها فراجعه فى شرحنا لديوان امرئ القيس .

فَلَهَا مُقَـــلَّدُهَا ومُقْلَتُها   ولهَـا عَلَيْهِ سَرَاوَةُ الفضْلِ
أَقبَلْتُ مُقْتَصِدًا ورَاجَعَنِي   حِلْمِي وسُدِّدَ لِلنَّدَى فِعْلِي
واللهُ أَنْجَحُ ما طَلَبْتُ بِهِ   والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ
ومِنَ الطَّرِيقَةِ جَائِرٌ وهُدًى   قَصْدُ السَّبيلِ ومِنْهُ ذُو دَخَلِ
إِنّى لأَصْرِمُ مَنْ يُصارِمُنِي   وأُجِدُّ وَصْلَ مَنِ ابْتَغَى وَصْلِي
وأَخِي إِخاءِ ذِي مُحَافَظَةٍ   سَهْلِ الخَلِيقَةِ ماجِدِ الأَصْلِ
حُلْوٍ إِذَا ما جِئْتُ قالَ أَلَا   فى الرُّحْبِ أَنْتَ ومَنْزِلِ السَّهْلِ
نازَعْتُهُ كَأْسَ الصَّبُوحِ ولَمْ   أَجْهَلْ مُجِدَّةَ عُذْرَةِ الرَّجُلِ
إِنّى بِحَبْلِكَ واصِلٌ حَبْلِي   وبِرِيشِ نَبْلِكَ رائِشٌ نَبْلِي
ما لَمْ أَجِدْكَ عَلى هُدَى أَثَرٍ   يَقْرُو مَقَصَّكَ قائِفٌ قَبْلِي
وشَمائِلِي ما قَدْ عَلِمْتَ وما   نَبَحَتْ كِلَابُكَ طارِقًا مِثْلِي

وذكر الرواة أن أم جده السمط كانت تدعى (تملك) وهى من جدات امرئ القيس بن حجر ، وكان بنوها يُدْعَون بها فيقال : حجر بن تملك ، وامرؤ القيس بن تملك . والظاهر أن امرأ القيس بن عابس كان متزوجاً امرأة يقال لها (تملك) أيضاً ، وفيها يقول :[1]

---

(١) وروى أبو هلال العسكرى فى الصناعتين هذين البيتين ونسبهما للفند الزمانى:

أيا تملك ياتمـــل   وذات الطوق والحجل
ذرينى وذرى عذلى   فإن العذل كالقتل

وروى الأصمعى هذه الأبيات ونسبها لرجل فى اليمن ولم يسمه . وسماه غيره فقال هى لامرئ القيس بن عابس وهى .

أيا تملك ياتمـــل   ذرينى وذرى عذلى   =

أَيَا تَمْلِكُ لَا تَمْلِي ... صِلِيبِي وذَرِي عَذْلِي [1]

ذَرِينِي وسِلَاحِي ثُمَّ ... شُدِّي الكَفَّ بِالغَزْلِ [2]

ونَبْلِي وفُقَاهَا كَعَرَا ... قِيبِ قَطًا طُحْلِ [3]

وثَوْبَايَ جَدِيدَانِ ... وأُرْخِي شَرَكَ النَّعْلِ

ومِنِّي نَظْرَةٌ خَلْفِي ... ومِنِّي نَظْرَةٌ قَبْلِي [4]

فَإِمَّا مِتُّ يَا تَمْلِ ... فَمُوتِي حُرَّةً مِثْلِي

وقَدْ أَسْبِي إِلَى القَدْ ... سَيْنِ بِالنَّاقَةِ والرَّحْلِ [5]

وقَدْ أَخْتَلِسُ الطَّعْ ... نَةَ لَا يَدْمَى لَهَا نَصْلِي [6]

= ذريني وسلاحي ثم ... شدي الكف بالغزل

ونبلي وفقاها كعرا ... قيب قطا طحل

وثوباي جديدان ... وأرخي شرك النعل

ومني نظرة خلفي ... ومني نظرة قبلي

فإما مت ياتملي ... فموتي حرة مثلي

وزاد الجحمي : وقد أشنأ للندمان ... بالناقة والرحل

وقد اختلس الضربة ... لايدمى لها نصلي

وقد اختلس الطعنة ... تنفي سنن الرجل

كجيب الدفنس الورها ... ء ريعت وهي تستفلي

(١) لاتملي : لاتضجري .

(٢) شدي الكف بالغزل : يعني دعي أمري والتفتي إلى مغزلك فهو أولى بك

(٣) قطا طحل : في لونها بين الغبر والسواد والبياض .

(٤) أي انظري أمامي وخلفي ويكون ذلك منك منة .

(٥) أسبي : أشتري الخمر . ويروى إلى القدمين .

(٦) يريد أنه لحذقه وسرعته في الطعن لايظهر الدم على نصل الرمح .

كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ وهْىَ تَسْتَفْلِي (١)

وكان امرؤ القيس فى أيام عثمان مغرما بامرأة ، وكانت لا تباليه فيما يظهر له ، فلما حضرته الوفاة جاءته فى جماعة من نسائها تسلم عليه وتعوده ، فرفع رأسه إليها وقال :

أَرَيْتَكِ إِنْ مَرَّتْ عَلَيْكِ جِنَازَتِى تُلَيِّحُ بِهَا أَيْدٍ طِوَالٌ وتَرْجِعُ
أَمَا تَتْبَعِينَ النَّاسَ حَتَّى تُسَلِّمِى عَلَى رَمْسِ قَبْرِى كُلُّ مَيْتٍ مُودَعُ

فبكت ودنت منه ، فقال :

دَنَتْ وظِلَالُ الْمَوْتِ بَيْنِى وَبَيْنَهَا
وجَادَتْ بِوَصْلٍ حِينَ لَا يَنْفَعُ الوَصْلُ
أَلَا لَا يَضُرُّ الْمَــرْءَ طَالَتْ ذُيُولُهُ
إِذَا وَجَبَتْ حَوْبَاؤُهُ الْخُلْفُ والمَطلُ (٢)

فلما حشرج بكت عليه ، وأظهرت جزعا شديداً فقال :

أَلَمْتُ فَحَيَّتْ ثُمَّ عَاجَتْ فَسَلَّمَتْ عَلَى غُصَّةٍ بَيْنَ الحَيَازِيمِ والنَّحْرِ (٣)
خَلِيلَىَّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِى فَاحْفِرَا بِرَابِيَةٍ بَيْنَ المَحَاضِرِ والقَفْــرِ

قالوا : فلما مات أكبت عليه باكية شاهقة . ثم ماتت مكانها .

هذا ما تيسر انتقاؤه من أخبار ابن عابس رضى الله تعالى عنه .

---

(١) الدفنس : المرأة الحمقاء . والورهاء : الرعناء يشبه سعة طعنته بجيب هذه المرأة وقد أخرجت يدها تستفلى شعرها .

(٢) حوباؤه : نفسه . يريد أن المرء مهما عاش فلن يضره خلف الوعد أو مطله متى وجبت نفسه وحان حينها .

(٣) عاجت : مالت . على غصة : أى أن العبرة قد خنقتها .

٧

امرؤ القيس بن بكر الكندى

هو امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية بن ثور ابن مُرتع الكندى . وهو جد إياس بن شراحيل بن قيس بن يزيد بن امرئ القيس أحد من وفد على النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر صاحب أسد الغابة إياساً هذا فقال فى نسبه : إياس بن قيس بن يزيد الذائد ، واسمه امرؤ القيس بن بكر بن الحارث بن معاوية .

وامرؤ القيس هذا شاعر جاهلى وهو الذى يقال له « الذائد » وهو أول من تفقد الشعر ونقده حيث يقول :

أذودُ القَوَافِيَ عَنِّى ذِيَادَا ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِىءٍ جَوَادَا [1]
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَنَّيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا جِيَادَا [2]
فَأَعْزِلُ مَرْجَانَهَا جَانِبًا وَآخُذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا [3]

ولم يرو له الرواة غير هذه الأبيات . وقد أثبتها له ابن الكلبي ، واعتمدها الآمدى فى المؤتلف وقال : وبهذه الأبيات سمى « الذائد » . وزعم بعضهم أنها لامرئ القيس بن عابس الكندى . ورواها غير هؤلاء لامرئ القيس ابن حجر . وما أثبتناه هنا هو الأرجح .

(١) أذود : أدفع وأنحى . القوافى : يريد بها قوافى الشعر أو القصائد نفسها . يعنى أن القوافى تنثال عليه انثيال الجراد فيدفعها عنه كما يدفع الغلام أرجاله ، لأنه يروى أنه قال : ذياد غلام جرىء جرادا . ويروى : غلام سنى ، والسنى . السفيه والخفيف أيضا ، وإليه يرجع اشتقاقه . جواد : كريم لا يمسك شيئا .

(٢) عنينه : تهافتن عليه وكثرن حتى حار فى أمرهن ، ولاقى العناء منهن ، فلا يدرى ماذا يأخذ وماذا يرد : تخير : اختار واصطفى . ستا جيادا : ست قصائد جيدة ، ويروى شتى جيادا . ويروى : فلما كثرن وأعيينى تنقيت منهن عشرا جيادا .

(٣) أعزل : أفرز وأنحى . المرجان : يريد به صغار الدر

٨

امرؤ القيس بن بحر الزهيرى الكلبي

شاعر جاهلى قديم ، من شعراء كلب بن وبرة ، ومن ولد زهير بن جناب الكلبي الشهير . كان من الفرسان الأشداء ، والشعراء الأبيناء . شهد حرب بكر وتميم يوم القاع ، وقتل شملة بن أوس التيمى أحد فرسانهم ، وفى هذا اليوم أسر بسطامُ بنُ قيس الشيبانى أوسَ بن حجر الشاعر . والظاهر أن شعره قد عدت عليه العوادى ولم يحفظ منه الرواة إلا قوله فى هذه الوقعة :

طَعَنْتُ غَدَاةَ القَاعِ شَمْلَةَ طَعْنَةً ... تَرَكْتُ أَبَا أَوْسٍ صَرِيعًا مُجَدَّلَا (١)

وأَجْرَرْتُهُ رُمْحِي فَغُودِرَ ثَاوِيًا ... عَلَيْهِ سِبَاعُ القَاعِ يَرْدِينَ حُجَّلَا (٢)

هذا ما عثرت عليه من شأنه الآن .

---

(١) غداة القاع : أى يوم القاع الذى حدثت فيه الحرب بين بكر وتميم . صريعا : ملقى . مجدل : ملقى على الجدالة وهى الأرض .

(٢) وأجررته رمحى : يقول : لما طعنته تركت رمحى فيه . فغودر : فترك . ثاويا : مقيما . يردين : ينحدرن عليه .

٩

امرؤ القيس بن مالك الحميرى

شاعر جاهلى قديم . وقد أثبت الآمدى فى كتاب المؤتلف والمختلف أن القصيدة الآتية له . وقد رواها بعضهم لامرئ القيس بن حجر الكندى . قال الآمدى : وذلك باطل ، إنما هى لامرئ القيس هذا الحميرى ، وهى ثابتة فى أشعار حمير . قلت ولهذا فقد رفعتها من ديوان امرئ القيس ولم أثبتها له ، وقد نقلها الصاغانى فى التكملة لامرئ القيس بن مالك هذا . والأبيات هى :

أَيَا هِنْدُ لا تَنْكِحِى بُوهَةً ... عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا [1]

مُرَسَّعَةً بَيْنَ أَرْسَاغِهِ ... بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِى أَرْنَبَا [2]

لِيَجْعَلَ فى يَدِهِ كَعْبَهَا ... حِذَارَ المَنِيَّةِ أَنْ يُعْطَبَا [3]

---

(١) البوهة : الرجل الضاوى الطائش الأحمق : العقيقة : صوف الجذع أو الشاة تذبح عند حلق شعر المولود . وكانت العرب تجعل من صوف الجذع فى هذه الحالة تميمة يعلقونها على المولود لدفع العين ـ زعموا ـ والأحسب : من ابيضت جلدته من داء فقسدت شعرته فصار أبيض وأحمر .

(٢) مرسعة،الترسيع : فساد فى الأجفان وتغير فى العين والتصاق . الأرساغ جمع رسغ : وهو مفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم . العسم : يبس فى مفصل الرسغ تعوج منه اليد . ويروى : مرسغة . وما أثبتناه أجود .

(٣) قال الجاحظ : كانت العرب فى الجاهلية تقول : إن من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا نفس ولا سحر ، وكانت عليه واقية .

وهذه الأبيات الثلاثة هى التى رواها الآمدى ، ورواها الجاحظ ، والظاهر أن الآمدى اكتفى بها عن باقى الأبيات ليدل بها عليها ، وأن الجاحظ اكتفى بها ليدل بها على شىء من خرافات العرب . وقد سقت الأبيات كما عثرت عليها .

فَلَسْتُ بِخُرْزَافَةٍ فى القُعُو ... دِ ولَسْتُ بِطَيَّاخَةٍ أَخْدَبَا [١]

ولَسْتُ بِذِى رَثْيَةٍ إِمَّرٍ ... إِذَا قِيدَ مُسْتَكْرَهًا أَصْحَبَا [٢]

وقالتْ بِنَفْسِى شَبَابٌ لَهُ ... ولِمَّتُهُ قَبْلَ أَنْ يَشْجَبَا [٣]

وإِذْ هِىَ سَوْدَاءُ مِثْلُ الجَنَا ... حِ تَغْشَى المَطَانِبَ والمَنْكِبَا [٤]

فَلَمَّا انْتَحَيْتُ بِعَيْرَانَةٍ ... تُشَبِّهُهَا قِطِيمًا مُصْعَبَا [٥]

تَجَاوَبُ أَصْواتُ أَنْيابِهَا ... كَمَا رُعْتَ فى الضَّالَةِ الأَخْطَبَا [٦]

كَأَكْدَرَ مُلْتَئِمٍ خَلْقُهُ ... تَرَاهُ إِذَا ما عَدَا تَوْلَبَا [٧]

---

(١) الخزرافة : من لا يحسن القعود فى المجلس ، والكثير الكلام الخفيف الرخو. والطياخة ، مبالغة فى الطيخ : وهو الحمق ، فهو لا يفتأ يقع فى بلية ويتردى فى نكبة . والأخدب : الطويل الأعوج الذى يركب رأسه ، فهو لا يتمالك عن الاستطالة والحمق والجهل .

(٢) الرثية . مرض المفاصل ، وهو المعروف بالرماتزم . إمر : ضعيف فى الرجال لا رأى له ، فهو لا يزال يؤمر فيأتمر دون نكير . أصحب : أطاع .

(٣) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن والمسترسل على المنكبين . يشجب : يهلك . والأولى عندى أن يقال : قبل أن يشحبا . من الشحوب وهو التغير ، لأنها رأته شاحبا متغيرا ، ولم تره هالكا .

(٤) سوداء مثل الجناح : يعنى أن اللمة كانت مثل جناح الغراب سوادا ، وهذا دليل الشباب والفتوة . المطانب ، جمع مطنب : وهو حبل العاتق الممتد إلى المنكب.

(٥) انتحيت : ملت ناحية . العيرانة : الناقة الصلبة القوية ، كأنه مستعار من العير وهو الحمار الوحشى . القطيم : الجمل الصعب الصؤول . والمصعب : الصعب القياد .

(٦) رعت : أفزعت . الضالة : شجرة الضال . الأخطب : طائر يسمى الشقراق .

(٧) الأكدر : حمار الوحش . ملتئم خلقه : مكتنز مدمج الخلق . التولب : الجحش الغليظ المجتمع الخلق . ويروى تألبا .

١٠

امرؤ القيس بن كلاب العقيلي

هو امرؤ القيس بن كُلاب بن رزام الخُويلدي العقيلي من بني خُويلد ابن عَوف بن عامر بن عقيل . كان من شعراء الجاهلية ، ولم يرو له الرواة إلا قوله يهجو سوادة بن كلاب ويذكر شأنه معه :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَخِيلَةً فَتَبِعْتُهَا مَطَرَتْ عَلَيَّ بِحَاصِبٍ وَتُرَابِ (١)

إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ تَجِيءَ مَنِيَّتِي حَتَّى أَغِيظَ سَوَادَةَ بنِ كِلَابِ (٢)

أَنَّى أُتِيحَ لَهَا وَكَانَ بِمَعْزِلٍ وَلِكُلِّ أَمْرٍ وَاقِعٍ أَسْبَابُ (٣)

هذا ما عثرت عليه من شأنه وشعره .

---

(١) المخيلة : السحابة يخال فيها مطر . وإنما يريد أن يقول لسوادة بن كلاب إني خدعت بك وتخيلت الخير من جهتك فإذا بي أرى الشر لا يجيئني إلا من قبلك ، فأنت كالسحابة التي لا تمطر إلا الحصى والتراب .

(٢) يقول إني لا أحب أن أموت حتى آتي بما يبعث الغيظ في نفس سوادة .

(٣) أنى أتيح لها : كيف يمكن بلوغ هذه الأمنية ، وقد يكون بمعزل عني . ولكن لا بأس من ذلك فقد تواتيني الأسباب فأبلغ ما أريد فيه . وفي هذا البيت إقواء ، وهو كثير في شعر أهل الجاهلية ، مباح لهم دون سواهم .

١١

امرؤ القيس بن عمرو الكندي

هو امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث بن معاوية الأكرمين بن ثور ابن مُرتِع[١] الكندي . شاعر من شعراء الجاهلية ، وهو قرابة امرئ القيس ابن حجر . وكانت حرب قد وقعت بين بنى الحارث بن معاوية رهط هذا الشاعر وبين بنى تميم ، فكانت الهزيمة فيها على بنى تميم ، وانتصرت عليهم بنو الحارث وفتكوا بهم فتكا ذريعاً . فقال فى هذه الحرب قصيدته هذه ، ولم أقف منها إلا على ما يأتى ، وأولها :

طَرِبْتَ وعَنَّاكَ الهَوَى والتَّطَرُّبُ ... وعادَتْكَ أحزانٌ تَشُوقُ وتُنْصِبُ[٢]

يقول فيها :

أتَتْنَا تَمِيمٌ قَضُّهَا وقَضِيضُهَا ... ومَنْ سَارَ مِنْ أطْرَافِهِمْ وتَأشَّبُوا[٣]

سَمَوْنَا لَهُمْ والخَيْلُ تَرْدِي كأنَّهَا ... ثَعَالٍ وعِقْبَانُ اللِّوَى حِينَ تُرْكَبُ[٤]

---

(١) زعموا أنه إنما سمى مرتعا لأنه كان يقال له : أرتعنا ؟ فيقول : أرتعتكم أرض كذا وكذا . ولست أرى أمثال هذه التعليلات فى الأسماء ، ولا سيما إذا كانت يمنية ، فقد يكون لها معانى أخرى فى لغة حمير .

(٢) تشوق : تستميل . وتنصب : توجب النصب، وهو التعب

(٣) جاؤا بقضهم وقضيضهم : جاؤا بكبارهم وصغارهم ، أو بشيبهم وشبابهم . وتأشبوا : التفوا بعضهم حول بعض كأنهم الشجر الملتف .

(٤) تردى : تعدو فى منحدرات . ثعال : ثعالب وتروى : سعال ، وهى جمع سعلاة، زعموا أنها نوع من الجن أو السحرة ، وقد ذهبوا فى ذلك مذاهب لا يقرها العقل

فقالوا لنا إنا نريد لقاءكم فقلنا لهم أهل تميم ومرحب [1]

ألم تعلموا أنا نفل عدونا إذا احشوشدوا في جمعهم وتألبوا [2]

بضرب يفض البيض شدة وقعه ووخز ترى منه الأسنة تخضب [3]

---

(١) نريد لقاءكم: نريد قتالكم

(٢) نفل: نمزق. احشوشدوا: احتشدوا واجتمعوا. وتألبوا: صاروا ألبا علينا

(٣) يفض البيض: تفلق الهام، والبيض: الخوذ التي تكون فوق رؤس الفرسان.

١٢

امرؤ القيس بن عدى الكلبي

هذا امرؤ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن جناب ابن معاذ بن حُصين بن كعب بن عُليم بن كلب بن وبرة . قال الآمدى : هو امرؤ القيس بن عدى الكلبي ، ولا أعرف نسبه إلى كلب بن وبرة ، وأظنه أحد بنى كعب بن عليم بن جناب . وذكر السيوطى امرأ القيس بن الأصبغ ، وقال عنه إنه صحابى ، وذكر امرأ القيس بن عدى من بنى عليم ، وقال إنه أسلم فى عهد عمر . فهما عند السيوطى متغايران . والصحيح فيما أرى أنهما واحد . فهو امرؤ القيس بن عدى المعروف بابن الأصبغ الكلبي .

كان ماجداً فى قومه ، شريفاً فى عشيرته ، فارساً شجاعا ، وشاعراً مجيدا . وقد اتصل شرفه القديم بشرف جديد هو فوق كل شرف ، إذ كان صهراً لآل بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليهم .

ذكر الآمدى أنه كان أسيراً فى بنى شيبان ، فذكر رجل منهم أنه قتل زيدَ بن مناة بن معقل بن كعب بن عليم ، بذحل[1] فوثب امرؤ القيس بالرمح فطعنه ثم قال ـ ولم أعثر له على غير هذين البيتين ـ :

أَبْلِغْ أَبَا أَفْعَى عَدِيَّ بْنَ مَعْقِلٍ
وَقَدْ كُنْتُ شَوْلَ الرُّمْحِ إِذْ غَابَ مَعْشَرِي[2]

تَرَكْتُ يَتَامَى لَمْ أُبَالِ فُقُودَهُمْ
كَمَا لَمْ يُبَالُوا يُتْمَ سُخْطِي وَجَعْفَرِي[3]

---

(١) بذحل : بثأر كان له عنده إذ قتل زيد بن مناة .

(٢) شول الرمح : من تشاول القوم الرماح ، إذا تناول بعضهم بعضا بها عند القتال .

(٣) فقودهم : ضياعهم بعد قتل من كان يعنى بأمرهم . سخطى وجعفرى : هما ولدا زيد

وأما الصهر الكريم فقد حدث عوف بن خارجة المرى قال : والله إنى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعر[1] يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدى عمر فحياه بتحية الخلافة ، فقال له عمر : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانى ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبي . قال : فعرفه عمر . فقال له رجل : هذا صاحب بكر بن وائل الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلْج . قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر فقبله . ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة . فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه .

قال عوف : فوالله ما رأيت رجلا لم يُصلّ لله ركعة قط ، أُمّر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام ، حتى أدركه وأخذ بثيابه فقال له : ياعم : أنا على بن أبى طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره ، وهذان ابناى من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك ، فأنكحنا ؟ فقال : قد أنكحتك يا على المحياة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلمى بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرئ القيس .

وفى الرباب هذه وابنتها سُكينة يقول الحسين بن على عليهما السلام :

لَعَمْرُكَ إنَّني لَأُحِبُّ دَارًا ... تَكُونُ بِهَا سُكَيْنَةُ والرَّبَابُ

(١) أفحج: متباعد ما بين عقبيه ، متدانى صدور قدميه . أجلى منحسر مقدم شعر الرأس ، وهو دون الصلع . أمعر : متساقط الشعر .

أُحِبُّهُمَا وأَبْذُلُ جُلَّ مَالِي وَلَيْسَ لِعَاتِبٍ عِنْدِي عِتَابُ[1]

فَلَسْتُ لَهُمْ وإِنْ عَابُوا مُطِيعًا حَيَاتِي أَوْ يُغَيِّبَنِي التُّرَابُ

قال هشام الكلبي : كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنتُ لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عوانة قال : رثت الرباب بنت امرئ القيس أم سُكينة بنت الحسين زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إِنَّ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ بِكَرْبَلَاءَ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونِ

سِبْطَ النَّبِيِّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً عَنَّا وَجُنِّبْتَ خُسْرَانَ الْمَوَازِينِ

قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ وَكُنْتَ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالدِّينِ

مَنْ لِلْيَتَامَى وَمَنْ لِلسَّائِلِينَ وَمَنْ يُغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مِسْكِينِ

وَاللهِ لَا أَبْتَغِي صِهْرًا بِصِهْرِكُمُ حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطِّينِ

وإن امرأً حاز هذه المكرمة الكبرى لأول عهده بالإسلام ، لجدير بأن يبرز فى مقدمة المخلدين بين إخوانه . وخليق بمثله أن يكون قال الشعر الكثير إلا أنه ضاع فى كثير مما فقد من شعر الشعراء الأقدمين .

---

(١) قيل إن الحسن عليه السلام كان قد كلمه فى شأن الرباب وشدة شغفه بها فقال هذه الأبيات يرد بها عليه .

١٣

امرؤ القيس بن عدى بن ملحان الطائى

قالوا : إنه جد حاتم الطائى الجواد الشاعر المشهور .

١٤

امرؤ القيس بن عبد مناة بن تميم

هذا هو جد عدى بن زيد العبادي الشاعر المعروف .

١٥

امرؤ القيس بن تملك الكندى

هو أخو معاوية الأكرمين الجد الرابع لامرئ القيس بن حجر فحل الشعراء . وكان يعرف بابن تملك ، وتملك أمه ، وهى بنت عمرو بن زيد ابن مذحج ، وبها كان يعرف بنوه .

١٦

امرؤ القيس بن الحارث الكندى

هو امرؤ القيس بن الحارث بن معاوية . قالوا : وهو الذى ينسب إليه فيقال «مرقسىّ» وأما سواه فيقال إن النسبة إليه «مرئى» . ويقال إن الاختصاص بالمرقسى كان من حظ سابقه ابن تملك .

١٧

امرؤ القيس بن السمط الكندى

هو من بنى معاوية الأكرمين .

١٨

امرؤ القيس بن خلف التميمى

هو امرؤ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن زيد مناة ابن تميم ، وهو جد الزبرقان بن بدر المشهور .

١٩

امرؤ القيس بن عمرو بن عدى اللخمى

هو والد النعمان الأكبر الذى كان يلقب بالأعور . والنعمان هذا هو ابن الشقيقة بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهى جدة النعمان بن المنذر الذى قيل إن النابغة هجاه بقوله :

حَدِّثُونِي بَنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمْـــنَعُ فَقْعًا بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولَا

ويقول ابن الأعرابى إن القطعة التى منها هذا البيت هى لعبد قيس بن خفاف البرجمى[1] . والنعمان بن امرئ القيس هذا هو صاحب الخورنق[2] الذى بناه له سنمار الرومى وألقاه النعمان من فوق شرفاته فمات لوقته . قيل إن النعمان هذا بعد أن تمتع بالملك دهراً ونعم بملاذه زمنا ، ارعوى

---

(١) قيل إن عبد قيس بن خفاف البرجمى كان شاعرا من جلة الشعراء ، وكان شريفا فى قومه ، شجاعا مقداما ، وكان كريما مبذالا ـ وله مع حاتم الطائى حادث دل على فضل الاثنين ، وله حادث مع النابغة الذبيانى ، رواهما صاحب الأغانى .

(٢) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر بن امرئ القيس بحيرة الكوفة . ومعنى خورنق بالفارسية : موضع الأكل والشرب وفارسيته (الخورنكاه) قالوا : إن سبب بناء الخورنق أن بعض أولاد الأكاسر ، كان به داء فوصف له هواء ما بين البدو والحضر ، فبنى له ذلك القصر وكان من عجائب المبانى المشتهرة على وجه الدهر .

وزهد فى الدنيا وملاذها ، فلبس مسوح الرهبان وترك ملكه وهام على وجهه فلم يعرف له خبر ، ولم يوقف له على أثر . وهو الذى أشار إليه عدى بن زيد فى قصيدته التى بعث بها من محبسه إلى النعمان بن المنذر حيث يقول :

أَيُّهَا الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالدَّهْـرِ أَأَنْتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَ يَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ

مَنْ رَأَيْتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوكِ أَنُوشِرْ وَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

وَبَنُو الأَصْفَرِ الكِرَامُ مُلُوكُ الـرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ

وَأَخُو الحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْـلَةُ تُجْبَى إِلَيْـهِ وَالخَابُورُ

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـ سًا فَلِلطَّيْرِ فِى ذُرَاهُ وُكُورُ

وَتَبَيَّنْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْـرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ (١)

سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـلِكُ وَالبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّدِيرُ (٢)

فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِبْـطَةُ حَيٍّ إِلَى المَمَاتِ يَصِـيرُ

ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ وَالمُلْكِ وَالإِ مَّةِ وَارَتْهُمُ هُنَـاكَ القُبُورُ

ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَـفَّ فَأَلْوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالدَّبُورُ

(٣) رب الخورنق : هو النعمان بن امرئ القيس

(٤) السدير : قيل إنه قصر ، بنى إلى جانب الخورنق بناه النعمان بن المنذر لبهرام جور «يزدجرد» : ملك الفرس ، وكان يحوى ثلاث قباب متداخلة بعضها فى بعض . وأصل الكلمة فارسية (سه دير) فسه معناها ثلاث . ودير معناها قبة بالفهلوية ، وهى الفارسية القديمة .

٣٠

امرؤ القيس بن جبلة السكونى

٣١

امرؤ القيس بن الفاخر الخولانى

هو امرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولانى . أبو شرحبيل كان ممن شهد فتح مصر فى جيش عمرو بن العاص . ويقال إنه من الصحابة .

٣٢

امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبى

هو امرؤ القيس بن الأصبغ بن دؤالة الكلبى . من ولد جشم بن كعب ابن عامر بن عوف . قالوا إنه كان زعيم قومه ، وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم عاملا على بنى كلب . وفى عهد وفاة الرسول صلوات الله عليه ، كان امرؤ القيس هذا عاملا على قضاعة .

٣٣

امرؤ القيس أبو الخير الكندى

هو أبو الخير بن معدان بن الأسود بن معد يكرب الكندى . كان يلقب بـ « الجفشيش » وله شأن فى أخبار الصحابة . ومما روى من شعره قوله :

جَاءَتْ بِنَا العَيسُ مِنْ أَعْرَابِ ذِي يَمَنٍ ... تَغُورُ غَوْرًا بِنَا مِنْ بَعْدِ إِنْجَادِ

حَتَّى أَنَخْنَا بِجَنْبِ الهَضْبِ مِنْ مَلَلٍ ... إِلَى الرَّسُولِ الأَمِينِ الصَّادِقِ الهَادِي

وزعموا أنه هو القائل فى الردة :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ كانَ صَادِقًا فَيَا عَجَبًا مَا بَالُ مُلْكِ أَبِي بَكْرِ

والمعروف أن هذا البيت إنما هو الحطيئة . وقد ورد هنا محرفا والصواب أن الحطيئة قال :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ مُذْ كانَ بَيْنَنَا فَيَا لَعِبَادِ اللهِ مَا لِأَبِي بَكْرِ
أَيُورِثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

ومما ذكره عمر بن شبة أن الجفشيش كان فيمن ارتد من كندة ، وأنه أخذ أسيراً ثم قتل . وفى رواية البلاذرى أن الجفشيش كان ممن ارتد مع الأشعث بن قيس بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما طلب الأشعث الأمان لقومه أخذ الجفشيش بحقوه وقال : اجعلنى من عدة قومك . فأدخله الأشعث وأخرج نفسه .

٢٤

امرؤ القيس بن عمرو بن الأزد

قيل إنهم دخلوا فى غسان .

٢٥

امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم

هذا اسم أطلق على القبيلة التى منها هشام المرئى الذى كان يهاجيه ذو الرمة . ومما هجاه به القصيدة التى منها البيت المستشهد به هناك . والقصيدة هى كما قال ذو الرمة :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى ... عَفَتْهُ الرِّيحُ وامْتَنَعَ القِطَارَا [١]

بِهِ قِطَعُ الأَعِنَّـــةِ والأَثَافِى ... وأَشْعَثُ خَاذِلٌ فَقَدَ الإِصَارَا [٢]

كَأَنَّ رُسُومَهُ بُسِطَتْ عَلَيْهَا ... ثِيَابُ الوَشْيِ أَوْ لَبِسَ النِّمَارَا [٣]

مَنَازِلُ كُلِّ آنِسَةٍ رَدَاحٍ ... يَزِينُ بَيَاضَ مَحْجِرِهَا الخِمَارَا

تَبَسَّمُ عَنْ أَشَانِبَ وَاضِحَاتٍ ... وَمِيضُ البَرْقِ أَنْجَدَ فَاسْتَطَارَا

أَوَانِسُ وُضَّحُ الأَجْيَادِ عِينٌ ... تَرَى مِنْهُنَّ فِي المُقَلِ احْوِرَارَا

كَأَنَّ حِجَالَهُنَّ أَوَتْ إِلَيْهَا ... ظِبَاءُ الرَّمْلِ بَاشَرَتِ المَغَـــارَا [٤]

أَعَبْدَ بَنِي امْرِئِ القَيْسِ ابْنِ لُؤْمٍ ... أَلَمْ تَسْأَلْ قُضَـــاعَةَ أَوْ نِزَارَا

فَتُخْبَرَ أَنَّ عِيصَ بَنِي عَدِيٍّ ... تَفَــرَّعَ بَيْتُهُ الحَسَبَ النُّضَارَا [٥]

وأَنَّ بَنِي امْرِئِ القَيْسِ ابْنِ لُؤْمٍ ... أَبَتْ عِيدَانُهَا إِلَّا انْكِسَارَا

وأَنِّي حِينَ تَزْخَرُ لِي رَبَابِي ... عَمَاعِمُ أَمْنَـــعُ الثَّقَلَيْنِ جَارَا [٦]

أُنَاسٌ أَهْلَكُوا الرُّؤَسَاءَ قَتْلاً ... وَقَادُوا النَّاسَ طَوْعًا واعْتِسَارَا

أُنَاسٌ إِنْ نَظَرْتَ رَأَيْتَ مِنْهُمْ ... وَرَاءَ حِمَايَ أَطْوَادًا كِبَارَا

---

(١) حزوى: موضع. القطار: يريد به المطر.

(٢) قطع الأعنة: بقايا أعنة الخيل. والأثافى: الحجارة التى كانت تتخذ لإنضاج الطعام. ويريد بالأشعث: الوتد الذى كانت تربط إليه الخيل والركاب. والإصار: الحبل الذى كان يشد إلى هذا الوتد.

(٣) النمار: الحبرة، أو الشملة الملونة بالنكت البيض والسود.

(٤) يريد بالحجال: الخدور اللاتى يأوين إليها.

(٥) يريد بالعيص: الأصل الذى تفرع منه

(٦) تزخر تملأ وتفيض. والعماعم: الجماعات المتفرقون.

وَمِنْ زَيْدٍ عَلَوْتُ عَلَيْكَ ظَهْرًا جَسِيمَ المَجْدِ والعَدَدِ الكُثَارَا
أَنَا ابْنُ الرَّاكِزِينَ بِكُلِّ ثَغْرٍ بَنِي جُـــلٍّ وخَالُ بَنِي نَوَارَا
وتَزْخَرُ مِنْ وَرَاءِ حِمَايَ عَمْرٌو بِذِي صَدَّيْنِ يَكْتَفِئُ البِحَارَا

وقد رفده جرير فى هذه القصيدة بهذه الأبيات :

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ بُيُوتَ المَجْدِ أَرْبَعَةً كِبَارَا
يَعُدُّونَ الرِّبَابَ وآلَ سَعْدٍ وعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الخِيَارَا
ويَهْلِكُ وَسْطَهَا المَرَئِيُّ لَغْوًا كَمَا أَلْغَيْتَ فِى الدِّيَةِ الحُوَارَا [1]

ويقال أن ذا الرمة مر بالفرزدق فقال له الفرزدق : أنشدنى ما قلت فى المرئى ؟ فلما أخذ فى إنشاده القصيدة وبلغ منها إلى هذه الأبيات الثلاثة قال له الفرزدق : حسن ؟ أعد علىّ . فلما أعاد ، قال له : تالله لقد علكهن أشدّ لحيين منك ! يعنى جرير . وهى طويلة ، وفيها يقول :

أَلَا لَعَنَ الإلهُ بِذَاتِ غِسْلٍ ومَرْأَةَ مَا حَدَا اللَّيْلُ النَّهَارَا [2]
نِسَاءَ بَنِي امْرِئِ القَيْسِ اللَّوَاتِي كَسَوْنَ وُجُوهَهُمْ حَمَمًا وقَارَا
إِذَا المَرَئِيُّ شَبَّ لَهُ بَنَاتٌ عَقَدْنَ بِرَأْسِهِ إِبَةً وعَارَا
إِذَا المَرَئِيُّ سِيقَ لِيَوْمِ فَخْرٍ أُهِينَ ومَدَّ أَبْوَاعًا قِصَـارَا

ومما يروى لذى الرمة فى هجاء امرئ القيس ـ وهى القبيلة التى منها هشام المرئى ـ قوله :

أَبِى إِذَا مَا عَجَزَ الوَطْوَاطُ وكَثُرَ الهِيَاطُ والمِيَـــاطُ [3]

---

(١) أى يسقط لأنه لا قيمة له، كالحوار الذى لا يغنى فى الدية، والحوار: ولد الناقة
(٢) ذات غسل : موضع ، وكذلك مرأة موضع آخر .
(٣) الوطواط : يريد به الضعيف الجبان .

والتَّفْ عِنْدَ العَرَكِ المِخْلَاطُ لا يُتَشَكَّى مِنِّىَ الخِلَاطُ

إنَّ امْرَأَ القَيْسِ هُمُ الأَنْبَاطُ [١]

الأنباط وأصل قريش

وعلى ذكر الأنباط أقول : إن الأنباط أو النبيط أو النبط ، فيما عرف عند العرب ، جيل من الناس كانوا ينزلون البطائح وسواد العراقين ، وإنما سموا نبطا لاستنباطهم مايخرج من الأرض من ماء ونبات . أى أنهم كانوا من مهرة الزرّاع .

وعلى هذا يحق لى أن أضيف إلى اسمهم اسما جديدا ، وهو : الأنبات ، وما الطاء إلا تاء مفخمة . لأنهم ينبتون الأرض ، أو هم على التعبير المصرى : فلاحون .

والمقول أن قريشاً كانت من أصل نبطى . فقد روى الرواة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنا نبط من كوثى » وكوثى هذه بلد ناحية بابل من أرض العراق . ويقال لها : كوثى ربّى [٢] . وفيها ولد الخليل إبراهيم عليه السلام ، ومنها كانت أمه . ويقال إن أباها هو الذى حفر نهر كوثى وبه سمى النهر . وذكروا أن عليا كرّم الله وجهه ، كان يقول : من كان سائلا عن نسبتنا فإنا نبط من كوثى . كما أن ابن عباس قال : نحن معاشر قريش حى من النبط ، من أهل كوثى .

---

(١) الأنباط : يريد أنهم ليسوا عربا . وانظر ما بعد .

(٢) كوثى التى ولد بها الخليل هى التى كانت تسمى قديما (أور الكلدانيين) وهى التى تسمى الآن (أورفا) أو (الرها) وهى على نهر الفرات ، وهى سرة السواد بالعراق .

والمراد من ذلك كله أن قريشاً من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الذي هو من أهل كوثى نبط العراق .

وزعم بعض المتأولين أن ذلك إنما كان من علي وابن عباس تبرؤاً من الفخر بالأنساب ، وردعا عن الطعن في الأسباب ، وتحقيقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ولم يذكروا قول النبي ...

وأقول : ولعل النسبة إلى النبط إنما صارت نبذا بعد أن ورد في بعض الأحاديث قوله « لا تَنَبَّطُوا في المدائن » أي لا تتخذوا المدائن مسكناً لكم كالنبط وتتشبهوا بهم في اعتقاد العقار والملك فيها ولزوم أرضها . وإذا صح هذا فيكون المراد منه ألا يشغلوا أنفسهم بما يحول بينهم وبين القيام بنشر الدعوة إلى الإسلام في الأمم والتجرد لها واتخاذ الأهبة لبثها في شعوب الأرض بكل الطرق الممكنة ، من الغزو والفتوح ومقاومة من يقف في سبيل هذه الدعوة ، حتى يكون الدين كله لله ، ولا يعبد في الأرض سواه . ولا يكون ذلك إلا بالتخلي عما يشغل عن ذلك من شؤون الدنيا وعن التقيد بأسبابها . هذا ما أراه في هذا الشأن .

ويرى الباحثون من الأوربيين في العصر الحديث أن الأنباط كانوا قد تركوا بلادهم التي كانت في شواطئ دجلة والفرات واستقروا ببلاد الحِجْر المعروفة ببلاد بطرا . فكانوا بها منذ عهد بختنصر الثاني . وزعم كاترمير أنهم من أصل آرامي أو سرياني . ومن الغريب أن ديودوروس الصقلي[1]

(١) ديودوروس الصقلي : مؤرخ يوناني قديم ولد في مدينة آجر يوم من أعمال جزيرة صقلية . كان وضع كتابا في التاريخ العام وسماه « خزانة التاريخ » بدأه منذ فجر التاريخ إلى سنة ٥٨ ق م وهي السنة التي سار فيها يوليوس قيصر على رأس الجيوش

ذكر من أخلاقهم وعاداتهم أنهم كانوا يعاقبون بالقتل من بذر بذورا فى الأرض ، أو غرس شجرا مثمراً ، أو أقام بيتاً يأوى إليه . بدعوى أن من يصنع شيئاً من هذا يسهل الهوان عليه ، ويعجز عن دفع العدوان إذا مسه الشر من مغير . وكانت البرية هى مأواهم بلا جدار قائم ، ولا حاجز دائم . وكانت التجارة هى شغلهم الشاغل . وكانت ترد إليهم المتاجر من أقاصى الشرق فى البحر الأحمر فيقومون بحملها ونقلها إلى شواطئ البحر المتوسط وكانوا إذا هددهم عدو مغير أكثر منهم عددا استدرجوه إلى أماكن اعتزالهم ثم ازووا فوق صخرتهم المنيعة ، فيضطروه إلى السلم أو الجوع والعطش حتى يهلك . وعلى هذه الصخرة أنشئت مدينة بطرا . وظلت بلاد الحجر العربية منفردة بشؤونها لا يستطيع أى جيش مهما عظم ، النيل منها ، إلى أن ضمت إلى الإمبراطورية الرومانية فى أوائل القرن الثالث للميلاد . وفى عهد تراجان كان العامل عليها كورفيلبوس فجعل منها فاسطين ثالثة ، وقد أخذت مدينة بطرا فى التقدم فى العمران ، فأنشئت فيها المبانى الفخمة ، وزينت بأجمل الزينات ، وصار فيها من المعابد والمسارح والملاعب ما يستوقف النظر ، كما جرت بها القنوات للماء . وفى هذه الحالة صارت مستودعا لتجارة عظيمة . ثم أخذ الأنباط بعد ذلك يتوارون بالتدريج حتى أفناهم الزمن وأزالهم من التاريخ .

أقول : وكل هذا لا يمنع أن تكون قريش من أصول هذا النوع السامى إذا صحت تلك الروايات . فإن ما ذكره المؤرخون الأوربيون من أحداث إنما وقع بعد هجرة الخليل إلى جزيرة العرب بأدهار متطاولة .

= لغزو بلاد الغال . وقد كان زار مصر وكتب عن تاريخها ووصف ما وقف عليه من آثارها . قيل إنه مات حوالى سنة ٣٥ ق . م

٣٦

امرؤ القيس بن حارثة الكلبي المـآزرى

قيل كان مع الوليد بن يزيد فى حروبه مع يزيد بن الوليد الأموى .

٣٧

امرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل

هذا أحد البطون التى تتخلل القبائل .

٣٨

امرؤ القيس بن عوف بن عامر

وهذا أيضا بطن من بنى كلب يعرفون ببنى ماوية ، وهى أمهم وكانت من بهراء .

هذا ما عثرت عليه ممن تسمى أو تلقب بامرئ القيس . ولست على ثقة من عدم تحريف الرواة وخلطهم بين الآباء والأجداد ، فكثيرا ما يحدث ذلك والله تعالى يلهمنا الصواب .

انتهى كتاب أخبار المراقسة وأشعارهم . ويليه : أخبار النوابغ وآثارهم

نسأل الله العون والرضا

أخبار النوابغ وآثارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

وهو ملحق بكتاب

أخبار المراقسة وأشعارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

كلاهما تأليف

حسن السندوبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد : فقد عن لى أن ألحق بكتاب «أخبار المراقسة وأشعارهم» الملحق بشرحنا على ديوان امرئ القيس ، كتابا فى «أخبار النوابغ وآثارهم» ليكون بذلك مجموعة جيدة فى الأدب يستفيدمنها طالب الثقافة الأدبية ، وتكون مرجعا يتذكر به محب الاطلاع ما غشته الأيام بعوامل النسيان ، وفى كل ذلك من الفوائد ما لا خفاء به ، والله تعالى يوفقنا إلى خدمة أبناء العروبة بما نستحق عليه رضاه ، إنه بيده الخير ، وهو الهادى إلى سبل الرشاد ؟

حسن السندوبى

١

النابغة الجعـــدى

هو أبو ليلى ، نابغة بنى جعدة [١] وإنما بدأنا به وقدمناه على النابغة الذبيانى لأنه فى الحقيقة قد تقدمه فى الوجود ، كما تأخر بعده زمنا طويلا . فقد كان شاعرا مفلقا ، ونديما كريما للمنذر بن مُحَرِّق ملك الحيرة ، وكان قبل النعمان بن المنذر الذى ظهر النابغة الذبيانى فى عصره ونادمه ، وكان له معه أحداث . ومن شعره الدال على قدمه وطول عمره ، قوله :

أَلَا زَعَمَتْ بَنُو أَسَدٍ بِأَنِّى ... أَبُو وَلَدٍ كَبِيرُ السِّنِّ فَانِى

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّى فَإِنِّى ... مِنَ الفِتْيَانِ أَيَّامَ الخُنَانِ [٢]

أَتَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ ... وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ [٣]

وَقَدْ أَبْقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنِّى ... كَمَا أَبْقَتْ مِنَ السَّيْفِ اليَمَانِى

وقوله :

قَالَتْ أُمَامَةُ كَمْ عَمِرْتَ زَمَانَةً ... وَذَبَحْتَ مِنْ عُتُرٍ عَلَى الأَوْثَانِ [٤]

---

(١) اختلفوا فى اسمه فقيل إنه : حسان بن قيس بن عبد الله ، وينتهى نسبه إلى جعدة بن كعب . وقيل إنه : قيس بن عبدالله . وقيل إنه : عبدالله بن قيس الخ ولذلك تركنا اسمه واعتمدنا كنيته ولقبه .

(٢) قيل إنها كانت وقعة لهم فقال قائل منهم ـ وقد لقوا عدوهم ـ خنوهم بالرماح . وقيل إن الخنان مرض كان قد أصاب الناس والدواب فى الأنوف والحلوق وبه مات خلق .

(٣) يعنى أنه قال هذه الأبيات وله من العمر ١١٢ سنة .

(٤) العتر ، جمع العتيرة ، وهى : شاة كانوا يذبحونها فى رجب لأوثانهم .

فَلَقَدْ شَهِدْتُ عُكاظَ قَبْلَ محلِّها ... فيها وكنتُ أُعَدُّ مِ الفتيانِ [1]

والمُنْذِرَ بنَ مُحَرِّقٍ فى مُلْكِهِ ... وشَهِدْتُ يَوْمَ هِجَائِنِ النُّعْمانِ [2]

وعَمَرْتُ حتّى جاء أحمدُ بالهُدَى ... وقوارعٍ تُتْلَى مِنَ القُرْآنِ

ولَبِسْتُ فى الإسلامِ ثَوْباً واسِعاً ... مِنْ سَيْبِ لا حَرِمٍ ولا مَنَّانِ

وقوله :

لَبِسْتُ أُناساً فأَفْنَيْتُهُمْ ... وأَفْنَيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسا

ثلاثةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ ... وكانَ الإلهُ هُوَ المُسْتَآسا [3]

وعِشْتُ بِعَيْشَيْنِ إنَّ المَنونَ ... تُلْقِي المَعايِشَ فيها خِساسا

فَحِينًا أُصادِفُ غِرّاتِها ... وحِينًا أُصادِفُ مِنْها شِماسا [4]

نَشَأْتُ غُلاماً أُقاسِي الحُروبَ ... ويَلْقَى المُقاسُونَ مِنّى مِراسا

وحُمْرٍ مِنَ الطَّعْنِ غُلْبِ الرِّقا ... بِ كالأُسْدِ يَفْتَرِسُونَ افتِراسا

---

(١) يقول إنه كان فى قبل أن تكون عكاظ سوقا للعرب يجتمعون فيها فى ذى القعدة ، يتبايعون ، ويتفاخرون ، ويتناشدون الأشعار ، ثم يتفرقون فى نهاية الشهر . وربما حدثت فيها حروب ووقائع .

(٢) كان للنعمان بن المنذر هجائن يعتز بها لامتيازها على غيرها من الهجن ، وكان لها يوم يستعرضها فيه .

(٣) قيل إن عمر بن الخطاب سأله : كم لبثت فى كل أهل ؟ فقال : ستين سنة . يعنى أنه كان فى حال حديثه مع عمر قد قطع من العمر : ١٨٠ سنة . وهذا هو الذى اعتمده ابن قتيبة فى حساب سنه ثم عاش بعد ذلك ٤٠ سنة فيكون مجموع عمره : ٢٢٠ سنة .

(٤) الشماس : النفور .

شَهِدْتُهُمُ لا أُرَجِّي الْحَيَا ةَ حَتَّى تَسَاقَوا بِسُمْرٍ كِيَاسَا (١)
وَشُعْثٍ يُطَابِقْنَ بِالدَّارِعِينَ طِبَاقَ الْكِلَابِ يَطَأْنَ الْهَرَاسَا (٢)
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِجَرْسِ النُّبُوحِ وَلَا نُبْصِرُ الْحَيَّ إِلَّا الْتِمَاسَا (٣)
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَغَرَّ مُلْتَبِسًا بِالْفُؤَادِ الْتِبَاسَا
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا (٤)
بِآنِسَةٍ غَيْرِ أُنْسِ الْقِرَافِ وَتَخْلِطُ بِالْأُنْسِ مِنْهَا شِمَاسَا (٥)
إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا تَثَنَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسَا

ومما قاله أيام جاهليته من الشعر هذه الأبيات الآتية ، وكان عقال بن خويلد العقيلي أجار قتلة قوم قتلوا بعض بنى جعدة ، ثم تراضوا على الدية فأداها عنهم ؛ فقال النابغة يحذره عاقبة الظلم :

أَيَا دَارَ سَلْمَى بِالْحَرُورِيَّةِ اسْلَمِي إِلَى جَانِبِ الصَّمَّانِ فَالْمُتَثَلَّمِ (٦)
أَقَامَتْ بِهِ الْبَرْدَيْنِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ مَنَازِلَهَا بَيْنَ الدَّخُولِ فَجُرْثُمِ (٧)

---

(١) كياسا : يريد كؤوسا . وكياس تسهيل كئاس .

(٢) يقول : ورب خيل شعث تطأ الدارعين وهم الذين يلبسون الدروع فى الحرب . والهراس : شجر شائك له ثمر كالنبق .

(٣) جرس النبوح : صوت الكلاب النابحة .

(٤) السليط : الزيت . النحاس : الدخان .

(٥) غير أنس القراف . يريد أنها آنسة فى غير تبذل . والشماس : النفور .

(٦) الحرورية : اسم مكان . وكذلك الصمان والمتثلم .

(٧) البردان : العصران ، أو الغداة والعشى . والدخول وجرثم : اسما مكانين .

ومَسْكَنُهَا بَيْنَ الغُرُوبِ إلى اللَّوَى ... إلى شُعَبٍ تَرْعَى بِهِنَّ فَعَيْهَمِ [١]

لَيَالِىَ تَصْطَادُ الرِّجَالَ بِفَاحِمٍ ... وأَبْيَضَ كالإغْرِيضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ [٢]

فأَبْلِغْ عِقَالاً إنَّ غَايَةَ دَاحِسٍ ... بِكَفَّيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدَّمِ [٣]

تُجِيرُ عَلَيْنَا وَائِلاً فى دِمَائِنَا ... كَأَنَّكَ عَمَّا نَابَ أَشْيَاعَنَا عَمِ

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا ... وأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

رَمَى ضِرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ ... كَحَاشِيَةِ البُرْدِ اليَمَانِى المُسَهَّمِ

وما يَشْعُرُ الرُّمْحُ الأَصَمُّ كُعُوبُهُ ... بِثَرْوَةِ رَهْطِ الأَبْلَجِ المُتَوَسِّمِ

وقَالَ لِجَسَّاسٍ أَغِثْنِى بِشَرْبَةٍ ... تَفَضَّلْ بِهَا طَوْلاً عَلَىَّ وأَنْعِمِ [٤]

فَقَالَ تَجَاوَزْتَ الأَحَصَّ ومَاءَهُ ... وبَطْنَ شُبَيْثٍ وهُوَ ذُو مُتَرَسَّمِ

قال أبو عبيدة : كان النابغة ممن فكر فى الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعلان بالعقل ، وهجر الأوثان ، وترك الأزلام ، وكان يصوم ويستغفر ويذكر دين إبراهيم والحنيفية ، ويتوقع أشياء لعواقبها . ومما قاله فى ذلك :

الحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

وعندى أن هذا البيت ـ ولم أقف له على أخوات ـ يدل على اعتناق الدين الإسلامى ، أى أنه قاله بعد أن أسلم على يدى الرسول صلوات الله

(١) كل هذه أسماء أماكن .

(٢) يريد بالفاحم : الشعر . وبالأبيض الذى هو مثل الإغريض : ثناياها . والإغريض : ما ينشق عنه طلع النخلة ، وهو أبيض كاللبن .

(٣) يريد أن الأمر الذى فى يديك قد يؤدى إلى حرب كحرب داحس والغبراء فى بنى عبس ، إذا لم تحسن التصرف فيه .

(٤) مضى أن كليبا قال لجساس هذا البيت وهو فى حالة الاحتضار . وعندى أن الأمر ليس كذلك بل إن بعض الرواة نسبه خطأ إلى كليب والصواب أنه للنابغة الجعدى قاله فى معرض التمثيل كما هو هنا . وكذلك البيت الذى بعده .

عليه . وإذا كان قد قاله قبل إعلان إسلامه فيكون قد ترامت إليه المبادئ الإسلامية وعرف الأساس الذي قام بناؤها عليه، وهو محو الشرك ، والاعتقاد بإله واحد ، ولذلك بادر إلى الوفود على الرسول صلوات الله عليه وأعلن إسلامه ، وأنشده هذه القصيدة التي أروي ما اخترته منها هنا ، وهي :

خَلِيلَيَّ عُوجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا ... ولُومَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

ولَا تَجْزَعَا إِنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ ... فَخِفَّا لِرَوْعَاتِ الحَوَادِثِ أَوْ قَرَا

وإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ ... فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللهُ واصْبِرَا

أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ المَلَامَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وأَدْبَرَا

تَهِيجُ البُكَاءَ والنَّدَامَةَ ثُمَّ لَا ... تُغَيِّرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قُدِّرَا

خَلِيلَيَّ قَدْ لَاقَيْتُ مَا لَمْ تُلَاقِيَا ... وَسَيَّرْتُ فِي الأَحْيَاءِ مَا لَمْ تُسَيِّرَا

تَذَكَّرْتُ والذِّكْرَى تَهِيجُ لِذِي الهَوَى ... ومِنْ حَاجَةِ المَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا

نَدَامَايَ عِنْدَ المُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقٍ ... أَرَى اليَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الأَرْضِ مُقْفِرَا [1]

كُهُولًا وشُبَّانًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... دَنَانِيرُ مِمَّا شِيفَ فِي أَرْضِ قَيْصَرَا [2]

ومَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَ بَابٍ ودَارِهِ ... بِنَجْرَانَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَنَصَّرَا [3]

لَدَى مَلِكٍ مِنْ آلِ جَفْنَةَ خَالُهُ ... وجَدَّاهُ مِنْ آلِ امْرِئِ القَيْسِ أَزْهَرَا

---

(١) يريد به المنذر بن النعمان بن المنذر بن محرق ملك الحيرة .

(٢) يصفهم بالحسن والملاحة ، ويشبههم بالدنانير التي كانت تضرب في بلاد الروم ، وهي أرض القياصرة .

(٣) نجران : موضع بحوران من نواحي دمشق . وكان بها بعض قصور لآل جفنة الغساسنة ملوك الشام . فهو يصف نفسه بأنه كان من زوار الملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام .

يُدِيرُ عَلَيْنَا كأسَهُ وشِوَاءَهُ مَنَاصِيفُهُ والحَضْرَمِىّ المُحَبَّرَا [1]
رَحِيقًا عِرَاقِيًّا ورَيْطًا يَمَانِيًا ومُعْتَبِطًا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أذْفَرَا [2]

* * *

ومَهْمَا يَقُلْ فِينَا العَدُوُّ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعْرُوفًا وآخَرَ مُنْكَرَا
فَمَا وَجَدَتْ مِنْ فِرْقَةٍ عَرَبِيَّةٍ كَفِيلاً دَنَا مِنَّا أعَزَّ وأنْصَرَا
وأسْرَعَ مِنَّا إنْ أرَدْنَا انْصِرَافَةً وأكْثَرَ مِنَّا دَارِعِينَ وحُسَّرَا
وأجْدَرَ أنْ لاَ يَتْرُكُوا عَانِيًا لَهُمْ فَيَخْبُرَ حَوْلاً فى الحَدِيدِ مُكَفَّرَا [3]

* * *

حَسِبْنَا زَمَانًا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَيَالِىَ إذْ نَغْزُو جُذَامًا وحِمْيَرَا [4]
إلَى أنْ لَقِينَا الحَىَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ثَمَانِينَ ألْفًا دَارِعِينَ وحُسَّرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أبَتْ عِيدَانُهُ أنْ تَكَسَّرَا [5]
سَقَيْنَاهُمُ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ولَكِنَّنَا كُنَّا عَلَى المَوْتِ أصْبَرَا
بِنَفْسِى وأهْلِى عُصْبَةٌ سُلَمِيَّةٌ يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا عَنَاجِيجَ ضُمَّرَا [6]

---

(١) مناصيفه : خدمه . والحضرمى المحبر : يريد به ثيابا أو برودا كانت تصنع بحضرموت ، وكانت محبرة أى موشاة حسنة .

(٢) وكذلك كان يقدم إليه الرحيق المراق . وهى الخمر المعتقة . وكذلك الريط، وهى ثياب كانت تصنع باليمن ، مع المسك الأذفر الذى كان يجلب من دارين التى هى من مدن البحرين .

(٣) العانى : الأسير المكبل بالحديد .

(٤) جذام وحمير : من قبائل اليمن .

(٥) يريد بالنبع : الرماح .

(٦) العناجيج : يريد بها الخيل.

وقالوا لنا أحيُوا لنا مَنْ قتلتُمُ ... لقدْ جئتُمُ إذاً مِنَ الأمْرِ مُنكرَا

ولسْنا نَرُدُّ الرُّوحَ في جسْمِ ميّتٍ ... ولكنْ نَسُلُّ الرُّوحَ مِمَّنْ تيَسَّرا

نُميتُ ولا نُحْيِي كذاكَ صنيعُنا ... إذا البطَلُ الحامِي إلى الموتِ أهْجرا

ملَكْنا فلمْ نكْشِفْ قِناعاً لحُرَّةٍ ... ولمْ نَسْتلِبْ إلا الحديدَ المسمَّرا

ولوْ أننا شِئْنا سِوَى ذاكَ أصبحتْ ... كرائمُهُمْ فينا تُباعُ وتُشتَرَا

ولكنَّ أحساباً نَمَتْنا إلى العُلَى ... وآباءَ صِدْقٍ أنْ نرُومَ المُحقَّرا

وإنَّا لَقَوْمٌ ما نُعوِّدُ خيْلَنا ... إذا ما التقَيْنا أنْ تَحِيدَ وتَنفِرا

ونُنكِرُ يومَ الرَّوْعِ ألوانَ خيْلِنا ... مِنَ الطَّعْنِ حتى نَحْسِبَ الجَوْنَ أشقَرا[1]

وليْسَ بمعْروفٍ لنا أنْ نرُدَّها ... صِحاحاً ولا مُسْتَنْكَراً أنْ تُعقَّرا

بلَغْنا السَّماءَ مجْدُنا وسَناؤُنا ... وإنَّا لنرْجُوا فوقَ ذلكَ مَظْهَرا

فيقال أن النبيّ عليه الصلاة والسلام قال له ـ عندما سمع هذا البيت ـ فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة يارسول الله ! فقال : إن شاء الله ، إن شاء الله .

أتيْنا رسُولَ اللهِ إذْ جاء بالهُدَى ... ويتْلوا كتاباً كالمجَرَّةِ أزْهَرا

وجاهَدْتُ حتى ما أحِسُّ ومَنْ معِي ... سُهَيْلاً إذا ما لاحَ ثمَّتَ غوَّرا

أقيمُ على التَّقوَى وأرْضَى بفِعْلِها ... وكنْتُ مِنَ النارِ المخُوفَةِ أحْذَرا

ولا خيْرَ في حِلْمٍ إذا لمْ يكنْ له ... بَوادِرُ تَحْمِي صفْوَهُ أنْ يُكدَّرا

ولا خيْرَ في جهْلٍ إذا لمْ يكنْ له ... حَليمٌ إذا ما أوْرَدَ الأمْرَ أصْدرا

وعندما قال هذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أجدت ! لا يفضض

(١) الجون : الأسود . الأشقر : الذى علته حمرة .

الله فاك ...[1]

ويقال إنه زار يوما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده الأبيات السينية التى مضت قبل ، فقال له عمر عندما سمعها : كم لبثت مع كل أهل يا أبا ليلى ؟ فقال : ستين سنة ...

ودخل على عثمان يوما فقال له : أستودعك الله يا أمير المؤمنين ! فقال له : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ فقال : ألحق بإبلى فأشرب ألبانها فإنى منكر لنفسى ! فقال : أتعرُّباً بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟ فقال : ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى أعلمك . فأذن له وضرب له أجلا ...

ثم مال إلى بيت على كرم الله وجهه ليودعه وأولاده . فقال له الحسن والحسين رضى الله عنهما : أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى ! فأنشدهما :

الْحَمْدُ لِلّهِ لا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لم يَقُلْها فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ، ما كنا نروى هذا الشعر إلا لأمية بن أبى الصلت ؟ فقال : يا ابنى رسول الله ، إنى لصاحب هذا الشعر وأول من قاله ! وإن

---

(١) زعموا أن النابغة ظل بقية عمره لم ينقص له سن ولا ضرس ، وأنه كلما سقطت له سن نبتت مكانها غيرها وهذا لا يستساغ طبعا . وقد ذهب القائلون بهذا إلى أن ذلك كان ببركة دعوة الرسول عليه السلام ، فقد يكون ذلك ، ولكن هناك معنى آخر يؤخذ من دعوة الرسول صلوات الله عليه ، وهو أنه إنما أراد إظهار الاستحسان لنشيد النابغة فدعا له ، وذلك فى سنن العرب فهم يقولون لمن يجيد شيئا : لله درك ، ولله أبوك ، ولا فض فوك . والمراد بذلك أن يستمر فى إجادته ما بقى فى الحياة . ولا دخل لهذا كله فى طبيعة أعضاء الإنسان ولا فيما قدر له من سلامة أو عطب . وهل دخل هؤلاء المتأولون فيما انتواه الرسول من هذه الدعوة ... ؟

السروق لمن سرق شعر أمية !!...»[1]

ولما كان أبو موسى الأشعرى والياً لعثمان على البصرة ، خرجت بنو عامر عن حدها فرعت فى زروعها ، فبعث أبو موسى فى طلبهم ، فتصارخوا : ياآل عامر ، ياآل عامر ! فخرج النابغة ومعه عصبة له ، فأُتى به إلى أبى موسى ، فقال له : ما أخرجك ؟ فقال : سمعت داعية قومى ! فضربه أسواطا ! فقال :

رَأَيْتُ الْبَكْرَ بَكْرَ بَنِي ثَمُودٍ ... وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكْرَ الأَشْعَرِينَا[2]

فَإِنْ يَكُنِ ابْنُ عَفَّانٍ أَمِينًا ... فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ الْبَرَّ الأَمِينَا

فَيَا قَبْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبَيْهِ ... أَلَا يَا غَوْثَنَا لَوْ تَسْمَعُونَا

أَلَا صَلَّى إِلَهُكُمُ عَلَيْكُمْ ... وَلَا صَلَّى عَلَى الأُمَرَاءِ فِينَا

ولما نشبت وقائع صفين خرج مع على كرم الله وجهه ، فساق به يوما

---

(١) هو أمية بن أبى الصلت الثقفى : كان من الشعراء المتألهين ، وكان من رؤساء ثقيف وبلغائها . قرأ الكتب القديمة وعرف منها الأمور الدينية وتهذب بها ، ولبس المسوح تعبدا ، وذكر الخليل وإسماعيل ، وأشاد بالحنيفية وحرم الخمر ونبذ الأوثان وعرف أن هناك نبيا يبعث فطمع فى أن يكونه ، ولكنه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حقد عليه وأشاد بذكر أعدائه فى شعره ، ورثى قتلى قريش فى وقعة بدر . عما هو معروف . وله شعر كثير فى مدح عبد الله بن جدعان الذى كان من كرام قريش وأجوادها قبل البعثة . مات أمية سنة ٢ هـ ، ٦٢٤ م .

(٢) بكر بنى ثمود : ذلك الفصيل ولد الناقة التى امتحن بها ثمود فكان بكرها سببا فى هلاك تلك القبيلة التى أرسل إليها النبى صالح فكذبته . فكان الاعتداء على هذا البكر علامة الهلاك . فهو يشبه أبا موسى بهذا البكر . يعنى أنه شؤم على قبيلته الأشعرين .

وهو يقول :

قَدْ عَلِمَ المِصْرَانِ والعِرَاقُ أَنَّ عَلِيًّا فَحْلُها العَتَاقُ
أَبْيَضُ جَحْجَاحٌ لَهُ رِوَاقُ وأُمُّهُ غَالَى بِهَا الصَّدَاقُ
أَكْرَمُ مَنْ شُدَّ بِهِ نِطَاقُ إِنَّ الأُلَى جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
لَهُمْ سِبَاقٌ ولَكُمْ سِبَاقُ قَدْ عَلِمَتْ ذَلِكُمُ الرِّفَاقُ
سُقْتُمْ إِلَى نَهْجِ الهُدَى وسَاقُوا إِلَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا عُرَاقُ
فِي مِلَّةٍ عَادَتُهَا النِّفَاقُ

وعند ما قدم معاوية بن أبي سفيان الكوفة ـ بعد انتهاء صفين ـ دخل إليه النابغة وقام بين يديه وقال :

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسَالَتِي وأَيُّ نَصِيحٍ لَا يَبِيتُ عَلَى عَتْبِ
مَلَكْتُمْ فَكَانَ الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لَمْ تُدَارِكْكُمْ حُلُومُ بَنِي حَرْبِ [1]

وكان معاوية قد بعث إلى مروان بن الحكم وهو على المدينة بأخذ أهل النابغة وماله ، فلما علم النابغة بذلك دخل على معاوية ـ وعنده عبد الله بن عامر ، ومروان ـ فأنشده :

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِي عَلَى النَّأْيِ والأَنْبَاءُ تُنْمِي وتُجْلَبُ [2]
ويُخْبِرُ عَنِّي مَا أَقُولُ ابْنَ عَامِرٍ ونِعْمَ الفَتَى يَأْوِي إِلَيْهِ المُعَصَّبُ [3]

---

(١) بنو حرب : عشيرة معاوية فى قريش .

(٢) ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان الذى ملك بعد خلافة على والحسن .

(٣) هو عبد الله بن عامر ، وكان من الأمراء الممتازين .

فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بظِنَّةٍ ... فإنِّي لَحرَّابُ الرِّجالِ مُجرَّبُ
صبورٌ على ما يكرهُ المرءُ كلِّه ... سوى الظلمِ إنِّي إنْ ظُلمتُ سأغضبُ

فالتفت معاوية إلى مروان[1] فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا ترد عليه شيئا ! فقال : ما أهون والله عليك أن ينحجر هذا في غار ثم يُقطِّع عِرضى علىَّ ، ثم تأخذه العرب فترويه ! أما والله إن كنتَ لممن يرويه !! اردد عليه كل شيء أخذته منه !!

ويقال إن معاوية سيره ـ أى نفاه ـ إلى إصبهان . والظاهر أنه عاد منها . لأنه يُروى أن السنة أقحمت النابغة وقومه فى البادية ، فوفد إلى المدينة ودخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام ـ وكان ابن الزبير قد دعا لنفسه بالحجاز وغيرها ـ فأنشده :

حكيتَ لنا الصدِّيقَ لمَّا وَليتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعدِمُ[2]
وسوَّيتَ بينَ الناسِ في الحقِّ فاستَوَوْا ... فعادَ صباحًا حالِكُ الليلِ مُظلِمُ
أتاكَ أبو ليلى يجوبُ مِنَ الدُّجى ... دُجى الليلِ جوَّابُ الفلاةِ عثَمْثَمُ[3]
لِتَجبُرَ منهُ جانبًا زعزعَتْ بهِ ... صُروفُ الليالي والزَّمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهون وسائلكَ عندنا ! أما صفوة مالنا فلآل الزبير ، وأما عفوته فإن بنى أسد بن عبد العُزّى وتيما[4]

---

(١) هو مروان بن الحكم ، والد عبد الملك بن مروان موطد ملك بنى أمية.

(٢) الصديق : أبو بكر رضى الله عنه ، والفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٣) عثمثم : أسد هصور .

(٤) بنو أسد : هم عشيرة ابن الزبير من قريش . وتيم : عشيرة أبى بكر من قريش .

تشغلانها عنك . ولكن لك فى مال الله حقان : حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق بشركتك أهل الإسلام فى فيئهم . ثم أخذ بيده فدخل به دار النَّعم فأعطاه سبع قلائص وجملا رجيلا ، وأوقر له الإبل بُرّا وتمراً وثيابا . فجعل النابغة يتناول الحب مسرعا فيأكله صرفا ! فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهد مبلغا ؟ ! فقال النابغة : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما وَلِيَتْ قريش فعدلت ، واسْتُرحمت فرحمت ، وحدِّثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبيون فراط لها ضُمَّنٌ .

ويقال أن النابغة كان مُغَلبا ، فقد حدثت بينه وبين بعض الشعراء مهاجاة فكان يرتد عنهم مغلوبا . منهم أوس بن مغراء ، وكعب بن جعيل ، وليلى الأخيلية ، وغيرهم .

وأقول أنه لا بدع أن يغلبه هؤلاء الشبان ، فقد هاجوه وقد فعل به الهرم والشيخوخة فعلهما . وهم فى قوة الشباب وغرة الفتوة ، وهو كان قد تجاوز حدود الموت وكاد يغفل عنه عزرائيل إلى الأبد . ولم أستحسن رواية تلك الأهاجى لأنها لا تفيد الأديب المصرى فى شىء .

ومما روى من شعره قوله :

هَلْ بِالدِّيَارِ الغَدَاةَ مِنْ صَمَمِ ... أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الأَنِيسِ مِنْ قِدَمِ

أَمْ مَا تُنَادِى مِنْ مَاثِلٍ دَرَجَ السَّـيْلُ عَلَيْهِ كَالحَوْضِ مُنْهَدِمِ

غَرَّاءَ كَاللَّيْلَةِ المُبَارَكَةِ القَمْرَا ءِ تَهْـدِى أَوَائِلَ الظُّـلَمِ

أُكَنِّي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتِمِ (١)
كَأَنَّ فَاهَا إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ طِيبِ مَشَمٍّ وَطِيبِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ ضَامِرٍ مِنَ الْعُتُمِ

وقال يهجو بعضهم :

إِذَا مَا سَوْأَةٌ غَرَّاءُ مَاتَتْ أَتَيْتَ بِسَوْءَةٍ أُخْرَى بَهِيمِ
وَمَا تَنْفَكُّ تَرْحَضُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ السَّوْءَاتِ كَالطِّفْلِ النَّهِيمِ
أَكُلَّ الدَّهْرِ سَعْيُكَ فِي تَبَابٍ تُنَاغِي كُلَّ مُومِسَةٍ أَثِيمِ

ومما يستجاد له قوله :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

وكان بعضهم يصف شعر النابغة الجعدى بأنه : مُطْرَفٌ بآلافْ ، وخِمَارٌ بِوَافْ . يريد أن فيه الجيد الذى يساوى آلاف الدراهم ، كما أن فيه ما يساوى درهما واحدا .

---

(١) لمناسبة هذا البيت قال على بن سليمان الأخفش : أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعنى بغيره فى الشعر : النابغة الجعدى . سبق الناس جميعا إليه واتبعوه فيه . وأحسن من أخذه وألطفه فيه : أبو نواس حيث يقول :

أسأل القادمين من حكمان كيف خلفتموا أبا عثمان
وأبا مية المهذب والما جد والمرتجى لريب الزمان
فيقولون لى : جنان كما سرك فى حالها ، فسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عندهم كتمانى

والحق أن هذا الوصف لا يسلم عليه شاعر ، فكل شاعر، قديما كان أو حديثاً ، له الجيد الذى لا يقدر ، والردىء الذى لا يحتفل به . ولم يوجد قط من تفرد بالإحسان المطلق .

وكانت وفاة النابغة ـ فيما قيل ـ بأصبهان فى نحو سنة : ٥٠ من الهجرة : ٦٧٢ من الميلاد ، وقد اختلفوا فى تقدير عمره . فعبد الله ابن جراد قدره بـ ١١٢ سنة ، وابن الأثير بـ ١٢٠ سنة ، وعمر بن شبة بـ ١٨٠ سنة ، وأبو حاتم السجستانى بـ ٢٠٠ سنة ، وابن قتيبة بـ ٢٢٠ سنة ، والأصمعى بـ ٢٣٠ سنة ، والله أعلم أى ذلك كان صحيحا .

٢

النابغة الذبيانى

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان . يكنى : أبو أمامة ، وأبو ثمامة . وذكر الرواة أنه كان من أشراف قومه ، غير أن الشعر قد غض منه . وهو يعد من الطبقة الأولى فى الشعراء . قيل إنه لما قدم وفد غطفان على عمر بن الخطاب قال لهم : يا معشر غطفان ، من الذى يقول : [١]

إِلَى ابْنِ مُحَرِّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي ... وَرَاحِلَتِي وَقَدْ هَدَأَتْ عُيُونُ [٢]

فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا ... كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي ... عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ

فقالوا : النابغة . فقال : ذاك أشعر شعرائكم . ثم قال : من أشعر الناس ؟

---

(١) وأول هذه الأبيات قوله :

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين

وحلت فى بنى القين بن جسر ... فقد نبتت لنا منهم شؤون

تأوبنى بعملة اللواتى ... منعن النوم إذ هدأت عيون

كأن الرحل شد به خذوف ... من الجونات هادية عنون

من المتعرضات بعين نخل ... كأن بياض لبته سدين

كقوس الماسخى أرن فيها ... من الشرعى مربوع متين

(٢) ابن محرق : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

فقالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين . قال : من الذى يقول :

إلّا سُلَيْمانَ إذْ قَالَ الإلـهُ لَهُ قُمْ فى البَرِيّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ (١)

وخَبِّرِ الجِنَّ أنّى قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفّاحِ والعَمَدِ (٢)

قالوا : النابغة . فقال : ومن الذى يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنفْسِكَ رِيبَةً ولَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ (٣)

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّى خِيَانَةً لَمُبْلِغُكَ الوَاشِى أَغَشُّ وأَكْذَبُ (٤)

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَىُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ (٥)

قالوا : النابغة . فقال : فهو أشعر الناس .

---

(١) يريد بالفند : الخطل والظلم واغتيال الحقوق .

(٢) تدمر : مدينة كانت فى برية الشام ، وهى قديمة مشهورة زعم بعض الرواة أنها كانت قبل سليمان بن داود ، وقال بعضهم إنها من بناء سليمان ، وقال آخرون أنها سميت باسم تدمر بنت حسان بن أذينة ، وحسان هو الذى استعمرها وأنشأها . وكانت مبانيها من عجائب الأبنية المقامة على عمد الرخام . ثم أشدت بها الجوامع ، ولكن الزلازل قد أتت عليها وخربت آثارها وجف نهرها، وفى موضعه غدير فى مائه طعم الكبريت . وكانت قريبة من حمص . والصفاح : حجارة عراض رقاق . والعمد : السوارى من الرخام وهى الأساطين ، واحدها اسطوانة .

(٣) يريد أنه ليس وراء اليمين بالله مايمكن الحلف به فاعتمد فى الصدق ودع سوء الظن بعد حلفى لك بالله على براءتى مما رميت به عندك .

(٤) الواشى : ناقل الكذب ومزينه فى سمع الموشى إليه .

(٥) بمستبق : يريد أن تعفو عن زلته فيبقى لك مودته . والشعث : التفرق والفساد . تلمه : تجمعه وتصلحه . يعنى إن من لم تصلحه من الناس وتقومه فلست بمستبق لك وده ولا راغب فيه ، بل تريد قطع صلتك به .

وقال أبو عمرو بن العلاء[1] : كان الشاعر فى الجاهلية يُقَدَّم على الخطيب ، بفرط حاجتهم إلى الشاعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم من شأنهم ، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم ، ويُهيِّب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ـ صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : الشعر أدنى مروءة السَّرِىّ ، وأسرى مروءة الدنى . قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الأول مازاده ذلك إلا رفعة .

وكانت تضرب للنابغة قبة فى سوق عكاظ يقصده فيها الشعراء ليعرضوا عليه أشعارهم ويتلقون حكمه . وكان فيمن قصده فيها : الأعشى ، وحسان بن ثابت[2] فأنشده كل منهما شعره ، ثم تقدمت إليه الخنساء بنت عمرو بن

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء المازنى ، إمام أهل البصرة فى النحو واللغة والقراءات أخذ عن جماعة من التابعين . وكان ثقة حجة صدوقا . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر . ووثقه يحي بن معين ناقد الرجال . وكان من سادات العلماء ووجوههم ، وعليه أخذ الأدب : الأصمعى ، وأبو عبيدة وغيرهما . مات سنة ١٥٩ هـ ٧٧٦ م .

(٢) الأعشى : هو أبو بصير ميمون بن قيس ، من شعراء الجاهلية الأوائل . أدرك الإسلام ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : إنه يحرم الخمر والزنا . فرجع على عقبيه وقال : أتمتع بهما سنة . ثم أعتنق الإسلام . فلم يحل عليه الحول إلا وهو فى عداد الأموات . وفاته الدخول فى الإسلام . قيل إنه مات بقرية باليمامة سنة ٨ هـ ٦٢٩ م . وقد عنى المستشرق جاير بطابع معلقته فى ليبسيك سنة ١٨٧٥ .

وحسان بن ثابت : هو شاعر الرسول صلوات الله عليه ، وهو أشهر من أن يعرف . توفى سنة ٥٤ هـ ٦٧٤ م وقد عنى بطابع ديوانه فى ليدن المستشرق هرتويج هر شفيلد سنة ١٩٠٠ .

الشريد[1]، فأنشدته بعض ما قالته فى رثاء أخيها صخر، فلما بلغت إلى قولها :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فى رَأْسِهِ نَارُ[2]

قال : والله لولا أن أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدنى آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس. فقال حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك ! فقبض النابغة على يده ثم قال : يابن أخى إنك لا تحسن أن تقول مثل قولى :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[3]

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبَالٍ مَتِينَةٍ ... تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

وقيل إن النابغة مكث دهراً لا يقول الشعر، ثم ارتدى ثيابه وعصب حاجبيه على جبهته، ثم خرج على الناس فلما وقع نظره عليهم أخذ يقول :

المَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيـــشَ وطولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهْ

تَفْنَى بَشَاشَـــتُهُ وَيَبْـــقَى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ

وَتَصَـــرَّمُ الأَيَّامُ حَـــتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهْ

---

(١) الخنساء : هى تماضر بنت عمرو بن الشريد أشهر النساء الشواعر. أدركت الإسلام وماتت مؤمنة سنة ٢٦ هـ ٦٤٦ م وقد عنى بطبع ديوانها مشروحا ومضافا إليه مراثى ستين شاعرة: الأب لويس شيخو وطبع فى مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت بعنوان « أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء » سنة ١٨٩٥ .

(٢) صخر : هو أخوها الذى أكثرت فيه من المراثى عند وفاته .

(٣) يقول ذلك لأن الليل يغشى كل شىء بظلمته فيمنع من التصرف خوفا من الظلمة وما تدفع إليه من المخاطر . ويقال إنه إنما قدم الليل على النهار وتمثل به لأن العرب كانوا أكثر ما يقومون على شؤونهم إنما يكون ليلا وذلك لشدة حر بلادهم نهاراً . فصار ذلك متعارفا عندهم . والمنتأى: البعد.

كَمْ شَامِتٍ بِي إنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٍ لِلهِ دَرُّهْ

لماذا غضب النعمان عليه

للرواة فى هذه المسألة قولان .

الأول : قيل إن النعمان طلب إليه أن يصف المتجردة امرأته ـ وكانت حاضرة عنده ـ فى شعره فقال قصيدته التى أولها «من آل مية رائح أو مغتد» وذكر فيها بطنها وعكنها ومتنها وروادفها وغير ذلك من خصائصها ـ ولما كان المنخل اليشكرى [1] من ندماء النعمان ، وكان جميلا وكان يضمر حب المتجردة وهواها ـ وكان النعمان قصيرا دميما أبرش ـ انتهز المنخل الفرصة وقال

---

(١) هو المنخل بن عبيد بن عامر اليشكرى ، من شعراء الجاهلية المقلين وكان ينادم النعمان بن المنذر مع النابغة ، وكان جميلا . واتهم بالتشبيب بهند أخت عمرو الملك ، كما اتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر ، وبامرأة لعمرو بن هند . ولذلك قتله عمرو بن هند سنة ٥٩٧ م وهو القائل :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر فل فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت مشى القطاة إلى الغدير
ولثمتها فتنفست كتنفس الظبى البهير
فدنت وقالت يامنخل مابجسمك من فتور
ماشف جسمى غير حبك فاهدئى عنى وسيرى
ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
وشربت بالخيل الإنا ث وبالمطهمة الذكور
فإذا سكرت فإننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى رب الشويهة والبعير
ياهند هل من نائل ياهند للعانى الأسير
وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

للنعمان : إن النابغة ما كان يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا عن تجربة واطلاع . فوقر ذلك فى نفس النعمان وظهر عليه الغضب . فلما علم النابغة بذلك فر هاربا إلى بنى غسان ملتجئاً إلى عمرو بن الحارث ملك الشام .

الثانى : أن بعض الشعراء ثارت بهم ثائرة الحسد للنابغة على ما يتمتع به من حظوة واختصاص عند النعمان فقالوا على لسانه فى هجو النعمان :

مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّهُ وقَطِينَهُ   رِخْوُ المَفاصِلِ (أَيْرُهُ) كالمِرْوَدِ

وقالوا فيه أيضا :

حَدِّثُونِى بَنِى الشَّقِيقَةِ مَا يَمْـنَعُ فَقْعًا بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولَا

قَبَّحَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّى بِلَعْنٍ   وَارِثَ الصَّائِغِ الجَبَانَ الجَهُولَا

مَنْ يَضُرُّ الأَدْنَى وَيَعْجِزُ عَنْ ضَـرِّ الأَقَاصِى وَمَنْ يَخُونُ الخَلِيلَا

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذَا الأُلُوفِ وَيَغْزُو   ثُمَّ لَا يَرْزَأُ العَـدُوَّ فَتِيلَا

والمراد بالصائغ هنا : عطية أبو سلمى أم النعمان ، وكان صائغاً أو صائغاً بفدك .

فلما بلغ النعمان هذا الشعر ، وأنه من قول النابغة ، ثارت ثائرته وغضب عليه . فلما علم النابغة بذلك ولى هارباً إلى ملوك الشام من بنى غسان ... ثم علم بعد ذلك أن هذا الشعر مدسوس على النابغة ، وأنه من قول خصومه وحسدته ، ومنهم : عبد قيس بن خفاف البرجمى ومرة بن ربيعة السعدى . ولذلك بعث إليه وهو عند الغساسنة يقول له : إنك صرت إلى قوم بيننا وبينهم إحن ، فهم الذين قتلوا جدى . وقد أقمت فيهم تمدحهم وتثنى عليهم ! ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع ومتحصن ، إن كنا أردنا بك ما ظننت . . فعد إلى سابق عهدك من مجلسنا إن أردت ... فلك عندنا ما تحب ...

ولما علم زَبان بن سيار[1] ومنظور بن سيار الفزاريان ـ وكانا من

(١) هو زبان بن سيار بن عمرو بن جابر الفزارى ، وكان هو وأخوه منظور من خواص النعمان بن المنذر وكان سيدا فى قومه ، شاعرا جيد القول حسن المعانى . وكان بينه وبين الحادرة الشاعر مناظرات ، وبينه وبين عيينة بن حصن الفزارى منافرات ، وقد صحب النابغة الذبيانى وشفع له عند النعمان . وأدرك الإسلام وأسلم فيمن أسلم من بنى فزارة . وكان النابغة قد خرج معه مرة منفردا ، فبينا هما قد بدآ الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة ذات ألوان ، فتطير منها وقال لزبان : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ؟! فلما رجع زبان من غزوته سالما غانما قال يعيب على النابغة تطيره ، ويندد به :

تخبر طيره فيها زياد ... لتخبره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لاطير إلا ... على متطير وهو الثبور
بلى شىء يوافق بعض شىء ... أحايينا وباطله كثير
ومن يترح به لابد يوما ... يجىء به نعى أو بشير

ومن شعره قوله :

ولسنا كأقوام أجدوا رياسة ... يرى مالها ولا يحس فعالها
يريغون فى الخصب الأمور ونفعهم ... قليل إذا الأموال طال هزالها
وقلنا بلا عى وسسنا بطاقة ... إذا النار نار الحرب طال اشتعالها

وقوله لما تقدمت به السن وأصابه الهرم :

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه ... وثلم تثليم الإناء جوانبه
فللموت خير من حياة خسيسة ... تباعده طورا وطورا تقاربه

وقال يهجو بنى بدر الفزاريين :

إن بنى بدر يراع جوف ... كل خطيب منهم مؤف
أهوج لا ينفعه التثقيف

خواص النعمان ـ بدعوته النابغة إلى سابق عهده من القرب إليه ومنادمته ، ذهبا إلى النابغة وصحباه إلى الحيرة . فلما أخبر النعمان بقدومهما أمر فضربت لهما قبة بقرب مجلسه ـ ولم يعلم أن النابغة معهما ـ فدس النابغة أبياتا قيلت بين يدى النعمان . وهى من قصيدته « يادار مية » يقول فيها « نبئت أن أبا قابوس أوعدنى » الخ فلما سمع النعمان الشعر قال : هذا والله شعر النابغة . وسأل عنه ، فأخبر أنه مع الفزاريين بالقبة . ثم نهض الفزاريان فكلما النعمان فعفا عنه وأمنه .

ومما قاله النابغة وهو ملتجئ إلى آل غسان من الشعر فى عمرو بن الحارث وأخيه ، هذه القصيدة الرائعة :

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ [1]

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ... وَلَيْسَ الَّذِى يَرْعَى النُّجُومَ بِآيِبِ [2]

وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ ... تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِن كُلِّ جَانِبِ [3]

عَلَىَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْـدَ نِعْمَةٍ ... لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ [4]

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِى مَثْنَوِيَّةٍ ... وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ [5]

---

(١) كلينى : دعينى وما أقاسى من هموم . وناصب : ذو نصب . أقاسيه : أدافع ما ألاقيه فيه من عناء يلازم طوله ، لأن كواكبه بطىء تحركها إلى المغيب .

(٢) يقول كأن الذى يسوقها إلى مساقطها غير آيب ، ويريد به الصباح .

(٣) أراح : أعاد إبله إلى معاطنها . لأن الليل قد رد عليه ما كان عازبا ، أى بعيدا من همه،لأن الليل يضاعف على ذى الهم همومه وأحزانه .

(٤) يريد أن لعمرو عليه نعم حديثة بعد نعم قديمة لوالده . ليست بذات عقارب : يريد لم يكدرهما عليه من ولا أذى .

(٥) يقول : حلفت يمينا لم أستثن فيها حسن ظنى به وثقتى فيه .

لَئِنْ كانَ لِلقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلَّقٍ وقَبْرٍ بِصَيْدَاءَ الَّذِي عِنْدَ حَارِبِ (١)

ولِلحَارِثِ الجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لَيَلْتَمِسَنْ بِالجَيْشِ دَارَ المُحَارِبِ (٢)

وَثِقْتُ لَهُ بالنَّصْرِ إذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ (٣)

بَنُو عَمِّهِ دُنْيا وعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أُولَئِكَ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ (٤)

إذَا مَا غَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ (٥)

يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُغِرْنَ مَغَارَهُمْ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ (٦)

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ المَرَانِبِ (٧)

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إذَا مَا الْتَقَى الجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ (٨)

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إذَا عُرِّضَ الخَطِّيُّ فَوْقَ الكَوَاثِبِ (٩)

---

(١) قال الأصمعى : تقدير الكلام : حلفت يمينا لئن كان هذا الممدوح ابن هذين الرجلين المقبورين ، وهما يزيد بن الحارث أبو عمرو بن يزيد ، وجده الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر . وجلق هى دمشق ، وصيداء مدينة معروفة بالشام . وحارب اسم مكان بها .

(٢) الحارث الجفنى ابن أبى شمر الغسانى . وهو من أجداد عمرو الممدوح .

(٣) الأشايب : جمع أشيب . وقيل الأشائب : الذين لم يخالطهم أحد غيرهم .

(٤) عمرو بن عامر : من الأزد . دنيا : أى الأدنين فى القرابة .

(٥) يريد بالعصائب النسور والعقبان والرخم ، فهى تتبع الجيش منتظرة القتلى لتقع عليهم .

(٦) ويروى : يصانعنهم ، أى من المصانعة ، وهى حسن الصحبة وعدم الاعتداء. الضاريات : المعتادات على الدماء . والدوارب : أى المدربات على الضراوة .

(٧) الخزر : اللائى ينظرن بمؤخر عيونهن . المرانب : أكسية من جلود الأرانب

(٨) جوانح : مائلات للوقوع على القتلى المخلفين فى المعركة .

(٩) أى أن هذه الجوارح قد اعتادت بطول الاختبار أنها لابد مصيبة من ـــ

عَلى عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِسٍ ... بِهِنَّ كُلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وجَالِبِ (١)

إِذَا اسْتُنْزِلُوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا ... إِلى المَوْتِ إِرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ (٢)

فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ المَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ ... بِأَيْدِيهِمُ بِيضٌ رِقَاقُ المَضَارِبِ (٣)

يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ ... وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ الحَوَاجِبِ (٤)

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ (٥)

تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ ... إِلى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٦)

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ (٧)

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ ... وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ المَخَاضِ الضَّوَارِبِ

= فتلى هذا الجيش الدائم الانتصار على أعدائه . الخطى: الرماح . الكواثب: مقدمات القرابيس على ظهور الخيل .

(١) العارفات : يريد بها الصابرات . عوابس : كوالح . الجالب من الجراح : الذى يبس أعلاه . والكلوم : الجراح، ويريد بها الجراح الدامية التى يسيل منها الدم

(٢) أرقلوا : أسرعوا . والمصاعب : الفحول من الإبل .

(٣) المضارب جمع مضرب : وهو حد السيف .

(٤) الفضاض : ماانفض وتفرق . القونس : أعلى البيضة التى تلبس على الرأس، الفراش : هى فراش الحواجب .

(٥) الفلول: الثلوم . والقراع : المجالدة .

(٦) تورثن . ويروى : تخيرن من أنهار . يريد السيوف . ويوم حليمة : هو أحد أيام العرب المشهورة . بالوقائع الحربية . ويقال إن هذا اليوم قد سمى باسم حليمة بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى . وبه يضربون المثل : مايوم حليمة بسر .

(٧) السلوقى : الدرع المنسوب إلى سلوق، وهى مدينة ببلاد الروم . الصفاح : الحجارة العراض . الحباحب : ذباب له شعاع يرى ليلا .

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ الجُودِ والأَحْلامِ غَيْرُ عَوَازِبِ

مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ الإلهِ ودِينُهُمْ ... قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ العَوَاقِبِ (١)

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ (٢)

تُحَيِّيهِمُ بِيضُ الوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ ... وأَكْسِيَةُ الإضْرِيجِ فَوْقَ المَشَاجِبِ (٣)

يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا ... بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ المَنَاكِبِ (٤)

---

(١) مجلتهم : أى صحيفتهم الحافلة بالحكمة ، ويريد بها الإنجيل . ويرجون منها تقوى الإله وتوحيد ذاته . ويروى : محلتهم . والمراد بها الأرض المقدسة التي يعبدون الله فيها ، وهى مع ذلك مساكنهم

(٢) يوم السباسب : هو يوم السعانين . وهذه كلمة سريانية وأهل مصر يقولون : الشعانين ـ وهو من أعياد النصارى . ويقع قبل الفصح بأسبوع ، وفيه يخرجون بصلبانهم وقد يسمى : عيد الزيتونة ، وهو عند قبط مصر بمعنى : التسبيح . وهو يقع فى الأحد السابع من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل وجدائل الخوص ، والريحان من الكنيسة ، على أنه يوم ركوب السيد المسيح (العفو) أى الحمار ، ويسير به من بيت المقدس إلى صهيون حيث يدخلها راكباً ذلك العفو والناس بين يديه يسبحون ويهللون ، وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير ، وينهى عن المنكر ويشرح مضاره . وكان نصارى مصر يحتفلون بهذا العيد احتفالا فائقاً ويزينون فيه كنائسهم أحسن زينة ، ويشاركهم المسلمون فى الاحتفال به والعناية بشأنه . وكان الحاكم بأمره الفاطمى ـ فى نوبة من نوبات جنونه ـ قد أمر بإبطاله وإلغاء مراسيمه ثم عاد من بعده إلى ما كان عليه . وأهل مصر يرونه عيداً لهم جميعاً .

(٣) يريد بالولائد : الإماء البيض الحسان . الأكسية جمع كساء . والأضريج : الخز الأحمر وبه المرعزى . يريد أنهم ملوك أهل نعمة وترف ، فالإماء البيض الحسان تخدمهم ، وثيابهم مصونة لأنهم عند انتزاعها يعلقونها على المشاجب ، وهى الأعواد .

(٤) الأردان جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص . خالصة : بيض مثل سائر الثوب والمناكب خضر . وكانت علامة لباس ملوكهم أن يتخذوا المناكب من الحبر الأخضر والأردان بيض .

وَلَا يَحْسَبُونَ الخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا ... بِقَوْمِى وَإِذْ أَعْيَتْ عَلَىَّ مَذَاهِبِى

أما القصيدة التى كان وصف فيها المتجردة فهى هذه :

مِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ ... عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

أَفِدَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا ... لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ (١)

زَعَمَ البَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا ... وَبِذَاكَ تَنْعَابُ الغُدَافِ الأَسْوَدِ (٢)

لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ ... إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فِى غَدِ

حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُوَدِّعْ مَهْدَدًا ... وَالصُّبْحُ وَالإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِى (٣)

فِى إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا ... فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ (٤)

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ ... مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

نَظَرَتْ بِمُقْلَةِ شَادِنٍ مُتَرَبِّبٍ ... أَحْوَى أَحَمِّ المُقْلَتَيْنِ مُقَلَّدِ (٥)

وَالنَّظْمُ فِى سِلْكٍ يُزَيِّنُ نَحْرَهَا ... ذَهَبٌ تَوَقَّدُ كَالشِّهَابِ المُوقَدِ

---

(١) أفد : دنا وقرب . الركاب : الإبل . وكأن قد : يريد على أنها مع ذلك قد أوشكت على الرحيل .

(٢) البوارح : يريد بها الطيور . ويروى : زعم الغداف . وهو الغراب . التنعاب : نعيب الغراب أى صياحه .

(٣) حان : قرب . ومهدد اسم جارية .

(٤) الغانية : الجارية التى استغنت بجمالها عن حليها ، أو التى غنيت بزوجها . لم تقصد : لم تقتل .

(٥) الشادن : من أولاد الظباء الذى ترعرع وشدن . أحوى : به حمرة تضرب إلى السواد .

صَفْرَاءُ كالسِّيرَاءِ أُكْمِلَ خَلْقُهَا ... كالغُصْنِ فى غُلَوَائِهِ المُتَأَوِّدِ [1]

قامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ سِجْفَىْ كِلَّةٍ ... كالشَّمْسِ يَوْمَ طُلوعِها بِالأَسْعُدِ

أَوْ دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُهَا ... بَهِجٌ مَتَى يَرَهَا يُهِلَّ وَيَسْجُدِ

أَوْ دُمْيَةٍ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ ... بُنِيَتْ بِآجُرٍّ تُشَادُ وَقَرْمَدِ

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِاليَدِ [2]

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ ... عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدِ

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ ... يَدْعُو الإِلٰهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ

لَصَبَا لِبَهْجَتِهَا وَطِيبِ حَدِيثِهَا ... وَلَخَالَهُ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

تَسَعُ البِلَادُ إِذَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا ... وَإِذَا هَجَرْتُكَ ضَاقَ عَنِّى مَقْعَدِى

وَإِذَا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَخْثَمَ جَاثِمًا ... مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِهِ مِلْءَ اليَدِ

وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فى مُسْتَهْدِفٍ ... رَابِى المَجَسَّةِ بِالعَبِيرِ مُقَرْمَدِ

وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ ... نَزْعَ الحَزَوَّرِ بِالرِّشَاءِ المُحْصَدِ

وَتَكَادُ تَنْزِعُ جِلْدَهُ عَنْ مَلَّةٍ ... فِيهَا لَوَاقِحُ كَالحَرِيقِ المُوقَدِ

ولما ثبتت براءته عند النعمان ورضى عنه ، مثل بين يديه وأنشأ يقول :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ [3]

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلاً كَىْ أُسَائِلُهَا ... عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ [4]

---

(١) السيراء : الثوب من الحرير فيه خطوط . المتأود : المتثنى المتمايل .

(٢) النصيف : الخمار .

(٣) العلياء والسند : اسما مكانين . أقوت : خلت . هو ينادى الديار لا أهلها أسفا عليها وشوقا إلى سكانها الذين خلت منهم .

(٤) الأصيل : وقت العشى . عيت : عجزت عن الجواب .

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا | أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ [١]

فعدّ عما ترى إذ لا ارتجاع له | وانم القتود على عيرانة أُجُدِ [٢]

كأنّ رحلى وقد زال النهار بنا | بذى الجليل على مستأنس وَحِدِ [٣]

سرت عليه من الجوزاء سارية | تزجى الشمال عليه جامد البَرَدِ

فارتاع من صوت كلاب فبات له | طوع الشوامت من خوف ومن صَرَدِ

لما رأى واشق إقعاص صاحبه | ولا سبيل إلى عقل ولا قَوَدِ [٤]

قالت له النفس إنى لا أرى طمعا | وإنّ مولاك لم يسلم ولم يصِدِ

فتلك تبلغنى النعمان إن له | فضلا على الناس فى الأدنى وفى البَعَدِ [٥]

ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه | ولا أحاشى من الأقوام من أحدِ

إلا سليمان إذ قال الإله له | قم فى البرية فاحددها عن الفَنَدِ

وخيّس الجن إنى قد أذنت لهم | يبنون تدمر بالصفّاح والعمدِ [٦]

---

(١) زعموا أن لبد كان من أنسر لقمان بن عاد السبعة، وكان آخرها موتا. بعد أن عمر مائتى سنة وبموته مات لقمان، بعد أن عمر ـ فيما زعموا ـ ٨٠٠ سنة. وكان يقال «طال الأبد على لبد».

(٢) عد عما ترى: يقول دع ما ترى وخذ فيما هو أهم. القتود: خشب الرحل. العيرانة الناقة الصلبة القوية التى تشبه حمار الوحش فى شدته ونشاطه. الأجد: الموثقة الخلق.

(٣) المستأنس الوحد: الثور الوحشى المنفرد.

(٤) واشق: اسم للكلاب الذى فى صحبة الصائد.

(٥) فتلك: يريد الناقة التى ركبها.

(٦) مضى شرح هذين البيتين فى أوائل ترجمة النابغة ص٣٨٦.

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعْقِبْهُ بِطَاعَتِهِ   كَمَا أَطَاعَكَ وَادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ [1]

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً   تَنْهَى الظَّلُومَ وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ [2]

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ   سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ   إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ [3]

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا   إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

فَحَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ   تِسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

فَكَمَّلَتْ مِائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا   وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ

فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجًا   وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ [4]

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُهَا   رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّنَدِ

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ   إِذًا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

إِذًا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً   قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْفَنَدِ

إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهِمْ   كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرْعًا عَلَى كَبِدِي

أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي   وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ [5]

---

(١) فأعقبه : فاجعل عاقبته الجزاء بالخير ، وأرشده إلى الصلاح .

(٢) الضمد : الحقد والغيظ .

(٣) فتاة الحي : يريد بها ـ فيما كانوا يزعمون ـ زرقاء اليمامة بنت الخس من بقايا طسم وجديس . قيل إنها أصابت في عدد القطا حين مر بها سرب منه بين جبلين وقالت إن هذا القطا إذا ضم إلى قطاتي صار مائة ، وسمته الحمام .

(٤) يتنصل في هذا البيت وما بعده مما رمي به من القول السيء في النعمان والمتجردة وهو على هذا يقسم بالله تعالى وبيته الكريم .

(٥) أبو قابوس ، هو النعمان بن المنذر .

مَهْلاً فِدَاءٌ لَكَ الأَقْوَامُ كُلُّهُمُ ... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ

لَا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ... وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الأَعْدَاءُ بِالرِّفَدِ

فَمَا الفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ لَهُ ... تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ العِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ

يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ ... فِيهِ رُكَامٌ مِنَ اليَنْبُوتِ وَالخَضَدِ (١)

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ المَلَّاحُ مُعْتَصِمًا ... بِالخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الأَيْنِ وَالنَّجَدِ (٢)

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ... وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ اليَوْمِ دُونَ غَدِ

هٰذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَنًا ... فَلَمْ أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ

هَا إِنَّ ذِي عِذْرَةٌ إِلَّا تَكُنْ نَفَعَتْ ... فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي البَلَدِ

وذكر الرواة أن النعمان بن الحارث كان حمى « ذا أقر » وهو واد خصيب حافل بالماء والكلأ ، غير أن بنى ذبيان أغارت عليه واحتلته ، فنهاهم النابغة وحذرهم غضبة الملك لانتهاك حماه ، فلم يسمعوا منه وعيروه بخوفه من النعمان، وكان منقطعاً إليه . فلما مات النعمان وقام من بعده أخوه عمرو وجه إليهم الخيل ، وشن عليهم الغارة ، فأصيبوا بما لا قبل لهم به ، وجلوا عن الحمى . فقال النابغة :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ ... مَاذَا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ (٣)

أَقْوَى وَأَقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وَغَيَّرَهُ ... هُوجُ الرِّيَاحِ بِهَابِي التُّرْبِ مَوَّارِ (٤)

---

(١) الينبوت : الخشخاش . والخضد ، من ضروب النبات .

(٢) يريد بالخيزرانة : المدراة . وقيل يريد بها السكان ، وهو ذنب السفينة .

(٣) عوجوا : ميلوا وقفوا . الدمنة : آثار الديار . النوء : ما يكون حول الخباء من أحجار وطين لمنع المطر .

(٤) أقوى : خلا من سكانه . هوج الرياح : الشديدة الهبوب . الهابى : السافى . الموار : المضطرب بين المجىء والذهاب .

وَقَفْتُ فِيهَا سَرَاةَ اليَوْمِ أَسْأَلُهَا ... عَنْ آلِ نُعْمٍ أَمُونًا عِبْرَ أَسْفَارِ [1]

فَاسْتَعْجَمَتْ دَارُ نُعْمٍ مَا تُكَلِّمُنَا ... وَالدَّارُ لَوْ كَلَّمَتْنَا ذَاتُ إِخْبَارِ

فَمَا وَجَدْتُ بِهَا شَيْئًا أَلُوذُ بِهِ ... إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّـــارِ

وَقَدْ أَرَانِي وَنُعْمًا لَاهِيَيْنِ بِهَا ... وَالدَّهْرُ وَالعَيْشُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِمْرَارِ

أَيَّامَ تُخْبِرُنِي نُعْمٌ وَأُخْبِرُهَا ... مَا أَكْتُمُ النَّاسَ مِنْ حَاجِي وَأَسْرَارِي

لَوْلَا حَبَائِلُ مِنْ نُعْمٍ عَلِقْتُ بِهَا ... لَأَقْصَرَ القَلْبُ عَنْهَا أَيَّ إِقْصَارِ

فَإِنْ أَفَاقَ لَقَدْ طَالَتْ عَمَايَتُهُ ... وَالمَرْءُ يُخْلَقُ طَوْرًا بَعْدَ أَطْوَارِ

نُبِّئْتُ نُعْمًا عَلَى الهِجْرَانِ عَاتِبَةً ... سَقْيًا وَرَعْيًا لِذَاكَ العَاتِبِ الزَّارِي

رَأَيْتُ نُعْمًا وَأَصْحَابِي عَلَى عَجَلٍ ... وَالعِيسُ لِلْبَيْنِ قَدْ شُدَّتْ بِأَكْوَارِ

فَرِيعَ قَلْبِي وَكَانَتْ نَظْرَةٌ عَرَضَتْ ... حِينًا وَتَوْفِيقَ أَقْدَارٍ لِأَقْدَارِ

بَيْضَاءُ كَالشَّمْسِ وَافَتْ يَوْمَ أَسْعُدِهَا ... لَمْ تُؤْذِ أَهْلًا وَلَمْ تُفْحِشْ عَلَى جَارِ

تَلُوثُ بَعْدَ افْتِضَالِ البُرْدِ مِئْزَرَهَا ... لَوْثًا عَلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الهَارِي [2]

وَالطِّيبُ يَزْدَادُ طِيبًا أَنْ يَكُونَ بِهَا ... فِي جِيدِ وَاضِحَةِ الخَدَّيْنِ مِعْطَارِ

تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا اسْتَسْقَى بِذِي أُشُرٍ ... عَذْبِ المَذَاقَةِ بَعْدَ النَّوْمِ مِخْمَارِ

كَأَنَّ مَشْمُولَةً صِرْفًا بِرِيقَتِهَا ... مِنْ بَعْدِ رَقْدَتِهَا أَوْ شُهْدِ مُشْتَارِ

أَقُولُ وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ ... إِلَى المَغِيبِ تَثَبَّتْ نَظْرَةً حَارِ [3]

أَلَمْحَةٌ مِنْ سَنَى بَرْقٍ رَأَى بَصَرِي ... أَمْ وَجْهُ نُعْمٍ بَدَا لِي، أَمْ سَنَى نَارِ

---

(١) الأمون: الناقة القوية المعاودة الإسفار، والتي يعبر عليها الصحارى والفلوات.

(٢) تلوث: تأزر أي تلف مئزرها.

(٣) حار: يريد ياحارث. فرخم.

بَلْ وَجْهُ نُعْمٍ بَدَا واللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ بَيْنِ أَثْوَابٍ وأَسْتَارِ

إنْ الحَمُولَ الَّتِي رَاحَتْ مُهَجِّرَةً يَتْبَعْنَ كُلَّ سَفِيهِ الرَّأْيِ مِغْيَارِ

إذَا تَغَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي وإنْ تَغَرَّبْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارِ

* * *

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ وعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارِ (١)

فَقُلْتُ يَا قَوْمِ إنَّ اللَّيْثَ مُفْتَرِشٌ عَلَى بَرَاثِنِهِ لِلْوَثْبَـةِ الضَّارِي

لَأَعْرِفَنْ رَبْرَبًا حُورًا مَدَامِعُهَا كَأَنَّهُنَّ نِعَاجٌ حَوْلَ دُوَّارِ (٢)

يَنْظُرْنَ شَزْرًا إلَى مَنْ جَاءَ عَنْ عُرُضٍ بِأَعْيُنٍ مُنْكَرَاتِ الرِّقِّ أَحْرَارِ

خَلْفَ العَضَارِيطِ مِنْ عُوذٍ ومِنْ عَمَمٍ مُرْدَفَاتٍ عَلَى أَحْنَاءِ أَكْوَارِ (٣)

يَذْرِينَ دَمْعًا عَلَى الأَشْفَارِ مُنْحَدِرًا يَأْمُلْنَ رِحْلَةَ حِصْنٍ وابْنِ سَيَّارِ (٤)

سَاقَ الرُّفَيْدَاتِ مِنْ جُوشٍ ومِنْ جَدَدٍ وعَاشَ مِنْ رَهْطِ رِبْعِيٍّ وحَجَّارِ (٥)

قَرْمًا قُضَاعَةَ حَلاَّ حَوْلَ حُجْرَتِهِ مُدَّا عَلَيْهِ بِسُلاَّفٍ وأَنْفَـارِ

حَتَّى اسْتَغَاثَا بِجَمْعٍ لَا كِفَاءَ لَهُ يَنْفِي الوُحُوشَ عَنِ الصَّحْرَاءِ جَرَّارِ

---

(١) أقر : الموضع الذي كان النعمان حماه ، واستباحته ذبيان .

(٢) الربرب : القطيع من الوحش والظباء والنعام . الحور جمع حوراء ؛ والحور : شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها . دوار : اسم صنم كانوا يدورون حوله .

(٣) العضاريط : الخدم والأتباع . عوذ وعم : حيان من أحياء العرب .

(٤) حصن بن حذيفة ، وزبان بن سيار ، أو منظور بن سيار ، وهما من فزارة . أو هما غيرهما من بني ذبيان .

(٥) الرفيدات : بنو رفيدة بن كلب بن وبرة .

لَا يَخْفِضُ الصَّوْتَ عَنْ أَرْضٍ أَلَمَّ بِهَا ... وَلَا يَضِلُّ عَلَى مِصْبَاحِهِ السَّارِي

تُدَافِعُ النَّاسَ عَنَّا يَوْمَ نَرْكَبُهَا ... مِنَ الْمَظَالِمِ تُدْعَى أُمَّ صَبَّارِ (١)

فَمَوْضِعُ الْبَيْتِ فِي صَمَّاءَ مُظْلِمَةٍ ... بَعِيدَةِ الْقَعْرِ لَا يَجْرِي بِهَا الْجَارِي

إِذْ غَضِبْتُ فَإِنِّي غَيْرُ مُنْفَلِتٍ ... مِنِّي اللِّصَابُ فَجَنْبَا حَرَّةِ النَّارِ

قَدْ عَيَّرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ ... وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاهُ مِنْ عَارِ

وممـا قاله فى مدح النعمان والاعتذار إليه مما سعى به الساعون ، قوله :

عَفَا ذُو حُسًا مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ (٢)

فَمُجْتَمَعُ الْأَشْرَاجِ غَيَّرَ رَسْمَهَا ... مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ (٣)

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا ... لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ لَأْيًا أُبِينُهُ ... وَنُؤْيٌ كَجِذْمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ (٤)

فَكَفْكَفْتُ مِنِّي عَبْرَةً فَرَدَدْتُهَا ... عَلَى النَّحْرِ مِنْهَا مُسْتَهِلٌّ وَدَامِعُ

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ ... مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ... أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ (٥)

---

(١) أم صبار : يريد بها حرة النار المنسوبة لبنى سليم بن منصور .

(٢) عفا : درس ولم يبق منه إلا العفاء، وهو التراب . فرتنا : اسم امرأة . ذو حسا والفوارع وأريك والقلاع كل هذه أسماء أماكن .

(٣) مجتمع الأشراج : هى مسايل الماء من الحرة إلى السهل .

(٤) النؤى يريد به حفير حول الخباء . أثلم خاشع : منثلم لاحق بالتراب .

(٥) فى غير كنهه : فى غير موضعه ولا استحقاقه . راكس : واد . الضواجع : منحنيات الوادى .

فبتُّ كأنِّى ساورَتْنِى ضئيلةٌ مِنَ الرُّقْشِ فى أنيابِهَا السُّمُّ ناقِعُ
يُسهَّدُ مِن لَيلِ التَّمامِ سَليمُهَا لِحَلْىِ النِّسَاءِ فى يدَيْهِ قَعَاقِعُ
تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ من سُوءِ سَمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُرَاجِعُ
أتانِى أبيْتَ اللَّعْنَ أنَّكَ لُمْتَنِى وتِلْكَ الَّتِى تَسْتَكُّ مِنْهَا المَسَامِعُ
مَقَالَةَ أنْ قَدْ قُلْتَ سَوْفَ أنَالُهُ وذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ (١)
لَعَمْرِى ومَا عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلًا عَلَىَّ الأقَارِعُ
أقَارِعُ عَوْفٍ لا أحَاوِلُ غَيْرَهَا وُجُوهُ قُرُودٍ تَبْتَغِى مَنْ تُجَادِعُ (٢)
أتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لِى بِغْضَةً لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعُ
أتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كَاذِبٍ وَلَمْ يَأتِ بِالحَقِّ الَّذِى هُوَ نَاصِعُ
أتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أكُنْ لِأقُولَهُ وَلَوْ كُبِّلَتْ فى سَاعِدَىَّ الجَوَامِعُ
حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهُوَ طَائِعُ
بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وثَبْرَةٍ يَزُرْنَ إلالًا سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ (٣)
سَمَامًا تُبَارِى الرِّيحَ خُوصًا عُيُونُهَا لَهُنَّ رَزَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ
عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ عَامِدُونَ لِحَجِّهِمْ فَهُنَّ كَأطْرَافِ الحَنِىِّ خَوَاضِعُ
لَكَلَّفْتَنِى ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ كَذِى العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وهُوَ رَاتِعُ (٤)

---

(١) رائع : مخيف مفزع .

(٢) الأقارع : يريد بهم بنى قريع بن عوف ، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان .

(٣) لصاف وثبرة : موضعان . إلال : هو موقف الإمام بعرفة أيام الحج .

(٤) كان من عادة العرب إذا عرّ الجمل أى أصيب بالجرب كووا الجمل الصحيح وتركوا المصاب . وأظن أن ذلك منهم كان لحماية الصحيح من العدوى .

فإنْ كُنتُ لا ذو الضِّغنِ عنّي مُكَذِّبٌ ... ولا حَلِفي على البَراءةِ نافِعُ
ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقولُهُ ... وأنتَ بأمرٍ لا مَحالةَ واقِعُ
فإنّكَ كاللّيلِ الّذي هُوَ مُدْرِكي ... وإن خِلْتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسِعُ
خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ ... تُمَدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ (١)
أتوعِدُ عبدًا لم يَخُنْكَ أمانةً ... ويُترَكُ عبدٌ ظالِمٌ وهْوَ ظالِعُ
وأنتَ ربيعٌ يَنعَشُ النّاسَ سَيبُهُ ... وسَيفٌ أُعيرَتْهُ المَنيّةُ قاطِعُ
أبَى اللهُ إلّا عَدلَهُ ووَفاءَهُ ... فلا النُّكرُ مَعروفٌ ولا العُرفُ ضائعُ
وتُسقَى إذا ما شِئتَ غيرَ مُصَرَّدٍ ... بِزَوْراءَ في حافاتِها المِسْكُ كانِعُ

وقال يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني:

دَعاكَ الهَوى واستَجهَلَتْكَ المَنازِلُ ... وكيفَ تَصابي المَرءِ والشَّيبُ شامِلُ
وَقَفتُ بِرَبعِ الدّارِ قَد غَيَّرَ البِلَى ... مَعارِفَها والسّارياتُ الهَواطِلُ
أُسائِلُ عن سُعدَى وقد مَرَّ بعدَنا ... على عَرَصاتِ الدّارِ سَبعٌ كَوامِلُ
فَسَلَّيتُ ما عِندي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ ... تَخُبُّ بِرَحْلي تارةً وتُناقِلُ (٢)
مُوَثَّقَةِ الأنساءِ مَضبُورَةِ القَرا ... نَعُوبٍ إذا كَلَّ العِتاقُ المَراسِلُ
ورَبُّ بَني البَرشاءِ ذُهْلٍ وقَيسِها ... وشَيبانَ حيثُ استَبهَلَتْها المَناهِلُ (٣)

---

(١) يقول: أنت في قدرتك على كخطاطيف عقف يمد بها، وأنا كدلو تتناولها تلك الخطاطيف.

(٢) العرمس: الناقة القوية على السير.

(٣) البرشاء: هي أم شيبان وذهل وقيس بني ثعلبة. وكانت ضرتها ألقت الماء الحار على وجهها فأثر فيه فعرفت بالبرشاء.

لَقَدْ عَالَنِي مَا سَرَّهَا وتَقَطَّعَتْ ... لِرَوْعَاتِهَا مِنِّى القُوَى والوَسَائِلُ

فَلَا يَهْنِئُ الأَعْدَاءَ مَصْرَعُ مَلْكِهِمْ ... ومَا عَتَقَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ ووَائِلُ

وكَانَتْ لَهُمْ رِبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَهَا ... إِذَا خَضْخَضَتْ مَاءَ السَّمَاءِ القَبَائِلُ (١)

يَسِيرُ بِهَا النُّعْمَانُ تَغْلِى قُدُورُهُ ... تَجِيشُ بِأَسْبَابِ المَنَايَا المَرَاجِلُ

يَقُولُ رِجَالٌ يُنْكِرُونَ خَلِيقَتِي ... لَعَلَّ زِيَادًا لَا أَبَالَكَ غَافِلُ

أَبَى غَفْلَتِي أَنِّى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ ... تَحَرَّكَ دَاءٌ فِى فُؤَادِيَ دَاخِلُ

وإِنْ تِلَادِي إِنْ ذَكَرْتُ وشِكَّتِي ... ومُهْرِي ومَا ضَمَّتْ لَدَىَّ الأَنَامِلُ

حِبَاؤُكَ والعِيسُ العِتَاقُ كَأَنَّهَا ... هِجَانُ المَهَى تُحْدَى عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ (٢)

فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ ... أَوَاسِيَ مُلْكٍ ثَبَّتَتْهَا الأَوَائِلُ

فَلَا تَبْعَدَنْ إِنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ ... وكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا بِهِ الحَالُ زَائِلُ

فَمَا كَانَ بَيْنَ الخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا ... أَبُو حُجُرٍ إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ

فَإِنْ تَحْيَ لَا أَمْلَلْ حَيَاتِي وإِنْ تَمُتْ ... فَمَا فِى حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

سَقَى الغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وجَاسِمٍ ... بِغَيْثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ قَطْرٌ ووَابِلُ (٣)

ولَا زَالَ رَيْحَانٌ ومِسْكٌ وعَنْبَرٌ ... عَلَى مُنْتَهَاهُ دِيمَةٌ ثُمَّ هَاطِلُ

بَكَى حَارِثُ الجَوْلَانِ مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ ... وحَوْرَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِلُ (٤)

---

(١) يريد بالربعية ، الغزوة فى زمن الربيع.

(٢) إن ماذكره من هذه الأشياء كلها يقول إنها فى حباء الملك النعمان بن الحارث المرثى بهذه القصيدة :

(٣) بصرى وجاسم : من مدن الشام .

(٤) الجولان وحوران . من أماكن الشام معروفة .

قُعُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ   وَتُرْكٌ وَرَهْطُ الأَعْجَمِينَ وكَابُلُ (١)

ولما ارتحل عن ملوك بني غسان عائداً إلى الحيرة قال في وداعهم :

لَا يُبْعِدِ اللهُ جِيرَانًا تَرَكْتُهُمُ   مِثْلَ المَصَابِيحِ تَجْلُو طَخْيَةَ الظُّلَمِ (٢)

لَا يَبْرَمُونَ إِذَا مَا الأُفْقُ جَلَّلَهُ   بَرْدُ الشِّتَاءِ مِنَ الإِمْحَالِ كَالأُدُمِ (٣)

هُمُ المُلُوكُ وأَبْنَاءُ المُلُوكِ لَهُمْ   فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي اللَّأْوَاءِ وَالنِّعَمِ

أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ   مِنَ المَعَقَّةِ وَالآفَاتِ وَالإِثَمِ

ومما يصح أن يختم به ما اخترناه من شعره قوله يذكر الدهر وأحداثه في أهله :

مَنْ يَطْلُبِ الدَّهْرُ تُدْرِكْهُ مَخَالِبُهُ   وَالدَّهْرُ بِالوِتْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطْلُوبِ

مَا مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ   إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ الذِّيبِ

حَتَّى يُبِيدَ عَلَى عَمْدٍ سَرَاتَهُمُ   بِالنَّافِذَاتِ مِنَ النَّبْلِ المَصَايِيبِ

إِنِّي وَجَدْتُ سِهَامَ المَوْتِ مُعْرِضَةً   بِكُلِّ حَتْفٍ مِنَ الآجَالِ مَكْتُوبِ

وشعر النابغة الذبياني كثير لا يمكن استيعابه في هذا المكان . وقد عني المستشرقون بشعره ، فطبعوه بالمجلة الأسيوية الفرنسية ومعه ترجمة بهذه اللغة للأستاذ ديرنبرغ سنة ١٨٦٨ م . قالوا : وكانت وفاة النابغة في سنة ٦٠٤ م ويكون هذا قبل البعثة النبوية بسبع سنوات على التقريب .

---

(١) غسان : اسم ماء بالشام ، وإليه تنسب ملوك الغساسنة .

(٢) الطخية : الظلمة .

(٣) لا يبرمون : لا يملون : الإمحال: القحط . والأدم : الجلد الأحمر المدبوغ .

٣

النابغة الشيبانى

هو عبد الله بن المخارق الشيبانى . كان يقيم فى البادية [١] . وكان يفد على بلاد الشام فى عهد الدولة الأموية ، وهو يعد من شعراء الطبقة الأولى . وكان منقطعاً إلى عبد الملك بن مروان [*] مداحا له ، متقبلا عطاياه ومنحه ، كما

---

(١) المراد بالبادية هنا بادية الجزيرة المعروفة بـ (مابين النهرين) وهى واقعة بين الفرات ودجلة ، وتسمى فى كتب الجغرافية (ميزوبوتامية) وكانت مساكن العرب من قبائل ربيعة لأنهم نزلوها فى غابر الدهر . وقد سميت بها (ديار ربيعة) و (ديار بكر) والنابغة الشيبانى بكرى معروف النسب .

(*) من خير مايروى لعبد الملك قوله: أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة . وكان إذا دخل عليه رجل من الآفاق قال له : اعفنى من أربع ، وقل بعدها ماشئت : لاتكذبنى ، فإن الكذوب لا رأى له ، ولا تجبنى فيما لا أسألك ، فإن فيما أسألك عنه شغلا . ولا تطرنى ، فإنى أعلم بنفسى منك . ولاتحملنى على الرعية ، فإنى إلى الرفق بهم أحوج . وأوصى بنيه عند موته فقال : عليكم بتقوى الله ، وإياكم والفرقة والاختلاف ، وكونوا بنى أم بررة ، وكونوا فى الحرب أحرارا ، وللمعروف منارا . فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يبقى أجره وذكره . واحلوا فى مرارة ، ولينوا فى شدة ، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيبانى

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر وإن هى بددت ... فالكسر والتوهين للمتبدد

ومما يروى لعبد الملك من الشعر قوله :

لعمرى لقد عمرت فى الدهر برهة ... ودانت لى الدنيا بوقع البواتر
فأضحى الذى قد كان مما يسرنى ... كلمح مضى فى المزمنات الغوابر
فياليتنى لم أغن فى الملك ساعة ... ولم أله فى اللذات عيش نواضر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة ... من الدهر حتى زارضنك المقابر

كان يمدح أبناءه ويحوز جوائزهم . وكان إلى ذلك معتزا بقومه ذاكراً مآثرهم ، منوها بوقائعهم أيام جاهليتهم .

وكان أبو الفرج الأصفهاني يرى أنه كان نصرانيا لأنه ـ فيما يقول ـ وجده يحلف في شعره بالإنجيل وبالرهبان ، وبالأيمان التي يحلف بها النصارى ... وقد استقصيت ديوان شعره وتتبعته بيتاً بيتا . فلم أعثر له إلا على قوله ـ من قصيدة يمدح بها عبد الملك [1] :

آلَيْتُ جُهْدًا ـ وَصَادِقٌ قَسَمِي ـ بِرَبِّ عَبْدٍ تُجِنُّهُ الكُرُحُ [2]
يَظَلُّ يَتْلُو الإنْجِيلَ يَدْرُسُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ قَلْبُهُ قَفِحُ [3]
لَابْنُكَ أَوْلَى بِمُلْكِ وَالِدِهِ وَعَمُّهُ إِنْ عَصَاكَ مُطَّرَحُ [4]

---

(١) وتروى هذه الأبيات هكذا :

أليت جهدا وصادق قسمي لرب عبد لله ينتصحوا
فهو يتلو الإنجيل يدرسه من خشية الله قلبه طفح
لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مطارح

(٢) تجنه : تحويه . الكرح : بيوت كانت لصغار الرهبان بأرض الكوفة ، وبجوارها ديوره كثيرة الرياض والبساتين بظاهر الكوفة .

(٣) قفح : وجع .

(٤) المراد بعمه أي عم الوليد بن عبد الملك ، عبد العزيز بن مروان وكانت ولاية العهد له ثم خلع وصارت للوليد . قيل إنه لما بلغ ذلك القول عبد العزيز قال : لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلا ضيقا ، فأوردها موردا خطرا وبالله على لئن ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه ... وأقول هنا إن وصفه بابن النصرانية لايحتم عليه أن يكون هو نصرانيا ، فكثيرا من عظماء المسلمين كانت أمهاتهم نصرانيات وهذا أمر يقره الدين .

فهذا كل ما قاله النابغة ، وهذا ما حمل أبا الفرج على أن يراه نصرانيا .
وإذا كان هذا كافيا في نظر أبي الفرج لنصرانيته ، أفلا يعد كافياً لوصفه بالإسلام قوله - من قصيدة :

وتُعْجِبُنِي اللَّذَّاتُ ثم يَعُوجُنِي ... وَيَسْتُرُنِي عَنْهَا مِنَ اللهِ سَاتِرُ (١)
ويَزْجُرُنِي الإسْلَامُ والشَّيْبُ والتُّقَى ... وفي الشَّيْبِ والإسْلَامِ للمرءِ زَاجِرُ

وقوله من أخرى :

هُمُ الَّذِينَ سَمِعْتُ اللهَ أَوْعَدَهُمْ ... المُشْرِكُونَ وَمَنْ لَمْ يَنْهَوكُمْ نَجَسُ

يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ ءامَنُوا إنَّما المُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ الآية .

وقوله من أخرى :

وَلَوْلَا اللهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... إلهُ النَّاسِ ذُو مُلْكٍ وعَرْشِ
لَبَاكَرَنِي مِنَ الخُرْطُومِ كَأْسٌ ... تَكادُ سُؤُورُ نَفْحَتِهَا تُمَشِّي (٢)

ولعل أبا الفرج لم يطلع على هذه الأبيات ، أو لم ترو له ، وإلا لما بادر بهذا الوصف التوهمي . على أني لا أستبعد - مع هذا - أن النابغة قد يكون نشأ نصرانيا ؛ فإن النصرانية كانت في عشائره - ثم اهتدى بعد ذلك إلى الإسلام . وليس في هذا غرابة أو بُعد ، وعند الله علم السرائر .

هذا ، وسأختار من شعره هنا مايصلح لمذاكرة القارئ العصري ، معرضا عن رواية ما لا فائدة منه للأديب الحديث من ذكر الطلول ووصف

---

(١) يعوجني : يميلني عنها ويردني .

(٢) الخرطوم : يريد بها الخمر . تمشي : توجد سورة السكر ونشوته .

الديار ، ونعت الركاب ، وقطع الفيافى والقفار . مما يوجب السأم وينفر الطبع السليم .

قال من قصيدة يمدح بها عبد الملك ، وكان هم بخلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد وتولية ولده الوليد ، فى حفل من أهل بيته :

أشْتَقْتَ وانْهَلَّ دَمْعُ عَيْنِكَ أَنْ أَضْحَى قِفَارًا مِنْ خُلَّتِي طَلَحُ[1]
فكمْ وَرَدْنَا مِنْ مَنْهَلٍ أَبِدٍ أَعْذَبُ ما نَسْتَقِي بِهِ المِلَحُ[2]
آمُلُ فَضْلاً مِنْ سَيْبِ مُنْتَجَعٍ إِيَّاهُ يَنْوِي الثَّنَاءُ والمِدَحُ[3]
يَسُوسُ أَهْلَ الإسلامِ عُمِّلْتَهُمْ وأَنْتَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ مُنْتَصِحُ[4]
إِنْ تَلْقَ بَلْوَى فَصابِرٌ أَنِفٌ وإِنْ تُلاقِ النُّعْمَى فَلَا فَرِحُ[5]
تَرْمِي بِعَيْنَيْ أَقْنَى عَلَى شَرَفٍ لَمْ يُؤْذِهِ عائِرٌ ولا لَحَحُ[6]
أَمَّا قُرَيْشٌ فأَنْتَ وارِثُها تَكُفُّ مِنْ شَغْبِهِمْ إِذَا طَمَحُوا[7]
حَفِظْتَ ما ضَيَّعُوا وزَنْدَهُمْ أَوْرَيْتَ إِذْ أَصْلَدُوا وقَدْ قَدَحُوا[8]

---

(١) خلتى : أصدقائى أو صديقاتى . طلح : اسم مكان .

(٢) المنهل : مورد الماء . الأبد : الموحش الذى تألفه الوحوش . والملح : المياه غير العذبة .

(٣) السيب : العطاء . المنتجع : المقصود لطلب المعروف . ينوى : يقصد .

(٤) منتصح : معروف بسلامة النصح .

(٥) يعنى لا تؤيسه البلوى ، ولا تبطره النعمى .

(٦) الأقنى : يريد به الصقر . والشرف : المكان العالى . والعائر : المرض فى العين واللحح : مرض أيضا يعترى الجفون .

(٧) الشغب : إهاجة دواعى الشر .

(٨) أوريت : أحييت وأشعلت ؛ صلدوا : لم يوروا ولم يتقدوا .

مَناقِبُ الخَيرِ أنتَ وارثُها والحَمدُ ذُخرٌ تَغلى بِهِ رَبحُ
آلَيتُ جَهداً ـ وصادِقٌ قَسَمي ـ بِرَبِّ عَبدٍ تُجِنُّهُ الكُرَحُ
يَظَلُّ يَتلو الإنجيلَ يَدرُسُهُ مِن خَشيَةِ اللهِ قَلبُهُ فَفِحُ
لابنُكَ أَولى بِمُلكِ والِدِهِ وعَمُّهُ إن عَصاكَ مُطَّرَحُ
داودُ عَدلٌ فَاحكُم بِسُنَّتِهِ وآلُ مَروانَ كانوا اللهَ قَد نَصَحوا (١)
فَهُم خِيارٌ فَاعمَل بِسُنَّتِهِم واحيَ بِخَيرٍ واكدَحْ كَما كَدَحوا

وقال ـ من قصيدة ـ :

وتُعجِبُني اللَّذاتُ ثُمَّ يَعوقُني ويَستُرُني عَنها مِنَ اللهِ سَاتِرُ
ويَزجُرُني الإسلامُ والشَّيبُ والتُّقى وفي الشَّيبِ والإسلامِ لِلمَرءِ زاجِرُ
وقُلتُ وقَد مَرَّت حُتوفٌ بِأَهلِها: أَلا لَيسَ شَيءٌ غَيرَ رَبّي غابِرُ (٢)
هُوَ الباطِنُ الرَّبُّ اللَّطيفُ مَكانُهُ وأَوَّلُ شَيءٍ رَبُّنا ثُمَّ آلآخِرُ
كَريمٌ حَليمٌ لا يُعقَّبُ حُكمُهُ كَثيرُ أَيادي الخَيرِ لِلذَّنبِ غافِرُ
أَلا أَيُّها الإنسانُ هَل أَنتَ عامِلٌ فَإِنَّكَ بَعدَ المَوتِ لا بُدَّ ناشِرُ (٣)
أَلَم تَرَ أَنَّ الخَيرَ والشَّرَّ فِتنَةٌ ذَخائِرُ يُجزى بِهِنَّ ذَخائِرُ
ومَن يَعمَلِ الخَيراتِ أَو يُخطِ خالِياً يُجازَ بِها أَيّامَ تُبلى السَّرائِرُ
وَجَدتُ الثَّراءَ والمُصيباتِ كُلَّها يَجيءُ بِها بَعدَ الإلهِ المَقادِرُ

---

(١) يريد به داود نبي إسرائيل ووالد سليمان عليهما السلام ، وهو يشير بذلك إلى حكمهما في الحرث .

(٢) يريد بالغابر هنا : الباقي .

(٣) ناشر هنا بمعنى منشور .

فإنْ عُسْرَةٌ يومًا أضرّتْ بأهلِها ... أتتْ بعدَها يمًّا وعِدْنا المَياسِر

ونازلِ دارٍ لا يُريدُ فِـــراقَها ... ستُظعِنُهُ عمّـــا يُريدُ الجرائرُ

ومَنْ يُنصِفِ الأقوامَ ما فاتَ قاضِيًا ... وكُلُّ امرئٍ لا يُنصِفُ النّاسَ عاذِرُ

وقال - من قصيدة - يمدح بها الوليد بن عبد الملك :

تَنوِى الوليدَ أميرَ المؤمنينَ وإنْ ... طالَ السِّفارُ وأضحَتْ دونَهُ الطَّبَسُ (١)

خليفةَ اللهِ يُستَسقَى الغَمامُ بِهِ ... ما مسَّ أثوابَهُ مِنْ غَدْرةٍ دَنَسُ

مَلْكًا هُمامًا يُجيلُ الأمرَ جائلَهُ ... إذا تَحيّرَ عِنـــدَ الخُطّةِ الهَوِسُ

دانَتْ لهُ عَرَبُ الآفاقِ خَشيَتَهُ ... والرُّومُ دانَتْ لهُ جَمعاءُ والفُرُسُ

خافوا كتائبَ غُلْبًا أنْ تُطيفَ بِهِمْ ... للسابغاتِ على أبطالِها جَرَسُ (٢)

مِنْ تَحْوِى سَبْيًا ثُمّ تَقسِمُها ... كما يُصيدُكَ وَحْشَ القَفرةِ الفَرَسُ (٣)

قسرًا عدوَّكَ إنَّ الضِّغْنَ قاتِلُهُمْ ... وإنّهُمْ إنْ أرادُوا غدرةً تَعِسُوا (٤)

لا يُبصِرُونَ وفى آذانِهِمْ صَمَمٌ ... إذا تَغَشّهُمُ مِنْ فِتنةٍ رَكَسُوا (٥)

هُمُ الّذينَ سَمِعْتَ اللهَ أوعدَهُمْ ... المُشرِكُونَ ومَنْ لمْ يَهْوَكُمْ نَجَسُ (٦)

---

(١) تنوى : يعنى تقصد ، يريد بها ناقته التى وصفها فيما سلف من القصيدة ولم نر فائدة فى ترديد هذا الوصف . والطبس : اسم بلد بين نيسابور وإصبهان وهما طبسان إحداهما تسمى : طبس التمر ، والأخرى تسمى : طبس العناب .

(٢) الكتائب ، جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . والغلب ، جمع غلباء ، الكثيرة العدد . السابغات الدروع . الجرس : الصوت .

(٣) السبي : السبايا والغنائم .

(٤) الضغن : الحقد وانتواء الشر والغدر .

(٥) الصمم : انسداد السمع ، الطرش . ركسوا : عاودوا الفتنة دون تبصر .

(٦) يشير إلى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس » .

هَدَتْ أُمَيَّةَ سُبُلَ الحَقِّ تَابِعَهَا إِنَّ الأُمُورَ عَلَى ذِي الشَّكِّ تَلْتَبِسُ (١)

وأَسْهَلُ النَّاسِ أَعْطَانًا لِمُخْتَبِطٍ وأَكْثَرُ النَّاسِ عِيدَانًا إِذَا حَمِسُوا (٢)

إِذَا قُرَيْشٌ سَمَتْ كَانُوا ذَوَائِبَهَا وَخَيْرُهُمْ مَنْبِتًا فِي المَجْدِ إِذْ غُرِسُوا (٣)

ومن قوله :

وَمَا النَّاسُ فِي الأَخْلَاقِ إِلَّا غَرَائِزٌ كَمَا الشَّعْرُ مِنْهُ مُصْلَدٌ وغَزِيرُ (٤)

وضَرُّكَ مَنْ عَادَيْتَ أَمْرُ قُوَايَةٍ وَحَزْمٍ ، وضَرُّ الأَقْرَبِينَ فُجُورُ (٥)

وقِيلُكَ قَدْ أَبْصَرْتُ شَيْئًا جَهِلْتَهُ لِذِي حَنَقٍ عِنْـــدَ الحَمِيَّةِ بُورُ (٦)

وَكَيْفَ تُسِرُّ الفَخْرَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ وفِي أَنْفُسِ الأَقْوَامِ أَنْتَ حَقِيرُ (٧)

وكَائِنْ تَرَى مِنْ كَامِلِ العَقْلِ يُزْدَرَى ومِنْ نَاقِصِ المَعْقُولِ وهُوَ جَهِيرُ (٨)

ومِنْهُمْ قَصِيرٌ رَامَ مَجْدًا فَنَالَهُ وآخَرُ هَيْقٌ فِي الحِفَاظِ قَصِيرُ (٩)

ومِنْ طَالِبٍ حَقًّا بِفُحْشٍ يَفُوتُهُ ومُدْرِكِهِ بِالحَقِّ وهُوَ سَـــتِيرُ

---

(١) هدت أمية : يريد بنى أمية .

(٢) الأعطان : الأماكن التى تأوى إليها الإبل . المختبط : طالب المعروف . حمسوا : صلبوا واشتدوا فى قتال أعدائهم ، وهو من الحماسة .

(٣) الذوائب : الأعالى .

(٤) مصلد : يريد أنه لا فائدة منه على قلته وغزير : كثير مفيد .

(٥) القواية : القوة التى لابد منها .

(٦) قيلك بور : أى ذاهب هدرا عند الحنق ذى الحمية .

(٧) الكنه : الوقت المناسب له ، يعنى لايجوز أن تفخر بما ليس لك ، تريد أن تستر به حقارتك .

(٨) الجهير : ذو المنظر الآخاذ ، المسموع الصوت .

(٩) الهيق : الطويل .

وَمُنْتَحِلٍ شِعْرًا سِواهُ يَقُولُهُ ... وقائِلِ شِعْرٍ لَا يَكادُ يَسِيرُ
وَقَدْ يَصْبِرُ المِهْلاعُ لا بُدَّ مَرَّةً ... وَيَجْزَعُ صُلْبُ العُودِ وَهْوَ صَبُورُ (١)

ومن قوله :

إذَا ما المَرْءُ غالَتْهُ شَعُوبُ ... فَمَا لِلشَّامِتِينَ بِهِ خُلُودُ (٢)
وكُلُّ مُنَعَّمٍ وأَخِى شَقَاءٍ ... ومُثْرٍ والمُقِلُّ مَعًا يَبِيدُ
إذَا مَا لَيْلَةٌ مَرَّتْ وَيَوْمٌ ... أَتَى يَوْمٌ وَلَيْلَتُهُ جَدِيدُ
أَبَادَ الأَوَّلِينَ وكُلَّ قَرْنٍ ... وعادًا مِثْلَمَا بَادَتْ ثَمُودُ
وَلَا يُنْجِى مِنَ الآجالِ أَرْضٌ ... يُحَلُّ بِهَا ولا القَصْرُ المَشِيدُ
ومَا لا بُدَّ مِنْهُ سَوفَ يَأْتِى ... ولَكِنَّ الذِى يَمْضِى بَعِيدُ
وَجَدْتُ النَّاسَ شَتَّى شِيمَتَاهُمْ ... غَوِيٌّ والذِى يُهْدَى رَشِيدُ (٣)
ولَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ ... ولَكِنَّ التَّقِىَّ هُو السَّعِيدُ
وتَقْوَى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا ... وعِنْدَ اللهِ لِلأَتْقَى مَزِيدُ
وشَرُّ مُصَاحِبٍ خُلُقٌ قَسِىٌّ ... ونِعْمَ الصَّاحِبُ الخُلُقُ السَّدِيدُ (٤)
ووَصْلُ الأَقْرَبِينَ سَبِيلُ حَقٍّ ... وقَطْعُ الرَّحْمِ مُطَّلَعٌ كَؤُودُ (٥)

---

(١) المهلاع : الجزوع . وهو من الهلع .

(٢) شعوب : هو اسم للمنية .

(٣) شيمتاهم : مثنى شيمة ، وهى العادة والسجية .

(٤) قسى : شديد صفيق لاخير فيه .

(٥) الرحم : ماوجب عليك صلته وتفقده . مطلع كؤود : صعب المرتقى .

ومن قوله :

وإذَا مَا انْطَوى أَخٌ لِيَ دُونِي فَحَذِيرٌ إِنْ صَدَّ أَنْ لا أُبَالِي
كُلُّ مَا اخْتَصَّنِي بِهِ اللهُ رَبِّي لَيْسَ مِنْ قُوَّتِي ولا بِاحْتِيالِي
كَفَّنِي الحِلْمُ والمَشِيبُ وعَقْلِي ونَهَى اللهُ عَنْ سَبِيلِ الضَّلالِ
وأرَى الفَقْرَ والغِنَى بِيَدِ اللـــهِ وحَتْفُ النُّفُوسِ فى الآجالِ
لَيْسَ حَىٌّ يَبْقَى وإنْ بَلَغَ الكِبْـــرَةَ إلا مَصِيرُهُ لِزَوالِ
إنْ تَمُتْ أَنْفُسُ الأنَامِ فَإنَّ اللـــهَ يَبْقَى وصَالِحَ الأعْمَالِ
إنَّ مَنْ يَرْكَبُ الفَوَاحِشَ سِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسَوْءةٍ غَيْرُ خالِ
كَيْفَ يَخْـــلُو وعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِـــدَيْهِ ورَبُّهُ ذُو المِحَالِ
فاتَّقِ اللهَ ما اسْتَطَعْتَ وأَحْسِنْ إنَّ تَقْوى الإلـهِ خَيْرُ الخِلالِ
وإذَا كُنْتَ ذَا أَنَاةٍ وحِـــلْمٍ لَمْ تَطِرْ عِنْدَ طَـــيْرَةِ الجُهَّالِ
وإذَا ما أَذَلْتَ عِرْضَكَ أَوْدَى وإذَا صِينَ كَانَ غَيْرَ مُذَالِ

ومن قوله :

عاتِبْ أَخاكَ ولا تُكْثِرْ مَلامَتَهُ وزُرْ صَدِيقَكَ رِسْلاً بَعْدَ تَغْيِيبِ
وإنْ عُنِيتَ بِمَعْرُوفٍ فَقُلْ حَسَنًا ولا تَهِنْ عَنْ ذَوِى ضِغْنٍ لِتَهْيِيبِ
لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ
إنَّ الغُلامَ مُطِيعٌ مَنْ يُؤَدِّبُهُ ولا يُطِيعُكَ ذُو شَيْبٍ لِتَأْدِيبِ
إنَّ السَّلائِقَ فى الأخْلاقِ غالِبَةٌ فالصَّقْرُ لا يُقْتَنَى إلا بِتَدْرِيبِ

وشعر النابغة الشيبانى كثير ، وهو مضمن ديوانه الذى نشرته بالطبع دار الكتب المصرية بعنوان «ديوان نابغة بنى شيبان» وقد وقف على طبعه صديقنا الشاعر المرحوم أحمد نسيم فى سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م .

٤
النابغة الحارثى

هو يزيد بن أبان الحارثى . ويقال له : نابغة بنى الديان . ينتهى نسبه إلى كعب بن الحارث . قال عنه الآمدى : إنه شاعر محسن . وروى له قوله :

إنْ تَشْتَكِى عَنَّا سُمَىُّ فَإِنَّنَا ... يَسْمُو إِلَى قُحَمِ العُلَى أَدْنَانَا [1]

وتَبِيتُ جَارَتُنَا حَصَانًا عِفَّةً ... تَثْنِى ، وَيَأْخُذُ حَقَّهُ مَوْلَانَا

وَنُحِقُّ حَقَّ شَرِيبِنَا فى مَائِنَا ... حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ أَسْقَانَا [2]

ونقولُ إنْ طَرَقَ الْمُثَوِّبُ أَصْبِحُوا ... لِوَصَاةِ وَالِدِنَا الَّذِى أَوْصَانَا [3]

أَنْ لَا نَصُدَّ إِذَا الْكُمَاةُ تَقَدَّمَتْ ... حَتَّى تَدُورَ رَحَاهُمُ وَرَحَانَا [4]

وَنُبِيحُ كُلَّ حِمَى قَبِيلٍ عَنْوَةً ... قَسْرًا وَنَأْبَى أَنْ يُبَاحَ حِمَانَا

وَيَعِيشُ فِى أَحْلَامِنَا أَشْيَاعُنَا ... مُرْدًا وَمَا وَصَلَ الْوُجُوهَ لِحَانَا [5]

وَيَظَلُّ مُقْتِرُنَا بِحُسْنِ عَفَافِهِ ... حَتَّى يُرَى وَكَأَنَّهُ أَغْنَانَا [6]

وَيَسُودُ سَيِّدُنَا بِغَيْرِ مُدَافِعٍ ... وَيَسُودُ فَوْقَ السَّيِّدِينِ ثُنَانَا [7]

---

(١) سمى : هى محبوبته التى يتغزل بها واسمها سمية . قحم العلى : مداخل العلى ومآزقها أدنانا : يريد أقلنا قدرة وقوة .

(٢) شريبنا : من يشاركنا فى شربنا أى مائنا الذى نستق منه .

(٣) المثوب : المنادى . وقد يريد به المؤذن .

(٤) ويروى : إذا الكتيبة أحجمت . رحاهم ورحانا : يريد رحى الحرب .

(٥) يريد بالأحلام هنا : الحلم الذى هو ضد الجهل .

(٦) عفافه هنا يريد به التعفف وصون النفس عن التبذل .

(٧) ثنانا : يريد به الذى يجىء بعد أولنا فى السيادة. السيدين هنا جمع السيد .

وإذا السيوفُ قَصُرْنَ بلَّغَها لنا حتّى تناوَلَ ما نُرِيدُ خُطَانَا

وإذا الجيادُ رأَيْتَنا فى مَجْمَعٍ أعْظَمْنَنا وزَحَلْنَ عن مَجْرَانَا (١)

٥

النابغة الغنوى

هو النابغة بن لأى بن مطيع . ينتهى نسبه إلى غَنِيّ . كان فيما يقال من الشعراء الفرسان . ولم أقف له إلا على البيتين الآتيين . قيل إنه قالهما فى يوم محجر ، وهو ماء لطيِّئ :

وما لُمْتُ فُرْسَانِي ولكنْ تُرْتُهُمْ عَصَائِبَ خَيْلٍ دارِعِينَ وحُسَّرِ (٢)

فأتبعتُهُمْ طَرْفِي وقدْ حالَ دُونَهُمْ أَسَاوِدُ مِنْ رُمَّانَ ، يا بُعْدَ مَنْظَرِ (٣)

ويقال إنه كان له ولد شاعر يقال له : جوين بن النابغة .

٦

النابغة التغلبى

هو الحارث بن عدوان ينتهى نسبه إلى غَنْم بن تغلب . لم أقف له من

(١) زحلن : انكشفت عن الميدان الذى تجرى فيه خيلنا .

(٢) ترتهم : حركتهم وبعثتهم للغارة .

(٣) رمان : موضع فى ديار بنى طيء .

الشعر إلا على قوله :

هَجَرْتَ أُمَامَةَ هَجْرًا طَوِيلَا ... وَمَا كَانَ هَجْرُكَ إِلَّا جَمِيلَا

عَلَى غَيْرِ بُغْضٍ وَلَا عَنْ قِلًى ... وَلَا الاحَيَاء وَإِلَّا ذُهُولَا

بَخِلْنَا لِبُخْلِكِ قَدْ تَعْلَمِينَ ... فَكَيْفَ يَلُومُ بَخِيلٌ بَخِيلَا

٧

النابغة العدوانى

هو من بنى وابش بن زيد بن عدوان . وقفت له على هذين البيتين يهجو بهما عنبسة بن يحيى بن زيد بن العاص :

إِذَا مَا جِئْتَ عَنْبَسَةَ بْنَ يَحْيَى ... رَجَعْتَ مُقَلَّدًا خُفَّيْ حُنَيْنِ [١]

فَمَا هُوَ بِالمُؤَمَّلِ مِنْ قُرَيْشٍ ... وَلَا هُوَ مِنْ بَنِي العَاصِي بِزَيْنِ

وعلى هذا البيت يهجو به الفرزدق الشاعر :

نَبَغْتُ وَأَشْعَارِي لِقَيْسٍ دِعَامَةٌ ... وَإِنِّي الَّذِي أَفْرِي حِرَامَ الفَرَزْدَقِ [٢]

---

(١) خفى حنين : يضرب بهما المثل فى خيبة الأمل .

(٢) يريد بقيس : قبائل قيس بن عيلان الذين هو منهم . والله أعلم .

٨

النابغة اليربوعى

هو من يربوع بن لقيط ابن مرة بن عوف بن مسعد بن ذبيان . ويقال له : النابغة الذبيانى . ونابغة بنى قتال . كان أحد الشعراء النوابغ ـ فيما يقال ـ وقد درس شعره ، ولم أجد أحداً من الرواة روى له شعراً حتى أثبته هنا . والله أعلم .

انتهى كتاب أخبار النوابغ وبه انتهى هذا المجموع

والحمد لله أولا وآخرا

سند هذا المجموع

رأيت أن أذكر هنا الكتب التى اعتمدت عليها وراجعتها فى تحرير هذا المجموع وتعليق الشروح والحواشى على مارويته فيه :

أساس البلاغة للزمخشرى : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢

أسد الغابة لابن الأثير : طبع بولاق

الإصابة لابن حجر طبع مصر

الأصنام لابن الكلبى : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤

الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى : طبع الساسى ، وطبع دار الكتب المصرية

الاقتضاب شرح أدب الكتاب للبطليوسى : طبع بيروت سنة ١٩٠١

الإكليل لأبى محمد الحسن بن أحمد الهمدانى : طبع بغداد سنة ١٩٣١

الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير : طبع بيروت سنة ١٩٠٨

الأمالى والذيل والنوادر لأبى على القالى : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦

أمالى ابن الشجرى : طبع مصر

أمالى السيد المرتضى : طبع مصر سنة ١٩٠٧

البيان والتبيين للجاحظ شرح السندوبى : طبع مصر سنة ١٩٤٧

تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدى : طبع مصر سنة ١٢٨٦

تاريخ الأمم والملوك للطبرى طبع مصر

تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين للسيوطى : طبع مصر سنة ١٣٥١

تاريخ الشام لابن عساكر : طبع دمشق الشام .

تاريخ العرب العام لسديو . تعريب عادل زعيتر . طبع مصر سنة ١٩٤٨

التاريخ الكامل لابن الأثير : طبع مصر

التنبيه على أوهام أبي على فى أماليه لأبى عبيد البكرى : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦
جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشي : طبع بولاق سنه ١٣٠٨
الحماسة السنية للشنقيطي الكبير : طبع مصر
الحيوان للجاحظ : طبع الساسى ١٩٠٧ وطبع مصر ١٩٣٩
حياة الحيوان للدميرى : طبع مصر ١٣١٩
خزانة الأدب للبغدادي : طبع مصر سنة ١٩٢٩
دائرة المعارف الإسلامية لجماعة من المستشرقين . تعرب وتطبع بمصر
دائرة المعارف للبستانى : طبع بيروت
ديوان عبيد بن الأبرص : طبع أوربا
سمط اللآلى شرح الأمالى ، لأبى عبيد البكرى : طبع مصر سنة ١٩٢٦
شرح ديوان امرئ القيس ، لأبى بكر عاصم بن أيوب : طبع مصر
شرح شواهد المغنى للسيوطى : طبع مصر سنة ١٣٢٢
شرح مقصورة ابن دريد : طبع استامبول سنة ١٣٠٠
شرح المعلقات السبع للزوزنى : طبع مصر سنة ١٣٥٢
شرح القصائد العشر للتبريزى : طبع مصر سنة ١٩٥٢
شرح ديوان الحماسة للتبريزى : طبع مصر سنة ١٩٣٩
شرح أدب الكاتب للجواليق : طبع مصر
شعراء النصرانية للأب لويس شيخو : طبع بيروت سنة ١٩٢٠
الشعر والشعراء لابن قتيبة : طبع ليدن سنة ١٩٠٢
طبقات الشعراء لابن سلام : طبع مصر
الطبقات الكبرى لابن سعد : طبع أوربا
العقد الثمين فى دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين : طبع لندن سنة ١٨٧٠ ،

وبيروت سنة ١٨٨٦
العقد الفريد لابن عبد ربه : طبع بولاق سنة ١٢٩٣
العمدة لابن رشيق : طبع مصر سنة ١٩٣٤
قاموس الأمكنة والبقاع لعلى بهجت : طبع مصر سنة ١٩٠٦
قاموس الجغرافية القديمة ـ عربى وفرنساوى ـ لأحمد زكى : طبع مصر سنة ١٨٩٩
القاموس المحيط للفيروزابادى : طبع مصر سنة ١٣٣٠
الكامل للمبرد : طبع مصر سنة ١٣٠٢
لسان العرب لابن منظور : طبع مصر
مجمع الأمثال للميدانى : طبع مصر سنة ١٣١٠
المزهر للسيوطى : طبع بولاق سنة ١٨٨٢
المعارف لابن قتيبة : طبع مصر سنة ١٩٣٤
معاهد التنصيص للعباسى : طبع بولاق سنة ١٨٧١
معجم البلدان لياقوت : طبع مصر سنة ١٣٢٤
المعجم الجغرافى لأمين واصف : طبع مصر سنة ١٩١٦
معجم الشعراء للمرزبانى : طبع مصر سنة ١٣٥٤
معجم المطبوعات لسركيس : طبع مصر سنة ١٩٢٨
معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى : طبع مصر سنة ١٩٤٥
المعلقات العشر وأخبار شعرائها لابن الأمين الشنقيطى : طبع مصر سنة ١٣٥٤
المؤتلف والمختلف للآمدى : طبع مصر سنة ١٣٥٤
الموشح للمرزبانى : طبع مصر سنة ١٣٤٣.

فهرس هذا المجموع

وهو يحتوى :

فهرس ديوان امرئ القيس

فهرس أخبار المراقسة وأشعارهم

فهرس أخبار النوابغ وآثارهم

مصنفات صاحب الكتاب

أعيان البيان	طبع	سنة	١٩١٤
الشعراء الثلاثة : شوقى ، ومطران ، وحافظ	»	»	١٩٢٢
المفضليات للضبى : شرح عليها	»	»	١٩٢٦
المقابسات لأبى حيان التوحيدى : شرح عليها	»	»	١٩٢٩
أدب الجاحظ	»	»	١٩٣١
رسائل الجاحظ	»	»	١٩٣٣
أبو العباس المرسى ومسجده الجامع بالإسكندرية	»	»	١٩٤٤
البيان والتبيين للجاحظ ٣ أجزاء شرح عليه (طبعة ثالثة)	»	»	١٩٤٨
تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى	»	»	١٩٤٨
شرح ديوان امرئ القيس ــ الطبعة الثالثة (ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم أخبار النوابغ وآثارهم)	»	»	١٩٥٤

تحت الطبع

الأعياد والمواسم

المستشرقون والمستعربون (فى خدمة اللغة العربية)

عدة الصحفى (محاضرات فى نشأة الصحافة وأدواتها فى العالم)

رواية أدباء اسبلندبار (شعر)

مصنفات صاحب الكتاب

أعيان البيان	طبع سنة ١٩١٤
الشعراء الثلاثة : شوقى ، ومطران ، وحافظ	» » ١٩٢٢
المفضليات للضبى : شرح عليها	» » ١٩٢٦
المقابسات لأبى حيان التوحيدى : شرح عليها	» » ١٩٢٩
أدب الجاحظ	» » ١٩٣١
رسائل الجاحظ	» » ١٩٣٣
أبو العباس المرسى ومسجده الجامع بالإسكندرية	» » ١٩٤٤
البيان والتبيين للجاحظ ٣ أجزاء شرح عليه (طبعة ثالثة)	» » ١٩٤٨
تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى	» » ١٩٤٨
شرح ديوان امرئ القيس ـ الطبعة الثالثة (ومعه) أخبار المراقسة وأشعارهم أخبار النوابغ وآثارهم	» » ١٩٥٤

تحت الطبع

الأعياد والمواسم

المستشرقون والمستعربون (فى خدمة اللغة العربية)

عدة الصحفى (محاضرات فى نشأة الصحافة وأدواتها فى العالم)

رواية أدباء اسبلنددبار (شعر)

وهى تطلب منه وفى المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على

مصنفات صاحب الكتاب

أعيان البيان	طبع	سنة	١٩١٤
الشعراء الثلاثة : شوقي ، ومطران ، وحافظ	«	«	١٩٢٢
المفضليات للضبي : شرح عليها	«	«	١٩٢٦
المقابسات لأبي حيان التوحيدي : شرح عليها	«	«	١٩٢٩
أدب الجاحظ	«	«	١٩٣١
رسائل الجاحظ	«	«	١٩٣٣
أبو العباس المرسي ومسجده الجامع بالإسكندرية	«	«	١٩٤٤
البيان والتبيين للجاحظ ٣ أجزاء شرح عليه (طبعة ثالثة)	«	«	١٩٤٨
تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي	«	«	١٩٤٨
شرح ديوان امرئ القيس ـ الطبعة الثالثة (ومعه)	«	«	١٩٥٤

أخبار المراقسة وأشعارهم

أخبار النوابغ وآثارهم

تحت الطبع

الأعياد والمواسم

المستشرقون والمستعربون (في خدمة اللغة العربية)

عدة الصحفي (محاضرات في نشأة الصحافة وأدواتها في العالم)

رواية أدباء اسبلندبار (شعر)
